

## الإِطْلَاقُ وَالتَّقْيِيدُ فِي النُّحُو الْعَرَبِيَّ

أ.م.د. خير الدين فتاح عيسى القاسمي  
جامعة كركوك/ كلية التربية/ قسم اللغة العربية

### ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر الإِطْلَاق والتَّقْيِيد في النحو العربي، إذ ظهر جلياً بعد الاستقراء والبحث والتمحيص في المؤلفات النحوية كثرة مجيء هذين المصطلحين سواء أكان في المنطوق أم في المفهوم، وقد استعملهما النحويون بالوظيفتين لأغراض كثيرة أهمها: تحقيق المسائل النحوية من خلال بناء الأحكام والقواعد والضوابط بنحو دقيق، وتحديد مسار الآراء النحوية سواء أكانت موافقة أم مخالفة من جهة إطلاقها أو تقييدها، وتوجيه المصطلحات النحوية ليكون جامعاً مانعاً. ودراسة الإِطْلَاق والتَّقْيِيد بهذا الأسلوب تعد من الدراسات الحديثة التي تعالج جزئيات مهمة في الدرس النحوي؛ ذلك لأن النحويين لم يضعوا مبحثاً خاصاً لهذين المصطلحين المقترنين في كتبهم، وإنما وردا في أثناء مؤلفاتهم متفرقة، وقد وظفت لتحليل المسائل النحوية، وتفسير تراكيبها ومسائلها.

ولابد من الإشارة إلى أن علماء أصول الفقه قد سبقوا النحويين في استعمال هذين المصطلحين إذ إنهم وضعوا لهما مبحثاً خاصاً في كتبهم في باب "مباحث دلالة الألفاظ"، وكانت رؤيتهم وتوظيفهم قد بلغ مبلغاً كبيراً وواضحاً من حيث التنظير والتطبيق، أما عند النحويين فإنَّهما وردا في أثناء المسائل في جانب التطبيق فقط. والنحويون المتقدمون لم يتعمقوا في مسألة الإِطْلَاق والتَّقْيِيد، ولم يستعملوهما بمعناها الاصطلاحي، وإنما جاء ذلك عند المتأخرين بعد أن وضحت معالمهما، ولا سيما في عصر الشروحات والحواشي، بعد أن أصبح المنطق والعقل هما اللذان يسيران الدرس النحوي، ولهذا يمكن القول: أن الإِطْلَاق والتَّقْيِيد من نتائج الفكر النحوي؛ لأن الدارس لا يقدر أن يذهب إلى إطلاق المسائل أو تقييدها إلا بعد الوصول إلى جميع المتعلقات التي تعود إلى المسألة الواحدة.

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي أطلق رحمته فبسطها لعباده أجمعين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي قيد بشرع الله تعالى أصفاء أعداء الدين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر المحجلين.

وبعد:

فيعد المطلق والمقيد من مصطلحات علماء أصول الفقه، وهو باب مهم من أبواب دلالة الألفاظ في علم الأصول، ويبدو أن النحويين وجدوا أن توظيفهما في الدرس النحوي يعطي إضافة كبيرة في تحليل المسائل النحوية، وفي توجيه الآراء، وتحديد الماهيات، واستعارة المصطلحات من العلوم الأخر قد وقع كثيراً حتى قال أحدهم ((الخلاصة أن تداخل المصطلحات بين الفقه وبين النحو أمر طبيعي في عملية تفاعل العلوم، وبخاصة العلمين اللذين لا ينفصلان في علوم الدين))<sup>(١)</sup>، ولاسيما تلك التي وقعت بين أصول الفقه وأصول النحو نحو مصطلحات "القياس، والإجماع، واستصحاب الحال، وأنواع العلل المتعلقة بالقياس..."، ونرى أن الأخذ والافتراض من العلوم الأخر التي تنتمي إلى لغة واحدة تترك فائدة عظيمة للدراسات اللغوية لأسباب من أهمها:

- أن الدارس يكون على اطلاع ودراية بمصطلحات العلوم الأخر، ويدرك معاني تلك المصطلحات في تلك العلوم.
- تعمل على زيادة المصطلحات فبدلاً من الاقتصاد والانتقاء والاكتفاء بمصطلحات معينة فإنه يمكن توظيف مصطلحات أخر تزيد في غلة المصطلحات وتعمل على إحياء جميع أطراف المسائل التي تتناولها العلوم.

بالمطلق غير المضاف، وبالمضاف المقيد، ويذكر ابن السراج المطلق مع المفعول المشهور إذ قال: ((وهو المفعول المطلق ويعني به المصدر))<sup>(٤)</sup>.

وأول من وقف عند المصطلحين بنحو مباشر - حسب علمنا - هو الرُّماني إذ عرفهما بقوله: ((المقيد هو الموصول بما يعين المعنى، المطلق هو المجرد مما يعين المعنى))<sup>(٥)</sup>.

إذ ربط اللفظين بتعيين المعنى من حيث الوصول والتجرد، أي أن المتصل به يقيده، والمتجرد عنه يطلقه، وتعد هذه الإشارة عندنا هي نقطة البداية للدخول إلى معالجة المسائل التي تناولها النحويون، مع الإشارة إلى أننا لم نجد نحوياً قد ذهب إلى تنظير هذين المصطلحين، وإنما بقي محصوراً في تناول في معالجة المسائل النحوية، وهي منشورة هنا وهناك.

من ذلك ما ذكر ابن الأنباري لهذين المصطلحين مستدلاً، ليوافق مذهب البصريين في جعل المصدر أصلاً للفعل، إذ قال: ((... أما البصريون فاحتجوا بأن قالوا الدليل على أن المصدر أصل للفعل أن المصدر يدل على زمان مطلق والفعل يدل على زمان معين فكما أن المطلق أصل للمقيد فكذلك المصدر أصل للفعل وبيان ذلك أنهم لما أرادوا استعمال المصدر وجدوه يشترك في الأزمنة كلها لا اختصاص له بزمان دون زمان فلما لم يتعين لهم زمان حدوثه لعدم اختصاصه اشتقوا له من لفظه أمثلة تدل على تعيين الأزمنة؛ ولهذا كانت الأفعال ثلاثة ماض وحاضر ومستقبل؛ لأن الأزمنة ثلاثة، ليختص كل فعل منها بزمان من الأزمنة الثلاثة فدل على أن المصدر أصل للفعل))<sup>(٦)</sup>، فهذا استدلال استند على الجهة الزمنية للكلمة مع بيان قاعدة مهمة هي "المطلق أصل للمقيد".

وهذا يشبه قول النحاة بأن النكرة أصل للمعرفة؛ لأن المعرفة مقيدة بعلة معينة والنكرة مطلقة؛ لهذا النكرة أصل على المعرفة، ويوافق بعض المحدثين على هذا

- بعد إنجاز الخطوات الأولى لدراسة هذه العلوم يجد الدارس بسبب اشتراك هذه المصطلحات مدى الترابط والاتصال الموجود بين هذه العلوم التي تنتمي إلى لغة واحدة.

ولم يستعمل النحويون المتقدمون هذين المصطلحين بنحو كبير، وإنما قد وقع ذلك عند المتأخرين، ولا سيما في عصر الشروحات والحواشي، نظراً لاشتراك الموارد التي كان يتحصلها الدارسون في تلك الفترة، إذ أن طلاب العلم في تلك العصور كانوا يدرسون العلوم كلها في آن واحد سواء أكانت العلوم الشرعية أم كانت علوم الآلة، مما أصّلت ثقافة تقوم على السير برؤية منفتحة على جميع هذه العلوم، ومن ثم الاستفادة منها في تطبيق مصطلحات هذه العلوم لتقريب البعيد، وإيضاح المجهول؛ بسبب التوافق والاشتراك الذي وقع في ما بينها في المعاني والسياقات، وهذه نبذة موجزة لاستعمال اللفظين من لدن النحويين، فالمبرّد هو أول من ذكر لفظ المطلق بالمعنى الذي نريده إذ قال: ((فإن قال قائل كيف يكون المثل نكرة وهو مضاف إلى معرفة هلا كان كقولك: مررت بعبد الله أخيك فالجواب في ذلك أن الأخوة محظورة، وقولك: مثلك مبهم مطلق يجوز أن يكون مثلك في أنكما رجلان أو في أنكما أسمران وكذلك كل ما تشابهتما به فالتقدير في ذلك التتوين كأنه يقول مررت برجل شبيه بك وبرجل مثل لك))<sup>(٧)</sup>، إذ أراد بالمطلق استغراق المعنى وإيقاع النكرة موقع المعرفة حتى يتحقق ذلك العموم.

وكذلك قال: ((وجلست خلفك لا ينفك منه شيء أن يكون خلف واحد وإنما أضافه بعد أن كان مطلقاً وكذلك قمت أمامك ونحوه فإن قال جلست الدار يا فتى أو قمت المسجد أو قمت البيت لم يجز؛ لأن هذه مواضع مخصوصة ليس في الفعل عليها دليل))<sup>(٨)</sup> فنحن نصل إلى المقيد من المفهوم إذ عبّر عنه بالإضافة، فهو يريد



## المبحث الأول

### الإِطْلَاقُ وَالتَّقْيِيدُ فِي الْأَرَاءِ النَحْوِيَّةِ " نَقْدًا وَمُوافَقَةً "

نتناول في هذا المبحث الإِطْلَاقُ وَالتَّقْيِيدُ فِي أَرَاءِ النَحْوِيِّينَ، إذ أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَذْهَبُ إِلَى إِطْلَاقِ بَعْضِ الْأَرَاءِ أَوْ تَقْيِيدِهَا، كَمَا نَرَى طَائِفَةً مِنَ النَحْوِيِّينَ يُوَافِقُونَ أَوْ يَرْفُضُونَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنَ النُّحَاةِ مِنَ الإِطْلَاقِ أَوْ التَّقْيِيدِ، وَهَذِهِ الْأَرَاءُ هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ اجْتِهَادَاتٍ تَمَيَّزَتْ عِنْدَ هَؤُلَاءِ النَحْوِيِّينَ لِتَقْسِيرِ الْأَحْكَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِبَعْضِ الْمَسَائِلِ.

#### أولاً: ما وافق عليه النحويون من الإِطْلَاقِ وَالتَّقْيِيدِ فِي الْأَرَاءِ:

إِنَّ الْكَلَامَ عَلَى الإِطْلَاقِ وَالتَّقْيِيدِ فِي الْأَرَاءِ يَحْتَاجُ أَنْ نُبَيِّنَ بَعْضَ الْأُمُورِ مِنْ أَهْمِهَا: إِنَّ النَحْوِيَّ عِنْدَمَا يَتَنَاوَلُ مَسْأَلَةً مَعْيِنَةً إِمَّا أَنْ يَتَنَاوَلَهَا بِإِطْنَابٍ أَوْ بِإِيجَازٍ أَوْ بِوَسْطِيَّةٍ، فَإِذَا تَنَاوَلَهَا بِوَسْطِيَّةٍ أَيْ أَنَّهَا لَا تَحْتَاجُ إِطْلَاقًا أَوْ تَقْيِيدًا لَا نَرَى شَيْئًا مِنْهُمَا فِي تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ، وَإِذَا تَنَاوَلَهَا بِإِيجَازٍ يَهْمَلُ بَعْضُ أَقْوَالِ النُّحَاةِ، وَحِينَئِذٍ يَأْتِي النَحْوِيُّ الَّذِي بَعْدَهُ لِيَقُولَ إِنَّ هَذَا النَحْوِيَّ أَطْلَقَ كَلَامَهُ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَقِيدَ مَا قَالَهُ؛ لِأَنَّ فَلَانًا ذَكَرَ أَنَّ هَذَا لَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِهِ، أَوْ يَتَنَاوَلَهَا بِإِطْنَابٍ فَيَكْثُرُ مِنَ الإِطْلَاقَاتِ وَالتَّقْيِيدَاتِ، ثُمَّ يَجِيءُ الشَّارِحُ أَوْ مَنْ يَضَعُ حَاشِيَةً أَوْ يَنْقُلُ رَأْيًا لِيَحْدُدَ وَلِيُوجِهُ تِلْكَ الإِطْلَاقَاتِ أَوْ التَّقْيِيدَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي آرَائِهِ، فَضِلَّا عَنْ وَفَرَةِ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي يَمْلِكُهَا النَحْوِيُّ، فَالنَحْوِيُّونَ عَلَى دَرَجَاتٍ، فَنَرَى نَحْوِيًّا يُذَكِّرُ أَسْمَهُ مَعَ أَغْلِبِ الْمَسَائِلِ النَحْوِيَّةِ نَحْوُ: سَيَبُوهِ وَأَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ وَابْنِ مَالِكٍ وَابْنِ هِشَامٍ وَغَيْرِهِمْ، وَآخَرِينَ لَا يَصِلُونَ إِلَى هَؤُلَاءِ، وَلِأَجْلِ هَذَا تُظْهِرُ النُّقْدَاتُ وَالِاسْتِدْرَاكَاتُ مِنْ جِهَةِ الإِطْلَاقِ وَالتَّقْيِيدِ.

وَيَبْدُو أَنَّ تَنَوُّعَ مَوَارِدِ الْعِلْمِ وَمُشَارَبَهُ، وَاخْتِلَافَ رُؤْيِ الْفِكْرِ، وَتَبَايُنَ الْإِمْكَانِيَّاتِ النَحْوِيَّةِ كَانَ سَبَبًا فِي أَنَّ تَكُونَ الْمُوَافَقَاتِ فِي الإِطْلَاقِ وَالتَّقْيِيدِ أَقَلَّ مِنَ الْمَخَالَفَاتِ فِيهِمَا.

فَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ جَنِي: ((الْكَلَامُ فِي الْإِعْرَابِ وَالْبِنَاءِ عَلَى ضَرِيْبَيْنِ: مَعْرَبٍ وَمَبْنِيٍّ))<sup>(١١)</sup>. وَهَذَا حَصْرٌ وَتَقْيِيدٌ ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ أَيْضًا مِنْ أَنَّ الْاسْمَ يَنْقَسِمُ عَلَى مَعْرَبٍ وَمَبْنِيٍّ إِذْ قَالَ: ((الْاسْمُ ضَرِيْبَانِ: مَعْرَبٌ، وَهُوَ الْأَصْلُ، وَيُسَمَّى مُتَمَكِّنًا، وَمَبْنِيٌّ، وَهُوَ الْفَرْعُ، وَيُسَمَّى غَيْرَ مُتَمَكِّنٍ))<sup>(١٢)</sup>.

وَهُوَ مَا اتَّفَقَ مَعَهُ الْخَضْرِيُّ أَيْضًا إِذْ قَالَ: ((وَالْاسْمُ مَنْحَصَرٌ فِيهِمَا عَلَى الصَّحِيحِ الَّذِي عَلَيْهِ النَّاطِقُ...))<sup>(١٣)</sup>. فَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ تَسِيرُ نَحْوَ تَقْيِيدِ الْاسْمِ فِي هَذَيْنِ الضَّرِيْبَيْنِ، مَعَ مُوَافَقَةِ الْخَضْرِيِّ لِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ مَالِكٍ وَتَصْحِيحُهُ لِمَا قَالَ.

وَالْغَايَةُ مِنْ هَذِهِ النُّصُوصِ الَّتِي نَقَلْنَاهَا هِيَ الْوَصُولُ إِلَى كَلَامِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ مُحْيِي الدِّينِ الَّذِي وَصَفَ كَلَامَ ابْنِ هِشَامٍ بِأَنَّهُ قَيَّدَهُ وَوَافَقَهُ عَلَى هَذَا التَّقْيِيدِ، فَقَالَ: ((مَا قَيَّدَهُ الْمُؤَلِّفُ بِعِبَارَتِهِ، هُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ جَمَهَرَةُ النُّحَاةِ مِنَ الْبَصْرِيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ، وَذَهَبَ بَعْضُ النُّحَاةِ إِلَى أَنَّ الْمُضَافَ إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ، نَحْوُ أَبِي وَأَخِي وَغُلَامِي قَسَمَ ثَالِثٌ لَا مَعْرَبٌ وَلَا مَبْنِيٌّ؛ أَمَّا أَنَّهُ لَيْسَ مَعْرَبًا؛ فَلأنَّهُ مَلَزَمٌ لِحَرَكَةِ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ الْكُسْرَةُ؛ وَأَمَّا أَنَّهُ لَيْسَ مَبْنِيًّا؛ فَلأنَّهُ لَمْ يَشْبِهْ الْحَرْفَ، وَهَذَا كَلَامٌ غَيْرٌ مُسْتَقِيمٌ، بَلْ هُوَ مِنْ نَوْعِ الْمَعْرَبِ، وَالْحَرَكَاتُ مُقَدَّرَةٌ عَلَى مَا قَبْلَ الْيَاءِ، مِثْلُ تَقْدِيرِهَا عَلَى آخِرِ الْاسْمِ الْمَقْصُورِ، وَعَلَى آخِرِ الْاسْمِ الْمَنْقُوصِ، وَالْمَانِعُ مِنْ ظَهْوَرِهَا وَجُودَ الْحَرَكَةِ الْمُنَاسِبَةِ لِيَاءِ الْمُتَكَلِّمِ وَهِيَ الْكُسْرَةُ))<sup>(١٤)</sup>.

فَقَدْ اسْتَدْرَكَ الشَّيْخُ عَلَى ابْنِ هِشَامٍ مُوَافَقًا لَهُ عَلَى تَقْيِيدِهِ وَمُصَحِّحًا لَهُ وَرَافِضًا كَلَامَ قَوْمٍ مِنَ النُّحَاةِ الَّذِينَ جَعَلُوا الْاسْمَ مِنْ جِهَةِ الْإِعْرَابِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ غَيْرٌ مُسْتَقِيمٌ.

وَكَذَلِكَ وَقَفَ طَائِفَةٌ مِنَ النَحْوِيِّينَ عِنْدَ قَوْلِ ابْنِ مَالِكٍ<sup>(١٥)</sup>:

وَسَبَقَ حَالٍ مَا بِحَرْفٍ جُرَّ قَدْ أَبَوَا وَلَا امْنَعُهُ فَقَدْ وَرَدَ



الناظم، وإنما هو استدراك الغاية منه زيادة المسألة إيضاحاً وبياناً، ولهذا ذهب إلى هذا التفصيل الصبان، إذ قال: ((قوله: (لوقوعه موقع المضمّر) أي الذي تفتح معه اللام فلا ترد ياء المتكلم، أو مراده بالمضمّر كاف الخطاب؛ لأنها التي يقع موقعها المنادي))<sup>(٢٠)</sup>.

فقد أظهر الصبان بأن "ياء المتكلم" لا ترد على إطلاق ابن مالك، وهذا المعنى ينجلي من المفهوم من النص الذي ذكره لبيان كلام الأشموني الذي قال فيه: لوقوعه موقع المضمّر .

**ثانيا: ما نقده النحويون من الإطلاق والتقيد في الآراء**

قد تبين أن الإطلاق والتقييد للذين يأتيان في الآراء معناه: ذكر النحوي حكماً في مسألة معينة فيها إطلاق أو تقييد، وهذا الحكم على قسمين إما في المنطوق وإما في المفهوم، فإذا ذكر في النص إطلاق ففهموه أنه خال من التقييد وبالعكس.

والتقييد طارئ على الإطلاق، فالإطلاق أصل على المقيد؛ لأن كل مقيد له إطلاق كالمعرفة قياساً على النكرة، وليس كل إطلاق له مقيد، كالإجماع على رفع الفاعل وخفض المجرور، وقد كثر عند النحويين التقييد، وهم يستدركون فيه على نحاة آخرين، ويحتاج المقيد إلى الإحاطة بالمسائل النحوية حتى يكون قادراً على التقييد، وأن بملك قوة انتباه، وتركيز لكي يثبت أسباب التقييد.

فمن ذلك ما ورد في قوله تعالى: (خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ)، فقد ذهب صاحب الشذور إلى أن السموات هنا مفعول به، فقال: ((خلق فعل ماضٍ والله فاعل والسموات مفعول به والمفعول منصوب وعلامة النصب الكسرة نيابة عن الفتحة))<sup>(٢١)</sup>.

بيد أنه عدل عن هذا الإعراب في المغني فجعله مفعولا مطلقا إذ قال:  
((قولهم في نحو ج هـ ع هـ ا ك و و وج [العنكبوت: ٤٤]: إن  
السموات مفعول به، والصواب أنه مفعول مطلق؛ لأن المفعول المطلق ما يقع عليه

مراد صاحب الألفية أن جواز تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف جر أصلي نحو: مررت بهند جالسة، فإنه يجوز: مررت جالسة بهند، وقال ابن هشام: ((... قال الناظم: وهو الصحيح، لوروده كقوله تعالى: ﴿جاءه﴾ هـ هـ هـ هو ما ذهب إليه أحد المحدثين، إذ قال: ((قوله: (بحرف) المراد به الحرف الأصلي، لأن تقدم الحال على صاحبه المجرور بحرف جر زائد جائز بالإجماع، كقولك: ما جاء من أحد راكباً، فيجوز تقدم الحال في هذا المثال؛ لأن صاحبه مجرور بـ(من) الزائدة، وإنما أطلق ابن مالك - رحمه الله - ولم يقيده بالزائد؛ لأن الزائد لا يُقيدُ به، فإن الحرف إذا أُطلق انصرف إلى الأصلي، فلذا تركه لوضوحه، والله أعلم))<sup>(١٧)</sup>.

إذ بيّن أن إطلاق الناظم بقوله: "حرف" حتى يعم، ويشمل جميع حروف الجر، الأصلية منها والزائدة، وأنه لم يقيد ذلك بالزائد، لأنه لا خلاف عند النحاة في جواز مجيء الحال من صاحبها المجرور بحرف جر زائد نحو قولهم: ما رأيت من أحد راكباً يجوز أن تقول: ما رأيت راكباً من أحد.

ونود أن نذكر أن الخصري قد سبقه بهذه اللطيفة، إذ قال: ((محل الخلاف إذا كان حرف الجر أصليا، أما الزائدة فتقدم عليه اتفاقا كما: جاء راكبا من رجل))<sup>(١٨)</sup> ولكن ما يحسب لهذا الباحث أنه تناول المسألة بين جهة الإطلاق والتقييد لمصطلح الحرف الذي جاء في متن الناظم مطلقا من دون تفصيل لمراده لنوع الحرف.

وكذلك ما أورده الأشموني في موافقته لابن مالك على إطلاقه من أن اللام تكون مفتوحة مع غير الياء في باب المستغاث، إذ قال: ((... ما أطلقه من فتح لام المستغاث هو مع غير ياء المتكلم، فأما معها فتكسر نحو يا لي...))<sup>(١٩)</sup>.

فكلام الناظم مطلق حتى يصل إلى ياء المتكلم، فبتغيير هذا الحكم من الإطلاق إلى التقيد من جهة الحركة، وفي كلتا الحالتين لا نجد رؤية نقدية على

تستعمل مع الماضي، وهو أمر لا يوافق عليه كثير من النحويين، نحو قول الرضي:  
((ولا يقال: أيان نمت؟))<sup>(٢٥)</sup>.

كما وقف السيوطي مصححا إذ قال: ((ومتى وأيان وهما ظرفا زمان للعموم  
نحو: متى تقم أقم وأيان تقم أقم، وكسر همزة أيان لغة لسليم... وتختص إذا وردت في  
الاستفهام بمستقبل كما تقدم فلا يستفهم بها عن الماضي كذا قال ابن مالك وأبو حيان  
ولم يحكما فيها خلافا، وأطلق السكاكي والقزويني في الإيضاح كونها للزمان، ومثلا ب:  
أيان جئت، وهو يشعر بأنها تستعمل في الماضي، والصواب خلافه وقد قيده في  
تلخيصه))<sup>(٢٦)</sup>.

وقوله: وقيده، يؤذن أنه تراجع عن إطلاقه في أنها تستعمل للمستقبل  
والماضي، وقد فهم من كلام الأشموني على أنه ممن أجاز مذهب القزويني، وإليه  
أشار الصبان بقوله: ((قوله: (فالزمانى متى وأيان، وهما لتعميم الأزمنة) [قال  
الصبان]: ظاهر إطلاقه أن أيان لا تختص بالمستقبل وهو صريح تمثيل السكاكي  
والقزويني: بـ "أيان جئت"، والذي في التسهيل وكلام أبي حيان أنها تختص بالمستقبل  
كقوله تعالى:  $\text{ج ك ر ك ج}$  [النحل: ٢١] فلا يقال أيان خرجت))<sup>(٢٧)</sup>.

ومن ذلك أيضا ما جاء مطلقا عن طريق المفهوم في كلام ابن عقيل على  
جواز تقديم الحال على عاملها المتصرف إذ قال: ((يجوز تقديم الحال على ناصبها  
إن كان فعلا متصرفا أو صفة تشبه الفعل المتصرف والمراد بها ما تضمن معنى  
الفعل وحروفه وقبل التأنيث والتنثية والجمع كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة  
المشبهة، فمثال تقديمها على الفعل المتصرف: مخلصا زيد دعا، فدعا فعل متصرف  
وتقدمت عليه الحال، ومثال تقديمها على الصفة المشبهة له: مسرعا ذا راحل))<sup>(٢٨)</sup>.

وكان الرضي قد منع هذا التقديم ببعض الاستثناءات وإن كان العامل متصرفا  
كما في الأمثلة التي ذكرها، فقال: ((ولا يتقدم الحال على عامله أيضا إذا كان العامل

اسم المفعول بلا قيد نحو قولك: ضربت ضربا، والمفعول به ما لا يقع عليه ذلك إلا  
مقيدا بقولك "به" كـ ضربت زيدا وأنت لو قلت: السموات مفعول كما تقول: الضرب  
مفعول كان صحيحا ولو قلت: السموات مفعول بها كما تقول: زيد مفعول به لم  
يصح))<sup>(٢٩)</sup>.

ويعد هذا الكلام من دقائق العربية وأسرارها؛ لأن تقيد المفعول بـ "به" يعطي  
دلالة تختلف عنه إذا جاء مفعولا مطلقا، وهذا يقودنا إلى الإشارة إلى مسألة الوجود  
وعدمه في الذي يقع مفعولا أي أن ما يقع عليه الفعل هل كان موجودا قبل الوقوع أم  
لا ؟ وهو ما ينطبق على كلمة السموات في هذه الآية، لأجل هذا وقع هذا الاختلاف  
في نوعية المفعول بأنه لو قيد بـ "به" لم يصح التركيب عنده علما أنه قد أعربه مفعولا  
به في شرح الشذور.

وما يسند كلامنا ونستدل عليه ما ذهب إلى تفصيله الصبان إذ قال: ((قوله:  
"باعتبار إصاق الفعل به" وإن لم يكن موجودا قبل ذلك الفعل نحو {خلق الله  
السموات} فالسموات مفعول به، وإن كان وجودها بذلك الفعل لا قبله، ومن جعلها  
مفعولا مطلقا كالشيخ عبد القاهر بناء على ما التزمه من أن المفعول به ما كان  
موجودا فأوجد الفاعل فيه شيئا آخر وغيرهم لا يلتزمون ذلك))<sup>(٣٠)</sup>.

فلفظ السموات يصلح أن يكون مفعولا به ومفعولا مطلقا بحسب الشرطين  
اللذين ذكرهما الصبان، فإما جعله مفعولا به فإلصاق الفعل به موجود قبل ذلك أم  
غير موجود، وإما جعله مفعولا مطلقا؛ فلأن السموات لم تكن موجودة سابقا، فالإطلاق  
في جعله مفعولا به والتقيد في جعله مفعولا مطلقا.

ومن المواضع التي جاء فيها مطلقا وقيده طائفة من النحويين ما ذكره  
القزويني إذ قال: ((وأما متى وأيان فللسؤال عن الزمان إذا قيل: متى جئت أو أيان  
جئت قيل: يوم الجمعة أو يوم الخميس))<sup>(٣١)</sup>، فالمثال الذي أورده يظهر أن "أيان"

فذكر الشيخ محمد محيي الدين - رحمه الله - التقبيدات التي تخرج الإطلاق الذي قاله الناظم وابن عقيل في جواز تقديم الحال على عاملها المتصرف، كما أشار إلى ذلك الرضی أيضا.

وفي باب الإضافة أيضا يقيد النحويون الإطلاق الذي أورده بعض النحاة بناء على الاسم المضاف إلى اسم الفاعل، فقد ذكر السيوطي موردا رأي ابن مالك وابن هشام فقال: ((وذكر ابن مالك في نكته على الحاجة أنها قد تقيد التخصيص أيضا فإن ضارب زيد أخص من ضارب، قال ابن هشام: وهذا سهو فإن ضارب زيد أصله ضارب زيدا لا ضارب فقط، فالتخصيص حاصل بالمعمول قبل الإضافة، وفهم من تقييد الإضافة بكونها إلى المعمول اشتراط كونها بمعنى الحال أو الاستقبال، فإن كانت بمعنى الماضي فاضافتها محضة لأنها ليست في تقدير الانفصال))<sup>(٣١)</sup>.

فكلامه معتمد على دلالة التركيب فإن كان بمعنى الحال والاستقبال كان مقيدا بالمعمول، وإن كان بمعنى الماضي لم يقيد بذلك، ومثل هذا وقع في كلام ابن الحاجب والرضي في باب التصغير المتعلق باسم الفاعل، إذ قال الرضي: ((وكذا لا يصغر الاسم العامل عمل الفعل، سواء كان اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهة؛ لأن الاسم إذا صغر صار موصوفا بالصغر)) (٣٢).

إذ ذهب محقق هذا الشرح ليبين ما يقيد هذا الإطلاق فقال: ((قد أطلق الشارح القول هنا كما أطلقه المصنف، وفي المسألة تفصيل خلاصته أنك لو قلت: هذا ضاربٌ زيداً، فأعملت اسم الفاعل فيما بعده النصب لم يجز تصغيره بحال، وإذا قلت هذا ضاربٌ زيدٍ، فأضفت اسم الفاعل إلى ما بعده، فإن أردت به الحال أو الاستقبال لم يجز أن تصغره؛ لأنه حينئذ كالعامل، وإن أردت به المضى جاز تصغيره))<sup>(٣٣)</sup>.

ومراده بالتفصيل القيود التي تقيد هذا الإطلاق، وهو أنه يجوز التصغير مطلقا، وإنما إذا أعملت وصارت دلالة اسم الفاعل للحال والاستقبال لم يجز التصغير، وإن دلت الإضافة إلى الماضي جاز التصغير.

مصدرا، لتقديره بأن الموصولة، وما في حيز الصلة لا يتقدم على الموصول، وكذا إذا كان العامل صلة للألف واللام أو لحرف مصدري، كـ "ما، وأن، لأن تقدم الحال، إذن، على هذه الموصولات، لا يجوز، وتقدّمها على صلاتها متأخرة عن الموصولات أيضا غير جائز لما يجيء في الموصولات من امتناع الفصل بين الحرف المصدري واللام الموصول، وبين صلتيهما، فلا تقول: أعجبني مجردة الضارب هندا، ولا: مجردة أن ضرب زيد هندا، ولا: ما مجردة ضرب زيد هندا، وأما في سائر الموصولات، نحو: الذي راكبا جاء زيد، فإنه يجوز الفصل اتفاقا وإذا كان العامل مصدرا بلام الابتداء أو لام القسم جاز تقديم الحال عليه بأن تؤخره عن اللامين، نحو: إن زيدا لـ "راكبا سائر"، و "والله لـ راكبا أسير"، كقوله تعالى: ﴿جَاءَ بِبِ بِ بِ بِ بِ بِ بِ بِ بِ بِ﴾ [آل عمران: ١٥٨]، وتقديره على اللامين لا يجوز لأن لهما صدر الكلام))<sup>(٢٩)</sup>.

وقد تصدى الشيخ محمد محيي الدين لـ إطلاق ابن عقيل بقوله: ((أطلق الشارح كالناظم القول إطلاقاً في أنه يجوز تقديم الحال على عاملها إذا كان هذا العامل فعلاً متصرفاً أو صفة تشبه الفعل المتصرف، وليس هذا الإطلاق بسديد، بل قد يعرض أمر يوجب تأخير الحال على عاملها ولو كان فعلاً متصرفاً أو صفة تشبه الفعل المتصرف، وذلك في أربعة مواضع:

**الأول:** أن يكون العامل مقترنا بلام الابتداء، كقولك: إني لأزورك مبتهجا.

**الثاني:** أن يقترن العامل بلام القسم، كقولك: لأصومن معتكفا، وقولهم: لأصبرن محتسبا.

**الثالث:** أن يكون العامل صلة لحرف مصدري، كقولك: إن لك أن تسافر رجلا، وإن عليك تتصح مخلصا.

**الرابع:** أن يكون العامل صلة لأل الموصولة، كقولك: أنت المصلى فذا، وعلى المذاكر متفهماً<sup>(٣٠)</sup>.

## المبحث الثاني

### الإِطْلَاقُ وَالتَّقْيِيدُ فِي الْمَسَائِلِ النَحْوِيَّةِ

إن الأصل في المسائل النحوية أن تذكر على أصولها وفروعها، بكلياتها وجزئياتها، وقد تكون في هذه المسائل أسباب تحتاج إلى بيان الإِطْلَاقِ أو التقييد فيها حتى تتكشف جميع دقائقها، ويصل الدارس إلى كل أطرافها ومتعلقاتها، وقد يقع في أثناء شرح المسائل بعض العبارات التي تفرض على النحوي بيان ما فيها من إِطْلَاقٍ أو تقييد.

من ذلك تقدير النحويين ذلك اللفظ المطلق الذي يرد مع الظرف، والجار والمجرور متعلقان به، فقد ذكر ابن السراج ذلك إذ قال: ((يجوز إظهار العامل في الظرف إذا كان خبراً؛ لأن ذكر الظرف نائب عنه فلم يجمع بينهما للعلم به، فأما قوله تعالى {فلما رآه مستقراً عنده} فمستقر فيه بمعنى الساكن بعد الحركة لا الاستقرار الذي هو مطلق الكون))<sup>(٣٤)</sup>. فهذا الكلام وصف دقيق بأن الكون المطلق لا يذكر لأن ذكر الظرف نائب عنه، وقد خصص ابن مالك لهذا اللفظ بيتاً في نظمه، فقال<sup>(٣٥)</sup>:

وَأَخْبَرُوا بِظَرْفٍ أَوْ بِحَرْفٍ جَرٍ نَاوِينَ مَعْنَى كَائِنٍ أَوْ اسْتَقَرَّ

ومعنى ناوين أي في النية دون اللفظ كما هو ظاهر، أي يختارون "كائن" مطلقاً مع الظرف أو الجار والمجرور [شبه الجملة] وكان ابن هشام أكثر وضوحاً، إذ قال: ((...)) وأما في البواقي: نحو زيد في الدار فيقدر كونا مطلقاً وهو كائن أو مستقر أو مضارعهما إن أريد الحال أو الاستقبال نحو: الصوم اليوم أو في اليوم والجزاء غداً أو في الغد ويقدر كان أو استقر أو وصفهما إن أريد الماضي هذا هو الصواب، وقد أغفلوه مع قولهم في نحو: ضربي زيدا قائماً إن التقدير "إذ كان" إن أريد الماضي أو إذا كان إن أريد به المستقبل ولا فرق، وإذا جهلت المعنى فقدّر الوصف فإنه صالح في الأزمنة كلها وإن كانت حقيقته الحال... ولا يجوز تقدير الكون الخاص كقائم

وجالس إلا لدليل... واشترط النحويين الكون المطلق إنما هو لوجوب الحذف لا لجوازه<sup>(٣٦)</sup>. ونفهم من كلام ابن هشام وجوب تقدير هذا الكون المطلق، مع توسعه في التفصيل، إذ بيّن أنه لا يُذهب إلى الكون الخاص إلا بدليل مع تسليمه بتقدير الكون المطلق إذا غاب المعنى.

وإما الدكتور فاضل السامرائي فإنه طرق جانب الدلالة في التقدير، إذ قال: ((الخبر شبه الجملة، وأرى أن الراجح في التقدير أنه إذا أريد الحدث قدر فعل بحسب الزمن، وإذا أريد الثبوت قدر اسم، فإذا قلت: القط كالنمر قدرت اسماً (كائن) ولا تقدر فعلاً ونحوه (الأرض كالكرة)، وتقول: الجنة تحت ظلال السيوف، وأرى أنه لا يصح تقدير فعل هنا، فتقدير الفعل (استقرت) يعني أنها كانت على غير ذلك فاستقرت الآن على هذا لا يحسن تقدير (تكون أو تستقر) لما فيه من معنى الحدث والتجدد، وإنما هذا أمر ثابت فتقدر كائنة، ومثله والحمد لله فإنه لا يحسن تقدير استقر بل الأولى أن يقدر (كائن))<sup>(٣٧)</sup>

فهو يريد أن يقطع الإِطْلَاقِ في هذا الحكم، ويذهب إلى التحديد الذي يطلبه هذا المقام، كما قدمه بالأمثلة التي تبين الاستعمال الصحيح للفظ المقدر والمحذوف وجوباً.

ومن المسائل التي كان الإِطْلَاقِ فيها واجباً ما ذكره النحويون في باب الاستثناء، فمن ذلك ما أورده المرادي إذ قال: ((فإن تقدم المستثنى على المستثنى منه وجب نصبه مطلقاً))<sup>(٣٨)</sup>، وهذه من القواعد المشهورة في هذا الموضوع، ويشير ابن هشام إلى أن هذا الحكم مطلق سواء كان الاستثناء منقطاً أو متصلاً، إذ قال ((وإذا تقدم المستثنى على المستثنى منه وجب نصبه مطلقاً أي سواء كان الاستثناء منقطعاً نحو ما فيها إلا حماراً أحد، أو متصلاً نحو: ما قام إلا زيداً القوم<sup>(٣٩)</sup>، قال الكميّ: (وَمَا لِي إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شَيْعَةً . . . وَمَا لِي إِلَّا مَذْهَبُ الْحَقِّ مَذْهَبٌ)<sup>(٤٠)</sup>.

ولهذا عندما وقف ابن عقيل عند هذه المسألة صرح به فقال: ((ونبه بقوله [الناظم]: "ويكون بعد لا"، وهو قيد في يكون فقط على أنه لا يستعمل في الاستثناء من لفظ الكون غير يكون وأنها لا تستعمل فيه إلا بعد لا فلا تستعمل فيه بعد غيرها من أدوات النفي))<sup>(٤٥)</sup>.

وقد ذكر النحويون أن السبب يعود في ذلك إلى أن هذا الفعل الناقص قد أصبح ((حينئذ جامدة بمنزلة ليس، لتضمنها معنى الحرف))<sup>(٤٦)</sup>، والحرف من أهم علاماته أنه جامد ملتزم بصيغة واحدة لا يتغير مهما تغيرت أماكنه، فقاموا هذه الصيغة من الفعل الناقص [لا يكون] على الحرف، فاستمد منه أن يبقى في موضوع الاستثناء على هذه البنية.

وفي باب الإضافة يذكر النحاة أن أحد شروط الإضافة في "كلا وكلتا" وجوب إضافتهما إلى المعرفة، ولذلك لا تضافان إلى النكرة مطلقاً، وقد رد الأزهري على ابن هشام من جهة الإطلاق والتقييد في هذه المسألة، فقد ذكر في المغني كلاماً يورد فيه رأي الكوفيين إذ قال: ((وأجاز الكوفيون إضافتها إلى النكرة المختصة نحو "كلا رجلين عندك محسنان" فإن رجلين قد تخصصا بوصفهما بالظرف وحكما "كلتا جاريتين عندك مقطوعة يدها" أي تاركة للغزل))<sup>(٤٧)</sup>. وكأنه يوافق على ما ذهبوا إليه، ثم قطع في كتابه أوضح المسالك بعدم جواز ذلك فقال: ((أحدها: التعريف؛ فلا يجوز "كلا رجلين"، ولا "كلتا امرأتين" خلافاً للكوفيين))<sup>(٤٨)</sup>.

ولذلك استدرك عليه الأزهري هذا الاختلاف في القولين إذ قال: ((مما يلزم الإضافة لفظاً ومعنى كلا وكلتا فإنهما يضافان للظاهر والمضمر كما تقدم، ولا يضافان إلا لما استكمل ثلاثة شروط أحدها التعريف فلا يضافان لنكرة مطلقاً، فلا يجوز: كلا رجلين، ولا كلتا امرأتين عند البصريين خلافاً للكوفيين فإنهم أجازوا إضافتهما إلى النكرة المختصة نحو: كلا رجلين عندك محسنان فإن رجلين قد

وقد وقف الأزهري عند العلة والسبب الذي يقف وراء هذا الإطلاق فقال: ((وإذا تقدم المستثنى على المستثنى منه وجب نصبه عند البصريين مطلقاً سواء أكان متصلاً أم منقطعاً، وامتنع إنباعه؛ لأن التابع لا يتقدم على المتبوع))<sup>(٤٩)</sup>، وهي نفس العلة التي أوردها الشيخ ياسين الحمصي والتي أوجبت إطلاق النصب فقال: ((وإنما امتنع فيه الإبدال؛ لأن التابع لا يتقدم على متبوعه))<sup>(٥٠)</sup>، ولكن هناك من قيد هذا الإطلاق في هذه العلة، ومنهم صاحب توضيح المقاصد، إذ قال: ((... وجوب تقديم المتبوع على التابع، وأجاز صاحب البديع تقديم الصفة على الموصوف إذا كانت لاثنتين أو جماعة، وقد تقدم أحد الموصوفين، تقول: "قام زيدٌ العاقلان وعمرُو")<sup>(٥١)</sup>، وهذا كسر للإطلاق الذي جاء في هذا الموضوع من خلال نقض القاعدة التي بني الحكم عليها لإثبات الإطلاق.

وفي الباب نفسه يذكر النحويون أن بنية الاستثناء بالفعل الناقص لا تأتي إلا على صيغة "لا يكون" على وجه التقييد، كما أشار إلى ذلك إمام النحاة سيبويه - رحمه الله -، إذ قال: ((فهذه حالهما في حال الاستثناء وعلى هذا وقع فيهما الاستثناء فأجرهما كما أجرهما، وقد يكون صفة وهو قول الخليل - رحمه الله - وذلك قولك: ما أتاني أحد ليس زيدا وما أتاني رجل لا يكون بشراً إذا جعلت ليس ولا يكون بمنزلة قولك: ما أتاني أحد لا يقول ذاك إذا كان لا يقول في موضع قائل ذاك، وبذلك على أنه صفة أن بعضهم يقول ما أتتني امرأة لا تكون فلانة وما أتتني امرأة؟ ليست فلانة، فلو لم يجعلوه صفة لم يؤنثوه لأن الذي لا يجيء صفة فيه إضمار مذكر، ألا تراهم يقولون أتتني لا يكون فلانة وليس فلانة يريد ليس بعضهن فلانة والبعض مذكر))<sup>(٥٢)</sup>.

فهو وإن لم يصرح بتقييد أن يكون بهذا اللفظ فقط إلا أنه واضح من خلال كلامه هذا المفهوم، كما أنه بيّن ثباته على هذه الصيغة في جميع الأمثلة التي ذكرها،

وقد تناول السيوطي هذه المسألة من جهة الإثبات والنفي إذ قال: ((... أو أن تلزم اللام مع النون الشديدة أو الخفيفة في مضارع مستقبل كما تقدم مثاله بخلاف غير المستقبل كالحال نحو: والله لأظنك صادقا، ولا حاجة إلى لتقييده بال مثبت كما في التسهيل؛ لأن اللام لا تدخل غيره إلا شذوذا))<sup>(٥٣)</sup>. إذ ذهب إلى أنه لا حاجة لتقييد هذا الإطلاق بالقول: بأن هذا يكون في الإثبات حصرا، أي أن هذا التركيب وبهذا النحو لا يأتي إلا في الإثبات فانتفت الحاجة إلى التقييد المذكور.

وأما الإطلاق والتقييد في الحروف فقد أشار طائفة من النحويين إلى دلالة الواو بأنها لمطلق الجمع من ذلك ما ذكره ابن السراج، إذ قال: ((وتقول: ضربتُ عمراً وأخاه وزيدَ ضربتُ عمراً ثم أخاه وزيدَ ضربتُ عمراً أو أخاه وقوم لا يجيزون من هذه الحروف إلا الواو فقط ويقولون: لأن الواو بمعنى الاجتماع فلا يجيزون ذلك مع ثم أو لأن مع (ثم و أو) عندهم فعلاً مضمرأ فإن قلت: (زيدَ ضربتُ عمراً وضربتُ أخاه) لم يجز: لأن الفعل الأول والجملة الأولى قد تمت ولا وصلة لها بزيد وعطف بفعال آخر هو المتصل بسببه وليس لأخيه في (ضربتُ الأولى وصلة...))<sup>(٥٤)</sup>.

ثم نرى بعد ذلك أن النحويين قد استقروا على الجمع المطلق بدلاً من الاجتماع الذي ذكره ابن السراج، ومن هؤلاء الزمخشري، إذ قال: ((فالواو للجمع المطلق من غير أن يكون المبدوء به داخلاً في الحكم قبل الآخر ولا أن يجتمعا في وقت واحد بل، الأمران جائزان وجائز عكسهما نحو قولك: جاعني زيد اليوم وعمرؤ أمس واختصم بكر وخالد وسيان قعودك وقيامك، وقال الله تعالى: چ پ پ پ ث چ [البقرة: ٥٨]، چ ژ ک ک ک چ [الأعراف: ١٦١] والقصة واحدة))<sup>(٥٥)</sup>.

والمراد بالإطلاق هنا هو الاشتمال لطرفي هذا الحرف بالحكم الذي من أهم سماته هو الجمع، وقد تناول ابن يعيش كلام صاحب المفصل إذ قال: ((الواو أصل حروف العطف فهي تدل على الجمع المطلق إلا أن دلالتها على الجمع أعم من دلالتها على العطف، والذي يدل على ذلك أنا لا نجد لها تعري من معنى الجمع، وقد

تخصصا بوصفهما بالظرف، وحكوا: كلتا جاريتين عندك مقطوعة يدها أي تاركة للغزل قاله في المغني، وهو مقيد لما أطلقه هنا...))<sup>(٥٦)</sup>.

وقد بين الشيخ ياسين العلة التي أوجبت الإضافة إلى التعريف فقال: ((قوله: أحدها التعريف، وجه أنهما في المعنى توكيدا لما أضيفا إليه، وسيأتي أن المنكور لا يؤكد عند البصريين وإن أفاد توكيده، ويؤخذ من هذا ترجيح مذهبهم))<sup>(٥٧)</sup>.

وكذلك ورد تقييد الإطلاق في المسائل في اجتماع " لام القسم ونون التوكيد " فالنحاة جعلوا ذلك مطلقا، وقد عبر عنه سيبويه باللزم، إذ قال: ((هذا باب الأفعال في القسم ((اعلم أن القسم توكيدٌ لكلامك فإذا حلفت على فعلٍ غير منفي لم يقع لزمته اللام ولزمت اللام النون الخفيفة أو الثقيلة في آخر الكلمة وذلك قولك والله لأفعلن، وإن كان الفعل قد وقع وحلفت عليه لم تزد على اللام))<sup>(٥٨)</sup>. فاللزم بين اللام والنون في القسم يردان مطلقا كما مثّل له صاحب الكتاب، بيد أن هناك من النحويين من كسر هذا الإطلاق فقال: ((قلت: أما قوله: فلام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد ليس على إطلاقه بل هو مشروط عند القائلين به وهم البصريون بألا يفصل بين الفعل واللام بحرف تنفيس، أو قد، أو بمعموله فيمتنع حينئذ دخول النون، وقد اتضح أن عدم النون في ولسوف ليس مانعاً من جعل اللام جواب القسم. وأما الكوفيون فإنهم أجازوا تعاقب اللام والنون، وأما في " لأقسمُ بيوم القيامة " فقد أولّهُ بعض البصريين على إرادة الحال وفعل الحال إذا أقسم عليه دخلت عليه اللام وحدها))<sup>(٥٩)</sup>. فهنا أصبحت المسألة متعلقة بالمدخلات التي قيدت ذلك الإطلاق، وهي الشروط التي ذكرها، وهذا لا يعني أن القول الأول غير صحيح، بل هو صحيح بدليل كلام سيبويه وغيره، لأن المقصود أن هذا الحكم يسري ما دام التركيب لم ينتقض بالأمر التي جاءت كتقييد لهذا الإطلاق، والقول الثاني أيضا صحيح لأنه أفصح عن التفصيل الذي يكسر ذلك الإطلاق.

فواضح أن المسألة قد نضجت في الفكر النحوي حتى وصلت إلى مرحلة استقرت فيها جميع أطراف هذا الحرف ومتعلقاته، ولا سيما من جانب الدلالة التي نحن بصدد الوقوف عندها، والتي هي أن الواو "المطلق الجمع".

تعرى من معنى العطف ألا ترى أن واو المفعول معه في قولك استوى الماء والخشبة...) <sup>(٥٦)</sup>. فهو عنده حرف جاء للجمع مطلقاً، والعطف من بعض وظائفه، فالجمع متأصل فيه لا يغادره وإن تغيرت مواضعه ومواطن مجيئه.

ونظراً لالتزام هذا المعنى مع هذا الحرف، فإن النحاة ذهبوا إلى تصحيح الإطلاق، فقالوا: ((... قال بعض العلماء: الصواب أن يقال: الواو لمطلق الجمع، لا للجمع المطلق؛ لأن الجمع المطلق هو الجمع الموصوف بالإطلاق، لأننا نفرق بالضرورة بين الماهية بلا قيد، والماهية المقيدة، ولو بقيد لا، والجمع الموصوف بالإطلاق ليس له معنى هنا، بل المطلوب هو مطلق الجمع، بمعنى أي جمع كان، سواء كان مرتباً أو غير مرتب. ونظير ذلك قولهم: مطلق الماء، والماء المطلق))<sup>(٥٧)</sup>.

فهذا تفسير مناسب لما نحن عليه من توجيه الإطلاق الدقيق.

وقد ذهب السيوطي إلى الجانب التطبيقي في هذا الحرف من خلال ذكر بعض الآيات القرآنية للوصول إلى تحقيق إطلاق النحاة بأنه لمطلق الجمع إذ قال:

((الواو وهي لمطلق الجمع أي الاجتماع في الفعل من غير تقييد بحصوله من كليهما في زمان أو سبق أحدهما فقولك جاء زيد وعمرو يحتمل على السواء أنهما جاءا معا أو زيدا أولاً أو آخرًا ومن ورودها في قوله: جاء ب ب ب ب ب ب ب ب ب ب [العنكبوت: ١٥] وفي السابق ج ج ق ق ج ج [الحديد: ٢٦] وفي المتأخر ج ب ب ب ب ب ب ب ب ب ب [الشورى: ٣] واستدل على ذلك بأن التثنية مختصرة من العطف بالواو فكما تحتمل ثلاثة معان ولا دلالة في لفظها على تقديم ولا تأخير، فكذلك العطف بها وباستعمالها حيث لا ترتيب في نحو اشترك زيد وعمرو وبصحة نحو قام زيد وعمرو بعده أو قبله أو معه، والتعبير بما سبق أحسن كما قاله ابن هشام من قول بعضهم للجمع المطلق لتقيد الجمع بقيد الإطلاق وإنما هي للجمع لا بقيد))<sup>(٥٨)</sup>.

### المبحث الثالث

#### الإِطْلَاقُ وَالتَّقْيِيدُ فِي الْمِصْطَلَحَاتِ النُّحَوِيَّةِ

وقف قوم من النحويين عند بعض المصطلحات، وهم يميزون فيها مسألة الإِطْلَاقِ والتَّقْيِيدِ، والكلام على المصطلحات لا ينفك عن أي دراسة نحوية؛ نظرا للترابط القوي والتداخل الكبير بين الموضوعات النحوية ومصطلحاتها ووجوب ذكر المصطلحات النحوية المتعلقة بتلك الموضوعات من الجانب التطبيقي؛ ولذلك فقد ذكر طائفة من النحويين موضوعة الإِطْلَاقِ والتَّقْيِيدِ مع مصطلحات الاسم العلم، والمفعول المطلق، والمفعول به، وفعل الأمر.

##### ١- الاسم العلم:

جاءت مسألة الإِطْلَاقِ والتَّقْيِيدِ في هذا المصطلح أثناء الوقوف عند تعريف الاسم العلم، من ذلك ما ذكره ابن مالك في ألفيته، إذ قال<sup>(٥٩)</sup>:

اسم يعين المسمى مطلقا علمه كجعفر وخرنقا

فقد حقق المرادي قوله: مطلقا بأنه ((مخرج لما سوى العلم من المعارف، فإن العلم يعين مسماه بمجرد الوضع أو بالغلبة، لا بقرينة))<sup>(٦٠)</sup>. بمعنى أن هذا المصطلح لا يحتاج إلى قرائن تقيد كبقية المعارف، والمعارف كلها مقيدة لأنها تدل على أشياء معينة بخلاف النكرة فإنها تبقى تسبح في فضاء اللغة حتى تقيد بأحد أدوات التعريف، والدليل على هذا الكلام ما ذكره ابن هشام (٧٦١هـ) إذ قال: ((المعارف، فإن تعيينها لمسمياتها تعيينٌ مُقَيَّدٌ ألا ترى أن ذا الألف و اللام مثلا إنما تعين مُسمَّاه ما دامت فيه (أل) فإذا فارقتُ فارقتهُ التعيينُ ونحو (هذا) إنما يعين مُسمَّاه ما دام حاضرا، وكذا (الباقي))<sup>(٦١)</sup>.

ثم يذكر في الشذور جميع التقبيدات في المعارف، إذ قال: ((... وقولنا: بغير قيد مخرج لما عدا العلم من المعارف فإنها إنما تعين مسماها بقيد كقولك الرجل فإنه

يعين مسماه بقيد الألف واللام وكقولك فإنه يعين مسماه بقيد الإضافة بخلاف العلم فإنه يعين مسماه بغير قيد؛ ولذلك لا يختلف التعبير عن الشخص المسمى زيدا بحضور ولا غيبة بخلاف التعبير عنه بأننت وهو<sup>(٦٢)</sup>.

فإن قال قائل: بأن التعريف تقيد قادم من النكرة، فكيف جاء الاسم العلم وفيه إِطْلَاقٌ؟ نقول: إن هذا الإِطْلَاقُ مراده تعيين المسمى من غير قيد لا أنه غير مقيد في الأصل، إذ إن التقيد قد حصل في التعريف، بمعنى أن هذا الإِطْلَاقُ أتى من داخل التعريف، وإن التقيد قد حصل من خارج التعريف.

ويشار هنا إلى أنه لا فرق بين العلم وعلم الجنس في هذا الإِطْلَاقِ، ولأجل هذا فهو ((صادق بعلم الجنس إذ تعيينه لمساه بغير قيد))<sup>(٦٣)</sup>، فالمراد بالعلم هنا العلم الحقيقي الذي لا ينصرف الذهن إلا إليه حين إطلاقه، ويجوز دخول علم الجنس معه لدلالته على جنس محدد، وهذا يعني أن سبيل الإِطْلَاقِ هو شمول أفراد كثيرين، فإذا أردنا التقيد فيجب التحديد، والتحديد يأتي بلفظ موضوع له، وهو هنا العلم.

##### ٢- المفعول المطلق:

لا بد أن نشير بأن هذا المصطلح من المصطلحات التي تذكر مترادفة أحيانا مع مصطلح المصدر مما يترك مجالا للإيهام، وقد وقع ذلك عند القدماء والمتأخرين، فقد عرفه ابن السراج بقوله: ((والمفعول ينقسم على خمسة أقسام مفعول مطلق ومفعول به ومفعول فيه ومفعول له ومفعول معه، الأول: وهو المفعول المطلق ويعني به المصدر))<sup>(٦٤)</sup>. فلم يميز بينهما؛ ولهذا ذهب الأشموني (٩٢٩هـ) إلى الفصل بينهما وبين العموم والخصوص الذي فيهما<sup>(٦٥)</sup>.

وقد ذهب طائفة من النحويين إلى إظهار العلل التي كانت وراء تسميته بالمفعول "المطلق" من ذلك ما ذكره ابن القيم (٧٦٧هـ) إذ قال: ((المفعول المطلق: وهو المصدر وسمي مفعولا مطلقا لوجهين: أحدهما: لأنه لا يقيد بشيء من حروف



يصدق على المصدر المذكور إلا مقيدا بقيد الإطلاق<sup>(٧٠)</sup>. وقد تبين عن طريق المفهوم أن مصطلح المفعول "مطلق"، وأن تقريده يكون بالمتعلق "به".

وقد يُشكل هذا الكلام بين المفعول به والمفعول المطلق كما ظهر الآن بكلام النحوي المتقدم، ولهذا يقال: بأن استعمال النحويين للمفعول به أكثر من المفعول المطلق، فالمفعول به يأتي في أبواب نحوية متعددة، ومن أهمها ظن وأخواتها... إلخ ولهذا وصفه بقوله: لأنه أكثر دورانا في الكلام، مما جعله أشهر في الإطلاق في الاستعمال النحوي من المفعول المطلق الذي يقتصر مجيئه في بابه فقط.

ويقول أحد المحدثين: ((ومن خلال تتبعي لمصطلحات المفعول به تبين لي أن المصطلحين اشتهرا وتلازما مدة طويلة، وبالتحديد إلى ما قبل نهاية القرن الرابع الهجري، وهذا الوقت شهد تقدم لفظ المفعول به وانحسار مصطلح المفعول غير بالجار والمجرور "به"<sup>(٧١)</sup>. وفي هذا دليل على كون المفعول أعم من المفعول به، ثم تقيد صاحب الجار والمجرور على ذلك المصطلح المشهور الذي يتعدى عليه الفعل.

#### ٤- فعل الأمر:

ذكر النحويون الإطلاق والتقييد في فعل الأمر من جهتين جهة البنية وجهة الدلالة من ذلك ما أورده السيوطي في نكته إذ قال: ((قول الألفية: وفعل أمر ومضي بنيا، قال ابن هشام: أورد عليه شيثان، أحدهما: أنه ذكر أن فعل الأمر والماضي بينيان، ولم يبين على ماذا بينيان، والثاني: أنه أطلق بناء الأمر، والأمر باللام معرب، فكان ينبغي أن يقيد بالأمر بغير اللام، قال: والجواب عن الأول: أن الناظم في مقام تمييز المبني عن المعرب، لا في مقام بيان ما يكون به الإعراب والبناء، نعم إخلاء الكتاب كله من التنبيه على ذلك ليس بحسن، وعن الثاني: أنه لا يسمى فعل أمر، وإنما يسمى فعلا مضارعا<sup>(٧٢)</sup>)).

فهنا جاء الإطلاق في بناء فعل الأمر على رأي البصريين، ومراد ابن هشام هو أنه يجب أن يقيد الأمر بدون اللام الجازمة، لأنه مع اللام يكون فعلا مضارعا

الجر، كما يقيد المفعول به، أو له، أو معه، أو فيه، الثاني: إن جميع الأفعال المتصرفة تتعدى إليه لازمها ومتعديها تامها وناقصها<sup>(٦٦)</sup>.

وتسمية هذا المصطلح بالمطلق عند النحويين معناه بأنه هو المفعول غير المقيد حتى ينماز عن بقية المفاعيل التي تقيدت جميعها بحروف جر، ثم إن هذا المفعول ارتفع شأنه وعلا مقامه لما ارتبط بالمصدر من حيث رجوع جميع الأفعال المتصرفة إليه كما تقدم.

وهو تعليل تكرر عند نحويين آخرين نحو قولهم: ((وسمى مفعولا مطلقا لصدق المفعول عليه غير مقيد بحرف جر ونحوه بخلاف غيره من المفعولات فإنه لا يقع عليه اسم المفعول إلا مقيدا كالمفعول به والمفعول فيه والمفعول معه والمفعول له<sup>(٦٧)</sup>)).

ويرى بعض النحويين أنه ((لهذه العلة قدّم الزمخشري وابن الحاجب في الذكر المفعول المطلق على غيره؛ لأنه المفعول حقيقة<sup>(٦٨)</sup>)).

فأظهرت أقوال النحويين هنا بنحو واضح سبب مجيء تنمة الوصف "المطلق" مع المفعول، وهو توظيف جاء مباشرة لبيان أن هذا الاصطلاح له تباين عن بقية المفاعيل.

#### ٣- المفعول به:

ورد التقييد مع هذا المصطلح من حيث أن لا بد من إيراد المتعلق (به) حتى يميز عن بقية المفاعيل قال ابن هشام: ((تقييد المفعول بقولنا: "به" هي عبارة ابن مالك فتخرج بقية المفاعيل<sup>(٦٩)</sup>)).، فالمفعول مصطلح عام يصلح لجميع المفاعيل، ولهذا أوجب تقييده عند ذكره في المسائل النحوية حتى لا يقع إشكال في المقصود منه، ولكن هذا لا يمنع أن الأصل بالمفعول هو المفعول به، ولهذا قالوا: ((إذا أطلق في اصطلاح النحاة إنما ينصرف إلى المفعول به؛ لأنه أكثر دورانا في الكلام، ولا

## الخاتمة:

من أبرز النتائج التي وصل اليها ما يأتي:

- لم تتضح دراسة الإطلاق والتقييد في النحو العربي إلا في عصر الشروحات والحواشي، حين وصلت الدراسات النحوية إلى مرحلة متقدمة من التطور والاستقرار، ولهذا نرى اختيار شرح ابن عقيل كمنهج في الدراسات النحوية بدلا من الكتب المتقدمة.
  - تعد إشارة الرماني إلى تعريف المطلق والمقيد في كتابه الحدود رؤية متقدمة، لأهمية هذين المصطلحين في الدراسات النحوية.
  - ظهر أن الموافقة على الإطلاق والتقييد أقل بكثير من المخالفة على الإطلاق التقييد، وربما يعود هذا الأمر إلى تنوع موارد العلم ومشاربه، واختلاف رؤى الفكر، وتباين الإمكانات النحوية.
  - قد تبين أن الإطلاق والتقييد في الآراء النحوية يأتيان بمعنى المسح لتلك الآراء، فإذا وصف رأي بالإطلاق من غير قيد، فهذا يعني أنه لا يوجد شيء يقدر به، ويغير مسار إطلاقه، وإذا وصف رأي بالتقييد فهذا يعني أن هناك من قال: بشيء يقيد ما كان مطلقا.
  - إن الإطلاق والتقييد في المسائل النحوية يدخلان من طرف القواعد والضوابط والمحددات، من مثل قولنا: إن هذه المسألة مقيدة بأنها لا ترد إلا في هذا الباب، أو نقول: إنه في هذه المسألة فيها إطلاق بأنها تصلح أن ترد في أكثر من وظيفة في الباب الواحد.
  - أما في المصطلحات فالإطلاق والتقييد يردان من جانب دلالة اللفظين من حيث إطلاق المصطلح أو تقييده أو من حيث عمومته أو خصوصه لجميع عناصره.
- وختمًا أسأل الله تعالى أن يسعنا ووالدينا برحمته، وأن يفتح لنا أبواب علمه، وأن يغفر لنا جميع ذنوبنا صغيرها وكبيرها، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

\*والحمد لله رب العالمين\*

عندهم، بمعنى يختلف نوع الفعل باختلاف المدخول، وهذا الكلام من جهة بنية هذا الفعل وهو ما وقف عنده نحويون كثيرون نحو قول بعضهم: ((اختلف في فعل الأمر العاري من اللام وحرف المضارعة نحو: "اضرب"، على مذهبين:

أحدهما: أنه مبني، وعليه البصريون.

الثاني: أنه [معرب] مجزوم بلام محذوفة، وهو رأي الكوفيين.

والخلاف في هذه المسألة مبني على الخلاف في... هل الإعراب أصل في الفعل كما هو أصل في الاسم أم لا؟

فمذهب البصريين: لا، وأن الأصل في الأفعال البناء، والمضارع إنما أعرب لشبهه بالاسم، وفعل الأمر لم يشبه الاسم، فلا يعرب.

ومذهب الكوفيين: نعم فهو معرب على الأصل في الأفعال<sup>(٧٣)</sup>.

وهذا يقودنا إلى الحديث عن السياق واللواسق لأنه بعد فهم هذين الأمرين سيكون سهلا الحكم على نوع الفعل. وقد بين أحد المحدثين أن الكوفيين يرون أن الفعل نوعان: ماض ومضارع، وأن الأمر نوع من المضارع دخلت عليه لام الأمر فجزمته، ثم حذفت فتبعته حروف المضارعة<sup>(٧٤)</sup>.

وأما من جهة الدلالة فقد ذكر ياسين الحمصي التقييد في دلالة الفعل بنحو عام ومنه الأمر، إذ قال: ((الفعل إنما وضع لتقييد الحدث بالزمان... واللام يعني في قوله: لتقييد الحدث "لام العلة" والغرض أي العلة في وضع الفعل لمعناه الذي هو الحدث والزمان تقييد الحدث<sup>(٧٥)</sup>)). فالتقييد الزمني هنا أت من جنس الفعل؛ لأن الفعل ثلاثة أقسام ودلالة الزمن بحسب نوع الفعل وتقييده يكون بلفظ مذكور بقولنا: ماض أو مضارع أو أمر، وكان هذا أحد الأسباب التي استدلت النحويون على أن المصدر أصل على المقيد كما قال ابن الأتباري بأن: ((... المصدر يدل على زمان مطلق و الفعل يدل على زمان معين، فكما أن المطلق أصل للمقيد، فكذلك المصدر أصل للفعل<sup>(٧٦)</sup>)).

### الهوامش:

- (١) المصطلح والدلالة: ١١٨
- (٢) المقتضب: ٢٨٦/٤-٢٨٧
- (٣) م ن: ٣٣٦/٤
- (٤) الأصول في النحو: ١٥٩/١
- (٥) الحدود في النحو: ٣
- (٦) الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢٣٧/١
- (٧) الزمن النحوي: ٦٩
- (٨) مغني اللبيب: ٧٣/١
- (٩) الإحكام في أصول الأحكام: ٦-٥/٣
- (١٠) شرح التلويح: ١١٥/١
- (١١) شرح اللمع: ٦٤
- (١٢) أوضح المسالك: ٣٠١/١
- (١٣) حاشية الخصري: ٥١/١
- (١٤) أوضح المسالك: ٣٠/١
- (١٥) متن ألفية ابن مالك: ٢٤
- (١٦) أوضح المسالك: ٢٦٩/٢
- (١٧) دليل السالك: ٢٥٧/١
- (١٨) حاشية الخصري: ٤٩١/١
- (١٩) حاشية الصبان: ٢٤٢/٣
- (٢٠) م ن: ٢٤١
- (٢١) شرح شذور الذهب: ٤٩
- (٢٢) مغني اللبيب: ٨٦٧/١
- (٢٣) حاشية الصبان: ١٦١/٢

- (٢٤) الإيضاح في علوم البلاغة: ١٣٦/١
- (٢٥) شرح الرضي على الكافية: ٢٠٥/٣
- (٢٦) همع الهوامع: ٥٤٦/٢
- (٢٧) حاشية الصبان: ١٨/٤
- (٢٨) شرح ابن عقيل: ٢٧٠/٢
- (٢٩) شرح الرضي على الكافية: ٢٧/٢
- (٣٠) منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل: ٢٧٠/٢
- (٣١) همع الهوامع: ٥٠٥/٢
- (٣٢) شرح الرضي على الكافية: ٢٩١/١
- (٣٣) م ن: ٢٩١/١
- (٣٤) الأصول في النحو: ١٤١/١
- (٣٥) متن ألفية ابن مالك: ١١
- (٣٦) مغني اللبيب: ٥٨٥/١
- (٣٧) معاني النحو: ٢٠٤/١
- (٣٨) الجنى الداني: ٧٨
- (٣٩) شرح قطر الندى: ٢٤٦
- (٤٠) خزانة الأدب: ٢٠٧/٢
- (٤١) حاشية ياسين على شرح التصريح: ٥٥٤/٢
- (٤٢) م ن: ١٠٥/٢
- (٤٣) توضيح المقاصد: ٩٤٥/٢
- (٤٤) الكتاب: ٣٤٨/٢
- (٤٥) شرح ابن عقيل: ٢٣٣/٢
- (٤٦) حاشية ياسين على شرح الفاكهي: ١٠٩/٢
- (٤٧) مغني اللبيب: ٢٦٩/١
- (٤٨) أوضح المسالك: ١٣٨/٣
- (٤٩) حاشية ياسين على الأزهرى: ١٤٥/٣

## ثبت المصادر والمراجع:

- ١- الإحكام في أصول الأحكام: سيف الدين أبو الحسن بن أبي علي الآمدي، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٩٨٥م.
- ٢- إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، تأليف: برهان الدين إبراهيم ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمود نصار، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية، بيروت - لبنان: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٣- أسرار العربية: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن ابن الانباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد بهجة البيطار، المجمع العلمي العربي، مطبعة الترقى، دمشق، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.
- ٤- الأشباه والنظائر في النحو: أبو بكر عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالعال سالم مكرم، الطبعة الثالثة، الشركة الدولية للطباعة، عالم الكتب، مصر - القاهرة، ٢٠٠٣م.
- ٥- الأصول في النحو: أبو بكر محمد ابن السراج (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، الطبعة الرابعة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٦- ألفية ابن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك (ت ٦٧٢هـ)، بخط: يحيى سلوم العباسي، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٨٤م.
- ٧- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: أبو البركات ابن الانباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

- ١٥- حاشية ياسين على شرح أحمد بن الجمال عبد الله الفاكهي (ت ٩٧٢هـ) على متن قطر الندى: مطبعة التقدم العلمي، مصر، (د-ت)
- ١٦- الحدود في علم النحو: لأبي الحسن بن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية، بيروت - لبنان ٢٠٠١م.
- ١٧- خزائن الأدب ولب لباب العرب: عبد القادر البغدادي (١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، نشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ١٨- دليل السالك إلى ألفية ابن مالك: عبدالله بن صالح الفوزان، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، مصر، القاهرة: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ١٩- الزمن النحوي في اللغة العربية: الدكتور كمال عبد الرحيم رشيد، دار عالم الثقافة، عمان، الأردن: ١٤٢٨ - ٢٠٠٨م.
- ٢٠- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: أبو عبد الله ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة عشر، دار الفكر، المكتبة التجارية الكبرى مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ٢١- شرح ابن الناظم (ت ٦٨٦هـ) على ألفية ابن مالك: أبو عبد الله ابن مالك، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢٢- شرح الألفية لابن مالك: الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: الدكتور فخرالدين قباوة، الطبعة الأولى، دار المغارف للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٢٣- شرح التلويح على التوضيح لمتن التتقيح في أصول الفقه: سعدالدين بن مسعود التفتازاني (ت ٧٩٢هـ) ضبطه وخرج أحاديثه: زكريا عميرات، الطبعة الأولى،

- ٨- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: أبو محمد ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبع بمطابع العبور الحديثة، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- ٩- الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن أبي العجلى الخطيب القزويني، تحقيق: الدكتور: عبد الحميد هندواي، الطبعة الثانية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر: ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
- ١٠- تطور المصطلح النحوي البصري من سيويه حتى الزمخشري: الدكتور يحيى عطية عابنة، الطبعة الأولى، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان - الأردن: ٢٠٠٦م.
- ١١- الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: الدكتور فخرالدين قباوة - الأستاذ محمد نديم فاضل، الطبعة الأولى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان د - ت.
- ١٢- حاشية الخضري (ت ١٢٨٨هـ) على شرح ابن عقيل: محمد بن مصطفى الخضري، الطبعة الثالثة، تحقيق: تركي فرحان المصطفى: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٩م.
- ١٣- حاشية الصبان (ت ١٢٠٦هـ) على شرح الأشموني (ت ٩٢٩هـ) ومعه الشواهد للعيني: محمود ابن الجميل، الطبعة الأولى، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ١٤- حاشية ياسين بن زين الدين الحمصي (ت ١٠٦١هـ) على شرح التصريح على التوضيح: خالد الأزهرى (ت ٩٠٥هـ)، راجعه: اسماعيل عبد الجواد عبد الغني، حقق وشرح شواهد: أحمد السيد سيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر (د.ت.)

- ٣٢- معاني النحو: الدكتور فاضل صالح السامرائي، مطبعة التعليم العالي في الموصل، ساعدت جامعة بغداد على نشره، بغداد، ١٩٨٩م.
- ٣٣- مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة المدني، القاهرة، (د-ت).
- ٣٤- المفصل في علم العربية: محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت (د-ت).
- ٣٥- المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٣م.
- ٣٦- منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة عشر، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- ٣٧- النكت على الألفية والكافية والشافية والشذور والنزهة: جلال الدين أبو بكر السيوطي: تحقيق: الدكتور فاخر جبر مطر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٣٨- همع الهوامع في شرح جمع الحوامع، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١) تحقيق: عبد الحميد هنداوي المكتبة التوفيقية (د.ت).

- منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٤- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة - مصر، ٢٠٠٤م.
- ٢٥- شرح قطر الندى: ابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة عشرة دار الفكر، (د-ت).
- ٢٦- شرح كافية ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، رضي الدين بن الحسن الاسترأبادي (ت ٦٨٦هـ) تحقيق: احمد السيد احمد، الطبعة الأولى، المكتبة التوفيقية، (د.ت).
- ٢٧- شرح المفصل: موفق الدين ابن يعيش (ت ٥٣٨هـ)، عالم الكتب - بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة (د-ت).
- ٢٨- الفعل في نحو ابن هشام: د. عصام نور الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان: ٢٠٠٧م.
- ٢٩- الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بـ سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٣٠- كتاب شرح للمع في النحو، لأبي الفتح ابن جني: أبي الحسن علي الباقلوي الأصبهاني، تحقيق: الدكتور: محمد خليل مراد الحربي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٣١- المصطلح النحوي وأصل الدلالة: الدكتور رياض عثمان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ٢٠١٠م.

### Abstract

This paper aims at studying the impact of absolution and limitation in Arabic grammar. It has appeared clearly after researching in Arabic grammar books that the above mentioned terms are found in Arabic grammar even in spoken or concept. grammarians used those two terms in function for many purposes such as revising grammatical issues by establishing rules constraints in a strict way.

The study falls in Three section the First Section deals with absolution and limitation in the opinions of grammarians Section Two deals with absolution and limitation in grammatical issues. Section Three deals with absolution and limitation in grammatical terms.

### THE DRAMATIC IMAGE OF CHAOS IN ALLEN GINSBURG'S "HOWL"

Lecturer - Ansam Riyadh A. Al-Maarooof  
University of Tikrit- College of Education

### Abstract

This paper is concerned with the critical analysis of the most famous American poem of Modern or Postmodern Age which has changed America, and American people's thoughts. The main concern of this paper is following the portrayal of the dramatic image of chaos throughout the poem because it is the chaos that the poet uses to achieve the awareness of the reality of the War Age as well as the ugly impact of war upon America and American people.

## THE DRAMATIC IMAGE OF CHAOS IN ALLEN GINSBURG'S "HOWL"

Lecturer- Ansam Riyadh A. Al-Maarooof  
University of Tikrit- College of Education

Allen Ginsberg (1926-1997) is enthralling as the pivotal figure between the 50s Beat Generation and the counter-cultural revolution of the 1960s. He was born in Newark, New Jersey the son of a high school teacher and poet, Louis Ginsberg, and Naomi Levy Ginsberg. His early understanding of rebel: his mother was a member of the Communist Party and sometimes took her sons along to the local meetings. Her periods of mental illness troubled Ginsberg deeply, re-emerging in his great elegy to her, 'Kaddish' named after the Jewish prayer of mourning. (Gale, 2006).

Ginsberg studied at Columbia University where he made deep friendships with writers such as Jack Kerouac and William Burroughs to form the "Beat Generation" literary movement. The Beat movement was an American social and literary movement originated in the 1950s where artists, sarcastically called "beatniks," expressed their alienation from conventional society by adopting a style of unrespectable dress, detached manners, and a "hip" vocabulary. Generally indifferent to social problems, they advocated sensory awareness that might be induced by drugs, jazz, sex, or the disciplines of Zen Buddhism. Ginsberg's *Howl and Other Poems* (1956), along with

Kerouac's *On the Road* ultimately became the "Beat" movement's twin scriptures. (<http://en.wikipedia.org/wiki/Allen>)

Ginsberg's first book of poems, the extraordinary *Howl and other poems*- about "Howl" was published by Lawrence Ferlinghetti's City Lights press in 1955 and was subject to a famous obscenity trial due to its open handling of his homosexuality and overt content. The case became a cause for celebration for all those who defended the freedom of speech, drug liberalization and sexual freedom. The judgment was finally reversed.

Ginsberg's poetry with its thrilling openness of subject and form and visionary qualities owes much to a convention stretching back through Walt Whitman to William Blake. Moreover, he is highly influenced by his Jewish background, the rhythms of jazz, his sexual direction and his deep commitment with Zen Buddhism, (Encarta, 2005).

Ginsberg's unmanageable humour delights his audience even when his poem "Howl" enumerates reasons to hopelessness with contemporary American culture. Allen Ginsberg's poetry oscillates constantly back and forth so that boundaries of any sort are utterly negated. The consequences of that ongoing tension between many opposing forces is that his poems are steeped in an irresistible sense of anxiety (Burns, 1983:133).

This paper is concerned with analyzing "Howl" as a superior example of Ginsberg's poetry. By choosing *Howl*, the paper gives a detailed image of the drama of chaos as it develops to the state of being the norm where revolt no longer functions. The choice of *Howl* to be the subject of this paper is due to the conditions of Iraq after the War 2003



which is just like the condition of America after the War 1945. *Howl* is a howl for a new life which fits all those who believe that life is a right for everything in this life.

Richard Ebehart gives a truthful evaluation of the poem in an article for the New York Times book review, "*West Coast Rhythms*":

*It is a powerful work cutting through the dynamic. ... It is based on destructive violence. It is a howl against everything in our mechanistic civilization which kills the spirit. Assuming that the louder you shout, the more likely to be heard, it lays bare the nerves of suffering and spiritual struggle. Its positive force and energy come from a redemptive quality of love, although it destructively catalogues evils of our time from physical deprivation to madness, (Ebehart,, 25 ).*

"*Howl*" is looked upon as the most significant donation to the field of American poetry. It is a modernist protest against post war America, regarded by many critics to be levelled among the stunning success of modern American poetry. For Charles McGrath Ginsberg's most enduring contribution represented in *Howl* is the way . . . he transformed the American avant-garde, and the angry alienation of the Beats, into something altogether more cheerful and benign." He adds that *Howl* has always been Allen Ginsberg's masterpiece - a horrifying, funny, surreal, and prophetic poem. (McGrath, 1997.43).

By the time that Ginsberg died in 1997, *Howl and Other Poems* had sold over eight hundred thousand copies. It had been translated into at least twenty-four languages and it was one of the best-known American poems in the world. Making poetry more personal, more professional, and more parallel to the performance arts It has changed poetry in America. *Howl* also changes the world itself by breaking up

cultural boundaries at the height of the Cold War and by encouraging cultural revolution around the world. But it is said that the very fame that *Howl* brought to Ginsberg may also have caused his prohibition from the elite company of famous American poets. He received honours and grants, but the top literary prizes avoided him.

In this respect, it is noteworthy to mention that Ginsberg was not timid about promoting himself or his poem; he believed that he did not honour the set pattern for poet behaviour. Moreover, he believed that it is by breaking down the kind of the current system-which he consider a mere chaos- that one can create the intended system- a kind of system that others may regard as being madness. When he wrote *Howl* - with its lack of discipline and high spirits - he set himself apart from the respectable poets. It is regarded as a rebel against Columbia classmate and teachers and the education Ginsberg had received at college. By writing and publishing *Howl*, he committed an act of cultural disloyalty (Raskin,1997,Preface,xx-xxi). It is written in a chaotic discipline to show the chaos that covers everything around the poet, but he suggested a kind of future discipline that would help people live a better life. Ginsberg suggested madness as a solution. He was interested in the mystery of madness. He invested it with social and political significance. "A lot of madness begins with a grand universal insight, the insight that there is more in the world than subways and offices,"(qud. In Raskin, 30)

Ginsberg considered the writing of "*Howl*" to be a new phase in his poetic development, best characterized by total creative freedom. A freedom that consists for the most part

of being broken away from "fear" to full amount of frankness and honesty. "I thought I wouldn't write a poem," he explains, :

*"but just write what I wanted to without fear, let my imagination go, open secrecy, and scribble magic lines from my real mind - sum up my life - something I wouldn't be able to show anybody, write for my own soul's ear and a few other golden ears". ("Allen Ginsberg's Howl." 123HelpMe. com. 30Mar2010 <<http://www.123HelpMe.com/view.asp?id=39770> >.)*

The second characteristic of the whole creative freedom of the poem is the musicality of the poem, metrical. Ginsberg claims he began the poem with no structure in mind, it is rather chaotic. He worked with his own "neural impulses and writing impulses" to arrive at a pattern actually, rather than misleadingly created. The poem, he states, was, "typed out madly in one afternoon, a tragic custard-pie comedy of wild phrasing [and] meaningless images." ("Allen Ginsberg's Howl."

Reading the poem accurately, one needs to keep away from the inclination to look for a reasonable or rational bonds among ideas or images. Studying the poem would seem to be a struggle with the poem's own message, which is exactly a brutal howl of human agony and other natural feelings. To fade away the amount of chaos the poem has, is just like making a testy thing to be trestles. It is this chaos that Ginsberg tries to personify throughout his *Howl*.

"*Howl*" hugely depends on chaos by presenting a mixture of images often paradoxical. These images are multi-vocal, for they stand for a variety of characters, whose core is Carl Solomon that around him the poem is heavily built. The rest of the characters come into sight throughout

the poem - among them the poet himself- belonging to the underworld where all form of lawlessness are acceptable, they use a kind of language remote from being poetic. Intentionally, Ginsburg uses prose and poetry in a way expanding at times to moments in which the course of verse is broken up by prosaic lines that gives the impression like being a short story. Moreover, the poet presents the course of time throughout the poem as if it is a literary pattern whereby the events are being observed and sometimes remarked upon.

*I saw the best minds of my generation destroyed by  
Madness, starving  
Hysterical naked,  
Dragging themselves through the Negro streets at  
dawn  
Looking for an angry Fix,  
Angel headed hipsters burning for the ancient  
Heavenly connection to the  
Starry dynamo in the machinery of  
night, (AGCP, 126).*

*Howl*'s first part is an intricate record on the understandings of a generation that disturbed by World War II, and estranged by the determined restriction that has made American people distrustful even of their own individuality. The poet starts at this point, by using the first pronoun "I", but as his perspectives fade away, the poem releases a flurry of fragmentary, rather chaotic images that oscillate "between the literary and the biographical, the public and the private" (Harris, TCL, 2000, 172). The poet here declares the chaotic state that the precious minds were destructed by the madness which happens around them, they use drags to obtain a case of unconsciousness to avoid confrontation with agony and anguish.

*Who passed through universities with radiant cool  
eyes hallucinating Arkan-  
Sas and Blake- light tragedy among the  
scholars of war,  
Who were expelled from the academies for crazy  
and publishing obscene odes  
On the windows of the skull,(CP126).*

The image of chaos is quite clear from the first line in the poem and continues to develop throughout. Shading light on the image of chaos, Ginsburg uses the connecting pronoun “who” to record memories of himself and his fellow Beat friends. In doing so, he is able to integrate time thematically as well as technically. It is obvious throughout the poem that Ginsburg sounds nostalgic to commemorate the past of the Beat generation, a past which is from their point of view, their only present. The poet illustrates that he and his fellows were accused of being so explicit in their poetry. This openness which is regarded as madness, but those who accused them did not pay even a little attention to the great amount of chaos and madness because of the brutality of the mechanic world. In doing so, he stops little of frankly making himself out whenever it comes to the evoking of his own memories.

On the other side, referring to his Blake sight and ejection from Columbia is the most fitting minute with which he can initiate his mixed outline of Beat figures. He idealizes his Beat friends and with his introduction to them ,he is presenting a mixture of prose and poetry where this mixture becomes a rule rather than a difference. “relying on natural speech and spontaneous transcription”, he adjusts poetic and story-telling techniques relevant to his College of images, voices and past- present dichotomy upon which the poem relies (Tytell,1976, 213).

Mentioning himself, Burroughs, and Kerouac, the trio who originally formed the Beat Generation ,Ginsberg gets on an enshrinement of how their cheerful life was going on until the moment of writing “Howl”. They used to express themselves by any way they found suitable even if the others regard it crazy way, but they did not intend any harm for others.

Ginsburg’s aim is to draw the readers’ attention to the amount of chaos around them in America, the disastrous consequences of modern civilization on 20<sup>th</sup> century America. “Nineteen forty-eight was the crucial post war year,” Ginsberg explained:

*“It was the turning point. Of course the atom bomb had already gone off in 1945, and Kerouac and Burroughs and I had talked about it, but the psychological fallout from the bomb - the consciousness - didn’t really hit until 1948. There was the splitting of the atom, and the splitting of the old structures in society and also a sense of the inner world splitting up and coming apart.”(Raskin,1997, 15)*

Like many other writers around the world, Ginsberg turned the atom bomb into an all-inclusive metaphor. Everywhere he looked he saw destruction and atomization. Everything had been blown up. And almost everywhere he looked he saw the Cold War. He has succeeded in achieving his aim to draw the attention to that destruction by imitating Cezanne’s style of cutting off connections between the images, using what he calls “space-time-jump” technique. He explains this tendency in Paris review interview with Thomas Clark:

*Cezanne is reconstructing by means of triangles, cubes and colours; I have reconstruct by means of words...phrasings... the problem is then to reach the different parts of mind which are*

*existing simultaneously; the different associations which are going on , simultaneously choosing elements from both like: Jazz Jukebox and all that and we have the jukebox from that; politics hydrogen bombs and we have the hydrogen of that(1967, 206).*

The first step in this technique is to insert the image then to remove all unifying connectors between it and the previous or the following ones. The third step is to compress the whole image in a signal phrase placing it between unrelated images, eg. his training days at the U.S. Marine and the enjoyable madness of Ruth Goldenberg. At the middle of this very systematic chaos comes the intended randomness as Paul de Man says in his article, "Shelly Disfigured":

*Nothing, whether did word, thought or text, ever happens in relation, positive or negative, to anything that precedes, follows or exists elsewhere; but only as a random event whose power, like the power of death, is due to the randomness of its occurrence(DC.1979. 59)*

The system Ginsberg chooses to convey his ideas regarding the surrounding chaos indicates that there should be a system upon which things driven and not a mere chaos in spite of the randomness he tries –and succeeds– to achieve.

Chaos appears again with the sudden emergence of the voice of the crazy spirit that looms over the poem's horizon that eagerly awaits the appearance of the "Howl" 's celebrated lamb, Carl Solomon, the man to whom the poem is dedicated. Carl Solomon's entry to the course of the poem cause a great chaos because there is a considerable shift in the poem's images. Prior to Solomon's presence, the poem's use of graphical sexual language reveals a succession of

homosexual scenes which are hugely obscene (Zott, 2003. 364)

*Who let themselves be fucked in the ass by saintly motorcyclists, and Screamed with joy,  
Who blew and were blown by those human seraphim,  
The sailors, caresses of,  
Atlantic and Caribbean love, (CP,128)*

These overt sexual images state publicly not only Solomon's approaching entrance but a transform in the thematic structure of the poem as well. With the entrance of Solomon, the crazy spirit of the "Howl" takes the centre of the stage. The speedy switching of the poet 's microscopic eye from Carl Solomon to Naomi Mendel and Vice versa describes an exaggerated portrait of the insanity, which Ginsberg restlessly graces:

*Who demanded sanity trials accusing the radio of hypnotism and were left with  
Their insanity and their hands and a hung jury,  
Who threw potato salad at CCNY lecturers on Dadism and subsequently  
Presented themselves on the granite steps of the madhouse with  
Shaven heads and harlequin speech of suicide demanding instant-  
Neous lobotomy,  
And who were given instead the concrete void of insulin Metazol electricity(CP130)*

Part II of 'Howl'. "Moloch", here the mood darkens, 'America' has become 'Moloch'. The humour has gone, replaced by a prophet-like anger and anguish. The diversity of mood as well as the pattern contributed to the image of chaos the poet tries to achieve throughout the poem. To establish his idea of chaos, Ginsberg presents a case of dominance to Moloch upon the whole of Part II, it is the god of thunder whom the Titans staunchly worship during the

Brazen Age; an era of mass murders and tyranny (Hefernan, PAG, 1984, 256-57)

*What sphinx of cement and aluminum bashed  
open  
their skulls and ate up their brains and imagi-  
nation?  
Moloch! Solitude! Filth! Ugliness! Ashcans and  
unob  
tainable dollars! Children screaming under  
the  
stairways! Boys sobbing in armies! Old men  
weeping in the parks! (CP,130)*

The poet describe the ugly side of Moloch which stands for everything that America represents:

*Moloch!Moloch! Nightmare of  
Moloch!Moloch the  
loveless! Mental Moloch! Moloch the heavy  
judger of men!  
Moloch the incomprehensible prison! Moloch  
the  
crossbone soulless jailhouse and Congress of  
sorrows! Moloch whose buildings are  
judgment!  
Moloch the vast stone of war! Moloch the  
stun-  
ned governments! (CP,130)*

The material aspects of life that people have in America and the absence of the human side in every aspect of life, the domination of the mind over the emotion that causes the war to happens to defend America's properties, all are being damned here.

*Moloch whose mind is pure machinery! Moloch  
whose  
blood is running money! Moloch whose  
fingers  
are ten armies! Moloch whose breast is a  
canni-  
bal dynamo! Moloch whose ear is a smoking  
tomb! (CP131)*

The pronoun "I" that opens the first part is a monological voice of the poet which enables him to set the

scene for the "Howl" 's shocking images and diverse personalities. The pronoun "I" used in part II of the poem has a different function. It is used to lessen the poem's growing energy and tones down the concentration of its brutality. Moreover, it enables the poet to be back to himself.

*Moloch in whom I sit lonely! Moloch in whom I  
dream  
Angels! Crazy in Moloch! Cocksucker in  
Moloch! Lacklove and manless in Moloch!  
Moloch who entered my soul early! Moloch in  
whom  
I am a consciousness without a body! Moloch  
who frightened me out of my natural ecstasy!  
Moloch whom I abandon! Wake up in  
Moloch!  
Light streaming out of the sky! (CP131)*

Between the two "I" pronouns there are many past time images the poet mentions to illustrate the Beat's present day normalities. Then, he marks the continuation of the sight of "Moloch" that causes chaos upon humanity by lessening the cruelty of the language implemented in the closing lines of part II.

Part III opens with the first direct reference to Carl Solomon's name since the middle of part I. it is a personal tribute to a beloved friend who represents for Ginsberg the crazy spirit of his mother(Charters, 1992, 85). Naomi, Allen's mother, was a paranoid schizophrenic who saw enemies everywhere: The whole industrial world aimed to destroy her. That story line was essential to Allen Ginsberg's myth about his mothering his *Howl*. His mother among all the innocent, idealistic young men and women of the world had human family business individuality and non-mechanical organic charm. he wrote.

*Naomi just like others clashed head on with  
"modern, mechanical, scientific robot  
government." Moloch assassinated Naomi with  
madness, and Moloch would assassinate him with  
madness, too, unless he could kill the monster with  
the sword of poetry.... Naomi, "She had a great  
grasp of the transient and irrational nature of the*

*modern capitalist world and a clear idea of the  
brainwashing that was going on in this country,”*

Raskin states that from Ginsberg's point of view, Naomi was a utopian dreamer driven mad by the insanity of the modern world. There was something fragile about her, something too pure for a world at war, a world wracked by poverty and pain. "She / reads the Bible, thinks beautiful thoughts all day," he wrote in *Kaddish*. Naomi was immensely creative - an artist, folksinger, and storyteller - and yet she never fulfilled her own creativity. To Allen, his mother's own individual tragedy seemed emblematic of the larger generational tragedy that befell so many immigrant women from Europe who found the madhouse at the end of the American dream. (Raskin, 1997, 30)

Ginsberg's celebration of madness in part III exemplifies one of the most distinctive traits of Beat Literature. It is by this madness that Ginsberg presents the solution to the anger generation. The Beats devoted their lives and literature to understanding and explicating the private hell of those who remained on the margins of post-war prosperity.

(<http://en.AllenGinsbergBiographyEncyclopediaofWorldBiographyBiography.mht>).

*Carl Solomon! I'm with you in Rockland  
where you're madder than I am  
I'm with you in Rockland  
where you must feel very strange  
I'm with you in Rockland  
where you imitate the shade of my mother  
(CP, 132)*

The dominated refrain softens the pace of the first two parts bringing the poem smoothly towards its original conclusion. Unlike part I and Part II, part III depicts

suffering as a source of joy, a divine sacrificial act and a kind of "redemption as a collective enterprise" (Harris, College Literature, 2000, 173). The conclusion of the poem:

*I'm with you in Rockland  
where fifty more shocks will never return  
your  
soul to its body again from its pilgrimage to  
a  
cross in the void  
I'm with you in Rockland  
where you accuse your doctors of insanity  
and  
plot the Hebrew socialist revolution against  
the  
fascist national Golgotha*

Ginsberg tries to illustrate the chaos the war causes and the impact of the fascist Gestapo's violence upon the Jewish people.

*I'm with you in Rockland  
where you will split the heavens of Long  
Island  
and resurrect your living human Jesus  
from the  
superhuman tomb (CP, 132)*

Howl presents Carl Solomon as a Christ-like figure in a religious metaphor. The poet shows the influence of religion in this part.

*I'm with you in Rockland  
where there are twenty-five-thousand mad com-  
rades all together singing the final stanzas  
of the Internationale  
(CP, 132)*

Moreover, it interplays between Ginsberg's voice and Solomon's streams through the lines until it reaches a point where both are unified partially through the plural first pronoun "we" and partially through the knitting of their perspectives forming an exclusive tiny voice; an observer on the unacceptable conditions of modern America:

*I'm with you in Rockland*

where we hug and kiss the United States  
under  
our bedsheets the United States that coughs  
all  
night and won't let us sleep  
I'm with you in Rockland  
where we wake up electrified out of the coma  
by our own souls' airplanes roaring over the  
roof they've come to drop angelic bombs  
the hospital illuminates itself imaginary walls  
col-  
lapse O skinny legions run outside O starry  
spangled shock of mercy the eternal war is  
here O victory forget your underwear we're  
free (CP,133)

The concluding refrain brings Ginsberg journey-man poet to the end of his journey; a hasty ending predicted only by the downward voice of the poet back for one preceding time after being isolated from that of Carl Solomon.

I'm with you in Rockland  
in my dreams you walk dripping from a sea-  
journey on the highway across America in  
tears  
to the door of my cottage in the Western night  
(CP,133)

Part IV of the poem, "Footnote To Howl" deepens the rebellious atmosphere of the poem. Its musicality as well as the natural flow of language recall Blake's songs of innocence and songs of experience. This part is of a prophetic nature. It presents a vision of a prophet who preaches a sacred vision that "offers us compelling alternatives to the general disaster he sees" (Tyte, 1976. 212).

The poem 's crazy spirit- the intended systematic vision-willingly gives the way to the chaotic one, the being regarded as systematic and dominated vision in America. The poet, the prophet tries to convey his belief that

everything in this life deserves a better life, so that he has given the adjective "Holy" to everything:

Holy! Holy! Holy! Holy! Holy! Holy! Holy!  
Holy! Holy! Holy! Holy!  
Holy! Holy! Holy! Holy!  
The world is holy! The soul is holy! The skin  
Is holy! The nose is holy! The  
Tongue and cock and hand and asshole holy!  
Everything is holy! Everybody 's holy!  
Everywhere is holy! Everyday is in  
Eternity! Everyman's an angel!(CP,134)

The poet who is now a prophet-like announces that happiness and peace is birth-right for everything and every place and everybody in this world.

Holy the sea holy the desert holy the railroad  
holy locomotive holy the  
Visions holy the hallucinations holy the  
miracles holy the eyeball holy  
The abyss!  
Holy forgiveness! Mercy! Charity! Faith!  
Holy!  
Ours! Bodies! Suffering! Magnanimity!  
Holy the supernatural extra brilliant  
intelligent kindness of the soul(CP,134)

Howl's part IV can be seen as the most chaotic part of the poem since it represents the poet's most furious feelings. It is the highest point of chaos after which nothing comes but system. The prophet-like poet suggests a future plan for the angry generation to live happily by being guided by their own intelligence.

This examination of *Howl*'s chaotic image brings to light the poem's ultimate importance to the history of American literature and society. The Beat Generation of writers offered the world a novel outlook. They brought to society a consciousness of a life worth living, far from this chaotic reality.

Podhoretz observed once that the Beat Generation were no liberal supporters of civil rights; he proceeded to paint them with a broad brush as a kind of crypto-fascists who worship primitivism, instinct, energy, 'blood. From there, Podhoretz took

an ideological leap, linking them to gangs and gang violence. "The spirit of hipsters' and the Beat Generation strikes me as the same spirit which animates the young savages in leather jackets who have been running amuck in the last few years with their switch-blades and zip guns," Ginsberg had indeed called for young savages to assault genteel civilization, but his savages were far more metaphorical than real. Knives and guns never were his style, or the Beat Generation's, either. (Podhoretz,., worship primitivism 307-8).

By presenting the chaotic images as well as the chaotic form and structure of *Howl* – *not by giving* a kind of crypto-fascist style- Ginsberg has offered a way out of the reducing, boring, and chaotic world that the angry generation lives in. *Howl* presents them the way as it asks them to depend upon the discovery of their intelligence. "*Howl*" does all of these things and more in an extraordinary, encouraging way. The poem shows the way toward a new and better life, recording the pilgrimage of the angry generation toward an authenticity that is timeless and placeless, sacred and everlasting.

## References

AGCP Allen Ginsberg. Collected Poems: 1947-1980. New York:

Harper & Row, 1984. Rpt. New York: Perennial Library, 1988.

"Allen Ginsberg" Encarta Reference Library: Electronic Version. 2005.

"AllenGinsberg'sHowl". "123HelpMe.com.30Mar2010 <<http://www.123HelpMe.com/view.asp?id=39770>>.

Burns, Glen. Great Poet' Howl: a Study of Allen Ginsberg's Poetry 1943-1953. Frankfurt: Peterlang, 1983.

Charters, Ann. ed. The Portable Beat Reader. New York:

Viking, 1992.

Clark, Thomas. "The Art of Poetry" Paris review interview 37-1 (Spring 1996):33-51

Gale, Thomson. Allen Ginsberg in Encyclopaedia of World Biography. 2006, in www.\\http. Allen Ginsberg Biography Encyclopaedia of World Biography Biography.mht.

Ebehart, Richard. "West Coast Rhythms" in New York Times Book Review, Sept. 2, 1956.

Harris, Oliver."Cold War Correspondence: Ginsberg, Kerouac, Cassady and The Political Economy of Beat Letters" Twentieth Century Literature 46. 2( Winter, 2000,p.172).



McGrath, Charles. Cultural Busybody & Related Quotations.

“Street Singer,” New York Times Book Review, Apr. 27,1997.

Paul de Man. “Shelly Disfigured” in Deconstruction and Criticism. Jeoffery Hartman, ed. London: The Seabury P,1979 :39-74.

Podhoretz, worships primitivism. “The Know-Nothing Bohemians.”

Raskin, American Scream: Allen Ginsberg’s Howl and the Making of the Beat Generation. Los Angeles: University of California Press,1997.

Tytell, John. Naked Angels: the Lives and Literature of the Beat Generation. NY: McGraw, 1976.

2007. [http://en.wikipedia.org/wiki/Allen\\_Ginsberg](http://en.wikipedia.org/wiki/Allen_Ginsberg) “Allen Ginsberg”.

2006.<http://en.AllenGinsbergBiographyEncyclopediaoWorldBiographyBiography.mht>.

Zott, Lynn M., ed. The Beat Generation : a Gale Critical Companion. Ny: Thomas Gale, 2003.

## الصورة الدرامية للفوضى

### في قصيدة الصرخة

### لألن جنسبيرغ

م. أنسام رياض المعروف

جامعة تكريت /كلية التربية/

### ملخص

تقدم هذه الورقة دراسة نقدية لقصيدة الصرخة للشاعر الأمريكي الحداثي وما بعد الحداثي ألن جنسبيرغ. ان قصيدة الصرخة تعتبر من أشهر القصائد الأمريكية في العصر الحديث والتي غيرت أمريكا وغيّرت أفكار الشعب الأمريكي حول الحرب وماسيها. تقدم الدراسة تحليلاً متابعاً للتطور الدرامي لصورة الفوضى في القصيدة وذلك لان لاستخدام صورة الفوضى أهمية لدى ألن جنسبيرغ في تقديم الوعي بالواقع للمواطن الأمريكي بشكل خاص وللعالم بشكل عام.

## اثر تعدية الفعل بحرف الجر في التصحيح اللغوي

أ.م.د. مهند جاسم محمد

جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى اله وصحبه

أجمعين

تتعدد مظاهر الخطأ اللغوي وتختلف أشكاله فتراه يصيب الصوت أو البنية أو التركيب النحوي أو الأسلوب البيان أو دلالة اللفظ وكل مظهر من هذه المظاهر تتعدد صور الخطأ فيه، فالخطأ في التركيب النحوي مثلاً قد يكون متولداً عن خطأ في الحكم الإعرابي للكلمة أو الاستعمال غير الصحيح للظروف أو الأدوات أو الحروف. ومن ابرز صور الخطأ في استعمال الحروف ما يقع في أثناء تعديّة الأفعال اللازمة بحروف الجر، إذ يحدث الخطأ فيُعَدَّى الفعل بما لا يُعَدَّى به من حروف الجر، وخصّ هذه الحروف (الباء) وسميت متعديّة لأنها قائمة مقام همزة النقل وقد يتعدّى الفعل الواحد بمجموعة من حروف الجر بحسب السياق الذي يرد فيه أو قد يتضمن الفعل معنى فعل آخر لمناسبة بينهما فيتعدّى تعديته ويلزم لزومه.

وبالنظر إلى الخصوصية التي حظيت بها (الباء) في تعديتها للأفعال فقد كثرت استعمالها لهذا الغرض في اللغة وهذه الكثرة أدت إلى الخلط في تعديّة بعض الأفعال لدى المستعملين ممّا نجده ماثلاً في كتب اللغة ثم انتقل هذا الخلط إلى المتكلمين في عصرنا الحاضر.

ممّا دفعني إلى القيام بدراستي المتواضعة هذه فقد هدفت إلى الوقوف على الخلط في التعدية بـ(الباء) من خلال الاطلاع على كتب التصحيح اللغوي المؤلفة في هذا العصر - قدر المستطاع- ثم رجعت بعد ذلك موثقاً من كتب اللغة القديمة لأقف على الاستعمال الصحيح لهذا الفعل أو ذاك.

وقد اجتمعت لدي مادة قسمتها على خمسة مباحث:

**الأول:** تناولت فيه ما يتعدّى من الأفعال بـ(الباء) فقط ولكن المتكلمين يخطئون فيعدونها بنفسها أو بغير الباء من حروف الجر. من ذلك قولهم: اغراه على الشعراء ويغري النفس الى الهوى وهم على الزواج ويهتم في احباط مساعيهم وعاش عليه وغبطه على وجميع ذلك يتعدى بالباء

**الثاني:** تناولت فيه ما يتعدّى من الأفعال بـ(الباء) وغيرها من حروف الجر بحسب السياق الذي ترد فيه ولكن المتكلمين يخطئون فيعدونها بغير (الباء) في السياق الذي تتعدى فيه بـ(الباء) من ذلك قولهم: ارتاب فيه وتشاء منه وطاف على النوادي ومنه ايضاً بطش به وفيه وعليه

**الثالث:** تناولت فيه ما يتعدّى من الأفعال بـ(الباء) وب نفسه في سياق واحد ولكن المتكلمين يخطئون فيعدونها بنفسها تارة أو بـ(الباء) تارة أخرى أو بحرف جر غير (الباء). من ذلك قولهم: بصره بالحقيقة وسررت لقدمك وتقاضى الدين وبه

**الرابع:** تناولت فيه ما يتعدّى من الأفعال بنفسه وبـ(الباء) وبغيرها من حروف الجر بحسب السياق الذي ترد فيه، ولكن المتكلمين يخطئون فيجعلون هذا مكان ذاك. من ذلك قولهم: بعثت اليه كتاباً وبعثت اليه برسول وحدها على السفر وحدا به على السفر

## مُتَكَلِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى اله وصحبه

أجمعين

تتعدد مظاهر الخطأ اللغوي وتختلف أشكاله فتراه يقع في الصوت أو البنية أو التركيب النحوي أو الأسلوب البياني أو دلالة اللفظ وكل مظهر من هذه المظاهر تتعدد صور الخطأ فيه، فالخطأ في التركيب النحوي مثلاً قد يكون متولداً عن خطأ في الحكم الإعرابي للكلمة أو الاستعمال غير الصحيح للظروف أو الأدوات أو الحروف. ومن ابرز صور الخطأ في استعمال الحروف مايقع في أثناء تعدية الأفعال اللازمة بحروف الجر، إذ يحدث الخلط فيُعدَّى الفعل بما لا يُعدَّى به من حروف الجر، وإخص هذه الحروف (الباء) وسميت متعدية لأنها قائمة مقام همزة النقل جاء في شرح الكافية ((جميع حروف الجر لتعدية الفعل القاصر عن المفعول إليه لكن معنى التعدية المطلقة أن ينقل معنى الفعل كالهزمة والتضعيف وبغيره وهذا المعنى مختص بـ(الباء) من بين حروف الجر، نحو: ذهبت به، وقمت به، أي: أذهبت به، وأقمت به))<sup>(١)</sup>، وقد يتعدَّى الفعل الواحد بمجموعة من حروف الجر بحسب السياق الذي يرد فيه أو قد يتضمن الفعل معنى فعل آخر لمناسبة بينهما فيتعدَّى تعديته ويلزم لزومه.

وبالنظر إلى الخصوصية التي حظيت بها (الباء) في تعديتها للأفعال فقد كثر استعمالها لهذا الغرض في اللغة وهذه الكثرة أدت إلى الخلط في تعدية بعض الأفعال لدى المستعملين ممّا نجده ماثلاً في كتب اللغة ثم انتقل هذا الخلط إلى المتكلمين في عصرنا الحاضر.

ممّا دفعني إلى القيام بدراستي المتواضعة هذه فقد هدفت إلى الوقوف على الخلط في التعدية بـ(الباء) من خلال الاطلاع على كتب التصحيح اللغوي المؤلفة في

الخامس: تناولت فيه ما يتعدّى من الأفعال بنفسه ولكن المتكلمين يخطئون فيعدونها

بـ(الباء) من ذلك قولهم: كلفه بكذا والتقى به

واهم النتائج التي توصل اليها هي:

١- إن الفعل (ارتاب) بمعنى (شك) يتعدّى بـ(في) خلافاً لما ذهب إليه كل من الأستاذين: اسعد داغر، وزهدي جاسم من تعديته بـ(من).

٢- إن الفعل (طاف) يتعدّى بـ(الباء) و(في) و(على) بحسب السياق الذي يرد فيه خلافاً للأستاذ محمد العدناني الذي أجاز تعديته بجميع ما تقدم من غير نظر إلى السياق الوارد فيه.

٣- إن الفعل (بصر) بمعنى (علم الشيء) يتعدّى بـ(الباء) وبفسه خلافاً لما ذهب إليه كل من الأستاذين: زهدي جاسم والكرياسي من تعديته بنفسه.

الباحث

د. مهند جاسم محمد

كلية الآداب - جامعة تكريت

**ما يتعدى من الأفعال بـ(الباء) فقط**

فالفعل (أغرى) يتعدى بـ(الباء) لاغير إذا كان بمعنى الإيلاع بالشيء وغيره جاء في التاج: ((وغيري به كرضي غرا... أولع به ولزمه من حيث لا يحمله عليه حامل فهو غر به...))<sup>(٤)</sup>. ويقال: غرر بنفسه، وغرر بماله إذا عرضهما للهلاكه، جاء في العين: ((والغرر كالخطر وغرر بماله، أي: حمله على الخطر))<sup>(٥)</sup> واغتر بالشيء: خدع به فهو مغرور<sup>(٦)</sup>، و((يقال: ما غرّك بفلان، أي: كيف اجتراءت عليه))<sup>(٧)</sup>، ومنه في التنزيل العزيز: جَدُّ ثَفْ ثَفْ ثَفْ جَدُّ<sup>(٨)</sup> ونقول: أغراه بفلان، أي: سلّطه عليه<sup>(٩)</sup>، قال تعالى: جَوَّ وَ يَ بَ بَ □ □ □<sup>(١٠)</sup> فالفعل

أغرى كما نرى يتعدى بالباء لاغير في جميع معانيه.





## المبحث الرابع

**ما يتعدى من الأفعال بنفسه وبـ(الباء) وبغيرها من حروف الجر**

وردت مجموعة من الأفعال في اللغة متعديّة بنفسها و-(الباء) وبغيرها من أحروف الجر، وذلك بحسب السياق الذي ترد فيه لكن المتكلمين يخطئون فيجعلون هذا مكان ذاك من ذلك قولهم:

- ١- (بعثت إليه كتابا) و (بعثت إليه برسول) فيعدّون الأول بنفسه والثاني بـ (الباء)، والصواب: بعثت إليه بكتاب، وبعثت إليه رسولا. (٧٥) جاء في التاج ((بعثه كمنعه يبعثه بعثا: أرسله وحده، وبعث به: أرسله مع غيره...)) (٧٦).

**يقول الشيخ مصطفى الغلاييني:** ((فالمبعوث به مع غيره شخصا كان أو شيئا تلزمه الباء تقول: (بعثت إليك بولدي) إذا أرسلته مع غيره، كما تقول: (بعثت إليك بكتابي) وذلك أن (بعث) تقتضي مبعوثا، فان كان مرسلا وحده عدّيت الفعل إليه بنفسه وان كان مرسلا به مع غيره عدّيته إليه بـ(الباء)، لافرق بين أن يكون المبعوث به شخصا أو شيئا كما رأيت))<sup>(٧٧)</sup>

فالفاعل (بعث) يتعدّى بنفسه وبالباء كما ترى، ويتعدّى بـ(على) أيضا في قولهم: ((بعثه على الشيء حمله على فعله، وبعث عليهم البلاء: أحله))<sup>(٧٨)</sup>

٢- (حدا به على السفر) بمعنى: دفعه، فيعدّونه بـ(الباء)، والصواب تعدّيته هنا بنفسه فنقول: حداه على السفر<sup>(٧٩)</sup>

جاء في المصباح المنير: ((وحدوته على كذا: بعثته عليه))<sup>(٨٠)</sup> أما إذا أردنا سوق الإبل وحثها على السير بالغناء، فنقول: ((حدا الإبل وحدا بها))<sup>(٨١)</sup>، فهو هنا متعدّ بنفسه وبـ(الباء).

## المبحث الخامس

## ما يتعدى من الأفعال بنفسه

هذا ما يتسنى ذكره من أفعال تتعدى بنفسها وبـ(الباء) وبغيرها من حروف الجر بحسب السياق الذي ترد فيه، ومن ذلك أيضا قولهم: (حَلَّ المكان وبه وله وعليه<sup>(٨٢)</sup>)، وقال كذا وبكذا وعلى وفي وعن<sup>(٨٣)</sup>)، ونسب الشيء وبه واليه<sup>(٨٤)</sup>).

وردت بعض الأفعال في اللغة متعدية بنفسها، ويلاحظ أن المتكلمين يخطئون فيعدونها بـ(الباء) من ذلك قولهم:

- ١ - (كَلَّفَهُ بِكَذَا) بمعنى أمره فيعدون الفعل بـ(الباء) والصواب تعديته بنفسه<sup>(٨٥)</sup>.  
 جاء في العين: ((وَكَلَّفْتُ هَذَا الْأَمْرَ وَتَكَلَّفْتُهُ))<sup>(٨٦)</sup> والتكليف: الأمر بما يشقّ عليك، يقال: قد كَلَّفَهُ تكليفاً<sup>(٨٧)</sup>، أما كَلَّفَهُ بِالْأَمْرِ بمعنى: وَكَلَّهُ إِلَيْهِ فهي محدثة<sup>(٨٨)</sup>،  
 وَكَلَّفَ بِالشَّيْءِ: أَوْلَعَ بِهِ<sup>(٨٩)</sup>. فنتعدي بالباء.

٢- (التقى به) فيعدّون الفعل بـ(الباء)، والصواب تعدّيته بنفسه<sup>(٩٠)</sup>، فالمسموع عن العرب قولهم: لقيه ولاقاه وتلقاه والنقاء، أي: استقبله وصادفه<sup>(٩١)</sup>، ومنه في التنزيل العزيز: جَاءَ بِثَنٍّ ثَنٍّ ثَنٍّ<sup>(٩٢)</sup>.

وجوّز الأستاذ كمال إبراهيم تعديته بـ(الباء) على إشرابه معنى (اجتمع) إذ يقول: ((وقد يجوز تعديتها توسعاً؛ لأنها بمعنى اجتمع به))<sup>(٩٣)</sup>

## الهوامش:

- (١) شرح الكافية ٣٢٧/٢ وينظر: الكتاب ١٥٣/١، ومغني اللبيب ١٣٨/١ والجنى الداني ٣٧، وهمع الهوامع ٤١٧/٢.
- (٢) تذكرة الكاتب ٧١.
- (٣) ينظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف ٢٥٨، و تذكرة الكاتب ٧١، والكتابة الصحيحة ٢٢٨.
- (٤) تاج العروس ١٥٤/٣٩، وينظر: تهذيب اللغة ٩٥/٣، والمحكم ٤٩/٦، واللسان ١٢١/١٥ ومختار الصحاح ٦١٢، والقاموس المحيط ٩٩٩.
- (٥) العين ٣٤٦/٤.
- (٦) ينظر: العين ٣٤٦/٤، ومختار الصحاح ٦١٢.
- (٧) مختار الصحاح ٦١٢.
- (٨) الانفطار ٦.
- (٩) ينظر: مقاييس اللغة ٤١٩/٤، وأساس البلاغة ٤٤٩، والكلديات ٥٨٨/١، صبح الاعشى ١٧٧/٥، والكتابة الصحيحة ٢٢٨.
- (١٠) الأحزاب ٦٠.
- (١١) أغلاط الكتاب ١١ وينظر: الأفعال للسعدي ٢٥٥/١، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ٧٠.
- (١٢) العين ٢٧٦-٢٧٧، وينظر: ادب الكاتب ١٠٨، وتهذيب اللغة ١١٩/٥، وأساس البلاغة ١٤٨، المخصص ٣٦٨ /٤ وإكمال الاعلام ٥٩٤/٢ واللسان ٢٧٩/٧.
- (١٣) النمل ٢٢.

## الخاتمة:

بعد كل ما تقدم يمكنني إجمال نتائج البحث بالنقاط الآتية:

- ١- إن الفعل (ارتاب) بمعنى (شك) يتعدى بـ(في) خلافا لما ذهب إليه كل من الأستاذين: اسعد داغر، وزهدي جاسم من تعديته بـ(من).
  - ٢- إن الفعل (طاف) يتعدى بـ(الباء) و(في) و(على) بحسب السياق الذي يرد فيه خلافا للأستاذ محمد العدناني الذي أجاز تعديته بجميع ما تقدم من غير نظر إلى السياق الوارد فيه.
  - ٣- إن الفعل (بصر) بمعنى (علمه الشيء) يتعدى بـ(الباء) وبنفسه خلافا لما ذهب إليه كل من الأستاذين: زهدي جاسم والكرباسي من تعديته بنفسه.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.



بحرف ١٦، وتاج العروس ١٤٢/٠٣، والمعجم الوسيط ٦٧١/٢، وفي (علق) أدب الكاتب ٤٥، وإصلاح المنطق ٤٥، وتهذيب اللغة ١٦٣/١، ومقاييس اللغة ١٢٥/٤، والمحكم ٢٠٩/١، والأفعال ٣٤٢/٢، واللسان ٢٦١/١٠ ومختار الصحاح ٤٦٧، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ٢٤٧، وتاج العروس ١٨١/٢٦، والمعجم الوسيط ٦٢٢/٢. وفي (لاذ) العين ١٩٩/٨، والجمهرة ٧٠٢/٢، والاشتقاق ٤١١، وتهذيب اللغة ١٣/١٥، والصحاح ١٥٣/٢، ومقاييس اللغة ٢٢٠/٥، والمخصص ٤٦٢/٣، والزاهر ٢٩٥/١، واللسان ٥٠٧/٣، المصباح المنير ٥٦٠/٢، والقاموس المحيط ٤٣١، وصباح الاعشى ٣٣/٧، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ٣٣٦، وتاج العروس ٤٧١/٩، والمعجم الوسيط ٨٤٥/٢، وفي (عاش) المحكم ٢١٣/٢، واللسان ٣٢١/٦، والمصباح المنير ٤٤٠/٢، وفي (غبط) الصحاح ١٢/٢، ومعجم الأفعال ٢٥٤، وفي (اخذ) الصحاح ٥٥٩/٢، والمحكم ٢٣٢/٥، واللسان ٤٧٠/٣، والمصباح ٦/١.

(٣١) ينظر: تذكرة الكاتب ٨٤، والكتابة الصحيحة ١٠٥، ومعجم الأخطاء الشائعة ١١٠.

(٣٢) العين ٢٨٨/٨.

(٣٣) ينظر: مقاييس اللغة ٤٦٣/٢، المحكم ٣٠٨/١٠، واللسان ٤٤٢/١، وصباح الاعشى ٥٥٧/٣، ومعجم الأفعال ١٤٢، وتاج العروس ٥٤٧-٥٤٨.

(٣٤) الصحاح ١٤١/١، وينظر: الأفعال ٦٢/٢، وأساس البلاغة ٢٦٢، واللسان ١٤١/١، والقاموس المحيط ١١٨-١١٩،

(٣٥) ينظر: تهذيب اللغة ١٨٢/١٥، الصحاح ١٤١/١، واللسان ٤٤١/١، ومعجم الأخطاء الشائعة ١١٠.

(٣٦) المعجم الوسيط ٣٨٤/١.

(١٤) ينظر: القاموس المحيط ٨٥٦، وصباح الاعشى ٣١٦/١٤، تاج العروس ٢٢٥/١٩.

(١٥) ينظر: المعجم الوسيط ٢٠٨/١.

(١٦) الكهف ٤٢.

(١٧) العين ٢٧٦/٣.

(١٨) ينظر: تاج العروس ٢٢٥/١٩.

(١٩) المصدر نفسه ٢٢٥/١٩.

(٢٠) المعجم الوسيط ٢٠٧/١.

(٢١) ينظر: تذكرة الكاتب ٧٤، والكتابة الصحيحة ٣٢٣، وأخطاء لغوية ١٤٥.

(٢٢) العين ٣٥٧/٣، وينظر: مقاييس اللغة ١٣/٦.

(٢٣) إصلاح المنطق ١٢.

(٢٤) ينظر: المحكم ١١١/٤، وشرح كتاب الامثال ٣٩٩، تاج العروس ١١٨/٣٤، والمعجم الوسيط ٩٩٥/٢.

(٢٥) ينظر: الجمهرة ١٧٠/١، وأساس البلاغة ٧٠٦، والكليات ٣٧٢/١، واللسان ٣١٤/١٤، والمعجم الوسيط ٩٩٥/٢.

(٢٦) التوبة ٧٤.

(٢٧) تاج العروس ١١٨/٣٤.

(٢٨) ينظر: تذكرة الكاتب ٥٧، ومعجم الأخطاء الشائعة ٢٣٠.

(٢٩) ينظر: الكتابة الصحيحة ٢٨٤، ٢٣٣، ٢٢٢، ١٩٠، ١٧٩، ٧، ومعجم الأخطاء الشائعة (اخذ ٢٢، غبط ١٨٤).

(٣٠) ينظر: في (تفاعل) المحكم ٢٤/٧، وأساس البلاغة ٢٦٧، واللسان ٣١٨/٤، والمصباح المنير ٤٨٤/٢، والقاموس المحيط ١٣٤٥، ومعجم الأفعال المتعدية

- (٥١) ينظر: إصلاح المنطق ٢٦١، وشرح كتاب الامثال ١٣٦، وأساس البلاغة ٣٦٧، والمصباح ٣٥٣/١، وتاج العروس ٥٦٠/٦، والمعجم الوسيط ٥٣٠/١ ونظرات في أخطاء المنشئين ٦٩.
- (٥٢) ينظر: العين ١٥٥/٣، وتهذيب اللغة ٢٠٠/٤، وأساس البلاغة ٣٠٧، والمصباح المنير ٢٨٨/١، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ١٦١، وتاج العروس ٤٨٤/٦، والكتابة الصحيحة ٣٢.
- (٥٣) ينظر: اللسان ٢٦٧/٦، والقاموس المحيط ٧٥٥ ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ١٨، وتاج العروس ٨٢/١٧، والكتابة الصحيحة ٣٤.
- (٥٤) ينظر: المحكم ٢٨٣/٢، واللسان ٣٣٦/٢ ومختار الصحاح ١٩٣، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ٢٥١، وتاج العروس ١٣٠/٦، والكتابة الصحيحة ٨١.
- (٥٥) ينظر: المحكم ٢٢١/٢، والأفعال ١٧٢/٢ ومختار الصحاح ١٢٦، ، وتاج العروس ٢٨٠/٣٨، الكتابة الصحيحة ١٤٠.
- (٥٦) ينظر: اللسان ٣٨٥/١٤، ومختار الصحاح ١٩٢، والمصباح المنير ٤٣٤/٢، تاج العروس ١٢١/٣٩، الكتابة الصحيحة ١٨٩.
- (٥٧) ينظر: مقاييس اللغة ٤٧١/٤، وتهذيب اللغة ٨٦/١٠، والمحكم ٧٧٥/٦، وأساس البلاغة ٤٦٣، اللسان ٤٧٢/١٠، القاموس المحيط ٢٢٦، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ٢٦٨، تاج العروس ٢٩٠/٢٧، والكتابة الصحيحة ٢٢٤.
- (٥٨) ينظر: أساس البلاغة ٣٦، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ١٦، تاج العروس ١٥٢/١٠، والكتابة الصحيحة ٢٣٤.
- (٥٩) ينظر: مقاييس اللغة ٤٣٦/٣، وتهذيب اللغة ١٣٩/١٤، والمحكم ٢١٣/٩، وأساس البلاغة ٢٦٧، ومختار الصحاح ١٦٩، واللسان ٢٤/٣، ٥٠٨/١٤، والمصباح المنير ٣٨٢/٢، ، تاج العروس ٤٥٣/١٢، والمعجم الوسيط ٥٧٤/٢.

- (٣٧) ينظر: تذكرة الكاتب ٨٤.
- (٣٨) ينظر: الكتابة الصحيحة ١٠٥.
- (٣٩) ينظر: الصحاح ١٩٥٧/٥ وتهذيب اللغة ٢٩٩/١١، والمحكم ٩٥/٨، وأساس البلاغة ٣١٨، واللسان ٣١٤/١٢، المصباح المنير ٣٢٨/١، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ١٧٠، وتاج العروس ٤٤٧/٣٢، والمعجم الوسيط ٤٦٩/١.
- (٤٠) تاج العروس ٤٤٧/٣٢.
- (٤١) ينظر: معجم الأخطاء الشائعة ١٢٧.
- (٤٢) ينظر: الكتابة الصحيحة ١٧٩.
- (٤٣) العين ٤٥٨/٧ وينظر: الجمهرة ٩٢١/٢، وتهذيب اللغة ٢٦/١٤، ومقاييس اللغة ٤٣٢/٣، والمحكم ٢٤٣/٩، وأساس البلاغة ٣٩٨، اللسان ٢٢٥/٩، المصباح المنير ٣٨٠/٢، والقاموس المحيط ١٠٧٧، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ٢٢٣، وتاج العروس ١٠١/٢٤، والمعجم الوسيط ٥٧١/٢.
- (٤٤) الحج ٢٩.
- (٤٥) ينظر: الأفعال ٣٠٩/٢ و شرح كتاب الامثال ٣٢، وتاج العروس ١٠٦/٢٤.
- (٤٦) العين ٤٥٨/٧ وينظر: أدب الكاتب ٢٦٣، وإصلاح المنطق ٢٦٠، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ٢٢٣.
- (٤٧) تاج العروس ١٠٦/٢٤.
- (٤٨) الإنسان ١٩.
- (٤٩) تاج العروس ١٠٦/ ٢٤ وينظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف ٢٢٣...
- (٥٠) ينظر: معجم الأخطاء الشائعة ١٥٧.

- (٧٥) ينظر: نظرات في اللغة والأدب ٦٠، ومغالط الكتاب ٢٠، وقل ولا تقل ١٥٥، والكتابة الصحيحة ٣٥، ومعجم الأخطاء الشائعة ٣٩.
- (٧٦) تاج العروس ١٦٨/٥ وينظر: أدب الكاتب ٢١٥، وتهذيب اللغة ٢/٢٠٢، والمحكم ٩٦/٢، ودرة الغواص ٢٨، واللسان ١١٦/٢، والمصباح ٥٢/١، ومعجم الافعال ١٨.
- (٧٧) نظرات في اللغة والأدب ٦٥.
- (٧٨) تاج العروس ١٧١/٥.
- (٧٩) ينظر: مقاييس اللغة ٣٥/٢، ومغالط الكتاب ١٣٩، ومعجم الأخطاء الشائعة ٦٣.
- (٨٠) المصباح المنير ١٢٥/١.
- (٨١) تاج العروس ٤٠٨/٣٧ وينظر: تهذيب اللغة ١٢١/٥، والصاحح ٦/٢٣١٠، والمحكم ٤٨٧/٣، وأساس البلاغة ١١٧، واللسان ١٦٨/١٤ ومختار الصحاح ٥٤، القاموس المحيط ١٦٣٤.
- (٨٢) ينظر: إصلاح المنطق ٣٠١، والافعال ٢٤٤/١ وأساس البلاغة ١٣٩، والمحكم ٥٢٥/٢، ومختار الصحاح ٦٣، والمصباح المنير ١٤٧/١، والقاموس المحيط ١٢٧٤، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف ٦٤، و نظرات في اللغة والأدب ١٧، وأغلاط الكتاب ١٧.
- (٨٣) ينظر: الصحاح ١٨٠٦-١٨٠٧، والمحكم ٥٦٣/٦، وتذكرة الكاتب ٥٣، والكتابة الصحيحة ٢٤٨.
- (٨٤) ينظر: الصحاح ٢٢٤/١، والمحكم ٥٢٩/٨، واللسان ٧٥٥/١، والمصباح المنير ٦٠٢/٢، ومعجم الافعال ٣٧٧-٣٧٨، وتاج العروس ٩٦٨/١، وتذكرة الكاتب ٥٤، والكتابة الصحيحة ٧٤.
- (٨٥) ينظر: أغلاط الكتاب ٧، ومعجم الأخطاء الشائعة ٢٢١.

- (٦٠) ينظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف ١٨، ومعجم الأخطاء الشائعة ٣٨.
- (٦١) أساس البلاغة ٤٠ وينظر: تهذيب اللغة ١٢/١٤٣، ومقاييس اللغة ١/٢٥٤، والمحكم ٣١٦/٨، واللسان ٦٤-٦٥.
- (٦٢) المصباح المنير ٥٧/١.
- (٦٣) تاج العروس ٢٠٧/١٠.
- (٦٤) ينظر: نظرات في أخطاء المنشئين ٦٠.
- (٦٥) ينظر: الكتابة الصحيحة ٣٤.
- (٦٦) ينظر: اللسان ٣٦١/٤، والكتابة الصحيحة ١٣٣.
- (٦٧) مختار الصحاح ١٢٤.
- (٦٨) ينظر: أدب الكاتب ٣٢٢، تهذيب اللغة ١/٢٠٣، والمحكم ٥/١٩٩، ودرة الغواص ١١٧، واللسان ٣٦١/٤.
- (٦٩) ينظر: الصحاح ٦٨٢/٢، المخصص ٣٤٧/٤، اللسان ٣٥٦/٤، المصباح المنير ٢٧٣/١، وتاج العروس ١٨/١٢، والمعجم الوسيط ١/٤٢٦.
- (٧٠) الممتحنة ١.
- (٧١) التحريم ٣.
- (٧٢) ينظر: أساس البلاغة ٥٦٣، واللسان ٥٠٦/١٣، وتاج العروس ٩/٦٧٤.
- (٧٣) ينظر: تهذيب اللغة ٩/١٧١، والمحكم ٦/٤٨٣، وأساس البلاغة ٥١٣، واللسان ١٨٨/١٥، والقاموس ١٧٠٧، وتاج العروس ٣٩/٣١٣، نظرات في اللغة والادب ٧٨، وتذكرة الكاتب ٦٨.
- (٧٤) ينظر: اللسان ٧٠/٥، و مختار الصحاح ٢١٧، والقاموس ١٣٥١، وتاج العروس ٣٠/٢١٤، ونظرات في اللغة ٧٩، وتذكرة الكاتب ١٣٨.

- ٢- أدب الكاتب: ابن قتيبة، تحقيق: محمد محيي الدين، المكتبة التجارية مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٦٣.
- ٣- أساس البلاغة: الزمخشري، دار الفكر، ١٩٧٩.
- ٤- الاشتقاق: لابن دريد، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، د.ت.
- ٥- إصلاح المنطق: لابن السكيت، تحقيق: احمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، دارا لمعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٥٦.
- ٦- أغلاط الكتاب: كمال إبراهيم، المطبعة العربية، بغداد، ١٩٣٥.
- ٧- الأفعال: علي بن جعفر السعدي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣.
- ٨- إكمال الإعلام بتتليث الكلام: ابن مالك، تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٩٨٤.
- ٩- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.
- ١٠- تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩.
- ١١- تذكرة الكاتب: اسعد داغر، مطبعة المقتطف، القاهرة، ١٩٢٣.
- ١٢- تهذيب اللغة: أبو منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.
- ١٣- جمهرة اللغة: لابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.
- ١٤- الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.
- ١٥- درة الغواص في أوهام الخواص: للحري، تحقيق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

- (٨٦) العين ٣٧٢/٥ وينظر: الصحاح ١٤٢٤/٤، واللسان ٣٠٧/٩.
- (٨٧) ينظر: الصحاح ١٤٢٤/٤ وتهذيب اللغة ١٣٩/١٠، والمحكم ٣٦/٧، وأساس البلاغة ٥٥٠ والكلبيات ٤٥٩/١، والقاموس المحيط ١٠٩٩، وتاج العروس ٣٣١/٢٤.
- (٨٨) ينظر: المعجم الوسيط ٧٩٥/٢.
- (٨٩) ينظر: مقاييس اللغة ١٣٦/٥، والافعال ٩٢/٣، والمحكم ٣٦/٧، واللسان ٣٠٧/٩، والقاموس المحيط ١٠٩٩، وتاج العروس ٣٣١/٢٤، والمعجم الوسيط ٧٩٥/٢.
- (٩٠) ينظر: تذكرة الكاتب ٣٨، وأغلاط الكتاب ٥٧-٥٨، ومعجم الأخطاء الشائعة ٢٣٠.
- (٩١) ينظر: أدب الكاتب ٤٣٣، الصحاح ٢٤٨٤/٦، والمحكم ٥٠٥/٦، ودرة الغواص ١٨١ وأساس البلاغة ٥٧١، واللسان ٢٥٣/١٥، وتاج العروس ٣٩/٩٧١-٤٧٢، والمعجم الوسيط ٨٣٦/٢.
- (٩٢) الانبياء ١٠٣.
- (٩٣) أغلاط الكتاب ٥٨.

#### المصادر:

- ١- أخطاء لغوية: عبد الحق فاضل، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٩.

- ٢٩- المخصص: لابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.
- ٣٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: للفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
- ٣١- معجم الأخطاء الشائعة: محمد العدناني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٣.
- ٣٢- معجم الأفعال المتعدية بحرف: موسى بن محمد بن الملياني الأحمد، د.ت.
- ٣٣- المعجم الوسيط: د.إبراهيم أنيس، د.عبد الحليم منتصر، وعطيه الصوالحي، ومحمد خلف الله احمد، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٣.
- ٣٤- مغالط الكتاب ومناهج الصواب: الأب جرجي جنن البولسي، مطبعة القديس بولس حريصا، لبنان، د.ت.
- ٣٥- مغني اللبيب: ابن هشام، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد اله، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥.
- ٣٦- مقاييس اللغة: لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٩.
- ٣٧- نظرات في أخطاء المنشئين: محمد جعفر الشيخ إبراهيم الكرياسي، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٣.
- ٣٨- نظرات في اللغة والأدب: الشيخ مصطفى الغلاييني، مطبعة وزنكو غراف طبارة، بيروت، ١٩٢٧.
- ٣٩- همع الهوامع: السيوطي: تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت.

## TRANSCENDING EFFECET TO DRAG LETTER IN LANGUAGE CORRECTIVE

THE AIM OF SEARCH IS TO DISCOVER THE  
MISTAKES EVENTS IN THE SPEAKERS WHEN THEY  
ARE IN TRANSITING TENSE WITH DRAG LETTERS

- ١٦- الزاهر في معاني كلمات الناس: ابو بكر الانباري، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.
- ١٧- شرح الكافية: الرضي الاسترايادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
- ١٨- صبح الأعشى: القلقشندي، تحقيق: يوسف علي الطويل، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.
- ١٩- العين: الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢.
- ٢٠- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: أبو عبيد البكري، تحقيق: د.إحسان عباس، د.عبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣.
- ٢١- القاموس المحيط: الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.
- ٢٢- قل ولا تقل: د مصطفى جواد، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٧٠.
- ٢٣- الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، د.ت.
- ٢٤- الكتابة الصحيحة: زهدي ج.الله، مطبعة دار الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨.
- ٢٥- الكليات: أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨.
- ٢٦- لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، د.ت.
- ٢٧- المحكم والمحيط الأعظم: لابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.
- ٢٨- مختار الصحاح: عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٥.

END WHEN THE BA LETTER IS THE BASIC DRAG LETTERS TO TRANSITING INTRANSITIVE TENSE THE BEFORE MORE THAN ONE MISTAKE AMONG SPEAKERS.

THE TRANSITING TENSE BY ITSELF FROM BA LETTER OR OTHERS DRAG LETTERS OR TRANSITING TENSE WITHOUT BA LETTER FROM TRANSITING TENSE WITH OR WITHOUT TRANSITING TENSE BY ITSELF END CONSIDERING BA.

ASSISTANT PROFESSOR  
DR. MOHAMED JASSIM MOHAMED

## موقعات التفاعلية في مواقع الصحف الإلكترونية العراقية على شبكة الانترنت

دراسة تطبيقية على طلبة قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة تكريت  
لعام ٢٠١٠

أ.م.د. سعد سلمان عبد الله

جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم الإعلام

مُتَكَلِّمًا

اقتحمت ثورة النشر الإلكتروني جميع المجالات في عالم اليوم مثلما اقتحمته من قبل مطبعة جوتنبرج فتتحقق لعالم النشر قفزة نوعية هائلة استفاد منها المجتمع الإنساني طوال القرون السابقة. وشهد النصف الثاني من القرن العشرين نقلة نوعية أخرى على مستوى الوسيلة التي ربما تؤثر في المضمون وفي شكل طريقة الكتابة. وكما جعلت آلة الطباعة الناس مدركين لعوالم أبعد من قراهم ومزارعهم، فإن ثورة المعلومات تبني وتصهر ثقافة كونية واحدة من آلاف الثقافات الصغرى<sup>(١)</sup>. وقد شهدت السنوات الأخيرة ابتكارات عديدة في صناعة الاتصال نتيجة طلب السوق الاستهلاكية ودفع التكنولوجيا وقد تمثل في رغبة المستهلكين في الحصول على المعلومات بشكل فوري ودقيق والاتصال مع أماكن بعيدة جغرافياً والحصول على خدمات سريعة. وقد تميزت التكنولوجيات الجديدة بمجموعة من السمات أهمها سمة التفاعلية Interactivity إذ يتبادل القائم بالاتصال والمتلقي الأدوار ويطلق على القائمين بالاتصال لفظ مشاركين بدلاً من مصادر، ولكون ممارسة الاتصال مع المتلقي ثنائية الاتجاه وتبادلية<sup>(٢)</sup>.

ذلك مشاهدة وقياس مستوى تفاعل الجمهور مع المواد والمواضيع المطروحة على الموقع، وتخلو اغلب المواقع الالكترونية للصحف العراقية من هذه الميزة وهذا ما يجعلها بلا تفاعلية وبعيدة عن استقصاء آراء الجمهور ومعرفة رغباته وتوجهاته.

ويسلط هذا البحث الضوء على ظاهرة ملفتة للنظر وهي معوقات عدم وجود تفاعلية في مواقع الصحف العراقية الالكترونية، على الرغم من ربط العراق بشبكة الانترنت منذ أواخر عام ١٩٩٨<sup>(٥)</sup> وظهور الصحف الالكترونية العراقية ونموها لاسيما بعد التغيير الذي حصل في بنية الإعلام العراقي بعد عام ٢٠٠٣، إلا أننا لم نجد في تلك المواقع لغاية اليوم (آذار ٢٠١٠) استخداماً للتفاعلية وهذه شكلت ظاهرة في الصحافة الالكترونية العراقية ينبغي الوقوف على أسبابها. ويأتي اهتمام الباحث بموضوع التفاعلية في الصحف الالكترونية العراقية انطلاقاً من قدرة التفاعلية على المشاركة بشكل فعال في تأسيس العراق الجديد من خلال ما يقدمه الجمهور المتفاعل مع الأحداث من وثائق ومعلومات قد لا تحصل عليها المؤسسات الاعلامية أو السلطات المختصة بسهولة كما انها تدعم مسيرة العدالة والديمقراطية والحريات في البلاد. كذلك يمكن اعتبار التفاعلية مقياساً لانتشار أية وسيلة إعلامية فمن خلال ردود الجمهور ومشاركاتهم يتوضح مدى انتشار رسائل الوسيلة الإعلامية بين الأوساط الجماهيرية. وتأتي في مقدمة الأسباب من عدم وجود تفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية هي إستراتيجية التعليم في العراق التي لم تتغير مع تغير واقع الإعلام العراقي وتطور تقنياته، إذ ان عالمنا اليوم يلزم ان يكون من أهم اهتمامنا: كيف نعمل على إنشاء عقل جديد للعالم الجديد لأننا في وضع لم يسبق له مثيل في تاريخنا. فمشاكل المستقبل لا يستطيع حلها أولئك الذين يتمسكون بعقلية وأسلوب الماضي، لان طرق تفكيرهم هي نتاج فكر لا يمكنه ولا يستطيع أن يتلائم مع

وقد ظهر منذ عدة أعوام نموذج جديد في العمل الصحفي، يستغل كافة مميزات وتقنيات الانترنت يجعل من الخبر الصحفي موجهاً نحو الجمهور، وما يهم الجمهور وتصفية أو فلترة الأخبار، إذ يحصل القارئ على ما يهمه دون الالتفات الى الاهتمامات التجارية والإعلانية أطلق على هذا النموذج أسم: الصحافة التفاعلية Interactive Journalism. ووفقاً لهذا النموذج يتم الاعتماد على مستخدمي موقع ما لتزويده بالأخبار أو السبق الصحفي والذي يتم نشره بعد تصفيته من قبل مجموعة مركزية لتحليله، كما تقوم مجموعة أخرى من مستخدمي الموقع للتعليق على الأخبار مما يمنحها الموضوعية التي تفتقر إليها وسائل الإعلام التقليدية وتشبه هذه المواقع في أسلوبها منتديات الحوار، مع فارق تحكيم ما ينشر على المواقع<sup>(٣)</sup>. وفي المحصلة فان التطور أتاح للصحف والصحفيين إمكانات هائلة في هيئة نظام تكنولوجي جديد، وأصبح مفهوم التغطية الصحفية الاستقصائية باستخدام الكمبيوتر يشمل جمع وتحليل وعرض المادة الصحفية باستخدام وسائل وقواعد البيانات الالكترونية وتحليل السجلات الالكترونية العامة وبناء معلومات نموذجية موثقة<sup>(٤)</sup>. وفي عالمنا اليوم تتميز الصحافة الإلكترونية كونها صحافة تفاعلية فيإمكان القارئ التعليق على الخبر فور قراءته، والتواصل مع جمهور القراء ومناقشة الآراء والأفكار، وكذلك بإمكانه إرسال مشاركاته من الأخبار والمقالات ونشرها باسمه الصريح أو المستعار أو عن طريق صندوق تنشره الصحف الالكترونية العربية يمكن عن طريقه من إضافة تعليقاته ومشاركاته. وذلك عن طريق وضع عبارة تحت كل موضوع من مواضيعها المنشورة على مواقعها الالكترونية يحمل عبارة (هل لديك تعليق على الموضوع؟) ويمكن لأي متصفح للموقع المشاركة برأيه مهما كان هذا الرأي سلباً أو إيجاباً ويمكن ملاحظة ذلك عن طريق موقع صحيفة الشرق الأوسط وصحيفة العربية نت وصحيفة إيلاف، وغير ذلك من المواقع، كما يمكن عن طريقه

ينتمي هذا البحث الى الدراسات الاستكشافية الوصفية التي تهدف الى جمع الحقائق والبيانات عن ظاهرة عدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية على شبكة الانترنت والمعوقات التي تعترض طريق تحقيقها. ويعتمد البحث على منهج المسح الذي يتم بموجبه جمع البيانات عن المتغيرات كما توجد في الواقع وذلك من خلال استمارة استبيان صممت لتخدم أهداف البحث.

### عينة البحث:

تتكون عينة البحث من عينة عمدية من طلبة قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة تكريت لعام ٢٠١٠ اختارها الباحث بطريقة عمدية طبقاً لما يراه من سمات أو خصائص تتوفر في أفراد تلك العينة بما يخدم أهداف البحث. فقد اختار الباحث هذه العينة لكونها تمثل المجتمع الذي يواجه أفرادها معوقات شتى في استخدام شبكة الانترنت ومن بينها عدم وجود التفاعلية في استخدامه لمواقع الصحف العراقية.

### أدوات تحليل البيانات:

في إطار منهج المسح تم الاستعانة باستمارة استبيان تتضمن المتغيرات التي يمكن من خلالها معرفة أسباب عدم توافر التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية. وقد اشتملت تلك الاستمارة على عدد من الأسئلة استهدفت استثارة الأفراد المبحوثين بطريقة منهجية ومقننة لتقديم حقائق وآراء معينة في إطار البيانات المرتبطة بموضوع البحث وأهدافه دون تدخل الباحث في التقرير الذاتي للمبحوثين في هذه البيانات<sup>(٧)</sup>.

### الإطار النظري للبحث:

يعتمد هذا البحث في إطاره النظري على توضيح المعوقات التي تحول دون التفاعلية بالنسبة لمستخدمي مواقع الصحف الالكترونية العراقية. كذلك توضيح مفهوم التفاعلية وأبعاده المختلفة، فقد بدأ الاهتمام بدراسة التفاعلية في الدراسات الأجنبية منذ

تحولات المستقبل وهي تحولات تختلف مشاكلها تماماً عن تلك التي تعودوا عليها وعاشوها ولذلك لا يمكن ان يتفهموا ويتعاملوا مع هذه المتغيرات المتسارعة<sup>(٨)</sup>.

### أهمية البحث:

تتمثل الأهمية الأكاديمية لهذا البحث في أنه يقدم مدخلاً جديداً في الدراسات الصحفية العربية في موضوع معوقات التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية، كذلك يقدم هذا البحث تأصيلاً نظرياً لمفهوم التفاعلية التي ازداد الحديث عنها باعتبارها أحد أهم سمات تكنولوجيا الاتصال الحديثة، بالإضافة لتطبيقه على عينة من الشباب الجامعي العراقي متمثلة في طلبة قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة تكريت. كما تتمثل الأهمية المجتمعية لهذا البحث في تصديده لدراسة ظاهرة يعاني منها الشباب الجامعي وهي عدم استخدامه للانترنت كشبكة معلومات دولية مهمة في تطوير معلومات ومهارات الطالب الجامعي.

### مشكلة البحث:

يسعى هذا البحث الى الإجابة عن تساؤل رئيسي وهو ما هي معوقات التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية رغم وجود مناخ متاح لهذه التفاعلية من خلال هذه المواقع؟ مع الأخذ في الاعتبار أننا سنركز على إجراء استطلاع رأي عينة من الجمهور الذي يستخدم الانترنت حول المعوقات التي تحول دون استخدام الجمهور العراقي لإمكانيات التفاعلية المتاحة عبر مواقع الصحف الالكترونية على الانترنت رغم استخدامها من قبل اغلب مواقع الصحف الالكترونية العربية والأجنبية على الشبكة الدولية للمعلومات.

### نوع البحث ومنهجه:



لوضع تصور دقيق لخصائص الظاهرة موضوع الدراسة، فضلاً عن أسلوب تحليل المضمون لمعرفة مدى اهتمام وسائل الإعلام (الصحف) بالموضوعات الإعلامية المختلفة، وأخيراً المقابلة للتعرف على الحقائق والتأكد من المعلومات بشكل دقيق. واتضح من هذه الدراسة ان الصحف العراقية تعتمد على الانترنت كمصدر للمعلومات بدرجات متفاوتة. وتوصلت الباحثة الى عدد من النتائج أبرزها، ان الانترنت يعد اكبر مصدر للمعلومات لوسائل الإعلام فضلاً عن كونه إحدى وسائل الإعلام بسبب ما لديه من مزايا وسائل الإعلام مثل (اللامكان، واللازمان، والتفاعلية، والمجانية، والربط الدائم، تنوع التطبيقات، السهولة).

٣- دراسة جاسم محمد شبيب<sup>(١٠)</sup>: اختار الباحث في دراسته (حدود تطبيقات تكنولوجيا الاتصال في الصحافة العراقية مع دراسة لاستخدام الوسائط المتعددة في الصحافة الالكترونية العراقية) ثلاثة مواقع الكترونية تمثل صحفاً عراقية ذات إصدار يومي منتظم كمجتمع متاح لتمثيل المجتمع الأصلي وهي (الموقع الالكتروني لصحيفة الصباح والموقع الالكتروني لصحيفة الزمان والموقع الالكتروني لصحيفة الاتحاد) مستخدماً منهج الدراسات المسحية، إذ قدم البحث وصفاً لتطبيقات تكنولوجيا الاتصال والوسائط المتعددة في الصحافة الالكترونية العراقية وقياس مستوى الاستخدام فيها، كما استعان الباحث بالمنهج التاريخي، كما تم تصميم استمارة التحليل وتحديد فئاتها وبواقع (١٣) فئة لتطبيقات تكنولوجيا الاتصال و(٩) فئات في استخدام الوسائط المتعددة في المواقع الالكترونية عينة البحث وتم تعريف الفئات مع اختيار الأدوات التي تمثل الإجابة عن هذه الفئات، كما تم استخدام الملاحظة والمقابلة كأدوات لاستكمال معلومات البحث. وتوصل الباحث في دراسته إلى عدد من النتائج أبرزها، إن المواقع الالكترونية الصحفية العراقية اليومية تضع المحتوى نفسه من الأخبار والتحقيقات

منتصف الثمانينات من القرن الماضي حينما أشار إليها روجرز باعتبارها أحد أهم سمات تكنولوجيا الاتصال الحديثة. ويشير هذا المفهوم إلى ان المتلقي يتجاوز مرحلة قراءة النص أو الاستماع إلى الرسالة الاتصالية لينتقل إلى مرحلة المشاركة فيها لتصبح بذلك وسيلة الاتصال ثنائية الاتجاه<sup>(٨)</sup>.

### الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث أية دراسة سابقة عن معوقات التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية. وقد اطلع الباحث على دراسات مجاورة للموضوع تناولت التفاعلية في الصحف الالكترونية ومن أهم تلك الدراسات نجد ما يأتي:

١- دراسة نجاح حسن عباس والموسومة التفاعلية في المواقع الالكترونية للصحف العراقية اليومية - دراسة مسحية وهي رسالة ماجستير قدمت إلى كلية الإعلام بجامعة بغداد عام ٢٠٠٩ تناولت التفاعلية في المواقع الإلكترونية وصحافة الإنترنت. وقد ركز الباحث في الفصل الميداني من الرسالة على موضوع مدى توافر واستخدام الأدوات التفاعلية المتاحة على الإنترنت في المواقع الإلكترونية للصحف العراقية اليومية طيلة فترة البحث البالغة ثلاثين يوماً والمحصورة بين ٢٠٠٨/٧/١ إلى ٢٠٠٨/٩/٣٠ وقد انحصرت مشكلة البحث في دراسة وفهم التفاعلية في المواقع الإلكترونية للصحف العراقية اليومية كشكل من أشكال الصحافة الإلكترونية العراقية للتعرف على هذه الخاصية المهمة بملاحظة التفاعل بين المستقبل والوسيلة الإعلامية تارة وبين الوسيلة الإعلامية والمستقبل تارة أخرى.

٢- دراسة هناء كاظم كاسد<sup>(٩)</sup>: ركزت الباحثة في دراستها (المواد الإخبارية في الانترنت المنشورة في الصحافة العراقية) على مدى اعتماد الصحف العراقية على الانترنت كمصدر للمعلومات ولكشف ذلك تم الاعتماد على المنهج الوصفي

معلوماتها إلى القارئ، وهي بذلك لا تطرح أمامه خيارات مختلفة يمكن ان يتبعها في التعامل مع المواد المنشورة، فضلاً عن عدم الإفادة من الإمكانات المتاحة للانترنت، بسبب حداثة تجربة الصحافة الالكترونية الكردية من جهة وضعف الإمكانات المادية من جهة أخرى. كما لا تقوم الصحف الالكترونية الكردية بتحديث موادها بشكل يومي بل تتأخر في ذلك.

وتعد الدراسة التحليلية التي قامت بها الدكتورة نجوى عبد السلام فهمي من كلية الآداب جامعة عين شمس بعنوان (التفاعلية في المواقع الإخبارية العربية على شبكة الانترنت) من أهم الدراسات العربية التي تناولت موضوع التفاعلية إذ اهتمت فيها بمسح التراث العلمي المرتبط بدراسة المواقع الإخبارية المتاحة من خلال شبكة الانترنت والمجالات التي اهتمت فيها بدراسة التفاعلية فيها.

أما أهم الدراسات الأجنبية في هذا المجال فنستعرض ما يأتي<sup>(١٢)</sup>:

١- اهتم Bromley (١٩٩٥) بدراسة مدى تأثير التفاعلية المتاحة عن طريق شبكات الكمبيوتر على استخدام وسائل الاتصال التقليدية من صحف ورايو وتلفزيون وقد خلصت الدراسة الى ان استخدام شبكات الكمبيوتر لا تؤثر على الوقت الذي يقضيه الفرد باستخدام وسائل الاتصال التقليدية.

٢- أجرى Mueller (١٩٩٥) دراسة حول تفضيلات القراء للصحف الالكترونية وذلك عن طريق دراسة شبه تجريبية على مجموعة من دارسي الإعلام في المرحلة الجامعية وأشارت نتائج الدراسة الى تزايد الإحساس بالرضا عن تجربة قراءة الصحيفة الالكترونية.

٣- ركزت دراسات أخرى على التفاعلية من زاوية إدراك المتلقي لها وهو ما أشار اليه Newhagen في دراسته التي أجراها عام ١٩٩٥ حول البريد الالكتروني الذي يرسله مشاهدو محطة NBC الأمريكية حيث ركز على المتغيرات النفسية

والمعلومات المخصصة للصحيفة المطبوعة. وان المواقع الالكترونية الصحفية العراقية ما زالت تتصل إدارياً بشكل كامل مع الصحيفة الورقية المطبوعة، وتخلو من وجود صحفيين (محررين) متخصصين بالصحافة الالكترونية، كما لم تستخدم المواقع الالكترونية الصحفية العراقية تطبيقات تكنولوجيا الاتصال كافة، كما لم تستعمل الصوت والفيديو والرسوم المتحركة في الوسائط المتعددة في عملها.

٤- دراسة صادق حمه غريب حمه صالح<sup>(١١)</sup>: اختار الباحث في دراسته (الصحافة الالكترونية الكردية - دراسة مسحية للصحف الالكترونية الكردية) ثلاث صحف الكترونية هي (كلأوروثنه، ده نكه كان، كردستان نت)، كنموذج للصحافة الالكترونية الكردية مع التركيز على تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في كردستان العراق، مستخدماً المنهج الوصفي، وتوصل الى عدد من النتائج أبرزها: ان تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في إقليم كردستان ليست في المستوى المطلوب وبحاجة إلى دعم وتطوير، وان هناك ندرة في الكادر الصحفي المؤهل للتعامل مع واقع صحافة اليوم وتكنولوجيا الاتصال والإعلام الجديد، وإن الأغلبية من شعب كردستان ليست لديه أدوات ووسائل لكي يطلع على المواقع والصحافة الالكترونية الكردية، وعدم استخدام الانترنت كوسيلة اتصال جماهيرية في كردستان لأسباب كثيرة منها ارتفاع كلفة الاشتراك والاتصال، وبطء الخدمة من حيث سرعة التحميل ووجود عقبات سياسية واجتماعية، وقلة عدد المواقع الكردية الفاعلة على شبكة الانترنت، فضلاً عن كون الصحف الالكترونية الكردستانية مجرد نسخ كربونية من الصحف المطبوعة، ولم تستخدم الصحف الالكترونية قيد البحث غرف الحوار الحي (الدرشة) التي تعد احد أهم مميزات الصحافة الالكترونية، كما اعتمدت الصحف الالكترونية المسار الخطي في تقديم

مجموعة من النتائج تتمثل في ان ثلث الصحف الإلكترونية الأمريكية التي خضعت للدراسة توفر لقرائها ساحات للمناقشة وان ١٦% فقط من الصحف الإلكترونية الأمريكية التي خضعت للدراسة اهتمت بتوفير تفاعلية مع النص من خلال الوسائط المتعددة<sup>(١٤)</sup>.

## المبحث الأول

### معنى التفاعلية في مواقع الصحف الإلكترونية

شهد العصر الحالي سرعة فائقة في صناعة وسائل الاتصال وتطويرها، سيما في مجال تكنولوجيا الإعلام والمعلومات الإلكترونية، وتجسدت ثورة الاتصال عبر اندماج وتزاوج ظاهرة تفجر المعلومات ووسائل الاتصال وتعدد الاتصال وتعدد أساليبها. أو بمعنى آخر المزج بين أكثر من تكنولوجيا اتصالية تمتلكها أكثر من وسيلة لتحقيق الهدف النهائي وهو توصيل الرسالة الاتصالية وهي ما أطلق عليها التكنولوجيا التفاعلية INTERACTIVE TECH. ويمكن القول ان تلك التكنولوجيا تسعى الى تخليص الإعلام من التلقي السلبي، أي ظهور التفاعلية، إذ يعطى المشارك دوراً مؤثراً في عملية الاتصال إذ يتبادل المستقبل دوره مع المرسل بطريقة ايجابية<sup>(١٥)</sup>.

وتشير بعض القواميس إن (Interactive) هي مصطلح يشير الى قيام مستخدم بإرسال بيانات ثم ينتظر استجابة من الجهة التي راسلها قبل أن يواصل مهامه<sup>(١٦)</sup>.

ويعرف بعضهم التفاعلية (Interactivity) بأنها تعني "الاتصال في اتجاهين بين المصدر والمتلقي أو بصفة أوسع الاتصال المتعدد الاتجاهات بين أي عدد من المصادر والمتلقين"<sup>(١٧)</sup>.

للمتلقي باعتبارها المتحركة في إدراكه للتفاعلية وخلص من دراسته الى ان البريد المرسل الى محطة التلفزيون الأمريكية NBC كان يتسم بالشخصية والحميمية بما يعكس إحساس المرسل بعمق العلاقة بينه وبين القائم بالاتصال.

٤- كشفت دراسة Tankard التي أجراها عام ١٩٩٨، حول مدى استخدام الصحف الإلكترونية الأمريكية للإمكانيات التي تتيحها الانترنت كوسيلة نشر جديدة عن ان ٥٧% من الصحف الإلكترونية الأمريكية تقوم بتحديث المادة الخبرية المنشورة بها كل ٢٤ ساعة، وان ٩٤% من القصص الخبرية التي تم تحليلها لا تحتوي على وصلات، وكانت ٥% منها تضيف قائمة بالوصلات في نهاية المادة الخبرية و ٢% فقط تتيح الوصلات خلال النص الخبري، أما فيما يتعلق باستخدام الوسائط المتعددة فتشير الدراسة الى ان ٧٧% من الصحف الإلكترونية محل الدراسة تتضمن صوراً فوتوغرافية ولكن اقل من ١٠% من مواقع الصحف الإلكترونية تقدم رسوماً متحركة أو مسامع أو مشاهد فلمية أو رسوماً بيانية وفيما يتعلق بالتفاعلية أشارت الدراسة الى ان ٧٤% من الصحف الإلكترونية تنشر عنوان للبريد الإلكتروني لأحد محرريها، وقد أشارت ٤٩% من الصحف الإلكترونية انها ترد على كل الرسائل الإلكترونية التي تصل<sup>(١٨)</sup>.

٥- أشار Xigen Li في دراسته عام ١٩٩٨ إلى ان النموذج التقليدي للاتصال الذي يشير الى ان الرسالة تنتقل من مصدر الى العديد من المستقبلين تحول مع ظهور الانترنت كوسيلة اتصال الى نموذج اتصال تنتقل خلاله الرسالة من عدة مستخدمين إلى عدة مستخدمين وهو ما يعطي الجمهور سيطرة اكبر على مضمون الوسيلة.

٦- أجرى Tanjev Schultz عام ١٩٩٩ دراسة استطلاعية تحليلية لمائة جريدة الكترونية أمريكية لبحث إمكانيات التفاعلية المتاحة من خلالها وتوصل الى

ويتم الحكم على نجاح موقع الإنترنت بما يقدمه من خدمات تفاعلية بين مستخدم الموقع<sup>(٢١)</sup>.

وقد تمثلت أهم الخصائص الاتصالية للصحافة الإلكترونية على الشبكة الدولية للمعلومات بالتغطية الصحفية التفاعلية التي أتاحت إمكانات التفاعل الإيجابي بين القراء والصحفيين، وتزيد من مشاركة القراء في أداء الأعمال الصحفية، حيث أصبحت السيادة في الصحافة الإلكترونية الحديثة للقارئ، الذي أصبح بمقدوره ان يكون مشاركاً نشطاً في خلق محتوى وسيلة الاتصال التي يرغب في التعرض لها، ولذا فان التفاعلية الحقيقية ينبغي لها ان تشجع المتلقي على المشاركة الإيجابية في تلقي المادة الإخبارية<sup>(٢٢)</sup>. وقد ظهرت التفاعلية على شكلين يتمثل الأول في الاتصال التفاعلي المباشر وهو النمط الذي تحقق فيه التفاعلية بشكل مباشر، ويتم عبر مشاركة القراء في غرف الحوار التي تنشئها الصحف لتبادل الحوار بين المحررين والقراء حول القضايا المختلفة، وأيضاً يتحقق هذا النمط من التفاعلية من خلال خدمة الرسائل التي تسهم في تحقيق الاتصال المباشر بين إدارة الصحيفة ومحرريها، كما تتيح للمحررين إمكانية الاتصال المباشر بمصادرهم لإجراء الأحاديث الصحفية، كما يمكن للصحف الإلكترونية الإفادة من خدمة الاجتماع على الشبكة وذلك في عقد الاجتماعات الإلكترونية بين المحررين. أما النمط الثاني فهو الاتصال التفاعلي غير المباشر وتتمثل في أهم خدمات الاتصال غير المباشر التي تنتجها الصحف الإلكترونية في البريد الإلكتروني، والذي يسمح بإرسال رسائل القراء الإلكترونية والتي تتضمن تعليقاتهم إلى الصحف التي يتعرضون لها، أيضاً هناك خدمة القوائم البريدية والتي تعمل عن طريقها الصحيفة على تزويد المشتركين فيها عبر البريد الإلكتروني بعناوين الموضوعات التي تطرحها وتتلقى منهم بالطريقة نفسها ملاحظاتهم حول هذه الموضوعات مثلما تفعل صحيفة نيويورك تايمز، وصحيفة الحياة. إن أية عملية

ويجد الباحث ان ما ذهب اليه الصادق الحمادي رئيس تحرير موقع البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال في تعريفه للتفاعلية هو الأقرب إليه، إذ عرفها بأنها: "الإمكانات المتوافرة للجمهور للتواصل مع الصحفي ورد الفعل على ما يقرؤه ويشاهده ويسمعه"<sup>(١٨)</sup>.

ويرى فايز عبد الله الشهري إن التفاعلية عبر الإنترنت تعني تمكن القارئ من استخدام وسائل تسمح له بالتواصل مع الصحيفة وكتابها عن طريق غرف الحوار الفورية ومنتديات النقاش وخدمة البريد الإلكتروني التي توفرها كل الصحف كجزء من الطبيعة الاتصالية لشبكة الإنترنت. والتفاعلية ليست كما يعتقد البعض بأنها الإمكانيات المتوفرة لانتقاء البرامج بل تعني الفرص المتاحة للفرد للمشاركة في إنتاج المضامين الإعلامية، إذ يستعمل الصحفيون المواقع الإلكترونية مجالا لتعزيز العلاقة مع القارئ والمشاهد والمستمع خارج إطار المشاهدة والاستماع والقراءة، كما توفر الإنترنت إمكانية إنشاء المدونات للصحفيين حتى ينشروا أفكاراً وموضوعات خارج إطار إنتاجهم المعتاد<sup>(١٩)</sup>.

كما تتيح التفاعلية إمكانية التحكم بالمعلومات والحصول عليها وإرسالها وتبادلها عبر البريد الإلكتروني، وأهم خاصية أضافتها شبكة الإنترنت في هذا المجال هي عملية التفصيل الشخصي للمعلومات ويتيح هذا التميز إمكانية الموقع الإخباري اختيار الموضوعات والمقالات الإخبارية أو خدمات يرغب المستخدم في الحصول عليها بشكل مسبق<sup>(٢٠)</sup>.

ويعد علماء الاتصال، التفاعلية (Interactivity) أهم سمة من سمات الاتصال عبر الإنترنت، وتظهر التفاعلية أكثر وضوحاً في برامج التخابط النصي والصور عبر الإنترنت (Chatting) وخدمات البريد الإلكتروني إذ تتيح مواقع الإنترنت للمتصفح إمكانية الرد على الرسائل المعروضة ومخاطبة المرسل في الحال

ثم أشار وليامز في دراسته عام ١٩٨٨ الى ان التفاعلية تعبر عن الدرجة التي يسيطر فيها المتلقي على عملية الاتصال ويتبادل الأدوار مع المرسل وهو ما جعل التفاعلية تركز على قدرة المتلقي على الاستجابة للرسالة وبدأ النظر الى التفاعلية باعتبارها قدرة الوسيلة على نقل استجابة لاحقة لعملية تلقي الرسالة وهو ما جعل باحثي الاتصال يربطون بين تفاعلية وسيلة الاتصال والعوامل النفسية والسلوكية لدى المتلقي. ومن ناحية أخرى حاول لوريل عام ١٩٩١ تشبيه تفاعلية المستخدم للكمبيوتر بالتفاعلية المتاحة من خلال المسرح وحددها في ثلاث سمات رئيسية هي التردد الذي يحدد عدد المرات المتاحة فيها لمستخدم الكمبيوتر التفاعل معه ومجال الاختيار واستنتاج الدلالة. أما Steuer فقد ركز في دراسته عام ١٩٩٢ على مفهوم التفاعلية باعتبارها مدى قدرة المتلقي على تعديل مضمون وشكل الرسالة الاتصالية في الوقت الحقيقي للاتصال. أما Ha & James فقاما عام ١٩٩٨ بتعريف التفاعلية بأنها المدى الذي يمكن فيه للمرسل والمستقبل أن يتبادلا الاستجابة للرسالة الاتصالية التي يرسلها كل من المرسل والمستقبل وهما بذلك يضعان في الاعتبار اختلاف الاحتياجات الاتصالية للمستقبل، فأحياناً ما يكفي المستقبل بتلقي الرسالة الاتصالية ولتتم بحرية الإبحار بين مواقع الانترنت المختلفة وانتقاء التعرض لبعض الرسائل دون غيرها وأيضاً دون الاتصال بمصدر الرسالة وأحياناً ما يرغب المستقبل في تبادل رسائل مع مصدر الاتصال<sup>(٢٦)</sup>.

وقد أضافت التفاعلية في الصحف الإلكترونية شكلاً جديداً لنظام الاتصال يقوم على تحول المتلقي إلى مرسل وهو ما غيرت به نظم الاتصال التي ظلت باتجاه واحد فقط لمئات السنين. وتأتي التفاعلية كأهم وأقوى الملامح المميزة للنشر الفوري، وهي طريقة أو أسلوب في الاستخدام أكثر من كونها منتج محدد، وهي سمة خاصة بعملية أكثر منها كمنتج اتصالي ويمكن أن تأخذ مستويات مختلفة. وقد تم تعريف مفهوم التفاعلية من قبل الباحثين على انه أحد امكانيات القوى الدافعة نحو انتشار استخدام وسائل الإعلام الجديدة<sup>(٢٧)</sup>.

## المبحث الثاني

اتصالية تعني (وجود من يقوم بالاتصال وهو المتصل، وقد يكون شخصاً اعتيادياً أو معنوياً: مؤسسة - شركة - وزارة - الخ، وهو الطرف الذي يبادر بالاتصال إذ يقوم بتوجيه رسالة إلى شخص آخر أو أشخاص عديدين)<sup>(٢٨)</sup>.

لقد ظلت التفاعلية لفترة طويلة مفهوم أساسي حاولت نماذج الاتصال المختلفة إضافته وتوضيح أبعاده، إلا أنه لم يتم الاتفاق على تعريف واضح لهذا المصطلح مما أوجد العديد من التعريفات المختلفة للتفاعلية وفقاً لمجالات التخصص المتنوعة التي يتوافر فيها نوع من التفاعلية فهو مفهوم متعدد الأبعاد والاستخدامات، فالتفاعلية تعتبر مفهوماً تكاملياً تهتم به العديد من التخصصات البحثية. وحينما أضاف وينر عام ١٩٤٨ رجع الصدى الى نموذج شانون وويفر بدأ أول اهتمام بدراسة الاتصال كعملية ديناميكية بين المرسل والمستقبل لإعادة المعلومات للمرسل حتى يستطيع ان يقرر ما إذا كانت الرسالة حققت أهدافها من عدمه، ومع ظهور تكنولوجيا الاتصال الحديثة مثل الكمبيوتر والفديوتكست والموبايل ازداد الاهتمام بدراسة التفاعلية<sup>(٢٩)</sup>.

ثم جاءت دراسة رافائيل عام ١٩٨٨ لتعرف التفاعلية باعتبارها القنوات التي يمكنها نقل رد فعل الجمهور الى المرسل. وقد ركز رافائيل في دراسته الرائدة حول التفاعلية في وسائل الاتصال الحديثة على مفهوم الاستجابة حينما عرف التفاعلية بأنها التعبير الذي يبديه مستقبل الرسالة عقب عملية استقبال الرسالة ويكون مرتبطاً بها ويصل الى المرسل عبر نفس وسيلة الاتصال، أو بعبارة أخرى مدى قدرة وسيلة الاتصال على نقل استجابات المستقبل الى المرسل وهو بذلك ابتعد بمفهوم التفاعلية عن مفهوم رجع الصدى الذي يمكن الوصول اليه من خلال بريد القراء أو اتصالاتهم التلفونية وغيرها من أساليب التعبير عن رجع الصدى التي تتم عبر وسائل أخرى غير وسيلة الاتصال ذاتها التي تنقل الرسالة. وقد عرف Durlak التفاعلية بإنها: العملية التي يتوافر فيها التحكم في وسيلة الاتصال عن طريق قدرة المتلقي على إدارة عملية الاتصال عن بعد. كما عرفها Refaeli التفاعلية بإنها: أحد القنوات التي يمكنها نقل رد فعل الجمهور إلى المرسل ووصفها بالاستجابة<sup>(٣٠)</sup>.

## نشأة وتطور الصحف الالكترونية العراقية

دخلت الصحافة الإلكترونية في العراق عهداً جديداً بعد نيسان ٢٠٠٣ ولكنها كانت مقصورة على المؤسسات في تبادل المعلومات الخاصة بالمسؤولين، بينما الصحافة الإلكترونية مؤسسة متقدمة في العالم. ولعل من الجدير بالملاحظة أن معظم العاملين في وسائل الإعلام العراقية لا يملكون مقومات العمل الإعلامي في الصحافة الإلكترونية. وعلى الرغم من امتلاك الإعلام العراقي لأكثر من خمسة عشر ألف ١٥٠٠٠ إعلامي عامل في نقابة الصحفيين العراقيين ثلاثة آلاف ٣٠٠٠ منهم يعملون في مجال الإعلام والصحافة الإلكترونية الا ان الكثير منهم يفتقرون إلى معايير الدقة والموضوعية والمهنية<sup>(٢٨)</sup>.

وتعتمد الصحف العراقية الإلكترونية المتوفرة على الإنترنت في بثها للمادة الصحفية على ثلاث تقنيات هي تقنية العرض كصورة وتقنية PDF وتقنية النصوص وهذه التقنيات تختلف فيما بينها على مستوى عرض وتخزين المادة الصحفية ولكنها تجتمع في عدم إمكانية البحث والاسترجاع الآلي لمعلومات معينة من الطباعات اليومية الجارية أو اليومية أو من الطباعات السابقة المتوفرة آلياً. وبعض الصحف العراقية الإلكترونية لا تتوافر بشكل يومي على الإنترنت والبعض الآخر يتيح إلكترونياً بعض ما ورد في الطبعة اليومية الورقية، فقط قلة من الصحف العربية الإلكترونية تلتزم بالإصدار اليومي الإلكتروني من دون قصور.

ويأتي تزايد انتشار الصحف العراقية الإلكترونية في وقت تواجه الصحافة المطبوعة عدة تحديات منها: ارتفاع تكلفة إصدار الصحف، وقلة عوائد التوزيع، وتراجع الدخل الإعلاني، ووجود جيل قديم تشبع بآليات صحفية سابقة، أصبح من المحتم والضروري تطويرها.

ويمكننا من خلال تصفح مواقع الصحف الالكترونية العراقية تقسيم تلك الصحف إلى أربعة أنواع هي:

- ١- نسخ إلكترونية من صحف مطبوعة ورقياً معروفة باسمها وتاريخها، وما تقدمه مجرد نسخة إلكترونية طبق الأصل لما تقدمه الصحيفة الورقية.
  - ٢- صحف إلكترونية تحمل اسم الصحيفة الورقية، لكنها تختلف عنها في محتواها وخدماتها وتوجهاتها، وتعتمد على التحديث المستمر واستطلاع الرأي والتفاعلية.
  - ٣- صحف إلكترونية ليس لها أصل ورقي.
  - ٤- مواقع وكالات أنباء عراقية تقدم خدماتها عبر شبكة الانترنت وتقوم بتغطية جميع الأحداث العالمية وتعرضها في الموقع.. فضلاً عن خدمة الأخبار والمعلومات التي تتواصل بها مع المتلقي عبر البريد الإلكتروني<sup>(٢٩)</sup>.
- ومن المؤشرات التي نستطيع تثبيتها على الصحف الالكترونية العراقية التي نمت لاسيماً بعد عام ٢٠٠٣ ما يأتي:

- ١- إن الصحافة الإلكترونية في العالم قد سبقت التجربة العراقية في هذا الميدان بنحو ربع قرن من التجارب الإلكترونية والشبكية، وأصبحت تمتلك درجة من النضج والمعرفة بميزات النشر الشبكي الإلكتروني مكنتها من الوجود في شبكة الإنترنت بمجرد ظهورها، أما بالنسبة للصحافة العراقية فالأمر مختلف، إذ لم تكن لها تجارب سابقة في النشر الإلكتروني، وبالتالي تأخرت في اللحاق بعالم الإنترنت.
- ٢- انتشار استخدام الإنترنت قد فرض نفسه على العملية الصحفية، إذ أن الخصائص التي وفرتها النظم الرقمية أصبحت دالة على تميزها، لاسيماً التفاعلية على غرار تجربة صحيفة الواشنطن بوست الالكترونية التي تضمنت نصوصاً ورسومات وصوراً ولقطات فيديو وموسيقى ووسائل سمعية وتم تصميمها لاستخدامها في أجهزة الكمبيوتر<sup>(٣٠)</sup>. وعلى الرغم من تعميم هذه التجربة في بعض الصحف الالكترونية العربية الا ان الصحف الالكترونية العراقية لا تزال بعيدة عن خاصية التفاعلية.

- ٣- تحمل الصحافة الإلكترونية السمات الخاصة التي تميزها مثل: التغطية الصحفية الفورية، التغطية الصحفية الحية، التغطية الصحفية المتعمقة، التغطية الصحفية

التفاعلية، التغطية الصحفية الرقمية، التغطية الصحفية المتعددة الوسائط، التغطية الصحفية المستمرة، التغطية الصحفية اللامحدودة<sup>(٣١)</sup>.

٤- لم يعد مفهوم الصحافة حكراً على المؤسسات الصحفية بالمعنى التقليدي في الصحافة المطبوعة، لذلك يمكن النظر في مستويات إفادة الصحف من شبكة الانترنت عن طريق مستويات عدة منها: الانترنت كمصدر للمعلومات، والانترنت كوسيلة اتصال، والانترنت كوسيط تفاعلي، وكوسيط للنشر الصحفي، وكوسيط إعلاني<sup>(٣٢)</sup>.

٥- يغلب على بنية المواقع الصحفية العراقية انعدام توظيف الوسائط المتعددة، إذ إن مواقع الصحف الإلكترونية العراقية تعرض صوراً صماء دون تعليق أو دون وجود صور فيديو، أو إحالة مواقع أخرى، واستخدام أنظمة الوسائط المتعددة في الصحافة يمارسه حالياً صحفيون كبار في صحف عالمية واسعة الانتشار.

٦- العديد من الصحف الإلكترونية العراقية عبر شبكة الانترنت تعيد نشر ما هو منشور سابقاً.

٧- تواجه الصحافة الإلكترونية العراقية صعوبات كثيرة أهمها: عدم وجود عائد مادي من الإعلانات أو الاشتراكات أو التسويق مثل الذي توفره الصحافة الورقية، وندرة وجود الصحفي الإلكتروني المدرب والمؤهل للتحليل الإلكتروني والمهام بالتقنيات الرقمية المتعددة، كذلك متابعة الصحف الإلكترونية الدولية وطرق تحريرها ولا يتوافر ذلك إلا بإجادة الصحفي أكثر من لغة.

٨- ضعف التشريعات الخاصة بالصحافة الإلكترونية في العالم العربي، فلم نجد بعد بنية من القوانين الخاصة بهذا اللون الجديد من الصحافة الذي يعد صوت المستقبل، وهذا يعني أننا متخلفون عن الركب ولا نواكب الأحداث فضلاً عن أن نسبقها بل نتأخر دائماً عن ملاحقة الحدث وننتظر حتى تقع الكارثة، ومن ثم فإننا ننشغل بالأمور غير الجوهرية عن طريق ضعف بنية التشريعات لهذا الوليد الجديد<sup>(٣٣)</sup>.

وقد سعت الولايات المتحدة في السنوات القليلة الماضية إلى أن تعيد، مع العراق والعالم العربي إنتاج تجربتها في الإعلام الموجه في أوروبا في ما بعد الحرب العالمية الثانية، وفي حقبة الحرب الباردة. وأغرته النجاحات السابقة في التحدي الثقافي في الحرب الباردة بارتكاب أخطاء وخوض مجازفات بثقة زائدة عن الحد. ففي ألمانيا ما بعد سقوط النظام النازي، قامت سلطة الاحتلال الأمريكية في ما بعد سنة ١٩٤٥، كما فعلت في أجزاء النمسا المحتلة أمريكياً؛ إلى إعادة تخطيط الساحة الإعلامية، على أمل تشكيل الرأي العام الألماني على أسس جديدة كلياً. وفي واقع الأمر؛ نجح المسؤولون الأمريكيون في هذا المسعى إلى حد كبير، وكان من إنجازاتهم تأسيس صحف وتسليمها تدريجياً إلى طواقم محلية، لتتابع المسيرة ضمن مسار وطابع يتفق مع الرؤى والمطالب الأمريكية، حتى مع استقطابها لأقلام ومحررين من بقايا العهد النازي طالما أنه لم يكن من ذلك بد، لتبقى هذه الصحف قائمة في معظمها حتى اليوم، مشكلة قصة نجاح أمريكية، سيُصار إلى محاولة إعادة إنتاجها في بؤر مأزومة أخرى وهو ما طبق في العراق، ضمن حدود معروفة وواضحة، مع اختلاف في الدرجة وتماثل في الهدف<sup>(٣٤)</sup>. ويمكننا إيضاح أهم الصحف الالكترونية العراقية التي تصدر حالياً عبر شبكة الانترنت كما في الجدول الآتي:

#### جدول رقم (١)

يوضح أسماء الصحف الالكترونية العراقية على شبكة الانترنت<sup>(٣٥)</sup>

ت	الصحيفة	رئيس التحرير	عنوان الموقع الإلكتروني
١	الاتحاد	فريد روانديزي	www.Alitthad . com
٢	الأمة العراقية	طارق جابر	www.ummai.com
٣	بدر	كريم النوري	www.badrtoday.com
٤	بغداد	علي خصباك	www.baghdad-news.com

٥	البيان	ياسين مجيد	www.albayaniq.com
٦	البيئة	عيسى السيد جعفر	www.al-bayyna.com
٧	البيئة الجديدة	ستار جبار	www.albayyna-new.com
٨	التأخي	بدر خان السندي	www. Taakhinews . org
٩	التضامن		www.altadhamun.com
١٠	الجريدة	قيس العزاوي	www.aljaredah.com
١١	الحياة		www.alhaiat.com
١٢	الدعوة	حسن السعيد	www.addaawa.com
١٣	الدستور	باسم الشيخ	www. daraddstour . com
١٤	الرأي العام	سعد الملاح	www.alrayy.com
١٥	الزمان	سعد البزاز	www. Azzaman . com
١٦	الشرق العراقية	عبدالرسول زيارة	www.alsharqpaper.net
١٧	الصباح	فلاح المشعل	www. Alsabaah . com
١٨	الصباح الجديد	اسماعيل زاير	www. Newsabah . com
١٩	طريق الشعب		www. Tareeqalshaab . com

٢٠	العدالة		www.aladalanews.net
٢١	العراق اليوم	إسراء شاكر	www. iraqalyoum . net
٢٢	كل العراق	عادل المانع	www. Kululiraq . com
٢٣	المدى	فخري كريم	www. almadapaper . com
٢٤	المشرق	فؤاد غازي	www. Al-mashriq . net
٢٥	المنارة	خلف المنشدي	www.al-mannarah.com
٢٦	المواطن	سلام الحيدري	www.almowaten.com
٢٧	المؤتمر	لؤي البلداوي	www.inciraq.com
٢٨	النور	عصام العامري	www.annoor.net

### المبحث الثالث

#### موقعات التفاعلية في الصحف الالكترونية العراقية

#### بالتطبيق على عينة من الشباب الجامعي

على الرغم من الإمكانيات التي توفرها شبكة الإنترنت في موضوع التفاعلية حيث توفر الصحافة التفاعلية إمكانية تعليق القارئ على الخبر فور قراءته، والتواصل مع جمهور القراء ومناقشة الآراء والأفكار، وكذلك بإمكانه إرسال مشاركاته من الأخبار والمقالات ونشرها باسمه الصريح أو المستعار أو عن طريق عمل معرف خاص به يتمكن عن طريقه من إضافة تعليقاته ومشاركاته<sup>(٣٦)</sup>، وعلى الرغم من الإمكانيات الكبيرة التي يمكن ان توفرها الشبكة لتعليم المهارات الصحفية الأساسية لدارسي الصحافة مثل كيفية الحصول على فيض متدفق من الأخبار الصحفية من



#### جدول رقم (٢)

يوضح آراء أفراد العينة في عائق اللغة الأجنبية ونسبتهم المئوية

آراء أفراد العينة في عائق اللغة الأجنبية	عدد	نسبتهم المئوية
دائماً	١٢	٨,٩٥ %
أحياناً	٢٨	٢٠,٩٠ %
لا	٩٤	٧٠,١٥ %
المجموع	١٣٤	١٠٠ %

#### ثانياً: نقص التدريب والتأهيل للتعامل مع شبكة الانترنت:

أوضحت نتائج الدراسة الميدانية ان الغالبية العظمى من أفراد العينة يعانون من نقص التدريب والتأهيل للتعامل مع الانترنت في قراءة الصحف الالكترونية وعدم تعاملهم مع موضوع التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية وذلك لعدم اشتراكهم في منظومات خدمة الانترنت وكما يوضحه الجدول الآتي:

#### جدول رقم (٣)

يوضح آراء أفراد العينة في عائق نقص التدريب والتأهيل للتعامل مع الانترنت ونسبتهم المئوية

آراء أفراد العينة في عائق نقص التدريب والتأهيل	عدد	نسبتهم المئوية
دائماً	١١٧	٨٧,٣١ %
أحياناً	٥	٣,٧٣ %
لا	١٢	٨,٩٦ %
المجموع	١٣٤	١٠٠ %

#### ثالثاً: عدم توافر الإمكانيات الاقتصادية اللازمة ونقص الأجهزة:

مصادر متعددة وفي مجالات متنوعة، وكذلك الحصول على كم كبير من المعلومات والبيانات والأرقام والإحصائيات واستكمالها ومتابعتها، واستطلاع وجهات نظر مصادرها الصحفية، والاتصال بقواعد المعلومات ومحركات البحث وأرشيفات العديد من المنظمات والشركات ووسائل الإعلام والمكتبات، والاستفادة من أدواتها المتعددة للقيام بتغطية صحفية فورية وسريعة للأحداث، ومهارة إجراء حوارات فردية وجماعية مكتوبة ومرئية ومسموعة، وتنفيذ تحقيقات صحفية حول أحداث وموضوعات في مجالات متنوعة ومن أماكن متعددة<sup>(٣٧)</sup>. الا اننا لم نلاحظ وجود للتفاعلية في مواقع الصحف العراقية على تلك الشبكة، وقد أجرى الباحث دراسة ميدانية بتوزيع استمارة استبيان على عينة من طلبة قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة تكريت بلغت (١٣٤) طالب وطالبة لمعرفة المعوقات التي تحول دون استعمال التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية. وقد اشتملت العينة على طلبة المراحل الأولى والثانية والثالثة من طلبة الدراسة الصباحية في قسم الإعلام تكونت من (١٣٤) طالب وطالبة بواقع (١٠٧) من الذكور بنسبة مئوية بلغت (٧٩,٨٠ %) من إجمالي عدد أفراد العينة، أما عدد الطالبات في العينة فقد بلغ (٢٧) بنسبة مئوية بلغت (٢٠,١٤ %) من إجمالي عدد أفراد العينة. وقد توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

#### نتائج الدراسة الميدانية:

أوضحت الدراسة الميدانية أن معوقات التعامل مع شبكة الانترنت وعدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية في رأي طلبة قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة تكريت كانت كما يأتي:

#### أولاً: عائق اللغة الأجنبية:

تبين عن طريق نتائج الدراسة الميدانية ان أغلب أفراد العينة لا يعانون من عائق اللغة الأجنبية في قراءة الصحف الالكترونية كونهم يدخلون على مواقع الصحف باللغة العربية ولكون البرامج المستخدمة في الكمبيوتر هي نسخة عربية من نظام التشغيل، إذ أجاب أفراد العينة على أسئلة الاستبيان بالشكل الذي يوضحه الجدول الآتي:

لا	٢٩	٢١,٦٤ %
المجموع	١٣٤	١٠٠ %

#### خامساً: عدم إقتناع كثير من الزملاء بأهمية قراءة الصحف الالكترونية:

أوضح أفراد العينة ان من بين الأسباب التي تجعلهم لا يقرأون الصحف على شبكة الانترنت هي عدم اقتناع كثير من الزملاء بأهمية قراءة الصحف الالكترونية وكما يوضحه الجدول الآتي:

جدول رقم (٦)

يوضح آراء أفراد العينة في عائق عدم اقتناع كثير من الزملاء بأهمية قراءة الصحف الالكترونية ونسبتهم المئوية

آراء أفراد العينة في عائق عدم اقتناع كثير من الزملاء بأهمية قراءة الصحف الالكترونية	عدد	نسبتهم المئوية
دائماً	٥٣	٣٩,٥٥ %
أحياناً	٤٤	٣٢,٨٤ %
لا	٣٧	٢٧,٦١ %
المجموع	١٣٤	١٠٠ %

#### سادساً: عدم وجود التفاعلية في الصحف الالكترونية بسبب ضعف خدمة

##### شبكة الانترنت:

أشار المبحوثون من طلبة قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة تكريت إلى أسباب عدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية تأتي بسبب ضعف شبكة الانترنت وسقوط الشبكة في أوقات كثيرة، وكما يوضحه الجدول الآتي:

جدول رقم (٧)

يوضح آراء أفراد العينة في عائق أسباب عدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية لضعف خدمة شبكة الانترنت ونسبتهم المئوية

أوضحت نتائج الدراسة الميدانية ان الغالبية العظمى من أفراد العينة يعانون من عدم توافر الإمكانيات الاقتصادية اللازمة ونقص الأجهزة في قراءة الصحف الالكترونية وكما يوضحه الجدول الآتي:

جدول رقم (٤)

يوضح آراء أفراد العينة في عائق عدم توافر الإمكانيات الاقتصادية اللازمة ونقص الأجهزة ونسبتهم المئوية

آراء أفراد العينة في عائق عدم توافر الإمكانيات الاقتصادية اللازمة ونقص الأجهزة	عدد	نسبتهم المئوية
دائماً	١٢٥	٩٣,٢٨ %
أحياناً	٦	٤,٤٨ %
لا	٣	٢,٢٤ %
المجموع	١٣٤	١٠٠ %

#### رابعاً: عدم التشجيع على قراءتها من جانب الزملاء المحيطين:

أشار المبحوثون من طلبة قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة تكريت إلى دوافع عدم قراءتهم للصحف الالكترونية تأتي من دافع عدم التشجيع على قراءتها من جانب الزملاء المحيطين، وكما يوضحه الجدول الآتي:

جدول رقم (٥)

يوضح آراء أفراد العينة في عائق عدم التشجيع على قراءتها من جانب الزملاء المحيطين ونسبتهم المئوية

آراء أفراد العينة في عائق عدم التشجيع على قراءتها من جانب الزملاء المحيطين	عدد	نسبتهم المئوية
دائماً	٥٦	٤١,٧٩ %
أحياناً	٤٩	٣٦,٥٧ %

آراء أفراد العينة في عائق أسباب عدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية لضعف خدمة شبكة الانترنت	عدد	نسبتهم المئوية
دائماً	١٠٢	٧٦,١٢%
أحياناً	٣٢	٢٣,٨٨%
لا	-	- %
المجموع	١٣٤	١٠٠%

#### سابعاً: عدم وجود التفاعلية في الصحف الالكترونية بسبب ضخامة

##### المعلومات المتاحة التي تسبب التشتت وعدم تجديدها:

أشار المبحوثون من طلبة قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة تكريت إلى أسباب عدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية تأتي بسبب ضخامة المعلومات المتاحة التي تسبب التشتت وعدم تجديدها، وكما يوضحه الجدول الآتي:

#### جدول رقم (٨)

يوضح آراء أفراد العينة في عائق عدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية بسبب ضخامة المعلومات المتاحة التي تسبب التشتت وعدم تجديدها ونسبتهم المئوية

آراء أفراد العينة في عائق عدم وجود التفاعلية بسبب ضخامة المعلومات المتاحة وعدم تجديدها	عدد	نسبتهم المئوية
دائماً	٦٦	٤٩,٢٥%
أحياناً	٤٢	٣٥,٣١%
لا	٢٦	١٩,٤٠%
المجموع	١٣٤	١٠٠%

#### ثامناً: عدم وجود التفاعلية في الصحف الالكترونية بسبب نقص المعلومات

##### المتوفرة عبر الشبكة:

أشار المبحوثون من طلبة قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة تكريت إلى أسباب عدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية تأتي بسبب نقص المعلومات المتوفرة عبر الشبكة، وكما يوضحه الجدول الآتي:

#### جدول رقم (٩)

يوضح آراء أفراد العينة في عائق عدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية تأتي بسبب نقص المعلومات المتوفرة عبر الشبكة ونسبتهم المئوية

آراء أفراد العينة في عائق عدم وجود التفاعلية بسبب نقص المعلومات المتوفرة عبر الشبكة	عدد	نسبتهم المئوية
دائماً	٤	٢,٩٨%
أحياناً	٨	٥,٩٧%
لا	١٢٢	٩١,٠٥%
المجموع	١٣٤	١٠٠%

### خاتمة وتوصيات:

لعل من الضروري في ختام هذا البحث ان نؤكد على توصل الدراسة الميدانية إلى ان معوقات التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية تعود بالمرتبة الأولى الى نقص التدريب والتأهيل للتعامل مع شبكة الانترنت في قراءة الصحف الالكترونية بنسبة مئوية بلغت ٨٧,٣١% من إجمالي عدد أفراد العينة. كذلك فان الغالبية العظمى من أفراد العينة يعانون من عدم توافر الإمكانيات الاقتصادية اللازمة ونقص الأجهزة في قراءة الصحف الالكترونية بنسبة مئوية بلغت ٩٣,٢٨% من إجمالي عدد أفراد العينة. وقد أشار المبحوثون من طلبة قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة تكريت إلى دوافع عدم قراءتهم للصحف الالكترونية تأتي من دوافع عدم التشجيع على قراءتها من جانب الزملاء المحيطين بنسبة ٤١,٧٩%.

وقد جاء من بين المعوقات بعدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية عدم إقتناع كثير من الزملاء بأهمية قراءة الصحف الالكترونية بنسبة ٣٩,٥٥% من إجمالي عدد أفراد العينة. بينما أجاب المبحوثون عن سؤال آخر تمثل في عدم وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية لضعف خدمة شبكة الانترنت بنسبة مئوية بلغت ٧٦,١٢% من إجمالي العينة. ومنهم من علل عدم وجود التفاعلية في تلك المواقع بسبب ضخامة المعلومات المتاحة وعدم تجديدها التي تسبب التشبث بنسبة مئوية بلغت ٢٥,٤٩% من اجمالي العينة.

يرى الباحث ان تذليل الصعوبات والمعوقات التي تعترض وجود التفاعلية في مواقع الصحف الالكترونية العراقية ضرورة من ضرورات تطوير تلك الصحف لاسيما وانها تعمل في بيئة جديدة ومضطربة ومتغيرة، وفي ظل مستقبل غير واضح المعالم، فلا تزال مواقع الصحف الالكترونية العراقية تفتقد للكثير من المزايا التي تتصف بها الصحيفة الالكترونية ومن أهمها استخدام التقنيات التفاعلية في تلك المواقع.

ونظرا لأهمية العنصر البشري في ترسيخ مفهوم التفاعلية بشكل خاص ومفهوم الصحافة الالكترونية بشكل عام وتقديم صحف الكترونية منافسة عبر فضاء الانترنت المفتوح فمن المهم تأهيل الكوادر البشرية عن طريق:

- دعم أقسام الإعلام في الجامعات العراقية بتمويل بناء مختبرات للإعلام الرقمي لتوفير برامج تدريس مخصصة للصحف الالكترونية.
- تقديم منح دراسية في الداخل والخارج للمتميزين من طلاب الإعلام وتوجيههم نحو دراسات الصحافة الالكترونية وتطبيقات الانترنت في مجال الإعلام.
- التعاون مع مؤسسات التدريب المختلفة والجامعات لتدريب الصحفيين على رأس العمل في حلقات دراسية وورش عمل حول مختلف القضايا المرتبطة بوسائل الإعلام الجديدة.

كذلك يوصي الباحث القائمين على مواقع الصحف الالكترونية العراقية بالاهتمام بقضية توظيف التقنية وتسارعها لتحقيق التفاعلية في تلك المواقع، فضلاً عن الاهتمام بالمحتوى (المحتوى هو الملك)، حيث أن الصحف على الانترنت تتنافس في بيئة حرة وثرية يجد معها المتصفح نفسه في خيارات وإغراءات غير محدودة، ولا مكان للصحف التي لا تواكب هذه النقلة بمحتوى يتمتع بالعمق والمصداقية والقدرة على جذب المتصفح للعودة لزيارة الموقع مرة أخرى.

## هوامش ومصادر البحث:

- (١) أحمد فضل شبلول: ثورة النشر الالكتروني، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٤، ص ٩.
- (٢) د. حسن عماد مكايي ولبلى حسين السيد: الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨، ص ١٠٦ - ١٠٧.
- (٣) د. حسنين شفيق: الإعلام الالكتروني بين التفاعلية والرقمية، القاهرة، رحمة برس للطباعة والنشر، ٢٠٠٧، ص ٨٥ - ٨٦.
- (٤) د. أسما حسين حافظ: تكنولوجيا الاتصال الإعلامي التفاعلي في عصر الفضاء الالكتروني المعلوماتي الرقمي، القاهرة، الدار العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص ٢١.
- (٥) عبد الوهاب بدرخان: انعكاس حالة الاحتلال على حرية الإعلام: حالة أفغانستان والعراق، بحث منشور في كتاب الإعلام العربي في عصر المعلومات، أبو ظبي (الإمارات)، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٦، ص ٤٩٣.
- (٦) د. محمد عبد القادر حاتم: العولمة مالها. وما عليها، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥، ص ٦٥٣.
- (٧) د. محمد عبد الحميد: البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، مصدر سابق، ص ٣٥٣.
- (٨) د. محمد عبد الحميد: نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٧، ص ٢٠٩.
- (٩) هناء كاظم كاسد: المواد الإخبارية في الانترنت المنشورة في الصحافة العراقية، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت إلى كلية الإعلام بجامعة بغداد عام ٢٠٠٥.

- (١٠) جاسم محمد شبيب: حدود تطبيقات تكنولوجيا الاتصال في الصحافة العراقية مع دراسة لاستخدام الوسائط المتعددة في الصحافة الالكترونية العراقية، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت إلى كلية الإعلام بجامعة بغداد عام ٢٠٠٨.
- (١١) صادق حمه غريب حمه صالح: الصحافة الالكترونية الكردية - دراسة مسحية للصحف الالكترونية الكردية، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت إلى كلية الإعلام بجامعة بغداد عام ٢٠٠٨.
- (١٢) د. نجوى عبد السلام فهمي: التفاعلية في المواقع الإخبارية العربية على شبكة الانترنت - دراسة تحليلية، بحث منشور في المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، المجلد الثاني العدد الرابع أكتوبر/ديسمبر ٢٠٠١، ص ٢٢٣-٢٢٨.
- (١٣) د. نجوى عبد السلام فهمي: مصدر سابق، ص ٢٢٥ - ٢٢٧.
- (١٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٧ - ٢٢٨.
- (١٥) د. حسنين شفيق: الإعلام التفاعلي - ثورة تكنولوجيا في نظم الحاسبات والمعلومات، القاهرة، دار فكر وفن للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ص ٢٠.
- (١٦) قاموس دار العلم التكنولوجي للمعلومات والاتصالات: بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٦، ص ١٥٢.
- (١٧) خالد زعموم والسعيد بو معيزة: التفاعلية في الإذاعة، أشكالها ووسائلها، تونس، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية تصدر عن إتحاد إذاعات الدول العربية، سلسلة (٦١)، ٢٠٠٧، ص ٢٨.
- (١٨) الصادق الحمامي، الإذاعة في عصر الشبكات، نماذج جديدة، متوافر على: [www.radiotunisienne.tn](http://www.radiotunisienne.tn) ١٥/٨/٢٠٠٩
- (١٩) الصادق الحمامي: مصدر سابق.

- (٢٠) عبد الأمير الفيصل: الصحافة الإلكترونية في الوطن العربي، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٦، ص ١١٧.
- (٢١) حسني محمد نصر: الإنترنت والإعلام، الصحافة الإلكترونية، مصدر سابق، ص ٥٤.
- (٢٢) د. محمد منير حجاب: وسائل الاتصال نشأتها وتطورها، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ص ١٣٣ - ١٣٤.
- (٢٣) د. صالح خليل أبو أصبع: الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، عمان، دار أرام للدراسات والنشر والتوزيع: ١٩٩٥، ص ١٢.
- (٢٤) د. حسن عماد مكاوي وليلى حسين السيد: مصدر سابق، ص ٥١.
- (٢٥) سيد غندور ومحمد جلال: استخدام التدريسيين للإنترنت - دراسة تحليلية للاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٤٧.
- (٢٦) د. نجوى عبد السلام فهمي: مصدر سابق، ص ٢٣٥ - ٢٣٧.
- (٢٧) نيكولاس نيجروبونت: التكنولوجيا الرقمية، ترجمة د. سمير إبراهيم شعبان، القاهرة، مركز الاهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٨، ص ٢٩.
- (٢٨) احمد المؤمن: الصحافة الالكترونية في العراق - الواقع والطموح، بحث منشور على الانترنت على الموقع الاتي: <http://www.iraqcenter.net/vb/41020.html>
- (٢٩) خالد محمد غازي: الصحافة الإلكترونية العربية - الالتزام والتجاوز في الخطاب والطرح، أطروحة دكتوراه قدمت إلى الجامعة الأمريكية في بيروت عام ٢٠٠٩ نشر ملخصها وأهم نتائجها على موقع صحيفة ايلاف الالكترونية بتاريخ ٢٤/١٢/٢٠٠٩.

## النهضة الفكرية وأثرها في الصراع مع الآخر

### - نظرة في السرد الروائي -

د. سوسن البياتي

جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

#### ملخص البحث

اشتغل سؤال النهضة على محاولة البحث عن العديد من الأسئلة التي من شأنها إقامة مشروعها، ولعل سؤال العلاقة مع الآخر/ الغربي تحديداً من أكثر الأسئلة إلحاحاً على المشهد الثقافي، ولاسيما إذا ما تمثل هذا السؤال عبر طروحات الروائيين في روايات انبثقت عن فكر تنويري حاول إبراز الوجه القبيح لهذا الآخر، فيما كانت محاولة طمس الأبعاد الحضارية والثقافية والأدبية من المحاولات الأشد ارتعاشاً بالواقع العربي وملامسة له.

ولعل من أبرز الأسباب التي دعت إلى مثل هذه المحاولات هو العداء الفاضح بين تيارين مختلفي الاتجاه والفكر والأسلوب: العربي بفكره التقليدي واتجاهه المحافظ وأسلوبه الديني الرصين، الذي يحاول التمسك بأنماط وأسس ثابتة منذ الأزل، والغربي بفكره الحدائري الذي يعمق شرح الاتجاه العربي ويثبت الأسس الواهية لنظريته المعتمدة.

فكان أن أدى التضاد إلى تصادم قوي بينهما، ولاسيما من الجانب الغربي الذي حاول جاهداً إبراز درجات تفوقه ومحاولة سيطرته على مكامن الإبداع العربي،

(٣٠) د. سليمان صالح: مستقبل الصحافة المطبوعة في ضوء تكنولوجيا الاتصال،

(جامعة القاهرة، كلية الاعلام، المجلة المصرية للبحوث والاعلام، العدد ١٣،  
أيلول ٢٠٠١)، ص ٨٣.

(٣١) د. السيد بخيت: الصحافة والانترنت، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠،  
ص ٢٧ - ٢٩.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(٣٣) د. علي الاعسم: عوامل إنجاح شبكة إنترنت عربية، بحث منشور في مجلة  
المستقبل العربي العدد ٢٢٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧،  
ص ٩٢.

(٣٤) فرنسيس ستونر سوند رز: الحرب الباردة الثقافية، ترجمة طلعت الشايب،  
القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٣ - ٦٠.

(٣٥) نجاح حسن عباس: التفاعلية في المواقع الالكترونية للصحف العراقية اليومية  
- "دراسة مسحية"، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت الى كلية الاعلام  
بجامعة بغداد عام ٢٠٠٩، ص ١٦٤ - ١٦٥.

(٣٦) د. حسني محمد نصر: الانترنت والإعلام - الصحافة الالكترونية، الكويت،  
مكتبة الفلاح، ٢٠٠٣، ص ٥٥ - ٦٠.

(٣٧) د. مجد الهاشمي: تكنولوجيا وسائل الاتصال الجماهيري - مدخل الى الاتصال  
وتقنياته الحديثة، عمان، دار اسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤، ص ١١٨ -  
١٢٤.

فكان الصراع السياسي بينهما واضحاً جداً إلى حد أن دفع هذا الصراع إلى احتلال وغزو بعض البلدان العربية وطمس معالم الهوية العربية فيها وتدمير حضارتها وثقافتها وشخصيتها بالقضاء على اللغة/ الأم وتسييد لغتها على حساب اللغة العربية حسب اللغة المستعمرة وربما كان هذا الصراع هو الأساس الذي قامت عليه النهضة العربية عموماً والأدبية تحديداً.

تحاول هذه الورقة استشفاف الجانب السلبي في هذا الصراع الجدلي "العنيف" بين هذين التيارين، ونظرة كل واحد منهما إلى الآخر، والإحاطة بهذا الصراع وتطوره روائياً، في إحدى روايات توفيق الحكيم التي أثارت هذا الموضوع وغاصت فيه وهي رواية "عصفور من الشرق".

## الاستهلال

شكّل الإطار الفكري المهاد التأسيسي الذي قامت عليه بواكير النهضة الأدبية التي أعلنت صياغة دستورها المعتمد إبان القرن التاسع عشر، من خلال الارتكاز على الواقع واعتماد رؤية نظر قصية تحاول الدخول في شركها، وقد نجمت عن هذه الرؤية أفكار وأسئلة وطروحات نقدية عمّقت الفكر النهضوي وسأيرت ركب الحضارة الجديدة بما أنتجته من معايير وأسس.

اشتغل سؤال النهضة على محاولة البحث عن العديد من الأسئلة التي من شأنها إقامة مشروعها، ولعل سؤال العلاقة مع الآخر/ الغربي تحديداً من أكثر الأسئلة إلحاحاً على المشهد الثقافي، ولاسيما إذا ما تمثل هذا السؤال عبر طروحات الروائيين في روايات انبثقت عن فكر تنويري حاول إبراز الوجه القبيح لهذا الآخر، فيما كانت محاولة طمس الأبعاد الحضارية والثقافية والأدبية من المحاولات الأشد ارتهاناً بالواقع العربي وملازمة له.

ولعل من أبرز الأسباب التي دعت إلى مثل هذه المحاولات هو العداء الفاضح بين تيارين مختلفي الاتجاه والفكر والأسلوب: العربي بفكره التقليدي واتجاهه المحافظ وأسلوبه الديني الرصين، الذي يحاول التمسك بأنماط وأسس ثابتة منذ الأزل، والغربي بفكره الحداثي الذي يعمق شرخ الاتجاه العربي ويثبت الأسس الواهية لنظريته المعتمدة.

فكان أن أدى التضاد إلى تصادم قوي بينهما، ولاسيما من الجانب الغربي الذي حاول جاهداً إبراز درجات تفوقه ومحاولة سيطرته على مكامن الإبداع العربي، فكان الصراع السياسي بينهما واضحاً جداً إلى حد أن دفع هذا الصراع إلى احتلال وغزو بعض البلدان العربية وطمس معالم الهوية العربية فيها وتدمير حضارتها وثقافتها وشخصيتها بالقضاء على اللغة/ الأم وتسييد لغتها على حساب اللغة العربية حسب اللغة المستعمرة وربما كان هذا الصراع هو الأساس الذي قامت عليه النهضة العربية عموماً والأدبية تحديداً.



١- في مفهوم الأنا والآخر: الشرق والغرب.

٢- النهضة الفكرية وملامح التطور الروائي.

٣- عصفور من الشرق: نقطة الصراع.

### أولاً: في مفهوم الأنا والآخر: الشرق والغرب.

يمثل النص الروائي بمجموع تشكلاته خطاباً جمالياً على قدر عالٍ من الإبداع، بما يتضمنه من ملامح معرفية وفكرية وجمالية ودلالية، وبما يستوفيه من تقانات سردية تشتغل فيه على مستويات عدة، ولعل صياغة العلاقة الجدلية القائمة بين الأنا والآخر تمثل إحدى المقولات الأهم في مشروعه النقدي، ففي الرواية ((يمتزج التخيل بالوقائع والمتعة بالقلق نتيجة رؤية النفس في المرأة، وشيئاً فشيئاً أصبحت الرواية العربية التي تقصد نماذجها الجادة والواعية لخصوصيتها الاستثنائية، مجالاً لمكاشفة الذات واجترار الحوار وطرح الأسئلة الصعبة عبر الرصد التفصيلي لتغيرات المجتمع والإنسان والفضاء. وهذا ما يجعل التساؤل عن مستقبل الرواية العربية، في الآن نفسه، تساؤلاً عن علاقتنا بـ"الآخر" وعن تصوراتنا النظرية لأسس الرواية التي اكتسبت حدوداً وإمكانات واسعة عبر التجارب الكثيرة والمتنوعة لمختلف الروائيين في العالم))<sup>(١)</sup>.

ويرتبط الآخر بالأنا ارتباطاً وثيقاً ذلك أنه لا يمكن النظر إلى الآخر إلا بمنظور الأنا، ولا تتشكل العلاقة مع هذا الآخر إلا بما تقتضيه ملامح الأنا من التطور والفهم والإدراك المعرفي والجمالي.

فالأنا عبارة عن ((مجموعة القيم الأصيلة والمبادئ العليا التي جاء بها الدين الإسلامي، إضافة إلى التجربة التاريخية التي قام بها المسلمون، على هدى تلك القيم والمبادئ.. فحينما نستخدم مصطلح الأنا أو الذات فإن المقصود من ذلك هو القيم

لقد واجه النهضةيون الأوائل أمثال: الطهطاوي واليازجي والشدياق ومحمد عبده وغيرهم - ممن اندمجوا في الحياة الغربية - هذه المشكلة ولم يجدوا حلاً لها سوى التعمق في المفاهيم والآراء الثقافية التي أنتجت المجتمعات الغربية، وكان من أسباب تطورها السريع وتفوقها المفاجئ على العرب، واستطاع الفكر النهضةي الغربي أن تثمر ثقافته عن نجاحات لا حد لها - على الرغم من أنها أولاً وأخيراً استلهمت هذا الفكر من العرب أنفسهم -، فأين يكمن سرّ الإبداع والتفوق الغربي أمام التراجع العربي؟.

إنها في النقاط كل ما هو جوهري وأساسي للفكر العربي، فلقد عمل الغرب على الإفادة من كل ما يمت بصلة إلى الثقافة، وأعطت الأمور الصغيرة اهتمامها إلى جانب الأمور العظام فكان أن أجادت ثم تفوقت ثم غدت مسيطرة على الفكر الآخروي/ العربي في نظرها.

تحاول هذه الورقة استشفاف الجانب السلبي في هذا الصراع الجدلي "العنيف" بين هذين التيارين، ونظرة كل واحد منهما إلى الآخر، والإحاطة بهذا الصراع وتطوره روائياً، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن هذا الصراع - في البدء - كان متمثلاً بالاستعمار التركي ومن ثم تحول إلى صراع مع الآخر الغربي/ الأوربي تحديداً لنصل في النهاية إلى إبراز الوجه (الإسرائيلي) المنبوذ جسداً وصورةً في الفكر الروائي.

وسنحاول دراسة هذه الجدلية عبر الصراع مع المفاهيم والأفكار والطروحات التي أتى بها الغرب، وحاول العرب إشاعتها في جانبها الإيجابي ومحاربة الجانب السلبي منها واستثمار هذه الجدلية عبر روايات تَطَرَّ فيها أدباؤنا إلى هذا الآخر على أعقاب النهضة العربية التي أمدت الفكر العربي بسلاح تنويري وهاج أساسه التمسك بالعادات والتقاليد العربية الإسلامية ومحاربة كل ما من شأنه ترزعزع هذه القيم والمبادئ من خلال التطرق إلى أبرز المحاور التي يمكن أن نجد فيها ضاللتنا في البحث المشروع عن العلاقة الوهمية - حسب مصطفى سعيد بطل رواية موسم الهجرة إلى الشمال - بين الشرق والغرب وكيف تم إقامة الأسس الواهية لمثل هذه العلاقة، ومن أبرزها:

هل الشرق جغرافياً؟ هل الشرق مجرد مكان؟ هل الشرق فضاء يحتوي؟ هل هو محتوى لتسمية تدل على أن شيئاً ما هناك؟ هل هي تسمية لها بعد حضاري، أو ثقافي أو سياسي أو إنساني؟<sup>(٤)</sup>.

أمام هذا الكم الهائل من الأسئلة الخاصة بالشرق يظهر الآخر بفضائه الجغرافي والسردى الثابت، وقد وقف بكل جبروته أمام هذا الشرق متحدياً، فعندما يشير الإنسان إلى الغرب فإن الإشارة وحدها كافية لتحديد الماهية الجغرافية لهذه التسمية التي لا تستدعي مثل هذا الخلط فهو محدد جغرافياً وأيديولوجياً كما هو محدد سردياً.

ولقد أحدث الصراع بين الأنا والآخر/ الشرق والغرب بحثاً عن سؤال الهوية الضائعة، هوية الأنا العربي الشرقي أمام هوية الآخر الغربي بكل مفاهيمه، ولاسيما أن محاولات النيل والاحتقار والتقليل من الشأن سمة يسم كلا الطرفين، فالمعادلة الآتية تكشف عن محاولة الآخر الغربي النيل من الأنا الشرقي الذي يمثل - في منظوره - الآخر الذي يجب محاربته ولاسيما إذا كان هذا الآخر معروفاً بعادته الأزلي للنا العربي، ونعني به العدو الإسرائيلي الذي برز أولاً في صورة اليهودي المتمثل بشخصية التاجر الغني، القبيح الصورة، واليهودية المتمثلة بصورة المومس القبيحة، وبمرور الوقت تحولت هذه النظرة إلى صورة أخرى اكتسبتها من محاولات التسلط والاستعلاء وأساليب القتل والتعذيب التي كان يمارسها هذا العدو، وهي صورة متلازمة، ملتبسة بالواقع ومحددة بإطار لا يخرج عن حقيقته الواقعية...

فالأنا - وفق منظورنا السردى - بقي محافظاً على مكانته وفضائه وروحه السردية من دون أن يشكل الآخر، وهو واحد لا يتعدد - كما هو الحال بالنسبة للآخر - فإذا ماتمثلنا الأنا فإننا بذلك نشير إلى الأنا العربي المتمسك بفضائه الشرقي، فيما تعدد الآخر واختلف، إذ ((تمثل في صورته الأولى بالاستعمار التركي، ثم الغربي -

المعيارية المتعالية على الزمان والمكان مع تجربة إنزال تلك القيم المعيارية المطلقة على الواقع النسبي والمتحرك والمتغير...<sup>(٥)</sup>.

فيما يتحدد الآخر بأنه: ((مجموع القيم والمبادئ الأساسية التي جاء بها الغرب الحضاري، إضافة إلى التجربة التاريخية التي قامت بها شعوب العالم الغربي عموماً، انطلاقاً من تلك القيم، وعملاً باتجاه إنزالها في الواقع الخارجي...))<sup>(٦)</sup>.

فالأنا والآخر - وفق المفهومين المتداولين آنفاً - ماهما إلا مجموعة قيم خاصة بثقافة معينة، فعندما تتجه نظرة الأنا إلى القيم التي جاء بها الإسلام فإن هذه النظرة إنما تنطلق من الخصوصية الثقافية الإسلامية - وهذه الخصوصية لها علاقة بالاتجاه الحضاري الذي تستند إليه هذه الثقافة، وقد أطلق على هذا الاتجاه بالشرق، فالشرق يشكل كل ما يمت بصلة بالمجتمع المسلم، العربي تحديداً، بينما تتجه خصوصية الثقافة الغربية إلى الغرب حيث يمثل السلبية التي يتجاوزها الإسلام، فبين الخصوصيتين قيماً ومعايير أخلاقية وفكرية ومنظومات معرفية وسياقات جمالية متباينة ومختلفة، يتقاطعان غالباً، ونادراً ما يلتقيان، وعلى أثر هاتين الخصوصيتين الثقافيتين برز مفهوم الشرق والغرب، اللذان ولدا ثغرة كبيرة في التحديد الجغرافي لهما، ولاسيما فيما يخص الشرق، من أين يبتدئ وأين ينتهي؟ يقول عبد الحميد المحايدين وهو بصدد الحديث عن إشكالية البحث الجغرافي للشرق:

((تظهر تقنية الفضاء ذات إيهام واسع وشمولية لا تقبل التحدي، بل قابلة للاختراقات وتشرح نفسها لأكثر من واقع وقد ظهرت جملة من يملك الشرق يملك العالم...، في صفحة مستقلة ومن هنا كان الدخول في فضاء إشكالي... من وجهة جغرافية ومن وجهة نفسية... ما الشرق؟ ما الحدود التي اقترحتها هذه التسمية... من أين تمتد هذه الفضاءات وإلى أين تنتهي... هل الشرق تسمية نسبية تصح أن تكون في مقابل الغرب؟ هل هي تسمية ثابتة، دون ارتباطها ببعد خارجها؟ هل الشرق سمات؟

الغيرة عند العرب ممن شحذوا الهمم ورأوا أن نهوض الأمة لا يكون إلا بنهوض عقلية مبدعها ومفكرها، وأن القرون الأربع التي تفصل بين النهضة العربية والأوروبية أثارت العديد من الأسئلة ((ففي إطار مشروع النهضة العربية، مازال السؤال المركزي الذي طرح في القرن الماضي، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ أو لماذا تقدم الغرب وتأخر المسلمون؟ يشكل النقطة الجوهرية لغالبية الجهود المعرفية والسياسية التي تحاول بلورة المشروع النهضوي، وتوضيح مقاصده، وتحديد آليات عمله وآفاقه المنظورة والبعيدة))<sup>(٨)</sup>.

لقد ولد هذا السؤال اختلاط الأبعاد السياسية بالأبعاد الثقافية والفكرية، وأخذ رواد النهضة العربية الحديثة بالتعمق في أسباب النهضة الأوروبية ومن ثم اختزال هذه الأسباب وتوليدها لصالح النهضة العربي، فالنهضة الأوروبية ((تحققت وأنجزت ونضجت وخرجت من رحمها الحداثة، وأصبحت المرجع الكوني لحضارة الإنسان. أما الثانية فلم تحقق بعد، وهي بالتالي في حركة عسيرة بحثاً وتساؤلاً ومداً وجزراً على حساب مرحلة زمنية طويلة نسبياً مآلها الوحيد بلغة التاريخ أن العرب والمسلمين في العهدين الحديث والمعاصر لم يخرجوا من فلك الغرب بما هو صانع للنهضة والحداثة والاستعمار وما بعد الحداثة وما بعد الاستعمار))<sup>(٩)</sup>.

وعلى أثر هذا التحول الفكري بدأت ملامح الفكر النهضوي تتوالد رويداً رويداً، وعلى أثره تشكلت ثمرة ولادة الفن القصصي بمفهومه الحالي، بدءاً من رحلات رفاعة رافع الطهطاوي إلى باريس (١٨٠١-١٨٧٣) ومادونه في كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" من وصف لمشاهداته هناك، وهو مشروع يقوم في أسسه الأولى على جدلية البحث في الآخر، مروراً بكتاب "علم الدين" (١٨٨٣) لعلي مبارك الذي يمثل النواة الروائية الأولى لهذا الفن في الموروث الأدبي العربي في العصر الحديث، وتعد رواية تعليمية تطرح موضوع اللقاء الحضاري الذي تم بين المجتمعين/

الأوروبي - الذي سيأخذ هذا الصراع معه أبعاداً جديدة<sup>(٥)</sup>، وليتحول في الأخير إلى الاستعمار الصهيوني بأوجهه المتعددة وصورته القبيحة المرفوضة.

## ثانياً: النهضة الفكرية وملامح التطور الروائي.

جسدت الحضارة العربية الإسلامية - في مفهومها الأولى - صورة العلاقة المستمرة بين الحضارات المتجاورة - اليونانية والرومانية والفارسية والهندية، وكانت ثمرة هذه العلاقة الحية تلك الإبداعات العقلية التي أنتجت الحضارتين وتداولتها فيما بينها على أساس المنفعة المتبادلة، فالتفاعل بين الحضارات هو الذي أسس العلاقة بين الموروث والوافد/ النقل والعقل/ علوم العرب وعلوم العجم، فهي بلغة التعميم المعاصر العلاقة المزدوجة بين الأنا والآخر<sup>(٦)</sup>.

مرّت الأمة العربية بالعديد من النكسات كان لها أثرها في تزايد الأطماع العدوانية الاستعمارية عليها، ولم تكن حملة بونابرت على مصر عام (١٧٩٨-١٨٠١) النكبة الأولى التي زادت من حدة التوتر في العلاقة الثنائية بين الشرق والغرب بقدر ما مثلت حالة النكوص الأولى بعد اللقاء الذي تمّ بينهما، كما أنها لم تكن ((تمثل اللقاء التصادمي الأول بين الشرق والغرب، وعلى رغم ذلك، فإنها بحكم شرطها التاريخي، وحجم الصدمة التي أحدثتها، وما استولدت من شعورٍ بأخطار وتحديات تواجه الذات القومية، كانت كفيلة بتفجير سؤال الهوية بصورة غير مسبقة في تاريخ العرب))<sup>(٧)</sup>.

وتوالى على الأمة المحن، فكان من الطبيعي أن تستفيق وتنهض من سباتها العميق، فكانت جدلية العلاقة بين الأنا/ العربي والآخر/ الغربي من أبرز القضايا التي استوعبتها عقلية تلك الحقبة الثقافية، ولاسيما أن العرب بدأت تدرك سرّ هذه العلاقة وهي تنظر إلى الآخر المتفوق دوماً - في نظرها - فالمشروع الفكري النهضوي الذي سارت عليه الدول الأوروبية في القرن الخامس عشر كان كفيلاً بإيقاد شعلة

الاستعماري والاحتكار والهيمنة... الخ، ومظهر يمثل الحداثة والتقدم بكل قيمهما العصرية والمادية والمعنوية كالتقنية والعلم والديمقراطية والحرية... الخ، ومن هنا كان الغرب، ولا يزال، بالنسبة إلى العرب: العدو الذي يجب الاحتراز منه والوقوف ضد مطامعه وسيطرته من جهة، والنموذج الذي يغري باقتدائه والسير في ركابه من جهة ثانية))<sup>(١٢)</sup>.

تعددت الآراء في الريادة الروائية - إذا ما أردنا توصيفاً دقيقاً على غرار الريادة الشعرية- بين رواية "زينب" لمحمد حسن بن هيكل الصادرة عام ١٩١٤ و"الأجنحة المتكسرة" لجبران خليل جبران الصادرة عام ١٩١٢، فيما ذهب بعض مؤرخي الرواية العربية إلى أن التوصيف الدقيق للفن الروائي إنما جاء في رواية "عودة الروح" لتوفيق الحكيم والصادرة عام ١٩٣٣، منطلقين في هذا التحديد إلى عدم اكتمال مقومات الفن الروائي في رواية "زينب" فضلاً عن الخلط الاجناسي الذي وسم به هيكل روايته بأنها رواية تارة وقصة تارة أخرى وسيرة ذاتية من جهة ثالثة، وقد عبرت اليمنى العيد عن هذه الإشكالية بقولها: ((لم يفصح مؤلف "زينب" عن السؤال المتعلق بالجنس الأدبي الذي ينتمي إليه، بقي هذا السؤال مضمراً في العنوان الموضوع على الغلاف، كما في التنويع الاشاري الوارد في الإهداء والمقدمة. فهو مرة يصف كتابه بأنه رواية، وأخرى بأنها قصة، ثم يوحي بأن ما عبر عنه هو سيرته الذاتية...))<sup>(١٣)</sup>.

وأياً كانت الآراء والانتقادات فإن البداية الفعلية التي كرست أثر النهضة في تطور ملامح الفن الروائي إنما تنطلق من هذه البدايات الروائية أولاً، ومن تحديدها الموضوعي الذي يسم العلاقة بين الأنا/ الشرق والآخر/ الغرب من جهة أخرى، وكأن قدر الرواية العربية أن تحمل همّ هذه الثنائية في رحمتها...

وفي هذه الروايات بدأت الملامح الأولية بصورة الصراع مع الآخر بالتبلور، أو بتعبير آخر - بدأت آثار الهزيمة تظهر على الذات العربية وتتجسد روائياً في

العربي والأوروبي، وضعها على أسس وأطر تحتضن البنية القصصية أسلوباً لها، لما لهذا الفن من أثر، فضلاً عن كتاب "حديث عيسى بن هشام" للمويلحي<sup>(١٠)</sup>، ولكن مما يؤخذ على هذه الكتب إنها استنفذت طابعها الروائي وسيطر عليها الطابع الفكري/ العقلاني أكثر من الطابع الأدبي، وكان الهدف منها إقامة علاقة المصالحة بين الحضارتين: الشرقية والغربية، وقد برزت فيها صورة الآخر بشكلها المتفوق دوماً قبل أن تتحول هذه الصورة الثنائية إلى صورة العدو اللدود الذي يجب محاربته...

لقد نشأت الرواية العربية وتطورت في القرن التاسع عشر مع هذه البدايات، وكانت منذ نشأتها ((مجالاً لهاجس العلاقة بالغرب، وظلّ هذا الهاجس حاضراً فيها ومؤثراً في بنية خطابها، عبر مراحل تطورها المختلفة، منذ المحاولات الجينية الساذجة والمباشرة، وحتى أحدث التجارب التي تتسم بالجرأة والمغامرة الفنية من ناحية، وبرؤية متميزة من ناحية ثانية))<sup>(١١)</sup>.

وبمرور الوقت - ولاسيما بعد السيطرة الاستعمارية شبه الكلية- على العديد من أقطار الوطن العربي - بدأت الفجوة تكبر بين الأنا/ العربي والآخر/ الغربي، وبدأ الفكر النهضوي العربي يناهض الغرب بما يمتلكه من أسس أيديولوجية وفكرية وصيغ حوارية تدلل على ضعف العقلية العربية من جهة وازدواجية فهمها للحضارة الغربية من جهة ثانية.

انطلقت الآراء والتحليلات النقدية داعمة الفكر النهضوي الحديث، ومساندة إياه في تعبيره المباشر والدقيق عن الواقع العربي، ولاسيما ما عبرت روايات تلك الحقبة من نقد للواقع ومشروعية إقامة علاقة وهمية بين الأنا والآخر، فالفن الروائي لم يكن له أن يتطور ويرتقي إلى هذا المستوى العالي من الإبداع لو لم يتأثر بصدمة اللقاء مع الغرب الذي ((لم يكن يقدم نفسه في صورة واحدة، بل لقد كان ولا يزال يحمل بالنسبة إلى مشروع النهضة العربية مظهرين متناقضين: مظهر يمثل العدوان والغزو

## ثالثاً: عصفور من الشرق: نقطة الصراع.

بدأ الاهتمام بالآخر مع البدايات التأسيسية الأولى لحركة النهضة العربية الحديثة وما رافقته من تطور في الوعي العربي، الذي أخذ يتساءل عن الدور المركزي لوجود هذا الآخر وعلاقته بالذات العربية، هذه العلاقة التي نمت وتطورت في ظل الصراع بين الطرفين، بين قطبين متضادين، الأول يتمسك بمادية الحياة الباذخة وقشورها بما فيها من لهو ولذة وإغراءات وخداع ومكر، والآخر يتمسك بروحانية المبادئ والقيم التي يعلن عنها دينه وعقيدته الفكرية الخالصة، هذا الصراع كان المحور الأساس الذي قامت عليه أحداث رواية "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم الصادرة عام ١٩٣٨، والتي أنتجت في ظل النهضة العربية وعُدَّت إحدى روايات هذه الحقبة، لما لها من مساس مباشر بالقضية المطروحة التي تفاعلت مع ثنائية الشرق والغرب والنتيجة التي وصل إليها الاثنان مع تطور علاقاتهما، إلا أن إحساس أحدهما بالنرجسية والآخر بالدونية كانت تغلف هذه العلاقة من الخارج والداخل، تمثل الخارجي في الصراع بينهما ومحاولة كل طرف النيل من الآخر بالتجريح والاحتقار، فيما تمثل الداخلي برفض كل ما يمت بصلة بهذا الآخر، لذلك ((كان الإحساس العميق بالتصادم، أو بالأحرى بالصراع، بين "مادية" حضارة الغرب و"روحانية" حضارة الشرق هو الأساس الذي تنهض عليه بنية الرواية...))<sup>(١٥)</sup>، وتمثل هذا الصراع في "محسن" العصفور القادم من الشرق الذي يشكل المحور الذكوري في الرواية فيما تمثلت "سوزي ديبون" المحور الأنثوي فيها...

وأول ما تتحدد العلاقة وتظهر بوضوح في عنوان الرواية "عصفور من الشرق" حيث أن المعادلة السردية تحتم وجود طرف آخر مغاير أو مناقض للطرف الأول وهو الغرب، وعلى هذا الأساس تنهض البنية السردية لأحداث الرواية التي تتجسد في نقطة التقاء الشرق بالغرب في العلاقة التي جسدها الفضاء الروائي المتمثل في باريس

صورة الآخر المتفوق على الدوام ((وهكذا نجد الروائي العربي يبحث عن وجوده في الآخر وقد صاحب هذا البحث عقدة الانتقال من الآخر الذي احتواه في الفترة الاستعمارية. ولا يزال محتلاً لأعلى جزء من الوطن العربي. وتحولت العلاقة تدريجياً مع تطور النموذج الروائي واتساع الرؤية الفنية حيث تجاوز الكتاب الثنائية الأنا/الآخر، وأضحت صورة الآخر تعالج كموضوع يمارس فيه البطل المثقف المهزوم في وطنه أو المنفي عن رؤيته النضالية، ويجري فيه قراءاته التاريخية الواقعية حول مصير العلاقة بين الشرق والغرب، بين اليهود والعرب. وهنا لجأ الروائيون إلى تصنيف آخر، ثم حاول البعض الاهتمام بقاء الآخر على أرض الوطن بعد أن كان اللقاء في باريس، وروما، ومديد، ولندن وغيرها...))<sup>(١٤)</sup>، فلقد كان الانبهار بالغرب والحضارة الغربية أول نقاط التصادم، ولأسيمًا أن الشرقي كان مشروع انتقال دائم إلى هذا الغرب، حتى تحولت العلاقة فيما بعد إلى أن يكون الغرب القادم إلى الشرق الرؤية الجديدة المغايرة للمألوف، وتعدد مستويات الخط الانتقالي بين المدن الغربية أضحت مستوى آخر مطلوب من الروائي، فبدأ الصراع - من هنا تحديداً - من انتقال المسار السرد في روايات الصراع مع الآخر - إذا ما أردنا لها تسمية معينة منعاً للالتباس - أي أن الصراع بدأ من الشرق واستمر في الشرق أيضاً - ولن نقول انتهى - لأنه مازال قائماً بين الاثنين وإن اتخذ صوراً أخرى تعكس سلبيتها وازدواجيتها.

انتقال "محسن" من البيت الريفي الذي كان يقطنه إلى فندق "زهرة كلارسيا" حيث تسكن "سوزي"، فهو انتقال من فضاء مكاني إلى فضاء مكاني آخر، وكأن هذا الانقطاع والاختفاء هو عهد حياة جديد سيعيشها "محسن" فيما بعد، فتحول "محسن" من الفضاء السردى المشبع بالحنان والصدقة إلى فضاء سردي آخر يتجاوز الاتصال فيه حدّه بين اتصال روحي يربطه بـ"سوزي" الحبيبة التي استطاع الوصول إليها بعد طول معاناة أولاً واتصال ذهني/ فلسفي يربطه بـ"إيفان" العامل الروسي، وفي هذا الاتصال بالذات يصل الصراع مع الآخر ذروته ولاسيما أن "إيفان" شخصية متمردة على واقعها، اغتُر بروحانية الشرق والحضارة الشرقية والأديان الشرقية، وسفّه كل ماديّات الحضارة الغربية؟! ولا نريد الخوض في مسألة العلاقة القائمة بين "محسن" وعائلة "أندريه" لأنها قائمة على مبدأ الصلح ولم يكن ثمة صراع بينهما.

ينطلق الصراع مع الآخر بعد أن يكون "محسن" قد وصل في علاقته بـ"سوزي" إلى الدرجة القصوى من العلاقات العاطفية التي تربط الرجل بالمرأة، هذه العلاقة تستند أساساً إلى الروح الشرقية المتمثلة بالحب والغيرة والحفاظ على المحب وصونه، وهي علاقة سردية متشابكة وشائكة يأبأها الغرب المتمثل بـ"سوزي" التي وجدت في علاقتها به مجرد قضاء وقت الفراغ واللهو والعبث بالمشاعر الانسانية السامية شأنها شأن غيرها من فتيات أوروبا وريماً كان وصف "أندريه" لـ"سوزي" إنما كان تعبيراً صارخاً عن وصف الحضارة الغربية برمتها يقول: "أندريه":

((أرأيت؟... إنها فتاة ككل الفتيات!... وعاملة كآلاف العاملات.. تلك التي أسكنتها قصراً من قصور ألف ليلة وليلة، وجعلتها تنظر من عليائها، إلى مواكب الناس المتدفقة تحت شباكها... آه أيها الصديق!... اقتنعت الآن أن الأمر أقل

حيث موطن الآخر/ الغرب القادم إليه هذا العصفور الشرقي أولاً ثم في استمرارية الحضور السردى لهذا الآخر - بهذه الكثافة - وتفاعله في مجتمع الآخر يقيم علاقاته الانسانية معهم إما بالصلح كما في علاقته بـ"أندريه" وعائلته أو في علاقته بالعامل الروسي "إيفان" أو بالمهادنة والخداع كما في علاقته مع "سوزي".

اشتغلت الرواية على مقولة الآخر، وفاعلية الذات العربية معه ضمن بيئته الغربية، حيث الفضاء الأوسع والموائم لمثل هذا اللقاء الحضاري.

فالشخصية الرئيسة التي يضطلع بدور البطولة في هذه الرواية هو "محسن" الرجل القادم من الشرق أو مايسمونه في الرواية/ العصفور الشرقي، وهي تسمية افترضتها العقلية الغربية بدهاءٍ ومكرٍ ولاسيما أن مثل هذه التسمية - حسبما يبدو - من التسميات المتداولة في الغرب بدليل أن الشخصيات التي تمثل دور التضاد مع هذه الشخصية تطلق هذه التسمية كلٌّ من منظوره الخاص ومن دون أن يكون هناك لقاء بينها فـ"أندريه" الصديق الحميم لـ "محسن" يناديه بـ: ((آه أيها العصفور القادم من الشرق))<sup>(١٦)</sup> و((أيها العصفور الشرقي))<sup>(١٧)</sup> و((أين عصفور الشرق))<sup>(١٨)</sup>، وتصفه والدته بـ((عصفور الشرق))<sup>(١٩)</sup>، وهو يصف نفسه بـ((الصعلوك القادم من الشرق))<sup>(٢٠)</sup> عبر منلوج يثير لديه الإحساس بتفوق الآخر عليه وهو في فضاء الأوبرا حيث البذخ والإغراق في الترف البائد على ملامح الآخرين أغلبهم من سرة الأمريكان.

نجد الاختلاف البين بين هذه الأوصاف وبين عنوان الرواية الخارجي، إذ إن عملية التعريف السردية التي تحيط بهذه الأوصاف لها دلالتها المقصودة، دلالة الارتباط العائلي الذي يتم بين أطراف العملية السردية "محسن" من جهة وعائلة "أندريه" من جهة أخرى ولاسيما أن هذه الأوصاف تختفي بمجرد ما يتم الانقطاع في هذه العلاقة مع دوام استمرار الصداقة بين الاثنين، فالانقطاع إنما تم عن طريق

خطراً مما كنت تتصور، وأن وقوع امرأة بين ذراعيك مسألة بسيطة، لا تحتاج إلى كل هذا الوقت، إلى كل هذه الخيالات والتأملات؟! (...))<sup>(٢١)</sup>.

يصل الصراع ذروته بين "محسن" و"سوزي" أو لنقل بين فكرتين متضادتين تمثل أحدهما الشرق بكل مايمثله من صلاحيات الامتلاك والغيرة بدافع الحب، ويمثل الآخر الغرب الذي يقاوم هذا الحق بدافع من الأنانية، ينهار الأول فيما يبقى الآخر صامداً، يتكلم الأول ويثور في لحظة دفاع مستميتة عن هذا الحق من دون أن يكون هناك أي أثر ظاهر على الآخر، الذي يبقى صامتاً وصمته هو السلاح الرابع في معركته مع الآخر الشرقي. ففي مشهد سردي يلتقي فيه الاثنان في الحفلة الأولى للرواية الجديدة وهما على وئام تام يظهر فجأة شاب فرنسي جميل الطلعة تلتقي نظراتهما "سوزي" والشاب الفرنسي فيتغير ملامح كل واحد منهما، يصل الحدث السردى ذروته عندما يلاحظ العصفور الشرقي هذا التغيير، هنا نرتكن إلى الأسلوب الغربي في مثل هذه المواقف وكيفية التعامل مع الآخر/ الشرقي، إذ لانجد أدنى صراع بين الاثنين مادام هما من قطبين متشابهين، يبرز الصراع ويحتدم بين الأنا العربي "محسن" والآخر/ الغربي "سوزي" ولاسيما أن هذا الأخير حريص كل الحرص على الإبقاء على صورته المشرقة أمام الآخر المماثل، فيصف الراوي موقف "محسن" وصراعه الحاد في التشبث بآخره الغربي "سوزي":

((إنك تحمليني من الإذلال مالا أطيع!... نعم، ينبغي أن أقول لك: إن ماتصنعين بي الآن لكثير، وليس الذي يعينني من الأمر هذا الحب الهائل، الذي ظهر فجأة الساعة فسحرك، وجعل منك تمثالاً من الشمع، فأنت حرّة في شؤون عواطفك، ولا يدفعني إلى هذا الكلام ألم أو غيرة... حقيقة إن حالي الآن لا تدعو إلى الاغتياب والارتياح، ولكني أنا أيضاً حرّ في شؤون عواطفني!... ما أسالك عنه الساعة هو أن تفكري قليلاً في أمر موقفي، وأن تنفذي على الأقل المظاهر، وأن

تعامليني في شيء من البر والكرم، وألا تجعليني ذليلاً أمام حبيبك أو خليلك، إلا إذا كنت تقصدين ذلك، وكان هذا هو السبيل، الذي ترتفعين به في نظره، وتصلين به إلى عنايته وحسن التفاته! (...))<sup>(٢٢)</sup>.

إن النص طويل وهو ماحدا بنا إلى استشهاد بجزء منه يفتح أمامنا الإمكانات السردية في تحليل محتواه ولاسيما إذا كان يمثل الوجه الأنسب لإبراز صورة الصراع مع الآخر وكيف يتم التعامل سردياً مع هذا الصراع والموقف الذي يمكن أن يجد فيه الشرقي نفسه محاطاً بأسوار الإذلال الغربي المتعمد له. يهرب "محسن" من المواجهة - فليس هناك حل آخر غير الهروب - وهو مايكشف في جانب منه على تراجع الحضارة الشرقية أمام إنهار الحضارة الغربية حتى وإن كانت الوسائل والغايات التي تقدمها هذه الحضارة تنافي ما هو معهود عليه ومتعارف بل ومتداول في الحضارة الشرقية، يكتشف "محسن" إن هذا الآخر الذي تشبث به بإصرار حاد ما هو إلا ((غادة شقراء غادرة ولعوب، جميلة وأنانية، لايعنيها إلا نفسها واستعباد غيرها مثلها مثل تلك "القارة الشقراء" التي ترمز إليها، أوروبا، "بنت آسيا وأفريقيا" التي أنكرت أبويها وكافأتهما على إنجابهما إياها بوضع الأصفاذ في أقدامهما، وألهبت ظهريهما بسياط عبوديتها وبهرت عيونهما ببهرج "مدينتها الخلابّة" ولوثت صفاءهما الروحي بماديتها الخسيسة. وتماماً كما فهم العصفور الشرقي "محسن" أن "فتاته الشقراء"، التي توجهها ملكة على عرش قلبه، لاتعدو أن تكون غانية "مجبولة بطين المكر والخداع"، "لاهية، عابثة، مادية، أنانية، لا تعرف غير حياة الواقع، ولا تحب الحياة إلا في الحياة".))<sup>(٢٣)</sup>.

في رسالة بعثها "محسن" إلى "سوزي" يعاتبها، ويصف فيها حاله والمآل التي وصل إليها بعد انقطاع علاقته بها، وهي رسالة طويلة نوعاً ما يبين فيها فلسفته ووجهة نظره في العلاقات الانسانية التي يمكن أن تربط قطبين نقيضين ومتضادين،

من الغرب إلى الغرب/ من الروسي إلى الآخر الأوروبي، وهما خطابان يقول في إحداهما:

((- أنبياءكم أنتم؟!... نعم هذا من الجائز!... إن الشرق قد حل المعضلة في يوم ما... هذا لا ريب فيه، إن أنبياء الشرق قد فهموا أن المساواة لا يمكن أن تقوم على هذه الأرض، وأنه ليس في مقدورهم تقسيم مملكة الأرض، بين الأغنياء والفقراء؛ - فادخلوا في القسمة "مملكة السماء"، وجعلوا أساس التوزيع بين الناس "الأرض والسماء" معاً: فمن حرم الحظ في جنة الأرض، فحقه محفوظ في جنة السماء! هذا... هذا جميل!... ولو استمرت هذه المبادئ، وبقيت هذه العقائد حتى اليوم، لما غلى العالم كله في هذا الآتون المضطرب، ولكن "الغرب" أراد هو أيضاً أن يكون له أنبياءه "الذين يعالجون المشكلة على ضوء جديد، وكان هذا الضوء منبعثاً هذه المرة، من باطن الأرض، لا آتياً من أعالي السماء... هو ضوء العلم الحديث؛ فجاء "كارل ماركس"، ومعه إنجيله الأرضي: "رأس المال"، وأراد أن يحقق العدل على هذه الأرض، فقسم "الأرض" وحدها بين الناس، ونسي "السماء" فماذا حدث...؟ حدث أن امسك الناس بعضهم برقاب بعض، ووقعت المجزرة بين الطبقات تهاافتا على "هذه الأرض"!...))

- لقد ألقى قنبلة "المادية والبغضاء والهفة والعجلة" بين الناس، يوم أفهم الناس أن ليس هنالك غير "الأرض" - يوم أخرج "السماء" من الحساب، لأن علم الاقتصاد الحديث لا يعرف السماء!... أما أنبياء الشرق فقد القوا زهرة "الصبر والأمل في النفوس، يوم قالوا للناس: "لا تتهاكوا على الأرض؛ ليست كل شيء! إن هنالك شيئاً آخر غير "الأرض" سيكون لكم شيء آخر يدخل في "التوزيع"!... إن

وكيف يمكن لهذه العلاقة أن تنمو وتثمر في ظل الصراع بينهما، فليست هناك علاقة مستمرة، ثابتة بل هي دوماً منقطعة وهي وإن اتخذت طابعاً جدياً إلا أنها مغلفة بالمصالح والمنافع المادية أكثر من احتفائها بروحانيات هذه العلاقة، ففي نظريته إلى الفتاة الأوروبية مقارناً بينها وبين الفتاة الهندية يقول "محسن":

((...أما الفتاة الأوروبية، فإنها تفعل غير ذلك!... إنها أعقل من أن تلقي بنفسها في اللهب من أجل الذي تحب، أما من لا تحب، فهي تعرف كيف تجعله هو اللهب، وهو الحطب الذي يلقي في المدفأة، كي ينشر الحرارة في مسكنها المغطى بالجلد!... خيل إلي ياسيديتي حقيقة، إن ريحاً باردة قد هبت على ما كان بينك وبين مسيو "هنري" في يوم من الأيام، وكان ينبغي أن أدرك إن قلبك يومئذ، كان في حاجة إلى الدفء، وكان ينبغي أن أعلم أن المكان المعد لي، إنما هو "الموقد"!... وأن هذا الوقود "الحي" ينبغي أن يبقى حتى يحترق بأكمله، ويصبح رماداً، وتنتهي مهمته، فتكنس ذراته وتطرح في الهواء!...))<sup>(٢٤)</sup>.

كان في هذه الرسالة ناقداً للآخر/ الغربي المتمثل في "سوزي"/ الفتاة الأوروبية، أو بالأصح الوجه السلبي المعبر عن الحضارة الغربية، على إنا لانعدم وجود آثار تدلل على نقد الذات، يحاول من خلاله "محسن" أن يكون ناقداً لذاته التي ألجأته إلى هذه المأساة والآثار الناجمة عنها، كما إننا نجد نقداً تصف فيه "سوزي" نفسها بالأنانية وتعبر عن آلامها بالكثير من السخرية الظاهرة فيه، ولكن خير ما يمثل نقداً للآخر/ الغربي تحديداً إنما يمثل في الخطاب السردي المصوبغ بآراء التيارات الفكرية التي برزت إلى الوجود على أعقاب حركة النهضة الأوروبية والنتائج الوخيمة التي جرتها هذه التيارات على الشعب، هذا الخطاب يضعه توفيق الحكيم على لسان إحدى الشخصيات المتمردة على واقعها و/العامل لروسي "إيفانوفيتش"، وهو نقدٌ موجه



التعليم العام لرموز الكتابة نوعاً من الهراء، وإنك قد تستطيع اليوم أن تقتلع من رأس الشرقي عظمة السماء... ولا تستطيع مطلقاً أن تقتلع منه عظمة " العلم الأوروبي الحديث "، وإنه لمن اليسير أن تسفه عند الشرقي الآن " رسالة " الأنبياء، ولا يمكن أن تسفه لديه " رسالة " القوة المادية الحديثة!... بل من العجيب أن هذه الأفكار والمبادئ التي تعتبر في الشرق اليوم ثابتة ثبوت الآيات المنزلّة قد يناقشها الأوروبيون أنفسهم وينقضونها، وهي ماتزال حافظة عندنا كل قوتها!... وإن المدفع قد ينطلق في أوروبا ضد بعض هذه الأفكار، ونرى ضوء لهبه، ولكن الصوت لا يصل إلى آذاننا... لا لبعد المسافة؛ بل لأن آذاننا لاتسمع، وقلوبنا لا تعي!... لقد كانت " الحقنة " شديدة الفعل والأثر... نعم، ولا أحد يدري هل أوروبا حققت الشرق بأفيون خالص أو بأفيون ممزوج بسم نافع، سرى - ومازال يسرى - في شرايينه يقتل كل بذور المثل العليا الشرقية في النفوس؛ فشبان الشرق اليوم - عندما أرادوا أن يتخذوا لهم مثلاً للرجولة والبطولة - لم يتجهوا شطر " غاندي " ولكنهم اتجهوا بعيون، كأنها منومة تنويم المغنطيس شطر "موسوليني"، ويوم أرادوا أن يجعلوا للتقشف والجلد والخشونة لباساً، لم يضعوا على أبدانهم العارية القوية رداء بسيطاً من القطن، يصنعونه بأيديهم؛ -لكنهم ارتدوا القمصان الأوروبية ذات الألوان!... إذن حتى أبطال الشرق قد ماتوا في قلوب الشرقيين!...

نعم اليوم لا يوجد شرق!... إنما هي غابة على أشجارها قردة، تلبس زي الغرب، على غير نظام ولا ترتيب ولا فهم ولا إدراك!((٢٧).

فماذا فعل محسن/ العصفور القادم من الشرق؟

لم يفعل أكثر من انه حاول القضاء على التصور الغربي ونظرتة للشرق، فكما أن للغرب مساوئ أراد الغربي نفسه أن يتجنبها وينزاح بعيداً عنها، ورأى أن هذا لا يتم إلا بالذهاب إلى الشرق - في نظر إيفان الروسي على الأقل -، كذلك للشرق

الإنسان لا يحيا من أجل الخبز، كما انه لا يعيش من أجل الخبز وحده... آه!... إن أنبياء الشرق هم العباقرة حقاً!...!((٢٥).

ففي هذا الخطاب، ثمة عالمان متناقضان، تناقضاً كلياً، يكمن هذا التناقض في طبيعة المهمة الملقاة على عاتق الأنبياء والتي من أجلها جاؤا، فأنبياء الغرب - كما يسميهم " إيفان " دلالة على رؤساء التيارات والمذاهب الفكرية - تحدت آراءهم ومهماتهم بالماديات والتوافه الدنيوية لذلك فشلوا، وفشل تيارهم في أن يمنح الشعب رفاهيته، من أجل هذا كله كان " إيفان " يتوق إلى احتضان الشرق، والسفر إليه، وإنه المكان الأنسب والأصلح لمثاله الفقراء للعيش فيه فهو - في نظره - جنة الفقراء كما هي روسيا في نظر " محسن "، أما أنبياء الشرق: المسيح (عليه السلام)، ومحمد (ﷺ) فقد عملوا على ((استمالة الساخطين والمتدمرين والمعوزين، وهم الكثرة الغالبة!...!))((٢٦).

فإذا كانت هذه نظرة الغرب/ المتمثل في شخصية إيفان الروسي، فماذا عن "محسن" وهو القادم من الشرق؟ ماذا عن نظرتة إلى الشرق الذي جعله الغرب جنة يتيه في أروقته الفقراء، لنتمثل بالنص الآتي، ويتم فيه السرد ممن وجهة نظره عبر منولوج لا يتم الكشف عنه إلا في خاتمته، يقول وهو بصدد المقارنة بين عالمين: الشرق والغرب :

((- مهلاً، مهلاً أيها الصديق!...إن ذلك المنبع الذي تريد أن تراه، وتلك الأنهار التي تريد أن تشرب منها، - قد تسمت كلها... إن " الفتاة الشقراء " يوم حققت فخذها "بالمورفين " السام لم تترك أبويها سالمين؛ لقد قضى الأمر، ولم يعد هنالك نبع صاف، فإن الزهد قد ذهب كذلك من الشرق!...))

... وكل هذه الأفكار الأوروبية قد أصبحت في الشرق اليوم مبادئ ثابتة، يؤمن بها الشرقيون إيمانهم - بل أكثر من إيمانهم - بمبادئ الأديان!... وإنه لمن السهل أن تقتنع شرقياً اليوم بأن دينه فاسد، ولكن ليس من السهل أن تقتنعه بأن " الصناعة الكبرى " هي عجلة "إبليس" التي يقود بها الإنسانية إلى الدمار... وإن

مساوئه التي هرب منها محسن إلى بلاد الآخر الغربي وليس أدل على هذا الهروب تجنب الراوي الكشف عن أسباب ومبررات وجود محسن في باريس، هل هو للدراسة أم للترفيه أم لغرض آخر بات مجهولاً للقارئ...

إن مشروع هذه الرواية إنما يعبر عن جدلية التباين والاختلاف السريين الذين ظهروا واضحين في نظرة كل طرف إلى الآخر، والصراع معه، وهو صراع كان حاداً عندما واجه "إيفان" بشاعة الغرب وقارنها بتسامح الشرق ونقائه، لقد وجد "إيفان" في الشرق الملاذ والملجأ - الذي لم يصل إليه دلالة الحلم المستحيل الذي لا يتحقق ولا يمكن لأمثاله أن يحققه.

تنهض البنية السردية لرواية "عصفور من الشرق" على نظام الراوي العليم أو كلي العلم والذي يأخذ على عاتقه مهمة إلقاء الحدث الروائي مع تدخلات الشخصيات السردية التي تشي عن بعض علاقاتها مع الآخرين في مهمة سردية ذاتية تفصح عن مكوناتها الذاتية.

ويشكل فضاء باريس الفضاء الكلي الذي تدور على أرضيته الرحبة الأحداث ابتداءً من الاستهلال الروائي الذي يكشف عن تميز الشخصية السردية "محسن" عن باقي الشخصيات من حيث الأداء والسلوك والتصرفات التي تبرز هويته السردية الدالة عليه بوصفه شخصية مغتربة، لها علاقاتها مع المحيط الذي يسكنه: أندريه وعائلته، فيما تفصح الأجواء السردية عن الفضاء الزمني الذي يستند إليه الحدث، القائم على فعل التوافق السردية بين قطبين متضادين والنتائج التي آل إليها أحد القطبين بعد العلاقة العاطفية الفاشلة أساساً وكأن الراوي أراد أن يحذر قرائه من مغبة اللهاث وراء هذه العواطف ولاسيما إذا كان القطب الآخر لا يتفاعل سردياً مع القطب الأول أولاً، ويحس بتفوقه - المزيف - عليه وانتصاره الوهمي عليه ثانياً، فيقدر تعلق الأمر بهذه العواطف فإن المسألة المحسومة هي أن: الغرب غرب والشرق شرق وإن

التقيا في الفضاء المكاني والزمني إلا إنهما لن يلتقيا أبداً في فضاء الأفكار والأحاسيس والمشاعر وسيبقى شعور التفوق الغربي هو المسيطر إزاء القطب الشرقي الذي عليه ألا ينسى حظه من الدونية والهزائم المتكررة.

إن الشخصيات السردية كشفت عن الوجه الحقيقي للغرب وعلاقته بالشرق وتحركت وفق هذا المستوى المعلن عنها، كما أنها كشفت عن عقلية الغربي الراض لكل المبادئ والقيم "سوزي ديبون" على سبيل المثال، و"إيفان" العامل الروسي الذي تكشف حواراته مع "محسن" عن القناع الوهمي الذي يرتديه الغرب بحجة التطور والحضارة فكانت النتيجة أن الغرب بقي حالماً بالشرق الذي لم يصله، والشرقي بات مأخوذاً بالحضارة الأوروبية - على مساوئها - وأسيراً لها... هذه الحوارات الخارجية هي أساس نظرة الغرب إلى الشرق، ونظرة الشرق إلى الغرب، وكيف يمكن لثلاثين أن يلتقيا لو أن وهم الانتصار والإحساس بالتفوق لم يكن موجوداً...

فماذا فعلت الرواية؟ إنها لم تفعل أكثر من أنها أبرزت الصورة الحقيقية والوجه القبيح للغرب مع خمود الشرق وإنهياره.

نقول: إن المنظومة الفكرية التي تتحرك خلالها الأنا تنزاح أو تحيد قليلاً عن المنظومة الفكرية التي يكتسب الآخر منها دوره السوسيولوجي وشرط وجوده التاريخي والجمالي.

لقد عملت النهضة على فتح الآفاق أمام الروائيين للتطلع إلى أبواب لم تكن تفتح لهم من قبل، فعملوا على الإحاطة بها من كل جانب والاعتراف منها، كما تشكل لديهم الوعي بخطورة وجود الآخر - في حياتهم ممارسة ودلالة - مالم يعملوا على اكتشاف مكامن ضعفه، وصيغ جدليته المزيفة، فكان أن أحاطوا بالجوانب الهامة في هذا المضمار.

إن النهضة الفكرية أثرت - وما زالت - في الفكرين/ الشرقي والغربي، لقد ولدت منذ بداياتها التأسيسية فكراً أيديولوجياً قائماً على صورة الوهم بين العالمين/ الشرق والغرب. واستطاعت هذه الصورة أن تغلف العلاقة المشروطة بمصالحها الثنائية وتبادل ادوار المنفعة بما يخدم مصلحتها في ظل وجود الآخر...  
لقد عاش الآخر في ظل هذا الوهم، ونما الصراع مع آخره حقيقة لا وهماً، ولم تكن للنهضة يد سوى أنها عجلت في هذا اللقاء التصادمي الذي كان لابد أن يظهر ويبرز إلى الوجود مادام الإحساس بالتفوق على الآخر ظل مسيطراً على المشهد الثقافي.

## الهوامش والإحالات:

- (١) الرواية العربية المعاصرة واستشراف آفاق التطور المستقبلي، ضمن كتاب: الأدب العربي تعبيره عن الوحدة والتنوع - بحوث تمهيدية، مجموعة باحثين، إشراف: عبد المنعم تليمة، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٧، ١٩٦.
- (٢) صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي: تحليل سوسيولوجي لرواية " محاولة للخروج"، فتحي أبو العينين، ضمن كتاب صورة الآخر ناظراً ومنظوراً إليه، مجموعة باحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩، ٨١٢.
- (٣) م.ن، ٨١٢.
- (٤) التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف، عبد الحميد المحادين، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩، ١٠٦.
- (٥) البحث عن جوانب جديدة لأسئلة النهضة، ماجد السامرائي، مج الأعلام (العراقية)، أيلول - تشرين الأول، ٢٠٠٢، ٥.
- (٦) ينظر: علم الوسائل وعلم الغايات، حسن حنفي، بحث القي في الندوة الثانية للعلاقات الثقافية المصرية - المغربية، القاهرة، كانون الأول، ١٩٨٩.
- (٧) صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي، ٨١٣-٨١٤.
- (٨) مطارحات العلاقة - إشكالية الأنا والآخر في الفكر العربي المعاصر، محمد محفوظ، ١.
- (٩) محنة النهضة ولغز التاريخ في الفكر العربي الحديث والمعاصر، احمد جدي، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٥، ١١.

- (١٠) ينظر: تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، عبد المحسن طه بدر، ط٤، مكتبة الدراسات الأدبية (٣٢)، دار المعارف، مصر، ١٩٨٤، ٦٧.
- (١١) صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي، ٨١٤.
- (١٢) إشكاليات الفكر العربي المعاصر، محمد عابد الجابري، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٢، ٢٧.
- (١٣) فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، يمنى العيد، ط١، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٨، ٦٢.
- (١٤) خصائص الخطاب الأدبي في رواية الصراع العربي - الصهيوني - دراسة تحليلية، عبد القادر شرشار، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٥، ٩.
- (١٥) صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي، ٨١٦.
- (١٦) الرواية، ط٣، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٥، ٧.
- (١٧) م.ن، ١٥.
- (١٨) م.ن، ٣٤.
- (١٩) م.ن، ٣٠.
- (٢٠) ينظر: م.ن، ٢٢-٢٣.
- (٢١) م.ن، ٣٠، م.ن، ١٠٨-١٠٩.
- (٢٢) م.ن، ١٠٨.
- (٢٣) م.ن، ١١٩-١٢٠.
- (٢٤) صورة الآخر ناظراً ومنظوراً إليه، ٨٠١.
- (٢٥) الرواية، ١٢٨-١٢٩.
- (٢٦) م.ن، ٧٥-٧٦.
- (٢٧) م.ن، ١٧٢-١٧٤.

## Abstract

### The intellectud from formed the found atons for the beginning of literary renaissance which amounded.

By: dr. sawsan albayatie

The formation of its approned constitution during the mineteen through nelying on reality and adopting apar- sighted view produced critic ideas, question, and proposals wich deepened the renaissance including its criteria and principles.

Renaissance question worked on the attempt of searching for many question that had to do with its project making. probly, the question of nrelationup with the other, specifically the western, is the most insisting question on the ewltural scene, espeecially when thin question is demonstrated through the novelists products in novels that sprang from illuminatine thought wich tried to show in ugly.

Mean mhide, the attempt to efface the culturad and civilizational dimentions alitrature was most related to the Arabic status.

The paper aims at showing the negative aspect in the afierce controvrsicl conflict between arab two evrrents and how there two currents ree each of here.

To make illusiomany buses for such velation , ship, among the most important on :

- the conceptad ego and the other: east and west.
- Intelcetual rise and the glimpses narratcue derelopment.
- A sparrow for east: the peint of conflict.

## أبنية الجموع في سيرة ابن هشام (دراسة استقرائية)

م. فاضل عبد أحمد قاسم

جامعة كركوك/ كلية التربية/ قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذا بحث في كتاب السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري البصري المتوفى سنة ٢١٨ هـ، والذي استخرجه من كتاب ((السيرة)) لمحمد بن إسحاق المطلبي المتوفى سنة ١٥١ هـ، وعلى الرغم من كون مؤلفها مهتماً بالتاريخ والسير والمغازي إلا أنَّ كتابه شمل جوانب متنوعة في المباحث اللغوية، الأمر الذي دفعني إلى أن تكون دراستي فيها دراسة صرفية لصيغ الجموع التي ظهرت في هذا الشرح بعد أن درست الظواهر اللغوية فيها من قبل الدكتور كاسد الزبيدي<sup>(١)</sup>.  
واني لأمل أن أكون قد وفقت في عرض الموضوع واعطيته حقه من البحث والدراسة

ومن الله التوفيق.

الجمع لغة: اسم لجماعة الناس، والجمع مصدر قولك جمعت الشيء عن تفرقه، يَجْمَعُهُ جَمْعاً وَجُمُوعَةً<sup>(٢)</sup>.

أما اصطلاحاً: فهو ضم الشيء إلى أكثر منه، فالتثنية والجمع شريكان من الجمع والضم، وإنما يتفرقان في المقدار والكمية، والجمع على ضربين جمع تصحيح وجمع تكسير<sup>(٣)</sup>.

**أولاً: الجمع الصحيح:** ويقال له: جمع سالم، لسلامة لفظ واحده من التغيير<sup>(٤)</sup>، ويقسم على جمعين (المذكر والمؤنث).

### جمع المذكر السالم:

ويقال له أيضاً جمع على هجاءين لأنه مرة يكون بالواو والنون - في حالة الرفع - ومرة بالياء والنون - في حالة النصب والجر - نحو: الزيدون، والزيدين<sup>(٥)</sup>، ويشترط في الاسم الذي يجمع هذا الجمع أن يكون علماً ً ً ً أو صفةً، فإن كان علماً يشترط فيه.

أن يكون لمذكر عاقل خالياً من التاء ومن التركيب فلا يجمع هذا الجمع نحو كلمة (تلميذ) لعدم العلمية، ولا (سعاد)، ولا (طلحة)، ولا (حمزة) لعدم التذكير<sup>(٦)</sup>.  
وان كان صفة فيشترط فيه:

- ١- أن تكون لمذكر عاقل خالية من التاء ليست على وزن (أفعل) الذي مؤنثه (فعلاء)، ولا على وزن (فعلان) الذي مؤنثه (فعلى) فلا تجمع هذا الجمع كلمة (حائض) لعدم التذكير، ولا (شموس) لعدم العقل، ولا (نسابة) لوجود التاء، ولا (أحمر) أو (سكران) الذي مؤنثه حمراء وسكرى<sup>(٧)</sup>.
- ٢- ولا يستوي فيه المذكر مع المؤنث نحو صبور وجريح<sup>(٨)</sup>.

وتلحق بجمع المذكر السالم ألفاظ مثل: (أولو، ذوو، أهلون، أرضون، عالمون، وبنون، وألفاظ العقود من عشرين إلى تسعين، وتسمى الملحق بجمع المذكر السالم)<sup>(٩)</sup>.

وقد جاءت صيغة جمع المذكر السالم في سيرة ابن هشام على النحو الآتي:





أ- ما كان صحيحا: ففي تفسيره قوله تعالى ﴿جَبَّ جُنُوجُهُ﴾ كَجَبَّ كَسْرٌ نَشْطٌ  
 ﴿[الإسراء: ٩٢]، قال: ((الكِسْفُ القطع من العذاب وواحدته كِسْفَةٌ مثل سَيْدَرَةِ  
 سِدْرِ))<sup>(٥٨)</sup>، ومثله في قوله تعالى ﴿□ □ □ □﴾ [الممتحنة: ١٠] قال ابن  
 هشام: ((واحدة العصَمِ عَصْمَةٌ وهي الحبل والسبب))<sup>(٥٩)</sup>.

ب- ما جاء مضاعفاً: في تفسيره قوله تعالى ﴿قَدْ جَاءَ﴾<sup>(٦٠)</sup>.

#### ٤- فعل: بكسر الفاء وسكون العين

ويُقاس هذا الوزن في جمع ((ما كان على وزن (أفعل) نحو أشيب جمع شَيْب، أو (فعلاء) بالفتح والمَد نحو بيضاء على بِيْض، أو (فَعَّـلَة) بالكسر وزيادة هاء كاللبنَة على اللبِن))<sup>(١١)</sup>، وقد ذكر ابن هشام هذا الوزن أثناء حديثه عن المعنى الدلالي لكلمة (الكِـسَف) قال: ((الكِـسَف القطع من العذاب، وواحدته كِـسْفَة...، وهي أيضاً واحدة الكِـسَف))<sup>(١٢)</sup>.

### ٥- فُعِلَ: بضم الفاء وتشديد العين

[illegible]

أَعْمَى الْهُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَّةُ

٢٠٤] قال: ((الآلذ الذي يَشْغَفُ فَنَشْتُدُّ خُصُومَتَهُ وَجَمَعَهُ لَدَّ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذَاتُ ثَلَاثٍ [مريم: ٩٧])<sup>(٤٨)</sup>.

## ٢- فُعْلٌ: بضم الفاء والعين

ويُقاس هذا الوزن في أُبنية عِدَّةٍ منها ما كان على وزن (فَعَال) اسماً نحو (جِمَارٌ حُمْرٌ)<sup>(٤٩)</sup>، أو ما كان على وزن (فُعَال) نحو (قُرَادٌ قُرْدٌ)<sup>(٥٠)</sup>، أو ما كان على وزن (فَعَال) اسماً وصفةً نحو (فَدَانٌ فُدْنٌ وَ صَنَاعٌ صُنْعٌ)<sup>(٥١)</sup>، أو ما كان على وزن (فَعُول) اسماً أو صفةً نحو (عَمُودٌ عُمْدٌ أَوْ صَبُورٌ صُبْرٌ)<sup>(٥٢)</sup>، أو ما كان على وزن (فَعِيل) نحو (رَغِيفٌ رُغْفٌ)<sup>(٥٣)</sup>، وجاء هذا الجمع في سيرة ابن هشام عند تفسيره لقوله تعالى ج ج ج ج ج ج ج [الكهف: ٨]، قال ابن هشام: ((الصعيد الأرض، وجمعه صُعْدٌ))<sup>(٥٤)</sup>، وكذلك في تفسيره لقوله تعالى ج د ت ذ ث د ث ز ر ج [الكهف: ٩]، قال: ((الرَّقِيمُ الكتاب الذي رُقِمَ فيه بخبرهم وجمعه رُقْمٌ))<sup>(٥٥)</sup>، وكذلك في قوله تعالى ج ق ق ج ج [الكهف: ٥٥]، قال: ((... القبيل جمعه قُبُلٌ، وهي الجماعات، وفي كتاب الله تعالى ج پ پ پ پ ج [الأُنعام: ١١١]، فقبُل جمع قبيل مثل سُبُل جمع سبيل وسُرُر جمع سرير وُقُصص جمع قميص))<sup>(٥٦)</sup>.

### ٣- فعل: بكسر الفاء وفتح العين

ويُقاس هذا الوزن في جمع ما كان على وزن (فُعْلة) صحيحاً أو معتلاً أو مضعفاً، قال سيبويه: ((وما كان (فُعْلة) فإنك إذا كسّرتَه على بناء أدنى العدد... فإذا أردت بناء الأكثر قلت (سِدرٌ وقِربٌ وكِسرٌ)... وبنات الياء والواو بهذه المنزلة تقول (لِحْيَة لَحى، وفَرْيَة فَرى، ورِشوةٌ ورِشا)... والمضاعف منه كالمضاعف من (فُعْلة) وذلك قولك (قِدَة قِدات وقِدَد، ورِبَة وربّاب وربب وعِدَة المرأة وعِدّات وعِدَد))<sup>(٥٧)</sup>، وجاء هذا الجمع في سيرة ابن هشام على النحو الآتي:



ب- ما كان على وزن (فعل) - كسر فسكون -، وذلك في تفسيره قوله تعالى ﴿الْحَبْطُ﴾<sup>(٨٠)</sup>.  
 عند العرب: ما عُبد من دون الله تبارك وتعالى، والجمع: حُبُوتٌ))<sup>(٨٠)</sup>.

## ٨- فعائل

ويُقاس هذا الجمع في كل رباعي مؤنث اسماً كان أو صفة، وثالثه حرف مد سواء كان على وزن (فُعالة) اسماً أو صفةً نحو ((جِنَازَة جنائز، ورِسَالَة رسائل))<sup>(٨١)</sup>، أم على وزن (فُعالة) اسماً أو صفةً نحو ((نَوَابَة نواب، ودُبَابَة دبائب))<sup>(٨٢)</sup>، أم على وزن (فَعُولَة) نحو ((حَمُولَة حمائل))<sup>(٨٣)</sup>، أم على وزن (فَعِيلَة) اسماً أو صفةً نحو ((قَبِيلَة قبائل، وصَبِيحَة صباح))<sup>(٨٤)</sup>، أم على وزن (فَعَال) نحو ((شِمَال شمائل))<sup>(٨٥)</sup>، أم (فَعُول) اسماً أو صفةً نحو ((عَجُوز عجائز))<sup>(٨٦)</sup>، أم (فَعِيل) نحو ((سَعِيد لطيف - أسماء علم مؤنث - سَعَائِد ولطائف))<sup>(٨٧)</sup>، وجاء هذا الجمع في سيرة ابن هشام على النحو الآتي:

أ- ما كان على وزن (فعيلة): في تفسيره قوله تعالى ﴿وَجَمْعُ بَحِيرٍ بِحَائِرٍ وَبُحْرٌ وَجَمْعُ وَصِيلَةٍ وَصَائِلٍ وَوُصْلٌ﴾<sup>(٨٨)</sup>، ومثله في تفسيره قوله تعالى ﴿وَجَمْعُ جَدٍّ وَجَدٌّ وَجَمْعُ لَاحِجٍ وَهُوَ مَنْ وَلَّحَ يَلْحَجُ أَي دَخَلَ يَدْخُلُ﴾<sup>(٨٩)</sup>.

ب- ما كان على وزن (فعليل): في تفسيره قوله تعالى **جِجْجَ كُكُكُ** ڊ [الكهف: ۱۸]، قال ابن هشام: ((الوصيد... الفناء وجمعه: وصائد...))<sup>(۹۰)</sup>.

٩- فُعْلَاءُ

ويُقاس هذا الجمع في ما كان على وزن (فاعل) نحو ((عاقِل عقلاء))<sup>(٩١)</sup>، أو ما كان على وزن ((فَعِيل بمعنى فاعل وصفاً لعاقِل غير مضعِف ولا معتل اللام ولا واوَي العين نحو: ظريف ظرفاء، وكريم كرماء))<sup>(٩٢)</sup>، ويستثنى من ذلك (صغير

... قال  
(وَعَمَّهَاءُ) (٦٦).

## ٦- فعال

ويُقاس هذا الجمع في ما كان على وزن (فَعْل) - فَنَح فُسكون - اسماً أو صفةً، نحو ((فَحْل فِحَال، صَعْب صِعَاب))<sup>(٦٧)</sup>، أو ما كان على وزن (فَعْل) - بفتححتين - غير معتل اللام ولا مضجعاً - اسماً أو صفةً -، نحو جَبَل جِبَال وَحَسَن جِسَان))<sup>(٦٨)</sup>، أو ما كان على وزن (فُعْل) - ضم فسكون - نحو ((جُمَد جِمَاد))<sup>(٦٩)</sup>، أو ما كان على وزن (فَعْلَة) اسماً أو صفةً نحو ((قَصْعَة قِصَاع وَصَعْبَة صِعَاب))<sup>(٧٠)</sup>، أو ما كان على وزن (فَعِيل) نحو ((ظَرِيف ظِرَاف))<sup>(٧١)</sup>، وَسَمِع (فِعَال) في جمع (فَعْلَة) نحو ((جَزِيَة جَزَاء))<sup>(٧٢)</sup>، وجاء هذا الجمع في سيرة ابن هشام على النحو الآتي:

أ- ما كان على وزن (فَعْلَة): في تفسيره قوله تعالى **ج ج ج ج ج ج ج** [الكهف/ ١٧]، قال ابن هشام: ((الْفَجْوَة السَّعَة، وجمعها فَجَاء))<sup>(٧٣)</sup>.

ب- ما كان على وزن (فُعْلة): قال ابن هشام: ((... وقولهم الزَّيَاب لولد عبد مناة... وواحد الزَّيَاب رِيَّةٌ وريابة، وهي جماعات قِداح أو عصي ونحوها))<sup>(٧٤)</sup>.

## ٧- فَعُولٌ

ويُقاس هذا في الثلاثي على وزن (فَعَلَ) - فتح فسكون - نحو ((كَغَبَ  
 كُعُوبَ))<sup>(٧٥)</sup>، أو على وزن (فَعِلَ) - فتح فسكر - نحو ((كَبِدَ كُبُودَ))<sup>(٧٦)</sup>، أو على  
 وزن (فَعُلَ) - كسر بسكون - نحو ((جَمَلَ حُمُولَ))<sup>(٧٧)</sup>، أو على وزن (فُعِلَ) - ضم  
 بسكون - نحو ((جُنِدَ جُنُودَ))<sup>(٧٨)</sup>، وجاء هذا الجمع عند ابن هشام على النحو الآتي:

أ- ما كان على وزن (فَعَلَ) - فتح بسكون - وذلك في تفسيره قوله تعالى چپ پ پیچ [الأحزاب: ٢٣]، قال ابن هشام: ((قضى نَحْبَه: مات، والنحب: النفس فيما أخبرني أبو عبيدة، وجمعه نُحُوب))<sup>(٧٩)</sup>.

□ □ □ □ □ چ [الأعراف: ١٨٧]، قال ابن هشام: ((ومرساها: منتهاها وجمعه مَراسٍ)) (١٠٣).

### ١٣- فَوَاعِلُ

ويُقاس هذا الوزن في جمع ما كان على وزن (فاعل) اسماً لغير عاقلٍ نحو ((حائِط حوائِط))<sup>(١٠٤)</sup>، أو صفةً لغير عاقلٍ نحو ((صاهِل صَوَاهِل))<sup>(١٠٥)</sup>، أو ما كان على وزن (فاعل)، و (فاعِلَة) صفة لمؤنث نحو ((حائِض حَوَائِض))<sup>(١٠٦)</sup>، أو (فاعلة) اسماً أو صفة للعاقل ولغير العاقل نحو ((ناصية نَوَاصِي، وفاطمة فَوَاطِم))<sup>(١٠٧)</sup>، أو ما كان على وزن (فَعُول) نحو ((كوكب كَوَاكِب))<sup>(١٠٨)</sup>، وجاء هذا الجمع في سيرة ابن هشام في تفسيره قوله تعالى ج □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ي ب ج [المائدة: ١٠٣]، قال ابن هشام: ((... وجمع سائبة الأكثر سَوَائِب... وجمع حام الأكثر حَوَام))<sup>(١٠٩)</sup>.

## ١٤- فِیَاعِل

ويُقاس هذا الجمع في ما كان على أربعة أحرف، ثانيه ياء زائدة نحو ((صَيَّرَفَ صَيَّارِفٍ))<sup>(١١٠)</sup>، وجاء هذا الجمع عند ابن هشام في تفسيره قوله تعالى جَفَّ جَفَّ جَفَّ جَفَّ جَفَّ [البقرة: ١٩]، قال ابن هشام: ((الصَيَّبُ المطر، وهو من صَابَ يَصُوبُ مثل قولهم: السَّيِّدُ من سَادَ يسود، والمَيِّتُ من مَاتَ يموت؛ وجمعه صَيَّائِبٌ))<sup>(١١١)</sup>.

## ١٥- أفاعيل

لا يقاس هذا الجمع في بناء معين، وإنَّ ما جاء عليه يعد شاذاً وقد عقد سيويوه باباً في شواذ الجمع قال فيه: ((هذا بابٌ ما جاء بناءُ جمعه على غير ما يكون في مثله ولم يَكسّر وهو على ذلك البناء... ومن ذلك باطل وأباطيل لان ذا ليس ببناء باطل ونحوه إذا كسّرتَه فكأنّه كسّرت عليه إبطيل وإبطال... ومثل ذلك حديث وأحاديث، وعَرُوض وأعارِض، وقطيع وأقاطيع))<sup>(١١٣)</sup>، ومنهم من جعله يقاس في

وسمين) لانها جمعت على وزن (فِعال)، وقد أشار سيبويه لذلك بقوله: ((وقد يدعون فاعل استغناء بغيرها كما أنهم قد يدعون فُعلاء استغناء بغيرها نحو قولهم: صغير وصِغار ولا يقولون صُغراء، وسمين سِمان ولا يقولون سُمَنا))<sup>(٩٣)</sup>، ويأتي (فُعلاء) أيضاً جمعاً لفعل بمعنى مُفاعل نحو ((جليس بمعنى مُجالس وجمعه جُلُساء))<sup>(٩٤)</sup>، وقد جاء هذا الجمع في سيرة ابن هشام في تفسيره قوله تعالى جُفْ فْ قُفْ جْ [الإسراء: ٨٨]، قال ابن هشام: ((الظهير العون ... وجمعه ظُهْرَاء))<sup>(٩٥)</sup>.

### ١٠- فُعْلَان - بضم الفاء وسكون العين

ويُقاس هذا الجمع في ما كان اسما على وزن (فَعَلَ) - فتح فسكون -، نحو ((بَطْنُ بَطْنَانٍ، وَظَهْرُ ظَهْرَانٍ))<sup>(٩٦)</sup>، وكذلك ما كان على وزن (فَعَلَ) - بفتحتين - صحيح العين نحو ((جَدَعَ جُدْعَانٍ))<sup>(٩٧)</sup>، أو ما كان على وزن (فَعِيل) نحو ((رَغِيف رَغِيفَانٍ))<sup>(٩٨)</sup>، وجاء هذا الجمع عند ابن هشام في جمعه للفظة الوصيد، قال: ((الْوَصِيدُ... وَصِدَانٍ... وَأُصْدَانٍ))<sup>(٩٩)</sup>.

## ۱۱- فَعَالٍ

ويقاس هذا الجمع في كل اسم ثلاثي ساكن العين، وفي آخره ياء زائدة ليست ياء النسب نحو ((كرسي كراسي، وأمنية أمانِي))<sup>(١٠٠)</sup>، وجاء هذا الجمع في سيرة ابن هشام في تفسيره قوله تعالى **چپ ڀڀڻ ٺ ڏنڊ** [البقرة: ٧٨]، قال ابن هشام عن أبي عبيدة: ((إلا أمانِي: إلا قراءة، لأن الأُمِّي الذي لا يقرأ ولا يكتب، يقول: لا يعلمون الكتاب إلا أنهم يقرؤنه... وحدثني يونس بن حبيب وأبو عبيدة أن العرب تقول: تَمَنَى بمعنى قرأ... وواحدة الأمانِي أَمْنِيَّة))<sup>(١٠١)</sup>.

## ۱۲- مفاعل

ويُقاس في جمع الاسم الذي على وزن (مَفْعَل) - بضم الميم وفتح العين - نحو ((مُؤَسَّي مَواسي))<sup>(١٠٢)</sup>، وجاء هذا في سيرة ابن هشام في تفسيره قوله تعالى ﴿

[[الإسراء: ٩٠]]، قال ابن هشام: ((الينبوع ما ينبع من الماء من الأرض وغيرها، وجمعه ينابيع))<sup>(١٢٤)</sup>.

## ٢٠- جمع لفظة أبابيل

الأبائيل في اللغة جماعةٌ في تفرقة<sup>(١٢٥)</sup>، أي يتبع بعضها بعضاً إبيلا إبيلا أي قطعاً خلف قطع، وخيلُ أبائيل كذلك<sup>(١٢٦)</sup>، وقد اختلف العلماء في أصل جمع أبائيل، فذهب قسم منهم أن أبائيل جمع لا واحد له بمنزلة عبايد وشَمَاطِيطُ وشَعَالِيلُ<sup>(١٢٧)</sup>، وقسم اختلف في واحدُها فزعم الرؤاسي أن واحدُها إبالَة<sup>(١٢٨)</sup> بتضعيف الباء، وقال صاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ): واحدُها أُبُولُ<sup>(١٢٩)</sup>، وذكر الأزهرى أنه لو قيل واحد الأبائيل إبالَة لكان صواباً كما قالوا دينار دنائير<sup>(١٣٠)</sup>، فإذا كان جمع أبائيل من هذا فهو على وزن (فعاعيل) ويقاس في جمع الثلاثي المزيد بتكرار العين اسماً كان أو صفةً، فالاسم نحو (سلايم و بلاليط) والصفة نحو (عواوير وجبايير)<sup>(١٣١)</sup>، وأشار ابن هشام إلى هذه اللفظة عند تفسيره قوله تعالى جِئْكُمْ بِ[الفيل: ٣] قائلاً: ((الأبائيل: الجماعات، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه))<sup>(١٣٢)</sup>.

### اسم الجمع واسم الجنس الجمعي

قبل الحديث عن اسم الجنس الجمعي لا بد من معرفة اسم الجمع، والفرق بينه وبين اسم الجنس الجمعي ليتسنى للقارئ عدم الخلط بينهما.

اسم الجمع: هو ما دلّ على جمعٍ وليس له واحد من لفظه فهو اسم جمع... وما له لفظه ولم يكن من الأوزان التي تقدّم ذكرها فليس بجمع بل هو اسم جمع<sup>(١٣٣)</sup>.

ومن خلال هذا نفهم انه لا توجد صيغ متفق عليها بين النحاة لاسم الجمع، وقد عقد سيبويه له بابا في كتابه تحدث فيه عن أقسام اسم الجمع قال فيه: ((هذا باب ما هو اسم يقع على الجميع لم يُكسّر عليه واحده ولكنه بمنزلة قوم ونفر وذود))<sup>(١٣٤)</sup>، أما أقسامه فهي:

(إفعيل) نحو ((إحليل وأحليل))<sup>(١١٣)</sup>، و(افعلول) نحو ((أخدود وأخاديد))<sup>(١١٤)</sup>، وجاء هذا الجمع في سيرة ابن هشام في قوله تعالى **چپ ڀڀچڀ [البروج: ٤]**، قال **أبن هشام: ((الأخدود: الحفر المستطيل في الأرض كالخندق والجدول ونحوه وجمعه أخاديد... ويقال لأثر السيف والسكين في الجلد وأثر السوط ونحوه أخدود وجمعه أخاديد))**<sup>(١١٥)</sup>.

## ١٦- فَوَاعِيلُ

ويُقاس في جمع وزن فاعُول نحو ((جاموس جَوَامِيس))<sup>(١١٦)</sup>، وجاء عند ابن هشام في تفسيره قوله تعالى ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْكَ كَثْرَتُ ذُرِّيَّتِكَ وَلَا مُغْنِي عَنْكَ كَثْرَتُ دَوْلَتِكَ﴾<sup>(١١٧)</sup>، قال ابن هشام: ((والطاغوت كل ما أضل عن الحق... وجمع الطاغوت طَوَاغِيت))<sup>(١١٨)</sup>.

## ١٧- أفعلاء

ويُقاسُ في كلِّ وصفٍ مذكر على وزن (فَعِيل) بمعنى فاعل بشرط أن يكون مضعفاً، أو معتل اللام<sup>(١١٨)</sup>، فمن المضعف نحو ((شديد وأشداء ومن معتل اللام نحو غني وأغنياء))<sup>(١١٩)</sup>، وجاء هذا في سيرة ابن هشام في قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰ﴾ <sup>□ □ □</sup> چ [الأعراف: ١٨٧]، قال ابن هشام: ((الحفي البَرَّ المتعهد، وفي كتاب الله چ و ژ و و چ [مريم: ٤٧] وجمعه: أُخْفَاء))<sup>(١٢٠)</sup>.

## ١٨- فعالية

ويُقاس في جمع (فُعْلِيَّة) - بكسر الفاء واللام - كَالْغُفْرِية على الْغُفَارِيَّة<sup>(١٢١)</sup>، وجاء هذا الجمع في سيرة ابن هشام في تفسير قوله تعالى ج □ □ ج [العلق: ١٨]، قال ابن هشام: ((الزبانية الغلاظ الشداد، وهم في هذا الموضع: خَزَنَةُ النار، والزبانية أيضا في الدنيا أعوان الرجل الذي يخدمونه ويُعينونه، والواحد زُبْنِيَّة))<sup>(١٢٢)</sup>.

## ١٩- يَفَاعِيلُ

يقاس في جمع الاسم الذي على وزن (يَفْعُول) نحو: ((يعقوب يعاقيب))<sup>(١٢٣)</sup>،

وجاء هذا في سيرة بن هشام في تفسيره قوله تعالى ﴿چ چ د ی د ت ذ ذ ذ﴾

هـ - فَعَلَ - بفتح الفاء وكسر العين -

وجاء عنده في تفسيره قوله تعالى ﴿فَفُؤْدٍ﴾ [سبأ: ١٦]، قال: ((العَرِمُ: السد، وعَرمَة))<sup>(١٤٤)</sup>.

## ٦- فعلى

وجاء عنده في قوله: ((السلوى: طير، واحدتها سلواة))<sup>(١٤٥)</sup>.

١- ما له مفرد من معناه فقط نحو إبل وغنم<sup>(١٣٥)</sup>، فواحد الإبل بعير أو ناقة، وواحد الغنم شاة.

٢- ما له مفرد من لفظه ومعناه لكنه ليس على وزن من أوزان الجموع المعروفة مثل ((رَكْب جمع راكب، وصَحْب جمع صاحب))<sup>(١٣٦)</sup>، ولم أجد في سيرة ابن هشام ما يدل عليه.

أما اسم الجنس الجمعي: ((فهو ما تضمن معنى الجمع دالا على الجنس كله ويفرق بينه وبين واحده بالتاء نحو تمر ثمرة أو بياء النسب نحو عرب عربي وروم رومي))<sup>(١٣٧)</sup>، وقد عقد سيبويه له باباً في كتابه قال فيه: ((هذا باب ما كان واحدا يقع للجميع ويكون واحده على بنائه من لفظه إلا انه مؤنث تلحقه هاء التأنيث ليتبين الواحد من الجمع))<sup>(١٣٨)</sup>.

وجاءت أوزان اسم الجنس الجمعي عند ابن هشام على النحو الآتي:

١- **فَعَلَ - بفتح الفاء وسكون العين -**

وجاء عنده في تفسيره قوله تعالى ﴿هَـمْ﴾ [الفيل: ٥]، قال: ((العصف: وَرَقُ الزَّرْعِ الَّذِي لَمْ يَقْصَبْ، وَاحِدَتُهُ عَصْفَةٌ))<sup>(١٣٩)</sup>، وكذلك في قوله تعالى ﴿ج ج ج ج﴾ [الفتح: ٢٩]، قال: ((شَطْوُهُ فَرَاخُهُ وَوَاحِدَتُهُ شَطْأَةٌ))<sup>(١٤٠)</sup>.

٢- **فَعَلَ - بفتح الفاء وفتح العين -**

وجاء عنده في تفسيره قوله تعالى چں ں ٹ ٹ ٹ ڈ [المسد: ٥]، قال:

((وَالْمَسْدُ: شَجَرٌ يَدِقُّ كَمَا يَدِقُّ الْكَتَّانُ فَتَقْتُلُ مِنْهُ حَيَالٌ... وواحدته مَسْدَةٌ))<sup>(١٤١)</sup>.

٣- **فُعِلَ - بضم الفاء وفتح العين -**

وجاء عنده في قوله: ((واحدة الصَّوَى: صَوَّة، والصَّوَى: الأعلام التي يستدل بها على الطرق والمياه))<sup>(١٤٢)</sup>.

٤- **فُعِلَ - يَضُمُ الْفَاءَ وَضُمَ الْعَيْنُ -**

وجاء عنده في تفسيره قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ يَمَسُّهُ هِيَ﴾ [البقرة: ٦١]، قال: ((وَالْفُومُ: القمح واحده فُومَة))<sup>(١٤٣)</sup>.

### الخاتمة:

وفي ختام البحث يمكن القول أن السيرة النبوية ضمت في مادتها مباحث لغوية متنوعة إذ كشفت الدراسة عن شخصية ابن هشام العلمية واهتمامه الواسع بالظواهر اللغوية، وتمكنه من علوم اللغة بفروعها، وقدرته على التفسير إذ استطاع توظيف علمه في اللغة في تفسير الكثير من الآيات القرآنية مستعيناً بعلمه ومعرفته بالغريب والاشتقاق واللهجات العربية، وكذلك اعتماده على كبار اللغويين أمثال يونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) وأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ)، وهذا كله يضيف أهمية أخرى إلى أهميتها التاريخية.

### الهوامش:

- (١) ينظر مجلة آداب المستنصرية العدد التاسع لسنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- (٢) لسان العرب: مادة - جمع -، ٥٣ / ٨.
- (٣) ينظر: شرح المفصل: ٥ / ٢، وجامع الدروس العربية: ١٩١
- (٤) ينظر: شرح المفصل: ٥ / ٢.
- (٥) ينظر: شرح المفصل: ٥ / ٢ - ٣، وأوضح المسالك: ٢٧٧، والفيصل في ألوان الجموع: ٩.
- (٦) ينظر: الكافية في النحو: ١٨ / ٢، وجامع الدروس العربية: ١٩١
- (٧) ينظر: الكافية في النحو: ١٨ / ٢، وأوضح المسالك: ١٧، والصرف الوافي: ١٥٤.
- (٨) ينظر: أوضح المسالك: ١٧.
- (٩) ينظر: الكتاب: ٣ / ٥٩٩، وشرح المفصل: ٥ / ٢، وارتشاف الضرب: ١ / ٢٦٤، والفيصل في ألوان الجموع: ١٢.
- (١٠) سيرة ابن هشام: ١٩٧.
- (١١) المصدر نفسه: ٦٢٥.
- (١٢) نفسه: ٣٩٥.
- (١٣) نفسه: ٣٧٤.
- (١٤) نفسه: ١٧٦.
- (١٥) أوضح المسالك: ١٧.
- (١٦) ينظر: شرح المفصل: ٥ / ٧٠٦، وارتشاف الضرب: ١ / ٢٧١، والفيصل في ألوان الجموع: ٢٤.
- (١٧) ينظر: الصرف الوافي: ١٥٨.

- (١٨) ينظر ارتشاف الضرب: ١ / ٢٧١ - ٢٧٢، والفصل في ألوان الجموع: ١٥ - ١٦، وهمع الهوامع: ١ / ٦٩، والصرف الوافي: ١٥٩.
- (١٩) سيرة ابن هشام: ٢٣٨.
- (٢٠) المصدر نفسه: ٣٦٧.
- (٢١) ينظر: شرح المفصل: ٥ / ٦ - ٧، وارتشاف الضرب: ١ / ١٩٢.
- (٢٢) ينظر: المقتضب: ١ / ٦، والأصول في النحو: ٢ / ٤٥٢.
- (٢٣) ينظر في هذه التغيرات: شرح المفصل: ٥ / ٦، وأوضح المسالك: ٢٨٠.
- (٢٤) ينظر: الكتاب: ٣ / ٥٦٧ - ٥٧٨، وشرح المفصل: ٥ / ٩، وزاد الفراء وزنا خامساً وهو (فَعْلَة) ومثل له ((هم أكلَة رأس)) أي قليلون يكفيهم رأس واحدة. ينظر: معاني الأبنية في العربية: ١٣٥.
- (٢٥) ينظر: الكتاب: ٣ / ٥٦٨، والأصول في النحو: ٢ / ٤٦١، وارتشاف الضرب: ١ / ١٩٥.
- (٢٦) ينظر: شرح المفصل: ٥ / ١٦، وأوضح المسالك: ٢٨١، والمطالع السعيد: ٢ / ٢٩٩، وشذا العرف: ١٠٨، والفصل في ألوان الجموع: ٣٦.
- (٢٧) ينظر: شرح الكافية: ٤ / ١٨١٩، والجموع في اللغة العربية: ١٣٠.
- (٢٨) ينظر: الكتاب: ٣ / ٥٧٦، والمقتضب: ٢ / ١٩٧، وارتشاف الضرب: ١ / ١٩٦، والجموع في اللغة العربية: ١٢٩.
- (٢٩) ينظر: الكتاب: ٣ / ٥٧٤، والمقتضب: ٢ / ١٩٦، وارتشاف الضرب: ١ / ١٩٦، والفصل في ألوان الجموع: ٣٦.
- (٣٠) سيرة ابن هشام: ٧٢٦.
- (٣١) المصدر نفسه: ٢٣٧.
- (٣٢) نفسه: ٣٩٨.

- (٣٣) نفسه: ٤٩٤.
- (٣٤) نفسه: ٣٧٥ - ٣٧٦.
- (٣٥) ينظر: شرح الشافية: ٢ / ١٥٤.
- (٣٦) ينظر: الكتاب: ٣ / ٦٠١، والمقرب: ٤٧٢ - ٤٧٣، وهمع الهوامع: ٣ / ٣١٠، والمعجم المفصل في علوم اللغة: ٢ / ٨٤٤، والمعجم المفصل في علم الصرف: ٥٧٣.
- (٣٧) ينظر: المقرب: ٤٧٢ - ٤٧٣، و ارتشاف الضرب: ١ / ١٩٧، وهمع الهوامع: ٣ / ٣١٠، وجموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية: ٤٠.
- (٣٨) ينظر: المقرب: ٤٧٣، وهمع الهوامع: ٣ / ٣١٠.
- (٣٩) ينظر: شرح الكافية الشافية: ٤ / ١٨٢٣، والمقرب: ٤٧٤، وارتشاف الضرب: ١ / ١٩٧، وهمع الهوامع: ٣ / ٣١٠، والمعجم المفصل في علوم اللغة: ٢ / ٨٤٢.
- (٤٠) ينظر: الكتاب: ٣ / ٦٠٧ - ٦٠٨، وأوضح المسالك: ٢٨١.
- (٤١) سيرة ابن هشام: ٢٠٥.
- (٤٢) ينظر: الكتاب: ٣ / ٥٧١، وشرح الشافية الكافية: ٤ / ١٨٢٩، وشرح الشافية: ٢ / ٩٦. وجواهر القاموس في الجموع والمصادر: ٣٧.
- (٤٣) ينظر: شرح الشافية: ٢ / ٩٦.
- (٤٤) ينظر: الكتاب: ٣ / ٦٤٤، والأصول في النحو: ٢ / ٤٣١، وأوضح المسالك: ٢٨١، والمطالع السعيد: ٢ / ٣٠٠، وشذا العرف: ١٠٩، وجواهر القاموس في الجموع: ٣٨، والفصل في ألوان الجموع: ٤٥، والمعجم المفصل في علم الصرف: ٢٠٤، والمعجم المفصل في الجموع: ٢٢.
- (٤٥) ينظر: أوضح المسالك: ٢٨٢، وشذا العرف: ١٠٩.

- (٤٦) سيرة ابن هشام: ٣٨٧.
- (٤٧) المصدر نفسه: ٤١٩.
- (٤٨) نفسه: ٦٧٢.
- (٤٩) ينظر: الكتاب: ٣ / ٦٠١، والمقرب: ٤٧٣ - ٤٧٧، والفيصل في ألوان الجموع: ٤٨ والصرف الوافي: ١٦٤.
- (٥٠) ينظر: الكتاب: ٣ / ٦٠٤، وشرح ابن عقيل: ٤ / ١٢٠، وشرح التصريح على التوضيح: ٢ / ٣٠٥.
- (٥١) ينظر: الكتاب: ٣ / ٦٠٢، والمقتضب: ٢ / ٢١٣، وشرح الشافية: ٢ / ١٢٦.
- (٥٢) ينظر: الكتاب: ٣ / ٦٠٨، وشرح الكافية الشافية: ٤ / ١٨٣٣، وهمع الهوامع: ٣ / ٣١٢، وجوهر القاموس في الجموع والمصادر: ٣٤.
- (٥٣) ينظر: الكتاب: ٣ / ٦٠٤، والمقرب: ٤٧٤، والمعجم المفصل في الجموع: ٢٢.
- (٥٤) سيرة ابن هشام: ١٩٨.
- (٥٥) المصدر نفسه: ١٩٨.
- (٥٦) نفسه: ٢٠٣، وينظر: ٢٠٠ في جمعه للوصيد على وُصْد وأُصْد.
- (٥٧) الكتاب: ٣ / ٥٨٠ - ٥٨١، وينظر: الواضح في علم العربية: ٢١٤، وشرح التصريح على التوضيح: ٢ / ٣٠٦، وجواهر القاموس في الجموع والمصادر: ٣٢، والفيصل في ألوان الجموع: ٥٢، والصرف الوافي: ١٦٤.
- (٥٨) سيرة ابن هشام: ٢٠٣.
- (٥٩) المصدر نفسه: ٧٠٩.
- (٦٠) نفسه: ٩٧٢.
- (٦١) ينظر: جواهر القاموس في الجموع والمصادر: ٤٦ - ٤٧.
- (٦٢) سيرة بن هشام: ٢٠٣.

- (٦٣) ينظر: الكتاب: ٣ / ٦٣١، والمقتضب: ٢ / ٢١٨، وأوضح المسالك: ٢٨٣.
- (٦٤) المعجم المفصل في الجموع: ٢٣.
- (٦٥) سيرة ابن هشام: ٥٩، والسائبة عنده من الإبل التي ينذر الرجل أن يسيبها وإن برئ من مرضه إن أصاب أمرا يطلبه، فإذا كان ذلك أسباب ناقة من إبله أو جملا لبعض آلهتهم فسابت فرعت لا ينتفع بها.
- (٦٦) المصدر نفسه: ٣٧٤، وجاء في لسان العرب - مادة عمه -، ٦ / ٤٥٣ ((ورجل عمه أي يتردد متحيرا لا يهتدي لطريقة ومذهبه والجمع عمهون وعَمَه)).
- (٦٧) ينظر: الكتاب: ٣ / ٥٦٧، والأصول في النحو: ٢ / ٤٣٣، وجوهر القاموس في الجموع والمصادر: ٩٥ - ١١٤، والفيصل في ألوان الجموع: ٦١، وجامع لدروس العربية: ٢٠٧ والصرف الواضح: ٢٥٦.
- (٦٨) ينظر: الكتاب: ٣ / ٦٢٨، وشرح المفصل: ٥ / ٢٥، والمقرب: ٤٦٢، والمطالع السعيدة: ٢ / ٣٠٣، وشذا العرف: ١١٢.
- (٦٩) ينظر الكتاب: ٣ / ٥٧٦، وشرح الشافية: ٢ / ٩٤، والفيصل في ألوان الجموع: ٦٢، والمهذب في علم الصرف: ١٩٣.
- (٧٠) ينظر: الكتاب: ٣ / ٥٧٨، والمقرب: ٤٦٨، وجوهر القاموس في الجموع والمصادر: ١١٥.
- (٧١) النكلمة: ٤٦٦.
- (٧٢) ينظر: شرح الشافية: ٢ / ١٠٤، وجوهر القاموس في الجموع والمصادر: ٩٥، ١١٦.
- (٧٣) سيرة ابن هشام: ١٩٩.
- (٧٤) المصدر نفسه: ٦٢٥.

- (٧٥) ينظر: الكتاب: ٣ / ٥٨٩، وشرح الشافية: ٢ / ٩٠، وجوهر القاموس في الجموع والمصادر: ٩٨، والمعجم المفصل في الجموع: ٢٤.
- (٧٦) ينظر: المقرب: ٤٦٢، وأوضح المسالك: ٢٨٣، وشرح التصريح على التوضيح: ٢ / ٣١٠.
- (٧٧) ينظر: الأصول في النحو: ٢ / ٤٣٤، وأوضح المسالك: ٢٨٣، وشرح الشافية: ٢ / ٩٠.
- (٧٨) ينظر: شرح الشافية: ٢ / ٩٤، والفيصل في ألوان الجموع: ٦٥، والمعجم المفصل في علوم اللغة: ٢ / ٨٤٤. والمعجم المفصل في الجموع: ٢٤.
- (٧٩) سيرة ابن هشام: ٧٢٨.
- (٨٠) المصدر نفسه: ٤٠٢.
- (٨١) ينظر الكتاب: ٣ / ٦١١، وشرح المفصل: ٥ / ٤٤، وارتشاف الضرب: ١ / ٢١٠، ومعاني الأبنية: ١٧٠، والمعجم المفصل في الجموع: ٢٧.
- (٨٢) ينظر: الكتاب: ٣ / ٦١١، وشرح الكافية الشافية: ٤ / ١٨٦٦، وشرح التصريح على التوضيح: ٢ / ٣١٣، والمهذب في علم التصريف: ١٩٩.
- (٨٣) ينظر: الكتاب: ٣ / ٦١١، والتطبيق الصرفي: ١٢٣.
- (٨٤) ينظر: الكتاب: ٣ / ٦١٠، وهمع الهوامع: ٣ / ٣٢٤، ومعاني الأبنية: ١٧٠.
- (٨٥) ينظر: شرح الشافية: ٢ / ١٥١، والمعجم المفصل في الجموع: ٢٧.
- (٨٦) ينظر: شرح الشافية: ٢ / ١٥١، وشرح التصريح على التوضيح: ٢ / ٣١٣.
- (٨٧) ينظر: الكتاب: ٣ / ٦٠٥، وشرح الكافية الشافية: ٤ / ١٨٦٦ - ١٨٦٧.
- (٨٨) سيرة ابن هشام: ٥٩.
- (٨٩) المصدر نفسه: ٩٧٣.
- (٩٠) نفسه: ٢٠٠.
- (٩١) ينظر: شرح الشافية: ٢ / ١٥٧، وأوضح المسالك: ٢٨٤، وشرح التصريح على التوضيح: ٢ / ٣١٢، وشذا العرف: ١١٤، والمهذب في علم التصريف: ١٩٦.

- (٩٢) الكتاب: ٣ / ١٣٦، والفيصل في ألوان الجموع: ٧٣.
- (٩٣) الكتاب: ٣ / ١٣٦.
- (٩٤) ينظر: شرح الشافية: ٢ / ١٥٨، والفيصل في ألوان الجموع: ٧١.
- (٩٥) سيرة ابن هشام: ٤١٠.
- (٩٦) ينظر: الكتاب: ٣ / ٥٧١، والمقرب: ٤٦٢، وارتشاف الضرب: ١ / ٢٠٧.
- (٩٧) ينظر: الكتاب: ٣ / ٥٧٠، والأصول في النحو: ٢ / ٤٦٠، وتصريف الأسماء: ٢٢١.
- (٩٨) ينظر: الكتاب: ٣ / ٦٠٤ - ٦٠٥، والمقتضب: ٢ / ٢٠٩، وارتشاف الضرب: ٢٠٧ / ١.
- (٩٩) سيرة ابن هشام: ٢٠٠، وجاء في لسان العرب - مادة وصد - ٩ / ٣١٨ أن الفراء ذكر أن الوصيد والأصيد لغتان.
- (١٠٠) ينظر: شرح الكافية الشافية: ٤ / ١٨٦٩، وارتشاف الضرب: ١ / ٢١٠، وشرح التصريح: ٢ / ٣١٤ وشذا العرف: ١١٦ - ١١٧.
- (١٠١) سيرة ابن هشام: ٣٨٠.
- (١٠٢) ينظر: جواهر القاموس في الجموع: ١٦٩.
- (١٠٣) سيرة ابن هشام: ٤٠٩.
- (١٠٤) ينظر: الكتاب: ٣ / ٢٠٨، والمقتضب: ٢ / ٢١٧، واللمع في العربية: ١١٨.
- (١٠٥) ينظر: الكتاب: ٣ / ٦٣٣، وشرح الشافية: ٢ / ١٥٨، والمطالع السعيد: ٢ / ٣٠٦، والفيصل في ألوان الجموع: ٧٥، والمهذب في علم الصرف: ١٩٨.
- (١٠٦) ينظر: الكتاب: ٣ / ٦٣٢ - ٦٣٣، وشرح الشافية: ٢ / ١٥٨، وأوضح المسالك: ٢٨٥.
- (١٠٧) ينظر الكتاب: ٣ / ٦٣٢ - ٦٣٣، وشرح الشافية: ٢ / ١٥٨، وجوهر القاموس في الجموع والمصادر: ١٤٤، والفيصل في ألوان الجموع: ٧٥.
- (١٠٨) ينظر: أوضح المسالك: ٢٨٥، وجوهر القاموس في الجموع والمصادر: ١٤٤.



- (١٠٩) سيرة ابن هشام: ٥٩، والحامي من الإبل: الفحل اذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمي ظهره فلم يركب ولم يجز وبره وخلي في إبله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك؛ السيرة: ٥٨، ولسان العرب: (١١٠) المعجم المفصل في الجموع: ٢٨، وينظر: جواهر القاموس في الجموع والمصادر: ١٤٨، ١٧٣ (١١١) سيرة ابن هشام: ٣٧٥. (١١٢) الكتاب: ٣/ ٦١٦، وينظر: دقائق التصريف: ٤٠١. (١١٣) ينظر: جواهر القاموس في الجموع والمصادر: ٢٣٩. (١١٤) المصدر نفسه: ٢٣٩. (١١٥) سيرة ابن هشام: ٢٣. (١١٦) ينظر: جواهر القاموس في الجموع والمصادر: ٢١١. (١١٧) سيرة ابن هشام: ٤٠٢، وقد اختلف العلماء في أصله ووزنه ف قيل إن اشتقاقه من طغي، وتاؤه زائدة فأصله طغيوت ووزنه فعلوت ثم قدمت الياء قبل الغين فصار طيغوت فوزنه فعلوت ثم قلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار طاغوت، وقيل ان اشتقاقه من طغو، وتاؤه زائدة، وقيل ان تاءه أصلية فوزنه فاعول وهي بدل من اللام. ينظر: معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم: ١٧٢. (١١٨) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٣٤، والمقتضب: ٢/ ٢١، وارتشاف الضرب: ١/ ٢٠٦. (١١٩) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٣٤، وجواهر القاموس في الجموع والمصادر: ١٥٨. (١٢٠) سيرة ابن هشام: ٤٠٩. (١٢١) ينظر: جواهر القاموس في الجموع والمصادر: ١٣٦. (١٢٢) سيرة ابن هشام: ٢٠٥. (١٢٣) ينظر: جواهر القاموس في الجموع والمصادر: ٢١٩. (١٢٤) سيرة ابن هشام: ٢٠٣.

- (١٢٥) لسان العرب - مادة أبل - ١/ ٥٥. (١٢٦) ينظر: العين: مادة - أبل - ٨/ ٣٤٢. (١٢٧) منهم على سبيل المثال: أبو عبيدة، والفراء، وأبو عبيد القاسم بن سلام، والأخفش؛ ينظر: تهذيب اللغة: - ماد أبل - ١٥/ ٢٨٠، والصاح - مادة أبل - ٢٤، ولسان العرب - مادة أبل - ١/ ٥٥، وتاج العروس - مادة أبل - ٢٧/ ٢٥٣. (١٢٨) تهذيب اللغة: - مادة أبل - ١٥/ ٢٨٠، ولسان العرب مادة - أبل - ١/ ٥٥. (١٢٩) المحيط في اللغة: ١٠/ ٣١٦. (١٣٠) تهذيب اللغة ١٥/ ٢٨٠، لسان العرب: ١/ ٥٥. (١٣١) ينظر: كتاب الأسماء والأفعال والحروف: ١٢٤. (١٣٢) سيرة ابن هشام: ٣٦. (١٣٣) شرح الكافية: ٤/ ١٨٨٤. (١٣٤) الكتاب: ٣/ ٦٢٤. (١٣٥) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٢٤، والمقتضب: ٢/ ٢٩٢، والواضح في علم العربية: ٢٣٨. (١٣٦) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٢٤، والمقتضب: ٢/ ٢٩٢. (١٣٧) ينظر: الكتاب: ٣/ ٨٥٢، والتكملة ٣٥٤، وأبينية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٣٧. (١٣٨) الكتاب: ٣/ ٨٥٢. (١٣٩) سيرة ابن هشام: ٣٦. (١٤٠) المصدر نفسه: ٣٨٧، وفي لسان العرب - مادة شطأ - وجمعه شطوء. (١٤١) نفسه: ٢٣٧. (١٤٢) نفسه: ٤٠١. (١٤٣) نفسه: ٣٧٨. (١٤٤) نفسه: ٧. (١٤٥) نفسه: ٣٧٧.

### قائمة المصادر:

- ١- أبنية الصرف في كتاب سيويه: د. خديجة الحديثي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط ١، ١٩٦٥ م.
- ٢- ارتشاف الضرب من لسان العرب: لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق مصطفى أحمد النحاس، مطبعة النسر الذهبي، ط ١، ١٩٨٤ م.
- ٣- الأسماء والأفعال والحروف (أبنية كتاب سيويه): لأبي بكر محمد بن حسن الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ)، تحقيق أحمد راتب حموش، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق
- ٤- الأصول في النحو: لأبي بكر محمد بن السراج (ت ٣١٦ هـ) تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط ٤، ١٩٩٩ م.
- ٥- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: لابن هشام الأنصاري (٧٦١ هـ)، دار العلوم الحديثة، بيروت - لبنان، ١٩٨٢ م.
- ٦- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) اعتنى به عبد المنعم خليل إبراهيم، وكريم سيد محمد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان -، ط ١ لسنة ٢٠٠٧ م
- ٧- تصريف الأسماء: محمد طنطاوي، ط ٥، ١٩٥٥ م.
- ٨- التطبيق الصرفي: عبدة الراجحي، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٤ م.
- ٩- التكملة: لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)، تحقيق كاظم بحر المرجان، ساعدت جامعة بغداد على تعضيده، ١٩٨١ م.
- ١٠- تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١ لسنة ٢٠٠١ م.
- ١١- جامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥ م.

- ١٢- جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية: د. عبد المنعم سيد عبد العال، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٩٧٧ م.
- ١٣- الجموع في اللغة العربية: باكزة رفيق حلمي، مطبعة الأديب البغدادية (د.ت)
- ١٤- جواهر القاموس في الجموع والمصادر: محمد شفيع القزويني، تحقيق محمد جعفر الشيخ إبراهيم، منشورات جمعية منتدى النشر، النجف الأشرف.
- ١٥- دقائق التصريف: للقاسم بن محمد المؤدب (من علماء القرن الرابع الهجري)، تحقيق أحمد ناجي القيسي، وحاتم صالح الضامن، وحسن تورال، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧ م.
- ١٦- السيرة النبوية: لابن إسحاق (ت ١٥١ هـ)، هذبها ابن هشام (ت ٢١٨ هـ)، حققها محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، ١٩٧١ م.
- ١٧- شذا العرف في فن الصرف: للشيخ أحمد الحملاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر، ط ١٦، ١٩٦٥ م.
- ١٨- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت ٧٦٩ هـ)، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٩٠ م.
- ١٩- شرح التصريح على التوضيح: للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى، على ألفية ابن مالك في النحو للشيخ جمال الدين بن هشام الأنصاري، دار احيا التراث الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ٢٠- شرح شافية ابن الحاجب: للأستاذ اباضي (ت ٦٨٦ هـ) تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان -.
- ٢١- شرح الكافية الشافية: جمال الدين أبي عبد الله محمد بن مالك الطائي (ت ٦٧٢ هـ) تحقيق د. عبد المنعم أحمد هريري، دار المأمون للتراث.

- ٢٢- شرح المفصل: لموفق الدين بن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) عالم الكتب بيروت، مكتبة المتنبى، القاهرة.
- ٢٣- الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) وقيل بحدود (٤٠٠ هـ)، إعتنى به خليل مأمون شيما، دار المعارف بيروت - لبنان - ط ١ لسنة ٢٠٠٥ م.
- ٢٤- الصرف الواضح: عبد الجبار علوان النائلة؛ دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٨ م.
- ٢٥- الصرف الوافي: د. هادي نهر، مطبعة التعليم العالي في الموصل، ١٩٨٩ م.
- ٢٦- الظواهر اللغوية في سيرة ابن هشام: د. كاسد الزيدي، مجلة آداب مستصرية، العدد التاسع لسنة ١٩٨٤ م.
- ٢٧- العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)؛ تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر بغداد، ١٩٨٠ م.
- ٢٨- الفيصل في الوان الجموع: عباس أبو السعود، دار المعارف بمصر.
- ٢٩- الكافية في النحو: جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر (ابن الحاجب ت ٦٤٦ هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
- ٣٠- الكتاب: سيبويه (ت ١٨٠ هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط ٢، ١٩٨٢ م.
- ٣١- لسان العرب: لأبن منظور (ت ٧١١ هـ)، دار الحديث القاهرة سنة الطبع ٢٠٠٢ م.
- ٣٢- اللمع في العربية: لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) تحقيق سميح أبو مغلي، عمان، دار مجدلاوي للنشر، ١٩٨٨ م.
- ٣٣- المحيط في اللغة: للصحاب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ)، تحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب بيروت - لبنان - ط ١ لسنة ١٩٩٤ م.

- ٣٤- المطالع السعيدة في شرح الفريدة: لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق نبهان ياسين حسين، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٧٧ م.
- ٣٥- معاني الأبنية في العربية: د. فاضل صالح السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط ١، ١٩٨١ م.
- ٣٦- معجم مفردات الإبدال و الإعلال في القرآن الكريم: أحمد محمد الخراط، دار العلم دمشق، ط ١، ١٩٨٩ م.
- ٣٧- المعجم المفصل في علم الصرف: راجي الأسمر؛ مراجعة د. أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - ٢٠٠١ م.
- ٣٨- المجمع المفصل في الجموع: د. أميل يعقوب، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط ١ لسنة ٢٠٠٤ م.
- ٣٩- المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات): د. محمد التنوخي، وراجي الأسمر، مراجعة: أميل يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط ١، ١٩٩٩ م.
- ٤٠- المقتضب: للمبرد (ت ٢٨٥ هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، دار الكتب، بيروت.
- ٤١- المذهب في علم التصريف: د. هاشم طه شلاش، د. صلاح مهدي الفرطوسي، عبد الجليل عبيد حسين، مطبعة التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٩ م.
- ٤٢- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي؛ تحقيق أحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط ١، ١٩٩٨ م.
- ٤٣- الواضح في علوم العربية: لأبي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) تحقيق د. أمين علي السيد، دار المعارف بمصر، ١٩٧٥ م.

## صوت المدّ ((الياء))

## وأثره في إمالة الناطقين من سكة أهوار العزيز في ميسان

د. إبراهيم صبر محمد

جامعة ذي قار / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

## مُتَكَلِّمًا

أصوات المد تقاسم الأصوات الصامتة لأهميتها في الدراسات الصوتية، ولها أثر كبير في اللهجات العربية.

وهذا البحث يكشف أثر صوت المد ((الياء)) في إمالة الناطقين من سكان أهوار ناحية العزيز في محافظة ميسان.

والبحث يتناول تأصيل لهجة الإمالة التي اشتهرت بها قبائل: هذيل، تميم، قيس، وأسد في الجزيرة العربية آنذاك، وكذلك دواعي هذه الإمالة. ويعزز البحث في نهاية المطاف القضايا النظرية التي دُكرت بأمثلة تطبيقية من الألفاظ الممالة في نطق سكان أهوار ناحية العزيز.

وهو بهذا يعد محاولة للربط بين القديم والحديث في دراسة اللهجات العربية. نأمل أن يكون هذا البحث إسهاماً في دراسة اللهجات العربية عامة والعراقية على وجه الخصوص، وبالتالي فهو جهد في الدراسات اللغوية وصولاً لخدمة اللغة العربية.

الباحث

## نظرة على أصوات المد:

عني علماء الأصوات العرب - القدماء منهم والمحدثون - بتصنيف الأصوات على صنفين هما الأصوات الصامتة (Consonant sounds) والأصوات الصائتة (Vowel Sounds) أو أصوات المد. ويعد هذا التصنيف أو التقسيم أبرز ما قاموا به، لأنه ألصق بموضوع الدرس الصوتي عند العرب.

وقد بنوا تصنيفهم هذا على (معايير معينة تتعلق بطبيعة الأصوات وخواصها المميزة لها، وبالتركيز على معيارين مهمين: الأول وضع الأوتار الصوتية، والثاني طريقة مرور الهواء من الحلق والفم أو الأنف عند النطق بالصوت المعين)<sup>(١)</sup>.

وعلى المعيار الثاني، الذي يعني بمرور الهواء حراً طليقاً في أثناء النطق من غير أن يكون هناك احتكاكاً أو إعاقة في الحلق أو الفم<sup>(٢)</sup>، واختلف علماء اللغة المحدثين في تعريفاتهم لأصوات المد.

فهذا دانيال جونز يعرف صوت المد بأنه: (صوت مجهور يخرج عند النطق به على شكل مستمر في الحلق والفم، دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية تدخلاً يمنع خروجه أو يسبب فيه احتكاكاً مسموعاً)<sup>(٣)</sup>.

بينما يعرفه بلومفيلد بأنه عبارة عن (تعديلات للصوت المنطوق لا تتضمن غلقاً ولا احتكاكاً ولا اتصالاً من اللسان أو الشفتين)<sup>(٤)</sup>.

والى مثل هذا ذهب د. إبراهيم أنيس في حديثه عن أصوات المد، قائلاً: (عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في مجرى ليس فيه حوائل تعترضه فتضيّق مجراه)<sup>(٥)</sup>.

وعدّ د. تمام حسان خلو هذه الأصوات من الاحتكاك عنصراً جوهرياً فيها، وأساساً لتمييزها من الأصوات<sup>(٦)</sup>.

وعدم الاحتكاك هذا جعل أصوات المد تمتاز بصفة شدة الوضوح السمعي، كما أنّ عدم الاحتكاك نفسه قد منح أصوات المد صفة إضافية تتمثل في الجانب الموسيقي وهي أن تكون هذه الأصوات (أصواتاً موسيقية منتظمة قابلة للقياس خالية من الضوضاء لها القدرة على الاستمرار، وهي بهذا تختلف عن الصوامت التي هي عبارة عن ضوضاء ((rbise)) ناتجة عن احتكاك)<sup>(٧)</sup>.

وبما أن أصوات المد أصوات مجهورة بوجه عام أدّت هذه الصفة إلى زيادة قدرة هذه الأصوات على قوة الإسماع، والانتظام الموسيقي.

وعلى الرغم من أن أصوات المد في العربية لا تتعدى ثلاثة أصوات صائتة هي - الألف والواو والياء - إلا أنها تقوم بأداء دور مهم وأساسي في عملية النطق، وذلك حسب ما يأتي من خلال<sup>(٨)</sup>:

- ١- إننا نكاد نعتمدها وحدها لنسمع الأصوات.
- ٢- إنها تمثل العنصر الأساسي في أصغر وحدة نطقية طبيعية في نظام الكلام الإنساني.
- ٣- إن طبيعة ترددها في الكلام هي التي تحدد طبيعة النظام أو النسيج المقطعي للغة، وطبيعة النظام المقطعي هذه تؤدي دوراً مهماً في المسائل الصرفية وفي المسائل النحوية أيضاً.

## الإمالة لغة واصطلاحاً:

**الإمالة لغة:** مشتقة من الميل، وهي مصدر أملت الشيء إمالةً إذا عدلت به إلى غير الجهة التي هو فيها، من مال الشيء يميل ميلاً إذا انحرف عن القصد<sup>(٩)</sup>.

**الإمالة اصطلاحاً:** قال صاحب التعريفات: (الإمالة: أن تنحي بالفتحة نحو الكسرة)<sup>(١٠)</sup>. وإلى ذلك ذهب ابن جني (ت ٣٩٢ هـ)، قائلاً: (إنّ الإمالة إنما هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة)<sup>(١١)</sup>. وبمثل هذا التعريف قال كل من رضي الدين

الاستراباذي (ت ٦٨٨ هـ)، وابن عقيل (ت ٧٦٩ هـ)<sup>(١٢)</sup>. وحدّها ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) بقوله: (والإمالة أن تتحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء)<sup>(١٣)</sup>.

وعرّفها أحد الباحثين بقوله: (أن تميل الألف نحو الياء، والفتحة نحو الكسرة أو هي نطق الألف بين الألف والياء، والفتحة كالكسرة)<sup>(١٤)</sup>.

ومن كل ما سبق يمكننا القول إنّ الإمالة هي أن يذهب المتكلم بالفتحة إلى جهة الياء.

وللإمالة تسميات أخرى أطلقها عليها علماء الأصوات والنحو وأصحاب القراءات منها: الكسر، والبطح، والإضجاع، والإشباع، واللي، وغيرها.

### تأصيل اللمجة:

شاعت عند القبائل العربية في جزيرتها العديد من اللهجات، وكانت لهجة قبيلة قريش أفصحها، وهذا هو سبب اختيارها لتكون لغة القرآن الكريم، واحتفظت كل قبيلة من القبائل العربية لنفسها بلهجة خاصة عرفت بها، ومن القبائل العربية التي اشتهرت بالإمالة هي قبائل قيس. قال ابن جني: (وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن قراءة عليه، عن أبي العباس أحمد بن يحيى، أحسبه أنا عن الأصمعي، قال: ((ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم، وتألّته بهراء، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضع قيس وعجرفية ضبة)))<sup>(١٥)</sup>. والتضع هو لغة في الإمالة - كما تقدم - أي أن الإمالة هي لغة قيس.

ويذهب د. غالب المطلبي إلى أن الإمالة هي لهجة في تميم وقيس وأسد، بقوله: (لقد عزيت الإمالة إلى طائفة اللهجات النجدية من تميم وقيس وأسد مقابل ميل أهل الحجاز إلى الفتح والتفخيم)<sup>(١٦)</sup>، والذي يسند ما ذهب إليه د. غالب المطلبي من أن الإمالة لغة في بني تميم، قول الرضي الاستراباذي في شرح الشافية والذي جاء

فيه: (وليست الإمالة لغة جميع العرب، وأهل الحجاز لا يميلون، وأشدّهم حرصاً بنو تميم)<sup>(١٧)</sup>.

ويذهب د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي إلى أن (ما ورد في كتب النحاة والقراءات يدلنا على أن أصحاب الإمالة من القبائل: تميم وقيس وأسد وعامة أهل نجد، وهم لا يختلفون في ذلك)<sup>(١٨)</sup>.

وعندما يعرف د. عبد الحسين المبارك ((التضع)) وهو نوع من الإمالة، ينسبه إلى قيس فقط، بقوله: ((التضع: وهو إمالة الحرف إلى الكسر، وينسب إلى قيس))<sup>(١٩)</sup>.

وبما أن الكسر هو إسم من أسماء الإمالة أو نوع من أنواعها، فقد عدّ الأستاذ CHAIM RABIN كسر النون والعين في ((نعم)) من لهجة هذيل، قائلاً: (كانت هذيل تستعمل ((نعم)) بكسر العين بدلاً من ((نعم)) بفتحها)<sup>(٢٠)</sup>. وقال أيضاً: (نقل سيبويه ((٥٨ / ٥)) عن أبي الخطاب قوله أن ((نعم)) بكسر العين والنون هذيلية)<sup>(٢١)</sup>.

وعد د. خليل إبراهيم العطية كسر حرف المضارعة وهي لغة هذيل من الإمالة (جاء في العين ((لغة هذيل في تعرج وتعكف: تعرج وتعكف؛ لأنهم مولعون بالكسر))... وما زالت آثارها في لغة جنوب العراق فهم يقولون ((يلعب ويدرس ويركض)) بكسر حرف المضارعة)<sup>(٢٢)</sup>.

ويُعمّ ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) لهجة الإمالة على أكثر العرب قائلاً: ((الإمالة أكثر كلام العرب))<sup>(٢٣)</sup>. ويعلق د. غالب المطلبي على كلام ابن يعيش بقوله: (وهو أمر يكاد يكون دقيقاً في التعبير عن حقيقة خريطة الإمالة، إذ نلاحظ أن هذه الإمالة قد وصلت إلى طائفة من الحجازيين)<sup>(٢٤)</sup>. وذهب إلى أبعد من ذلك حينما قال: (نستطيع أن نشير إلى أن اللغات السامية كلها تقريباً عرفت الإمالة)<sup>(٢٥)</sup>.

ويقرر د. إبراهيم أنيس شيوع وانتشار الإمالة بين القبائل العربية المشهورة<sup>(٢٦)</sup>.  
وحينما تحدث د. محمد اسماعيل بصل عن الإمالة قال: إنها (ظاهرة لغوية تنسم  
بالشيوع والتداخل إضافة إلى كونها موجودة في اللهجات القديمة والمعاصرة واللغة  
الفصيحة)<sup>(٢٧)</sup>.

من كل ما تقدم يتضح أن الإمالة لهجة عربية قديمة أصيلة موجودة عند  
بعض القبائل العربية في الجزيرة العربية. وقد وجد الباحث أن هذه اللهجة لم تندثر في  
وقتنا الحاضر، كما اندثرت لهجات عربية أخرى.

فقد شاعت لهجة الإمالة - وهي إمالة الفتحة إلى الكسرة - بتأثير صوت المد  
((الياء)) - في مناطق أحوار ناحية العزيز في محافظة ميسان جنوبي العراق<sup>(٢٨)</sup>.  
وسنعرض للقبائل التي تقطن في هذه المنطقة وأمثلة من لهجتها التي تميل فيها في  
الصفحات المقبلة.

### دواعي الإمالة:

ذكرنا أن المختصين حينما عرّفوا الإمالة قالوا فيها: (أن تتحو بالفتحة نحو  
الكسرة)<sup>(٢٩)</sup>، وهذا النحو بالفتحة نحو الكسرة لم يكن أمراً عشوائياً في اللغة، وإنما هو  
ظاهرة صوتية لها ما يبررها.

فقد أعمل المختصون من علماء العربية القدماء والمحدثين أفكارهم في تتبع  
أسباب الإمالة وتوضيحها والهدف منها. فيعزوها أين جني في سر صناعة الإعراب  
لضرب من تجانس الأصوات<sup>(٣٠)</sup>، وإن من أسباب هذه الظاهرة الصوتية كما يذكر ابن  
يعيش (ت ٦٤٣ هـ) (هو تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من  
التشاكل)<sup>(٣١)</sup>. أما الرضي الاسترابادي فيرى أن سببها هو (قصد المناسبة لكسرة أو  
ياء)<sup>(٣٢)</sup> ويذكر ابن الجزري أن فائدة الإمالة هي (سهولة اللفظ وذلك أن اللسان يرتفع

بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع)<sup>(٣٣)</sup>. ويرى خالد  
الأزهري (ت ٩٠٠ هـ) أن الإمالة سببها هو (تناسب الأصوات وصيرورتها من نمط  
واحد)<sup>(٣٤)</sup>.

والإمالة في حقيقة أمرها هي لسهولة النطق، فيرى د. إبراهيم أنيس (أن  
الإنسان في نطقه لأصوات لغته، يميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي، وتلمس  
أسهل السبل، فهو لهذا يميل إلى استبدال السهل من أصوات لغته بالصعب الشاق  
الذي يحتاج إلى مجهود عضلي أكبر، ومثل الإنسان في هذا مثله في معظم الظواهر  
الاجتماعية يحاول عادة الوصول إلى غرضه عن أقصر الطرق كلما أمكن ذلك)<sup>(٣٥)</sup>.

أما د. علي ناصر غالب فيرى أن الغرض من الإمالة هو تحقيق الانسجام  
الصوتي مقررًا أن (الإمالة ظاهرة صوتية تهدف إلى نوع من المماثلة بين الحركات،  
وتقريب بعضها من بعض، وهي وسيلة من وسائل تيسير النطق وبذل أقل مجهود  
عضلي، إذ الغرض منها في الأعم الأغلب تحقيق الانسجام الصوتي)<sup>(٣٦)</sup>.

ويرى د. غالب المطلبي أن الإمالة (إنما جاءت لضرب من المماثلة بين  
أصوات المد)<sup>(٣٧)</sup>.

ونخلص مما تقدم أن الإمالة ما هي إلا تيسير وتسهيل للنطق وتحقيق  
لانسجام الصوتي وكذلك تحقق الاقتصاد في الجهد العضلي المبذول في النطق.

وأما في ما يتعلق بإمالة الناطقين من سكنة أحوار ناحية العزيز في محافظة  
ميسان فنجد أن هذه الإمالة حدثت بتأثير صوت المد ((الياء)) مما حقق تلاؤماً  
صوتياً بين حركات وأصوات اللفظة الواحدة ؛ لأن الكسرة التي تمال إليها الفتحة هي  
أقرب إلى ياء المد، بل يحدث بينهما انسجام صوتي يسهل نطق تلك اللفظة.

### أمثلة من الألفاظ الجمالة في نطق سكان أحوار

### ناحية العزيز في محافظة ميسان<sup>(٤٨)</sup>

نعرض الآن أمثلة من الألفاظ التي تمال فيها الفتحة إلى كسرة، والتي اشتهر بنطقها سكان أهوار ناحية العزيز في محافظة ميسان. وهذه الألفاظ بعضها فصيح، وبعضها الآخر عامي نقل من الفصح وحُدثت فيه الإمالة. ونلاحظ أيضاً أن هذه الألفاظ التي تحدث فيها الإمالة مشتملة كلها على صوت المدّ ((الباء)) الذي كان له أثر كبير في حدوث هذه الإمالة لتتناسب إمالة الفتحة إلى كسرة مع صوت المدّ ((الباء)) ويحدث ما يسمى بالتلاؤم الصوتي بين حركات وأصوات اللفظة الواحدة.

- ١- بيت: أصلها (بَيْت) بفتح وسكون ثم أميلت فتحة الباء إلى كسرة.
- ٢- وين: أصلها (أَيْن) في الفصحى وهو - كما هو معروف - سؤال عن المكان. وقد عرفت في اللهجة العامية الدارجة في العراق (وين) ؟
- ٣- عيني: هي في الأصل كلمة (عَيْن) مضافة إلى ياء المتكلم، ثم أميلت فتحة العين إلى كسرة.
- ٤- الليل: هي (الليل) الوقت المعروف ضد (النهار) وأمالوا فتحة اللام إلى كسرة.
- ٥- الويل: هي لفظة (الْوَيْل) ثم أميلت فتحة الواو إلى كسرة مع إشباع تلك الحركة.
- ٦- حويش: أصلها (حوش) وهو في العامية من أسماء البيت أو الدار، تصغر في العامية أيضاً على (فعيل) فتصبح (حويش)، ثم يميلون الفتحة إلى كسرة فتصبح (حويش).
- ٧- جيف: لهجة عامية في (كيف) التي هي للسؤال عن الحال أو الطريقة، أبدلت فيها الكاف (جيماً) ثم أميلت الفتحة إلى كسرة.

- ٨- التَّيْبَجَة: العلبة المعروفة بـ(التتك) والتي تؤنث في العاملة (تنكة)، ثم قلبت فيها الكاف (جيماً) وصغرت وأميلت في لهجتهم.
- ٩- وليد: أصلها (ولد) عكس (البنت)، ثم صغرت على (وليد) وأميلت فتحة اللام إلى كسرة.
- ١٠- حسين: في الأصل (حُسَيْنٌ)، تنطق في العامية (إحسين) بإشمام فتحة السين ثم أميلت فتحة السين كسرة وأشبعَت.
- ١١- العزيز: اسم الناحية نفسها (الْعَزِير) والتي سميت باسم نبي الله العزيز (ع)، وعندما أمالوا فتحة الزاي كسرة اضطروا إلى تسكين العين لسهولة النطق.
- ١٢- بين: هي إما إسم للمكان (بين) وحدثت فيها الإمالة، أو هي في العامية أسم للمصيبة أو الداهية (بين) ثم حدثت فيها الإمالة.
- ١٣- جليب: أصلها (كلب) الحيوان المعروف، ثم صغرت فأصبحت (كليب) وأبدلت الكاف (جيماً) في العامية ثم أميلت فتحة اللام إلى كسرة.
- ١٤- بيض: أصلها (بَيْض)، المادة الغذائية المعروفة، ويميلون الفتحة إلى كسرة عند نطقها.
- ١٥- أبو زيد: كنية أصلها (أبو زيد)، ثم حدثت فيها إمالة فتحة الزاي إلى الكسرة.
- ١٦- عيب: وهي لفظة (عَيْب) الفصيحة والتي تعني المثلبة، وقد أمالوا فتحة العين إلى الكسرة.
- ١٧- الشيطان: أصلها (الشَيْطَان) المعروف الملعون، وهم عند نطقها يميلون فتحة الشين إلى كسرة، ومثلها في الإمالة أيضاً لفظتا (قَيْطَان) و (عَيْفَان).
- ١٨- محيسن: أصلها (محسن) أسم العلم المعروف، وصغر إلى (مُحْسِن) ثم أميلت فتحة الحاء في التصغير إلى الكسرة.



- ١٩- رُوَيْتَبْ: أصلها (راتب) أي الأجر الشهري لمن يقوم بعمل ما، وصغرت إلى (رَوَيْتَب)، ثم أمالوا فتحة واو التصغير الى الكسرة.
- ٢٠- نُعَيْجَة: هي في الأصل (نعجة)، ثم صغرت الى (نُعَيْجَة) وأبدلت الجيم في العامية (جيماً)، وأمليت فتحة العين الى الكسرة.
- ٢١- جُوَيْمَيْسَة: أصلها (جاموسة) الحيوان المعروف ، وصغرت الى (جُوَيْمَيْسَة)، وأبدلوا الجيم - كسابقتها - (جيماً) ثم أمالوا فتحة الواو الى كسرة.
- ٢٢- طَوَيْهْر: في الأصل (طاهر) أسم علم وصغر الى (طَوَيْهْر)، ثم أمليت فتحة الواو الى كسرة.

نكتفي بهذا القدر من الألفاظ التي فيها إمالة الفتحة الى الكسرة بتأثير صوت المد ((الياء)) لتسهيل النطق التي ينطقها سكان أهوار ناحية العزيز في محافظة ميسان لتكون مثلاً لغوياً للهجة في هذه المنطقة، علماً أن العشائر التي تسكن هذه المنطقة هي<sup>(٣٩)</sup>:

آل فرطوس، والشغاينة، والفريجات، وقسم من السواعد، والبو عبود، والبيضان، والبو علي، والبهادل، والصبيح، والمواجد، والبو زيد، والصليبات، والسراي، والبو محمد، والنوافل، والبويخيت، والبو غنام، والبو طابطة، والنصر الله، والسويلمات.

## الخاتمة:

بعد هذه الإمامة المتواضعة بموضوع أثر صوت المد ((الياء)) في إمالة الناطقين من سكنة أهوار ناحية العزيز لعنا نكون قد سلطنا الضوء على لهجة من اللهجات العربية الحديثة في جنوب العراق، والتي هي في حقيقة أمرها امتداد للهجة الإمالة عند قبائل هذيل وقيس وتميم وأسد العربية المعروفة في الجزيرة العربية آنذاك. ومما تجدر الإشارة إليه أن الباحث في جولاته الميدانية وجد العديد من الأشخاص من الفئات العمرية الكبيرة من عشيرتي المراونة والطلاحبة - من عشائر خفاجة التي تقطن ضمن حدود ناحية الغراف التابعة لقضاء الشطرة في محافظة ذي قار - ينطقون بالإمالة نفسها التي ينطق بها سكان أهوار ناحية العزيز. وعلى الرغم من البحث والتقصي في محاولة لايجاد ما يبرر ذلك، لم يجد الباحث خيوطا توصله الى ذلك. ولعل مواصلة البحث عن الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة في قابل الأيام توصلنا الى تلك الخيوط.

نأمل أن يكون هذا الجهد إسهاماً في مجالات البحث اللغوي العلمي للوصول الى الهدف المرتجى.

ومن الله التوفيق.

## الهوامش:

- (١) علم الأصوات - د. كمال محمد بشر: ١٤٩ - ١٥٠.
- (٢) ينظر: في الأصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد العربية: ٢٤.
- (٣) أصوات اللغة - د. عبد الرحمن أيوب: ١٥٦ - ١٥٧.
- (٤) دراسة الصوت اللغوي: ١١٤.
- (٥) الأصوات اللغوية: ٢٦.
- (٦) ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١١٣ - ١١٧.
- (٧) في الأصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد العربية: ٢٥.
- (٨) ينظر: المصدر نفسه: ٤٨.
- (٩) لسان العرب: مادة (مال).
- (١٠) التعريفات: ٢١.
- (١١) سر صناعة الإعراب: ١ / ٦٠.
- (١٢) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٣ / ٤ - ٥، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٢ / ٥٧٥.
- (١٣) النشر في القراءات العشر: ٢ / ٣٠.
- (١٤) ظاهرة الإمالة عند العرب القدماء: ١.
- (١٥) سر صناعة الإعراب: ٢ / ٢٠٥ - ٢٠٦.
- (١٦) في الأصوات العربية - دراسة في أصوات المد: ١٦٣.
- (١٧) شرح شافية ابن الحاجب: ٣ / ٥.
- (١٨) الإمالة في القراءات واللهجات: ٧٥.
- (١٩) فقه اللغة: ٤٨.

- (٢٠) اللهجات العربية الغربية القديمة: ٧٥.
- (٢١) المصدر نفسه: ١١٦.
- (٢٢) دراسات في اللهجات العربية (لهجة هذيل): ١٩٨ - ١٩٩.
- (٢٣) شرح المفصل: ٢ / ١٢٦٣.
- (٢٤) في الأصوات العربية - دراسة في أصوات المد: ١٦٦.
- (٢٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٢٦) ينظر: في اللهجات العربية: ٦٤.
- (٢٧) ظاهرة الإمالة عند العرب القدماء: ١.
- (٢٨) جولة ميدانية للباحث في ناحية العزيز في محافظة ميسان.
- (٢٩) التعريفات: ٢١.
- (٣٠) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١ / ٦٠.
- (٣١) شرح المفصل: ٩ / ٥٤.
- (٣٢) شرح الشافية: ٣ / ٤.
- (٣٣) النشر في القراءات العشر: ٢ / ٢٨.
- (٣٤) شرح التصريح على التوضيح: ٢ / ٣٤٦.
- (٣٥) الأصوات اللغوية: ٢٣٥ - ٢٣٦.
- (٣٦) لهجة قبيلة أسد: ١٣٢.
- (٣٧) في الأصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد: ١٦٥.
- (٣٨) زيارة ميدانية قام بها الباحث لمنطقة أهوار ناحية العزيز في محافظة ميسان.
- (٣٩) أخذ الباحث أسماء العشائر هذه من سكان المنطقة نفسها.

### المصادر والمراجع:

- ١- أصوات اللغة - د. عبد الرحمن أيوب - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ٢٠٠٠ م.
- ٢- الأصوات اللغوية - د. إبراهيم أنيس - ط/٤ - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧١ م.
- ٣- الإمالة في القراءات واللهجات العربية - د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي - ط/٢ - دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة - ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.
- ٤- التعريفات - أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ١٣٤٠ هـ - ١٤١٣ م) الدار التونسية للنشر - ١٩٧١ م.
- ٥- دراسة الصوت الغوي - د. أحمد مختار عمر - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٦ م.
- ٦- دراسات في اللهجات العربية (لهجة هذيل) - د. خليل إبراهيم العطية - بحث في مجلة الخليج العربي تصدر عن مركز دراسات الخليج العربي - جامعة البصرة - ع ٢ / ٢ / ١٩٧٥ م.
- ٧- سر صناعة الإعراب - أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) - قدم له د. فتحي عبد الرحمن حجازي - حققه وعلق عليه أحمد فريد أحمد - المكتبة التوفيقية - القاهرة - د.ت.
- ٨- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - تحقيق: د. محمود مصطفى حلاوي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - د.ت.
- ٩- شرح التصريح على التوضيح - خالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٠ هـ) دار إحياء الكتب العربية - د.ت.
- ١٠- شرح شافية ابن الحاجب - رضي الدين الاسترأبادي (ت ٦٨٨ هـ) مع شرح شواهد للعالم الجليل عبد القادر البغدادي - حققهما وضبط غريبهما وشرح

- مبهمهما محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة حجازي - القاهرة - د.ت.
- ١١- شرح المفصل - موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) - نشر عالم الكتب - بيروت، مكتبة المتنبى - القاهرة - د.ت.
- ١٢- ظاهرة الإمالة عند العرب القدماء - د. محمد اسماعيل بصل وصلاح الدين حسين - بحث على الانترنت.
- ١٣- علم الأصوات - د. كمال محمد بشر - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ٢٠٠٠ م.
- ١٤- فقه اللغة - د. عبد الحسين المبارك - مطبعة جامعة البصرة - ١٩٨٦ م.
- ١٥- في الأصوات اللغوية / دراسة في أصوات المد العربية - د. غالب فاضل المطليبي - دار الحرية للطباعة - بغداد - ١٩٨٤ م.
- ١٦- في اللهجات العربية - د. إبراهيم أنيس - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ٢٠٠٣ م.
- ١٧- لسان العرب - جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ) قدم له: الشيخ عبد الله العلايلي - إعداد وتصنيف: يوسف خياط، نبيل مرعشلي - دار لسان العرب - بيروت - د.ت.
- ١٨- اللهجات العربية الغربية القديمة - CHAIMRABIN - ترجمة: عبد الرحمن أيوب - ذات السلاسل للطباعة والنشر - الكويت - ١٩٨٦ م.
- ١٩- لهجة قبيلة أسد - د. علي ناصر غالب - دار الشؤون الثقافية العامة - وزارة الثقافة والإعلام - بغداد - ط/١ - ١٩٨٩.
- ٢٠- مناهج البحث في اللغة - د. تمام حسان - المكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٥٥ م.
- ٢١- النشر في القراءات العشر - أبو الخير محمد بن محمد الجزري (ت ٨٣٣ هـ) - أشرف عل تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضباع - دار الكتب العلمية - بيروت - د.ت.

## التخطيط البيلوغرافي لواقم المخطوطات المفقودة

### في مكتبة أوقاف الموصل

#### (دراسة أرشيفية)

د. رائد أمير عبد الله \*

جامعة الموصل / كلية الآداب

### مستخلص البحث

يمثل البحث محاولة جديدة وجادة في المنهج بسياقه التراثي حيث أن نظرتنا تتطرق من حقيقة أن الاهتمام بتراثنا العربي الإسلامي هو جزء لا يتجزأ من تطلعاتنا إلى الرقي بمستوى البحث العلمي، وكذلك إلى رفع قيمة المنهج، ذلك أن تراثنا حافل بالمنجزات المتعلقة بالمنهج والبحث العلمي ففيه إتقان وجودة وتطلع إلى مستقبل أفضل.

يهدف البحث إلى تتبع مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في محافظة نينوى، والتي تعرضت مخطوطاتها للسرقة والإهمال باعتبارها إحدى المؤسسات الثقافية التي تحتوي على كنوز من التراث المخطوط الغني بمجالات المناهج المتعددة. ضمن تصنيف ببلوغرافي، ليكون المرجع والدليل العلمي للباحثين والمستفيدين في مجال المخطوطات.

وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج من أهمها ضرورة البحث عن تراثنا المفقود بمنهجية علمية من خلال إنشاء مركز بحثي يعنى بالتراث.

### مُتَكَلِّمَةٌ

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد (ﷺ) وعلى  
آله وصحبه وسلم.

وبعد:

لا يزال تراث الأمة (المخطوطات) يتعرض لشتى الهجمات المباشرة وغير المباشرة منذ القدم ولحد الآن، ومن هذا التراث الذي تعرضت له مخطوطات مكتبة الأوقاف في الموصل، إضافة إلى الإهمال الحاصل لها من بعض المسؤولين، والهجمات غير المباشرة من الحشرات والقوارض... تأتي هجمة أخرى من الداخل لتشكل عبئاً آخر عليها ألا وهو سرقة المخطوطات عام ١٩٩٥م، لتكون حادثة تاريخية، ووصمة عار باقية في تاريخنا، وبفعل الموظف المسؤول عنها بالتعاون مع جهات خارجية لبيعها، إلا أنه ما لبث أن القي القبض عليه، وتم مصادرة المخطوطات، إلا أن هذه الحادثة لحد الآن بقيت تشكل لغزاً لم يستطع أحد حله، وتم تشكيل العديد من اللجان في هذا الموضوع، إلا أنه ما تزال هناك مخطوطات مفقودة وغير موجودة في الفهرس المتفق عليه في مكتبة الأوقاف والجهات الأخرى، وشكلت نوع من الفوضى الحقيقي في المعلومات المدونة، في حين المسؤولين يؤكدون أن المخطوطات لم تسرق وأنها محفوظة في مكتبة المركز الوطني للمخطوطات في بغداد (دار صدام للمخطوطات سابقاً)، لكن الواقع الفعلي لمخطوطات مكتبة الأوقاف والمفروض أن تكون محفوظة بها في الحقيقة غير موجودة.

لذلك قمنا بخطوة عملية وعلمية لجرد مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، وتبيان المفقود منها، والتي لم تجرد منذ سرقتها سنة ١٩٩٥م. وأن هذه

## المبحث الأول

### الإطار المنهجي للبحث

#### أولاً: مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة الدراسة في النقاط التالية:-

- ١- ندرة ما كتب عن هذا الموضوع، حيث لا توجد دراسة علمية وافية غطت هذا الموضوع بشكل تفصيلي، سوى بعض المقالات التي أشارت إلى لمحة سريعة حول تعرض مكتبة الأوقاف العامة في الموصل إلى سرقة مخطوطاتها من دون تركيز واضح على هذه العملية.
- ٢- عدم وجود أي قاعدة معلومات أو قائمة حصرية أو ببليوغرافية، ترصد ما تم فقده من هذه المخطوطات في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، بل حتى القوائم التي وفرتها المكتبة المعنية بخصوص ما تم فقده من المخطوطات لم تكن مطابقة لواقع ما تم فقده في الخزانات، وأغفلت العديد من المخطوطات التي لم نجدها في مكانها (الخزانة).

#### ثانياً: أهمية البحث:

##### الأهمية النظرية

تكمن أهمية الدراسة في أهمية التراث المخطوط الذي يعد أساساً وقاعدة لأغلب العلوم التي استندت على التراث العربي والإسلامي وعلومه، وتبرز أهمية هذه الدراسة الحالية من خلال الضبط الببليوجرافي لكل المخطوطات التي فقدت في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، وإعداد قائمة حصرية لهذه المخطوطات لتكون مرجعاً للمستفيدين من هذا المجال، خاصة وأنه تبيين من البحث عدم وجود قائمة تحصر واقع ما هو مفقود من هذه المخطوطات في المكتبة.

الدراسة تنضوي على إحياء وتجديد تراثنا العلمي، كما وأنها جاءت لتتوجها جميعاً لمسار واقع المخطوطات في مكتبة الأوقاف في الموصل فكانت مكملة لدراسة بحثية سابقة كنت قد نشرتها في مجلة دراسات موصلية بعنوان (المخطوطات المفقودة في مكتبة أوقاف الموصل دراسة وثائقية إحصائية) في العدد (٢٦) لسنة (٢٠٠٩/آب).

يهدف هذا البحث إلى دراسة المخطوطات المفقودة في مكتبة الأوقاف المركزية العامة في الموصل ضمن تصنيف ببليوغرافي، ليكون المرجع والدليل العلمي للباحثين والمستفيدين في مجال المخطوطات.

تضمن البحث ثلاثة مباحث مع مقدمة وخاتمة، تناول المبحث الأول الإطار المنهجي للبحث، في حين اشتمل المبحث الثاني على المخطوطات المفقودة في مكتبة الأوقاف / الموصل، فضلاً عن المبحث الثالث الذي تناول الجدول الخاص بأسماء المخطوطات المفقودة في مكتبة الأوقاف/ الموصل لسنة ٢٠٠٨م.

من الصعوبات التي واجهت الباحث في بحثه، انه عمل لوحده كونه متخصصاً في هذا المجال، وقد استغرق ذلك وقتاً طويلاً في عملية الجرد، وعدم توفر الامكانيات في ذلك، فضلاً عن قلة وندرة الكتب والوثائق التي تناولت هذا الموضوع.

ومن الله التوفيق.

### الأهمية التطبيقية

إن هذا البحث يسلط الضوء على المخطوطات المفقودة في المكتبة، وإحصائها وأرشفتها لكي تكون مرجعاً للمستفيدين والباحثين في هذا المجال، خاصة وأنه تبين من البحث عدم وجود قائمة تحصر هذه المخطوطات ما هو موجود وما هو مفقود من هذه المخطوطات في المكتبة بشكل عام أو خاص.

### ثالثاً : أهداف البحث :

تهدف هذه الدراسة إلى:

- ١- التعرف على المخطوطات المفقودة في مكتبة أوقاف الموصل، والتنبيه والإشارة إليها.
- ٢- إعداد قائمة إحصائية للمخطوطات المفقودة.

### رابعاً : منهج البحث:

اعتمد الباحث على منهجية متكاملة من خلال المنهج المتعدد المداخل Multi – Dimensional Research Method. وذلك للإحاطة والإلمام بجوانب الموضوع، كما استخدمنا العديد من الكتب الرسمية، والملفات، والوثائق المحفوظة في ملفات الارشيف الاداري في مكتبة الاوقاف العامة، وبعض الوثائق والكتب تعود عائدتها الى مديرية الوقف السني نينوى، حيث تسنى للباحث الحصول على نسخ مصورة ونادرة من هذه الوثائق حين عمل في احدى اللجان المشرفة على المخطوطات المفقودة الخاصة بالمكتبة، كما ترأس الباحث لجنة جرد المخطوطات والتي شكلت من سنة (٢٠٠٤م)، مما مكن الباحث من الاتصال بصورة عملية ومقربة من الاحداث، والاتصال بالاشخاص والعاملين في المكتبة.

فضلا عن ذلك فقد عوّل الباحث على بعض المراجع المهمة التي اعتمدها في بحثه، ولعل من بين أهم المراجع التي اعتمدنا عليها، وتحققت الفائدة المرجوة منها

والتي في مقدمتها كتاب (فهرس المخطوطات لمكتبة الاوقاف العامة في الموصل) للمؤلف سالم عبد الرزاق، باجزائه التسعة، الذي تناول تصنيف المخطوطات، وفهرستها، واماكن وجودها، واعطاء وصف لها؛ كما اعتمدناه كقاعدة معلوماتية في البحث عن الكثير من المخطوطات الموجودة والمفقودة.

### خامساً: تحديد مصطلحات البحث

**المخطوطة :** هي نسخة من كتاب مؤلف بخط اليد، وهي كتب لم يتم طبعها، وهي أعلى النصوص التي وصلت إلينا حاملة عنوان الكتاب واسم مؤلفه وجميع مادة الكتاب على آخر صورة رسمها المؤلف بنفسه أو قد يكون أشار بكتابتها أو أملاها أو أجازها، ويكون في النسخة ما يفيد إطلاعه عليها أو إقراره لها. وهي بمعنى آخر : ما قابل المطبوع أو المصنوف، فهي النسخة الأصلية التي كتبها المؤلف بخط يده باللغة العربية أو سمح بكتابتها أو أقرها أو ما نسخه الوراقون بعد ذلك في نسخ أخرى منقولة عن الأصل أو عن نسخ أخرى غير الأصل<sup>(١)</sup>.

**البيلوغرافيا:** هي التصنيف لكل فرع من فروع المعرفة وتصنيف العلم المعين الى اقسام متعددة والمفردة ذات اصل يوناني مأخوذة من كلمة كتاب او كتابة وتعني ايضا فهرس العناوين الشاملة لا كتاب من وجود قائمة باسماء الاعلام والامم والقبائل والجماعات والمواضع الجغرافية وعناوين واقسام الكتب..<sup>(٢)</sup>

**المجاميع:** توجد مخطوطات كثيرة تدخل باسم مجموع أو "مجاميع" ويكون المجموع مجلداً يضم عدداً من المؤلفات الخطية أو الأجزاء الصغيرة أو الرسائل.

**الخزانة:** نقصد بها الدوايب التي تحفظ فيها المخطوطات، وتكون معنونة حسب اسمائها مثل: خزانة الجليبي، وخزانة حسن باشا الجليبي، وخزانة المدرسة الإسلامية...<sup>(٣)</sup>

**رقم المخطوط:** نقصد به الرقم الموجود في كتاب فهرس المخطوطات لسالم عبد الرزاق وهو رقم التصنيف للمخطوط في الخزانة.

## المبحث الثاني

### المخطوطات المفقودة في مكتبة الأوقاف المركزية - الموصل

يعود الفضل في حفظ الكثير مما وصل إلينا من مخطوطات إسلامية عربية وتركية وفارسية وغيرها للمساجد والمدارس الملحقة بها خلال العهد العثماني وما سبقه، ولقد تزايد هذا الاهتمام بعد قيام المملكة العراقية (١٣٤٠هـ/١٩٢١م)، وعندما حصل العراق على استقلاله (١٣٥٠هـ/١٩٣٢م) بدأت خطوات رسمية في لَم هذا التراث وجمعه، فكان سنة (١٣٥٥هـ/١٩٣٧م) نقطة تحول في تاريخ المكتبة، حيث تم الإيعاز من قبل الديوان الملكي إلى أوقاف الموصل من أجل العناية بالمخطوطات<sup>(٤)</sup>، ثم استمرت المحاولات والتأكيدات والجهود في جمع المخطوطات، وبدأ العمل بالجمع الحقيقي للمخطوطات في ١٩٧٣/٢/٧م، واكتمل الجمع في نفس السنة في ١٩٧٣/٧/١م<sup>(٥)</sup>، وتم افتتاح المكتبة رسمياً يوم الجمعة الموافق ٨/شباط/١٩٧٤م، وبدأت أمانة المكتبة تستقبل جموع الرواد والنخب المثقفة من باحثين، ومحققين، وطلبة اعتباراً من صباح يوم ١٦/٢/١٩٧٤م<sup>(٦)</sup>، وعند افتتاح المكتبة واستقبالها للمخطوطات بلغ عدد المخطوطات المحفوظة في مكتبة الأوقاف العامة (٨٣١٨) مخطوط<sup>(٧)</sup>.

ولقد قام الطبيب داود<sup>(٨)</sup> الجلبي بنشر فهرس أولي لتلك المخطوطات، ففي سنة (١٣٤٦هـ/١٩٢٧م) اصدر كتاب "مخطوطات الموصل"، ثم قام السيد أمين مكتبة الأوقاف الأسبق سالم<sup>(٩)</sup> عبد الرزاق بوضع أول فهرس متكامل لمخطوطات مكتبة الأوقاف، وسماه "فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل"، والكتاب يقع في تسعة أجزاء<sup>(١٠)</sup>.

في منتصف التسعينيات من القرن الماضي<sup>(١١)</sup> تعرضت مكتبة أوقاف الموصل لحادثة سرقة، حيث سرقت منها (٤٦٥) مخطوطة، وثلاث إسطرلابات نحاسية<sup>(١٢)</sup>، وثلاث شمعدانات نحاسية من العصر المملوكي<sup>(١٣)</sup>، وقد تم تشكيل لجنة

من أجل التحقيق في الموضوع<sup>(١٤)</sup>، وبعد انتهاء التحقيق تبين أن عملية السرقة حدثت من قبل احد موظفي المكتبة، حيث قام بسرقة المطبوعات<sup>(١٥)</sup> والمخطوطات من المكتبة على فترات طويلة من الخزانات العائدة للشيخ السابقين، ولقد تم استرجاع أربعمئة وستة عشر مخطوطاً بواسطة الأجهزة الأمنية (مخابرات المنطقة الشمالية) عند أحد المتاجرين، وتم تسليمها إلى المركز الوطني للمخطوطات في بغداد<sup>(١٦)</sup>.

بالرغم من تشكيل العديد من اللجان، إلا انه لم تتوصل أي لجنة إلى العدد الحقيقي للمخطوطات المفقودة في المكتبة، كما أن هناك تناقض في عدد المخطوطات الذي استلمها المركز الوطني للمخطوطات، فالقوائم التي أرسلتها المديرية عن طريق جهاز المخابرات هي (٤١٨)، بينما أيد المركز انه استلم (٤١٦) مخطوطاً فقط، وقد قمنا بجرد المخطوطات المفقودة ومقارنتها بفهرس سالم عبد الرزاق ومقارنتها بما هو واقع وموجود وما هو مفقود<sup>(١٧)</sup>.

ولقد توصلت اللجنة إلى أن عدد المخطوطات الموجودة فعلياً (٤٣٥٢) مخطوطاً، وبلغ عدد المخطوطات المفقودة (٤٠٥) مخطوط، وبلغ عدد المخطوطات للمجاميع المفقودة (٥٨) مخطوطاً، والمخطوطات الموجودة في المركز الوطني حالياً (٤١٦) مخطوطاً<sup>(١٨)</sup>.

أما بالنسبة لعناوين وأسماء المخطوطات التي فقدت، فقد قمنا بعمل جدول يبين فيه عناوين المخطوطات المفقودة، مرتبة حسب تسلسل الخزانات الموجودة في فهرس المخطوطات، مع ذكر رقم المخطوط، وسنة نسخه، وعدد أوراقه، حيث بلغ عدد المخطوطات المفقودة حسب عناوينها (٤٦٧) مخطوط، وكما هو مبين حسب الجدول الذي سيأتي ذكره في المبحث الثالث.

### ومن خلال دراسة الجدول نجد ما يلي:

- ١- إن عناوين المخطوطات المفقودة تشمل جميع فنون العلوم من القرآن وعلومه والحديث والعقيدة والفقه والأصول والمنطق، فهي متنوعة إذن، ولم تقتصر على علم أو فن واحد.
- ٢- معظم المخطوطات المفقودة هي مختارة من حيث قدم المخطوط تاريخياً، والغريبة، والمزخرفة، والمكتوبة بالذهب، والمنسوخة بخط المؤلف. حيث نجد أن المخطوط المفقود من خزانة حسن باشا برقم (١/٣) مخطوط نادر نفيس يرجع تاريخه إلى القرن العاشر الهجري، وعلى الصفحة الحادي عشر منه طغراء<sup>(١٩)</sup> محلاة باللون الأزرق والأصفر، وقد رسمت بشكل هندسي جذاب... مزخرف مذهب أول كل سورة منقوشة بالماء المذهب<sup>(٢٠)</sup>، وتفسير الجلالين في خزانة حسن باشا المرقم (٣/٨) مكتوب بالحبر الأحمر والأسود، ورقه أصفر ثخين، جلده مزخرف بطغرواوت نسخ سنة ٨٧١هـ يقع في (١٧٦) ورقة<sup>(٢١)</sup>، وتفسير لباب التأويل في معاني التنزيل لابن الخازن يقع في خزانة حسن باشا برقم (٣/٢٦) مع أجزائه المرقمة (٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١). جلده مزخرف بطغرواوت نسخ سنة ٩٦٨هـ يقع في (٢٧٦ ورقة)<sup>(٢٢)</sup>، ومخطوطة لامية العرب برقم (١٤/١٩) حسن باشا ورقها حريري ثخين، عليه نقوش وزخارف مجذولة، جلده مزخرف<sup>(٢٣)</sup>، ومجموع (٢٥/٢٧) نهج البلاغة، كتبه ياقوت بن عبد الله الكاتب أنوري، صفحته الأولى والثانية مزخرفة بعدة ألوان متناسقة ومطلاة بالماء الذهبي، والصفحة الثالثة والرابعة قاعدتهما مطلاة بالماء الذهبي، ورقه أصفر ثخين حريري مجلد في وسطه طغراء، وحاشية الجلد مع الطغراء مطلاة بالماء الذهبي<sup>(٢٤)</sup>، ومجموع (٢٥/٥٧) اخذ المخطوطات المزخرفة والمنقوشة بالماء الذهبي عن سواها<sup>(٢٥)</sup>، كذلك نجد في الجزء الثاني صحيح البخاري برقم (٤/٧) إسلامية صفحته الأولى والثانية

مجذولة بالماء المذهب، وأول الصفحة مزخرفة كلماته مشكولة<sup>(٢٦)</sup>، ومخطوطة ري الصادي برقم (٨/١) جمعها محمد حسن الاسطواني بعد موت المؤلف بنحو أربعين سنة<sup>(٢٧)</sup>، وموصل الطلاب برقم (١٣/٢١) مجذولة الصفحات ورقه أصفر عليه تعليقات وحواشي، جلده مزخرف هدية أحمد الجليلي إلى المدرسة الإسلامية في ١٩٢٦/٩/٢٧م<sup>(٢٨)</sup>، وسفينة الرؤساء تركي برقم (١٩/٨) ورقها أصفر رقيق مجذولة الصفحات بالماء المذهب، أولها لوحة زخرفية، خطها فارسي أسماء الأعلام مكتوبة بالحبر الأزرق الفاتح<sup>(٢٩)</sup>، والقران الكريم برقم (١/٢) صفحته مزخرفة ومذهبة باللونين الأزرق والذهبي كتبت عناوين السور بالماء المذهب، صفحاته مجذولة، جلده مزخرف ومحلى بماء الذهب<sup>(٣٠)</sup>، وبرقم (١/٣٠) صفحته الأولى والثانية مزخرفتان ومذهبتان بعدة ألوان، مجذولة الصفحات حاشية أسطره محشاة بالماء المذهب، وكتبت أسماء السور وعدد آياتها باللون الأبيض، وبأرضية مذهب، الناسخ محمد صائب الطالقاني<sup>(٣١)</sup>، كما أن المخطوطات المفقودة في الجزء الرابع نجد القران الكريم في خزانة الامينية برقم (١/١) الصفحة الأولى والثانية طغراء ملونة قاعدتها مذهب، صفحتا الفاتحة وأول سورة البقرة مزوقتان بالألوان والماء المذهب قاعدة صفحته مزوقة<sup>(٣٢)</sup>، ثم نلاحظ المخطوطات في بقية الأجزاء نجدها مختارة، فالقران الكريم برقم (١/١) الاحمدية نسخة نفيسة صفحاته الأولى مزوقة بطغرواوت مذهب، رؤوس سوره زخارف محلاة بالماء المذهب واللون الأزرق الفاتح، على حواشيه دوائر زخرفية، جلده مزخرف ومذهب<sup>(٣٣)</sup>، والقران الكريم برقم (١) داود الجلي صفحته الأولى مزخرفة، ومحلاة بماء الذهب مؤطر طغرائه مذهب<sup>(٣٤)</sup>، والمخطوطة المرقمة (١٩/٣) ديسقوريدس الحكيم، يحتوي على تصوير نباتات وحيوانات وخواصهما عدد مصوراته (٣٢٦) صورة مرسومة بألوان مختلفة زاهية رؤوس موضوعاته مكتوبة باللون الأحمر ورقه



خزانة كل من (باب الطوب) و (عبد الله بك) و (عبد الرؤوف) و (الخليلية) بواقع مخطوط واحد فقط، ثم تأتي خزانة (المحمودين) بواقع ثلاث مخطوطات، ثم تليها خزانة كل من (داود جلبي) و (الجليلي) و (عبدالله نشأة) بواقع (٤) مخطوطات، ثم تليها خزانتي (ميسر صالح) و (الهدايا) بواقع (٦) مخطوطات، ثم خزانتي (مريم خاتون) و (اليونيسية) بواقع (٩) مخطوطات، ثم (العبدالية) بواقع (١٠) مخطوطات، ثم (الإسلامية) بواقع (١١) مخطوط، ثم (الرابعة) بواقع (١٢) مخطوط، ثم (الجامع الكبير) بواقع (١٣) مخطوط، ثم خزانة (بكر أفندي) بواقع (١٦) مخطوط، ثم خزانتي (حسين بك) و (النعمانية) بواقع (١٨) مخطوط. وبالتالي فقد انسرقة المخطوطات منها قد تؤثر بالمقارنة بالخزائن الأخرى الكثيرة العدد، فخرانة (باب الطوب) مثلاً نجد المجموع الكلي للمخطوطات فيها هو (٤) فقط، فالنواقص فيها واحد، وبالتالي لا تتحمل الأخذ منها لأنها قد تسبب فضح وكشف المتهم لسرعة إحصائها وجردها إذا ما قورنت بالخزانات الكثيرة العدد.

٤- وجد أن هناك أكثر من نسخة لنفس عنوان المخطوط قد فقد من خزائن أخرى، فالمخطوط الموسوم (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) نجده مفقود في الخزائن التالية: خزانة (النبي شيت)، (الحجيات)، (الخياط)، (بكر أفندي)؛ كذلك المخطوط (حاشية على أنوار التنزيل) قد فقد في الخزائن التالية: (حسن باشا)، (النبي شيت)، (الاحمدية)، (الخياط).

٥- وجد أن معظم المخطوطات المفقودة تتراوح عدد أوراقها بالمئات، فالمخطوط (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) في خزانة (بكر أفندي) تتراوح عدد أوراقه (٧٣٠)، و (فتاوي قاضيخان) في خزانة (مريم خاتون) تتراوح عدد أوراقه (٦٣٤)، و (الميزان للشعراني) في خزانة (حسن باشا) تتراوح عدد أوراقه (٤٦٥) ...

### المبحث الثالث

### الجدول الخاص بأسماء المخطوطات المفقودة

تخين<sup>(٣٥)</sup>، والجذر الصفي من البحر الوفي برقم (٢٠/٢) نسخة نادرة وفريدة على صفحاتها الأولى أسماء سلاطين بني عثمان، مع تواريخ توليهم الحكم، مؤطر الصفحات، لوحة زخرفية في أول الصفحة يتضمن صورة المسجد الأقصى على ورقته (٣٣) جمعه مؤلفه من أربعين كتاب<sup>(٣٦)</sup>، والقران الكريم برقم (١) اليونيسية نسخة فريدة ونادرة جلده مزخرف، ومذهب بطغروا طغراء مزوقة على صدر صفحته الأولى، ولوحة زخرفية على صفحتيه الأولى والثانية يتخلل صفحاته نقوش رأس آياته وقوف مذهبة حاشية بالفارسية بين الأسطر الآيات<sup>(٣٧)</sup>، والقران الكريم برقم (٢) نسخة نفيسة وتامة، جلده مزخرف بطغروا مذهبة، صفحاته الأولى والثانية لوحات مزوقة بالألوان، رأس السور والأحزاب مطلاة بنقوش مذهبة<sup>(٣٨)</sup>، و القران الكريم برقم (٥٥) هدية إبراهيم النعمة نسخة تامة نفيسة أولها لوحة مزخرفة وقوف آياتها مذهبة صفحاتها مؤطرة<sup>(٣٩)</sup>، ونجد المخطوطة برقم (٦/٨) في خزانة (داود جلبي) بعنوان (دفع مضار الأغذية للرازي) فهي تمثل أقدم مخطوطة من حيث سنة خطها ونسخها فقد كتبت سنة (٤٠٣هـ) وهذا ما يجعلها أفضل المخطوطات<sup>(٤٠)</sup>.

٣- إن أكثر الخزانات التي حوت على نواقص المخطوطات هي: خزانة (المحمدية) بواقع (٥٢) مخطوط، ثم تليها خزانة (الأحمدية) بواقع (٤٤) مخطوط، ثم خزانة (النبي شيت) بواقع (٣٤) مخطوط، ثم خزانتي (الحجيات) و (الامينية) بواقع (٣٠) مخطوط، ثم خزانتي (الرضوانية) و (الحاج زكر) بواقع (٢٨) مخطوط، ثم (الصائغ) بواقع (٢٧) مخطوط، ثم (الخياط) بواقع (٢٦) مخطوط، ثم (حسن باشا) بواقع (٢٢) مخطوط. وهذه الخزائن في الأصل تحوي على الكثير من المخطوطات وأحياناً هناك أجزاء من الفهرسة خاصة بها لكثرتها كخزانة (حسن باشا) (الحجيات) (الامينية) فخصص لها مجلد خاص بها وهكذا بقية الخزانات الكبيرة الأخرى، أما أقل الخزانات التي حوت على نواقص المخطوطات هي:

### في مكتبة الأوقاف / الموصل لسنة ٢٠٠٨م

رقم	مؤلف	عنوان	تاريخ	ملاحظات	الأوراق
١.	حسن باشا	القرآن الكريم (مخطوط كامل)	ق ١٠هـ	٣٠٨	
٢.	حسن باشا	(تفسير الجلالين) - المجلد الأول.	٨٧١هـ	١٧٦	
٣.	حسن باشا	(تفسير الجلالين) - المجلد الثاني	-	٢٧٠	
٤.	حسن باشا	تفسير أبي الليث السمرقندي - المجلد الثاني	٨٧٩هـ	٢٨٢	
٥.	حسن باشا	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل	-	٥٣٤	
٦.	حسن باشا	لباب التأويل في معاني التنزيل	٩٢٦هـ	٢٧٦	
٧.	حسن باشا	لباب التأويل في معاني التنزيل - المجلد الثاني	-	٢٧٦	
٨.	حسن باشا	لباب التأويل في معاني التنزيل	-	٢٩٤	
٩.	حسن باشا	لباب التأويل في معاني التنزيل - المجلد الثالث	-	٢٨٨	
١٠.	حسن باشا	لباب التأويل في معاني التنزيل - المجلد الخامس	-	٢٩٥	
١١.	حسن باشا	لباب التأويل في معاني التنزيل - المجلد السادس	-	٢٦٢	
١٢.	حسن باشا	شرح طالع الأنوار	٨٧٢	٣٢٨	
١٣.	حسن باشا	شرح طالع الأنوار	-	١٨٤	
١٤.	حسن باشا	طالع الأنوار	-	١٠٤	
١٥.	حسن باشا	الميزان للشعراني	١٠٢٦هـ	٤٦٥	
١٦.	حسن باشا	شرح جمع الجوامع	١٠٨٦هـ	٢٤١	
١٧.	حسن باشا	مخزن الفقه	١٠٩٤هـ	١٤٩	
١٨.	حسن باشا	لامية العرب	١٠٣٠هـ	٩	
١٩.	حسن باشا	القاموس المحيط والقابوس الوسيط	١٠١٩هـ	٥٣٠	

٢٠.	٢٥/٢٧	مجموع : أ. نهج البلاغة ب. من كلام أمير المؤمنين علي	حسن باشا	٦٠١هـ	٢٢١
٢١.	٢٥/٥٧	مجموع فيه ١٦ رسالة نقص فيه: أ. تسبيح قصيدة البوصيري. ب. البردة. الكواكب الدرية في مدح خير البرية. ج. تخاميس على البردة	حسن باشا	-	-
٢٢.	٢٥/٧٤	مجموع (٦) رسائل نقص حاشية على حاشية الوغ بيبك	حسن باشا	-	-
٢٣.	٤/١	الأذكار	الإسلامية	١١٩١هـ	١٦٥
٢٤.	٤/٤	صحيح البخاري . المجلد الأول	الإسلامية	١٠٩٦هـ	٣١٠
٢٥.	٤/٥	صحيح البخاري . المجلد الأول	الإسلامية	-	٢٦٧
٢٦.	٤/٦	صحيح البخاري - (المجلد الثاني . الجزء الثالث)	الإسلامية	٩٠٠هـ	٢٤١
٢٧.	٤/٧	صحيح البخاري - الجزء الخامس	الإسلامية	١٢٧٤هـ	٣٠٩
٢٨.	٨/١	ري الصادي في فتاوي العبادي ت ١٠٥١	الإسلامية	١١٠٤هـ	١٠٧
٢٩.	٨/٥	مختصر غنية المتملي في شرح منية المصلي	الإسلامية	١٢٠٠هـ	٣١٠
٣٠.	٨/٦	مختصر غنية المتملي في شرح منية المصلي	الإسلامية	-	٢٥١
٣١.	١٢/٣	ديوان حسان بن ثابت	الإسلامية	-	٩٧
٣٢.	١٣/٢١	موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب	الإسلامية	١٣٠١هـ	١١٧
٣٣.	١٩/٨	سفينة الرؤساء (تركي)	الإسلامية	١٢٦٢هـ	٥٦
٣٤.	١/٢	القران الكريم	نبي شيت	٩٤٨	٥٢١
٣٥.	١/١٢	القران الكريم	نبي شيت	-	٥٣٥
٣٦.	١/٣٠	القران الكريم	نبي شيت	١١١٣هـ	٣٠٤
٣٧.	١/٣١	القران الكريم	نبي شيت	١٢٧٣هـ	١٩١
٣٨.	٢/٦	أنوار التنزيل وأسرار التأويل . المجلد الأول	نبي شيت	-	٤٠٢
٣٩.	٢/٧	أنوار التنزيل وأسرار التأويل . المجلد الثاني	نبي شيت	-	٣١٧

٥٧.	١١/٧	شرح الكافية للخببصي جلده مزخرف	نبي شيت	١١٦٤هـ	٢٢٢
٥٨.	١١/١٦	مغني اللبيب ابن هشام	نبي شيت	-	٢٢٢
٥٩.	١٦/٧	قصص الأنبياء . قطعة	نبي شيت	-	٢٣٥
٦٠.	١٩/٦	مجموع: أ. حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ب. مقدمة في الصرف	نبي شيت	-	١٨١
٦١.	١٩/١١	مجموع: أ. شرح النقارية. ب. تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزمان. ج. الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف	نبي شيت	١٠٦١هـ	١٥٢
٦٢.	١٩/١٣	مجموع: أ. الفتح المبين في شرح فتح المبين. ب. رسالة في بيان فضائل الاستعادة	نبي شيت	١٢٢٣هـ	٣٢٥
٦٣.	١٩/٢٧	مجموع: أ. شرح رسالة الوضع. ب. حاشية على شرح عصام. ج. شرح رسالة الاستعارة. د. حاشية على شرح عصام لرسالة الاستعارة	نبي شيت	-	١٠٨
٦٤.	١٩/٤٦	مجموع: أ. حاشية العصام على شرح العقائد النسفية. ب. حاشية على العقائد.	نبي شيت	٩٨١هـ	٥٧
٦٥.	١٩/٤٧	مجموع: أ. شرح منظومة النسفي في الخلاف. ب. منظومة في تعداد الكبائر	نبي شيت	-	٣١٧
٦٦.	١٩/٤٩	مجموع: أ. شرح كلمتي الشهادة. ب. شرح العقيدة السنوسي. ج. شرح مقدمات السنوسي.	نبي شيت	١٠٦٤هـ	١٤٦
٦٧.	١٩/٥١	مجموع: أ. شرح عقيدة التوحيد الوسطي. ب. عقيدة أهل التوحيد.	نبي شيت	١١٣٤هـ	١٧٤
٦٨.	٣	شرح مختصر التصريف للفتازاني	باب الطوب	١٢٠٤هـ	٥٥
٦٩.	٢	الإشاعة في اشرط الساعة للبرزنجي	الجامع الكبير	١٢٧٣هـ	١٢٧
٧٠.	٩	تنبيه الغافلين للسمرقندي	الجامع الكبير	١٢٨٦هـ	١٥٠
٧١.	١١	حاشية على شرح المحلى على جمع الجوامع	الجامع الكبير	٩٠٣هـ	١٩٢

٤٠.	٢/١١	جامع الاختلافات في علم القراءات	نبي شيت	-	٢٧٦
٤١.	٢/١٤	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل	نبي شيت	١٠٩٣هـ	٢٧٧
٤٢.	٢/١٥	سراج التأويل في شرح أنوار التنزيل	نبي شيت	-	١١٥
٤٣.	٣/٥	مختصر جامع الأصول لأحاديث الرسول . قطعة	نبي شيت	-	-
٤٤.	٤/١	تجريد العقائد - (تجريد الكلام)	نبي شيت	-	١٩٩
٤٥.	٥/١	التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة المجلد الثاني	نبي شيت	-	١٧١
٤٦.	٥/٢	التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة المجلد الثاني	نبي شيت	-	١٣٩
٤٧.	٦/١	التلويح إلى كشف حقائق التنقيح	نبي شيت	-	٢٠٦
٤٨.	٦/٤	شرح جمع الجوامع للمحلي المتن مكتوب بالحبر الأحمر	نبي شيت	-	٢٤٣
٤٩.	٦/٥	مناهج العقول شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول	نبي شيت	٨٤٩هـ	٣١٣
٥٠.	٧/١	التلويح في كشف حقائق التنقيح للفتازاني جلده مزخرف	نبي شيت	١١٦٠هـ	-
٥١.	٧/٢	خلاصة الفتاوي طاهر البخاري جلده مزخرف مجلد الصفحات	نبي شيت	٨٨١هـ	٣٤٥
٥٢.	٧/١٧	الفوائد المنثورة في الفتاوي الماثورة محمد أمين العمري	نبي شيت	-	٢٥٠
٥٣.	٧/٢٧	وقاية الرواية في مسائل الهداية برهان الشريعة المحبوبي	نبي شيت	٩٤٤هـ	١٩١
٥٤.	٨/٢	خلاصة الفتاوي في تسهيل أسرار الحاوي سراج الدين ابن الملقن	نبي شيت	٨٧٧هـ	٢١٧
٥٥.	٨/٥	عجالة المحتاج إلى توجيه المنهاج عمر بن الملقن	نبي شيت	-	٢٥٦
٥٦.	٨/٦	عجالة المحتاج إلى توجيه المنهاج جلده مزخرف	نبي شيت	١٠٧٢هـ	٢٤٤

٩٠.	٦/٢	البدور السافرة في أحوال الآخرة للسيوطي	حجيات	١١٢٥هـ	١٥٤
٩١.	٦/٦	شرح فصوص الحكم للجامي	حجيات	١٠٧٥هـ	٢٠٧
٩٢.	٧/٣	حواشي على عدة الأصول خليل القزويني	حجيات	١٠٥١هـ	٢٧٦
٩٣.	٧/٥	شرح المنهاج للرملي	حجيات	١٠٧٩هـ	٣٩٢
٩٤.	٨/٢	الفتاوي الخيرية للعلمي	حجيات	١٢٣٦هـ	٥٣٧
٩٥.	٨/٣	الفتح المبين بشرح الأريعين للهيثمي	حجيات	-	١٩٤
٩٦.	٨/٦	مختصر غنية المتملي بشرح منية المصلي للحلي	حجيات	-	٢٥٨
٩٧.	٩/٦	تحفة المحتاج في شرح المنهاج الهيثمي	حجيات	-	٨٤
٩٨.	٩/٧	تحفة المحتاج في شرح المنهاج	حجيات	-	٢٦٢
٩٩.	٩/١٥	روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي	حجيات	-	١٤٨
١٠٠.	٩/١٦	سرور الراغبين في شرح منهاج الطالبين للدمياطي	حجيات	-	١٩٦
١٠١.	٩/١٧	سرور الراغبين في شرح منهاج الطالبين	حجيات	-	١٦٨
١٠٢.	٩/١٨	سرور الراغبين في شرح منهاج الطالبين	حجيات	-	١٧٩
١٠٣.	٩/١٩	سرور الراغبين في شرح منهاج الطالبين	حجيات	-	٢٣٢
١٠٤.	٩/٢٢	شرح الزيد للرملي	حجيات	٨٦٢	٢٦٠
١٠٥.	٩/٢٤	شرح المقدمة الحضرية الهيثمي	حجيات	-	٢١٣
١٠٦.	٩/٣٨	النجم الوهاج في شرح المنهاج	حجيات	-	٢٨٢
١٠٧.	١١/٢	رحمة الأمة في اختلاف الأئمة للسفدي	حجيات	١١٦٩هـ	١٩١
١٠٨.	٢٠/٣	مخطوط نقولات في الفقه وعلوم القرآن والحديث	حجيات	-	٣١٣
١٠٩.	٢٢/١١	مجموع: أ. الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين. ب. شرح إثبات	حجيات	٩١٨هـ	١٨٨

٧٢.	١٤	درة الناصحين	الجامع الكبير	١٢٧٦هـ	١٧٤
٧٣.	١٩	روض الرياضين في حكايات الصالحين للياضي	الجامع الكبير	-	١٧٢
٧٤.	٢٣	شرح فرائض السجاوندي للرجاني	الجامع الكبير	٨٧٢هـ	١٢٩
٧٥.	٢٦	طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب	الجامع الكبير	-	١٣٦
٧٦.	٢٧	العناية في شرح الهداية البابرتي جلده مزخرف	الجامع الكبير	-	٣١٩
٧٧.	٣٣	كشف نقاب منهج الطلاب الاشعري	الجامع الكبير	-	٢٢٠
٧٨.	٤٩	مجموع: أ. تعليم المتعلم. ب. فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب	الجامع الكبير	١٢١٧هـ	١١٠
٧٩.	٥١	مجموع: أ. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج. ب. مختصر المحرر	الجامع الكبير	١٠٧٩هـ	١٨٢
٨٠.	٦٦	مجموع: أ. رسالة الجهر بالذكر والإسرار به. ب. رسالة تتعلق في الرد على من أنكر الذكر.	الجامع الكبير	١٢١٧هـ	٤٠
٨١.	٦٧	مجموع: أ. حاشية على شرح العقائد النسفية. ب. حاشية قرّة كمال على حاشية الخيالي	الجامع الكبير	١١١٤هـ	١١٤
٨٢.	٣/١	أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي	الحجيات	١٠٦٠هـ	٢٨٣
٨٣.	٣/٢	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	حجيات	-	٢٥٤
٨٤.	٣/٣	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	حجيات	١٠٤٠هـ	٢٨٤
٨٥.	٣/٥	تفسير القرآن الكريم	حجيات	٨٤٢هـ	١٠٦
٨٦.	٣/٦	التفسير الكبير للرازي	حجيات	-	٢٤٧
٨٧.	٣/٧	حاشية الخطائي على أوائل حاشية السعد على الكشاف	حجيات	-	٤٣٢
٨٨.	٣/٨	الدر المصون في علم الكتاب المكنون . المجلد الأول	حجيات	٨٥٩هـ	٣٧٥
٨٩.	٣/٩	الدر المصون في علم الكتاب المكنون . المجلد الثاني	حجيات	-	٣٩٥

١١٩.	٣/٣١	مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي	الامينية	٧٢١هـ	٢٤٧
١٢٠.	٣/٣٢	مجمع البيان في تفسير القرآن	الامينية	١٠٧٦هـ	-
١٢١.	٥/٢٣	علوم الحديث لابن الصلاح جلد مزخرف	الامينية	-	٢٠٠
١٢٢.	٧/٣	شرعة الإسلام لإمام زادة	الامينية	-	١٦٦
١٢٣.	٧/٦	طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب للديريني	الامينية	١١١٦هـ	١١٢
١٢٤.	٨/٣	شرح المنار للعيني جلد مزخرف	الامينية	١٠٧٥هـ	١٩٤
١٢٥.	٩/٢٠	الدرة السنية في شرح الفوائد الفقهية للطرسوسي	الامينية	-	١٥٨
١٢٦.	٩/٢٢	نخيرة العقبي لبأخي زادة	الامينية	٩٩٢هـ	٤١٩
١٢٧.	٩/٤٣	فتاوي مؤيد زادة للاماسي	الامينية	١٠٥٠هـ	٢٢٢
١٢٨.	٩/٥٨	المختار في فروع الحنفية للموصلي	الامينية	١٠٩٣هـ	١٤٧
١٢٩.	٩/٦٣	ملتقى الأبحر الحلبي	الامينية	-	٢٢٨
١٣٠.	٩/٧١	واقعات المفتين نقيب زادة	الامينية	١١٠٤هـ	٢٠٠
١٣١.	١٣/١٢	محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر للليوسنوي	الامينية	-	١٠٩
١٣٢.	٢١/٦	تعبير الأحلام لابن سيرين	الامينية	١١٠٢هـ	١٤٥
١٣٣.	٢٢/٤	بحر الغرائب في لغة الفرس - فارسي للحليمي	الامينية	١١٦٦هـ	٢٣٨
١٣٤.	٢٢/٦	تفسير فارسي - أوله لوحة زخرفيه مؤطر الصفحات	الامينية	-	٥١٩
١٣٥.	٢٢/١٥	ديوان ابن كمال - فارسي جلد مزخرف	الامينية	-	١٣٣
١٣٦.	٢٢/٢٨	كتاب في الأدب الفارسي	الامينية	-	١٠١
١٣٧.	٢٢/٤٧	مجموع: أ. ديوان نوائي تركي ب. ديوان فارسي	الامينية	-	٩٦

			الواجب. ج. نقولات من شرح التفتازاني على تلخيص المفتاح. د. حكاية أبي ذرع. هـ. حلبة الرجال ترجمة عالي أفندي إلى التركية. و. رسالة إلى التركية تحوي دوائر مع أسماء لبعض الحيوانات. ز. حكايات ح. حكم مترجمة إلى التركية. ط. فضائل السور من تفسير البيضاوي. ي. طرسوس نامة - تركي. ك. رسالة إلى التصوف لذكريا الأنصاري. ل. حاشية على شرح السيد الشريف الجرجاني على تلخيص المفتاح. م. نقولات في الجبر والمقابلة. ن. نقولات من بياض النور للدوراني جلال الدين ت ٩١٨هـ. س. نقولات من حاشية البيضاوي على الملا خسرو. ع. دعاء. ف. نقولات وفوائد مستلة من أقوال العلماء. ص. نظم بخط احمد الموصلي ت ١١٥٠هـ.		
١١٠.	٢٢/٧٩	مجموع: أ. مختصر المحرر ب. دقائق المنهاج	حجيات	-	٢٢٦
١١١.	٢٢/١٠٨	مجموع: أ. منهاج الطالبين ب. شرح دقائق المنهاج	حجيات	-	٢٥٦
١١٢.	١/١	القران الكريم	الأمينية	-	٢٩٠
١١٣.	١/٢	القران الكريم	الامينية	١٠٥٠هـ	٣٧٥
١١٤.	١/٣	القران الكريم	الامينية	١٢٠٩هـ	٣٣٦
١١٥.	٣/٢٧	الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري	الامينية	١١٧٠هـ	٣٥٢
١١٦.	٣/٢٨	الكشف عن مشكلات الكشاف م ١ للقرويني	الامينية	-	٤٣٨
١١٧.	٣/٢٩	الكشف عن مشكلات الكشاف م ٢	الامينية	٩٨١هـ	٤٥٧
١١٨.	٣/٣٠	مجمع البيان في تفسير القرآن	الامينية	-	٣٣٢

١٦٠	٥/١٧	الفتح المبين لشرح الأربعين للهيثمي	الأحمدية	-	١٩١
١٦١	٥/١٨	فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي	الأحمدية	١١٥٣هـ	١٩٣
١٦٢	٦/٣	حاشية على شرح التفاتازاني على النسفية للخياي	الأحمدية	١١٥٦هـ	٧٦
١٦٣	٧/٦	كتاب الإسراء	الأحمدية	١١٠٩هـ	١٠١
١٦٤	٩/٢٢	صرة الفتاوي للساقزي	الأحمدية	١١٥٠هـ	٢٨٧
١٦٥	٩/٣١	فقه حنفي	الأحمدية	-	٢٦٣
١٦٦	١٠/٣	تحفة المحتاج في شرح المنهاج للهيثمي	الأحمدية	-	٢٨٦
١٦٧	١٠/٤	تحفة المحتاج في شرح المنهاج	الأحمدية	١٠٧٢هـ	٣٦٥
١٦٨	١٠/٥	تحفة المحتاج في شرح المنهاج	الأحمدية	-	٢٨٦
١٦٩	١٠/٦	تحفة المحتاج في شرح المنهاج	الأحمدية	-	٢٣٢
١٧٠	١٠/٧	روض الطالبين للنووي	الأحمدية	٦٣٠هـ	٢٣٦
١٧١	١٠/٨	الروضة	الأحمدية	٧٧٥هـ	٣٦٠
١٧٢	١٠/١٦	مختصر الفتاوي العسقلاني	الأحمدية	١١٦٧هـ	١٧٧
١٧٣	١٢/١	الصواعق المحرقة الهيثمي	الأحمدية	١١٨٠هـ	١٥٦
١٧٤	١٣/٣	تخميس البردة للفيومى الصفحتان مزوقتان بالذهب	الأحمدية	-	٢٧
١٧٥	١٧/٤	المختصر للتفتازاني	الأحمدية	١١١٠هـ	١٥٧
١٧٦	٢٠/١	الأسباب والعلامات محمد المتطبب	الأحمدية	٥٩٩هـ	١١٥
١٧٧	٢٠/٤	تذكرة أولي الألباب داود الانطاكي	الأحمدية	-	٢٣٨
١٧٨	٢٠/٨	شرح القانون للسلمي	الأحمدية	-	١٦٣
١٧٩	٢٠/١٩	الموجز لابن نفيس	الأحمدية	٨٦٦هـ	٦٨٣
١٨٠	٢١/٩	المعارف لابن قتيبة	الأحمدية	١٠٩٢هـ	١٩٨
١٨١	٢٣/١٥	الصراح في ترجمة الصحاح - فارسي لجمال القرشي	الأحمدية	-	٤٣٥
١٨٢	٢٤/١٠	مجموع: أ. حاشية على شرح المواقف. ب. تعليق على شرح السيد الشريف. ج. حاشية على شرح المواقف. د. حاشية على شرح التجريد. هـ. حاشية على شرح	الأحمدية	-	١٣٤

١٣٨	٢٢/٤٨	مجموع: أ. نزهة الأرواح فارسي ب. كتاب فارسي في شرح آيات وأحاديث	الامينية	١٠٤١هـ	٣٤١
١٣٩	٢٣/٥	مجموع: أ. أحاديث ب. نذر العابدين	الامينية	-	٨٨
١٤٠	٢٣/٦	مجموع: أ. أحاديث نبوية ب. الحصن الحصين ج. رسالة تشتمل على أحاديث الرسول	الامينية	١٠٠٣هـ ٩٩٧هـ	١٨٣
١٤١	٢٣/٣٧	مجموع: أ. حاشية على عقائد النسفي ب. حاشية قول أحمد	الامينية	١١٢٢هـ	٢٣٥
١٤٢	١/١	القران الكريم	الأحمدية	-	٣٧٥
١٤٣	٣/٩	تفسير الرازي الكبير	الأحمدية	-	٤٣٧
١٤٤	٣/١٠	تفسير الرازي الكبير	الأحمدية	١١٠٤هـ	٢٢٨
١٤٥	٣/١١	تفسير الرازي الكبير	الأحمدية	١١٩٥هـ	٣٣١
١٤٦	٣/١٢	السفر الجليل	الأحمدية	١٠٦١هـ	٣٦٧
١٤٧	٣/١٣	السفر الجليل	الأحمدية	-	١٩٧
١٤٨	٣/١٤	السفر الجليل	الأحمدية	-	٨٦
١٤٩	٣/١٥	السفر الجليل	الأحمدية	-	٣٤٩
١٥٠	٣/١٦	السفر الجليل	الأحمدية	١١٠٢هـ	٣٥٧
١٥١	٣/١٧	السفر الجليل	الأحمدية	-	٢٥١
١٥٢	٣/١٨	حاشية التفتازاني على الكشاف	الأحمدية	-	٩٨
١٥٣	٣/١٩	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل للاسفراييني	الأحمدية	-	٢٧٦
١٥٤	٣/٢٠	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل	الأحمدية	-	٢٧٦
١٥٥	٣/٢١	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل ملا خسرو	الأحمدية	٩٤٩هـ	٢٦٦
١٥٦	٣/٢٢	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل	الأحمدية	١٠٨٤هـ	٢٠٥
١٥٧	٣/٢٣	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل للسبيلكوتي	الأحمدية	-	٢٣٤
١٥٨	٣/٢٧	حاشية على الكشاف للطبيبي	الأحمدية	-	٢٣٤
١٥٩	٣/٣١	معالم التنزيل للبعوي	الأحمدية	-	٢٨٨

١٩٣.	٢/١٠	السر القدسي في تفسير أية الكرسي للطلباوي	خياط	-	٧٦
١٩٤.	٢/١١	معالم التنزيل للبقوي	خياط	١١٦٧هـ	٢٥٢
١٩٥.	٢/١٢	معالم التنزيل	خياط	١١٦٥هـ	٢٤٩
١٩٦.	٣/٦	شرح البخاري للقسطلاني	خياط	١٢٣٩هـ	٢٠٥
١٩٧.	٣/١٠	الفتح المبين بشرح الأربيعين الهيثمي	خياط	-	٢٣٤
١٩٨.	٣/١٦	مشكاة المصابيح للخطيب العمري	خياط	٧٨٧هـ	٣٢١
١٩٩.	٥/١٧	كوكب المباني وموكب المعاني للنايلسي	خياط	١١٥١هـ	١٧٠
٢٠٠.	٦/١	التصريح شرح التلويح الفناري	خياط	-	٢٠٨
٢٠١.	٦/٥	شرح جمع الجوامع للمحلي	خياط	١٢٠٤هـ	١٨٩
٢٠٢.	٧/٤	انفع الوسائل إلى تحرير المسائل للطرسوسي	خياط	-	١٨٨
٢٠٣.	٧/١١	الفتاوي الخيرية لنفع البرية للرملي	خياط	١٠٨١هـ	٣٦٠
٢٠٤.	٨/١	الأنوار لأعمال الأبرار الاربلي	خياط	-	٣٠٢
٢٠٥.	٩/٦	شرح ديوان ابن الفارض للبوريني	خياط	١٠٦١هـ	٢٢٣
٢٠٦.	١٥/٤	حياة الحيوان للدميري	خياط	-	٢٧٨
٢٠٧.	١٥/٩	مختار الصحاح الرازي	خياط	١١٧٠هـ	١٦٥
٢٠٨.	١٦/١٧	مجموع: أ. حاشية على شرح التفتازاني ب. حاشية على شرح العقائد	خياط	١٢٩٣هـ	١٥٧
٢٠٩.	١٦/٣٩	مجموع: أ. مجموع يحتوي على مسائل على أبواب الفقه ب. رسالة مفرحات	خياط	-	٣٥١
٢١٠.	١٦/٤٥	مجموع: أ. جواهر الفرائض ب. فرائض السجاوندي. ج. الفوائد الشنشورية في شرح المنظومة الرحبية	خياط	١١٣٨هـ	١٦٩
٢١١.	١٦/٥٥	مجموع: أ. شرح الكواكب الدرية في مدح خير البرية ب. شرح قصيدة	خياط	-	١١٩

١٨٣.	٢٤/٥٥	مجموع: أ. أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب. ب. تلخيص الازهية في أحكام الأدعية. ج. الروضة الزاهرة النافعة في الدنيا والآخرة. د. نقولات وفوائد وأدعية.	الأحمدية	١٢٠٥هـ	٣٦
١٨٤.	٢٤/٥٩	مجموع: أ. تخميس البردة ب. قصائد منونة	الأحمدية	-	١١٥
١٨٥.	٢٤/٨٣	مجموع: أ. شرح الصدور. ب. الاحتفال في الأطفال. ج. حصول الرفق بأصول الرزق. د. الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة. هـ. تلج الفوائد في أحاديث لبس السواد. و. الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف. ز. المنحة في السبحة. ح. مجمع البحرين. ط. الدفعة في خصائص يوم الجمعة. ي. أربعون حديثاً للمندري.	الأحمدية	١١٤٣هـ	٢٥٩
١٨٦.	٢/١	الإتقان في علوم القرآن للسيوطي	خياط	٩١٧هـ	٣٥٨
١٨٧.	٢/٢	أنوار التنزيل وأسرار التأويل البيضاوي	خياط	٨٥٠هـ	١٧٠
١٨٨.	٢/٣	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	خياط	٧٤٠هـ	٢٦٦
١٨٩.	٢/٦	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل القوجوي	خياط	-	٣٩٩
١٩٠.	٢/٧	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل	خياط	١٢٧٦هـ	٣٥٣
١٩١.	٢/٨	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل	خياط	١٢٨٠هـ	٤٤٨
١٩٢.	٢/٩	حاشية على أنوار التنزيل وأسرار التأويل	خياط	١٢٧٠هـ	٣٩٩

الهداية					
٢٣٣.	٦/٢٩	المختار للموصلي	حاج حسين بك	-	١٨١
٢٣٤.	١١/٧	مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام	حاج حسين بك	١٠٩٧هـ	٢٥٨
٢٣٥.	١٣/١	حاشية على المطول	حاج حسين بك	٩١٠هـ	٢٩٣
٢٣٦.	١٣/٤	المطول للتفتازاني	حاج حسين بك	-	١٥١
٢٣٧.	١٥/٦	الشفاء بتعريف حقوق المصطفى القاضي عياض	حاج حسين بك	١١٢١هـ	٢٣٥
٢٣٨.	١٥/٩	الطريقة المحمدية لبيركلي	حاج حسين بك	١١٤١هـ	١٧٣
٢٣٩.	١٦/٢	تعبير الأحلام لابن سيرين	حاج حسين بك	١١٥٧هـ	٢٦٢
٢٤٠.	١٦/٣	الزواجر الهيثمي	حاج حسين بك	-	٣٣٣
٢٤١.	١٧/٢	مجموع: أ.معالم التنزيل ب.الناسخ والمنسوخ	حاج حسين بك	-	٣٩٣
٢٤٢.	١٥	مختصر منية المتملي في شرح منية المصلي للخلبي	عبدالله بك	١١٨٩هـ	٢٤٥
٢٤٣.	٦/٨	دفع مضار الأغذية للرازي	داود جلبي	٤٠٣هـ	١٣١
٢٤٤.	٨/١٤	الدليل إلى مرادف العامي والدخيل للبانيني	داود جلبي	-	٩٥
٢٤٥.	٨/٤٦	نقص في عدد اللوحات والباقي ٦	داود جلبي	١٢٨٦هـ	-
٢٤٦.	٩/١٤	مجموع: أ. رسالة في فضل عاشوراء ب.رسالة في فضل ليلة النصف من شعبان	داود جلبي	١٠٨٢هـ	٨٢
٢٤٧.	٦	ديوان ابن الفارض	ميسر صالح	٩٨٠هـ	١٧٦
٢٤٨.	١٤	شرح جمع الجوامع للمحلي	ميسر صالح	١١٩٨هـ	٢٧٤
٢٤٩.	٤٥	مجموع: أ. الإعراب عن قواعد الإعراب ب.موصل الطلاب	ميسر صالح	١١٧٤هـ	٧٠
٢٥٠.	٤٦	مجموع: أ. ميارق الأزهار في شرح فاروق الأنوار ب.فصل في سنن يوم عاشوراء	ميسر صالح	١٠٧٠هـ	٢٥٠
٢٥١.	٤٧	أ. مجموع: أ. رد المسائل إلى المسائل ب. ترجيح البيانات	ميسر صالح	-	٢٣٠

بانت سعاد					
٢١٢.	٢	البهجة المرضية للسيوطي	الرابعة	١٢٣٤هـ	١٢٠
٢١٣.	٥	تنبيه الغافلين للسمرقندي	الرابعة		٢٦٤
٢١٤.	١٤	شرح جوهرة التوحيد للحنفي	الرابعة	١٠٧٠هـ	١٥٠
٢١٥.	٣٣	غرر الأحكام ملا خسرو	الرابعة	٨٨٥هـ	٢٥٠
٢١٦.	٣٥	الفتاوي الخيرية لنفع البرية الرملي	الرابعة	١٢٧٢هـ	٤٦٤
٢١٧.	٣٦	الفتح المبين للهيثمي	الرابعة	٩٧٤هـ	١٣٧
٢١٨.	٣٧	الفوائد الضيائية الجامي	الرابعة	١٠٨٧هـ	٢٠٣
٢١٩.	٤٢	كليلة ودمنة لابن المقفع	الرابعة	-	١١٦
٢٢٠.	٤٦	مختصر القدوري	الرابعة	١٢٦٣هـ	١٢٢
٢٢١.	٤٧	معالم التنزيل	الرابعة	١٢٥٤هـ	٣٢٤
٢٢٢.	٥٢	مجموع: أ. شرح هداية الحكمة ب.حاشية على شرح هداية الحكمة	الرابعة	١٠٨٤هـ	٥٨
٢٢٣.	٥٣	مجموع: أ. شرح مختصر المقدمة الريحية. ب.رسالة في مسائل الميراث. ج.رسالة في الفقه. د. رسالة في أحكام الصلاة.	الرابعة	١٢١٣هـ	٧١
٢٢٤.	١/٦	تفسير الجلالين	حاج حسين بك	١٢٤٢هـ	٢٣٩
٢٢٥.	٢/١	أذكار النووي	حاج حسين بك	١١٧٣هـ	٢٢٥
٢٢٦.	٢/٩	المصابيح للبيهقي	حاج حسين بك	-	٢٧٩
٢٢٧.	٤/٢	التزود بالآخرة	حاج حسين بك	-	٨٤
٢٢٨.	٤/٣	المنح المكية في شرح الهمزية للهيثمي	حاج حسين بك	-	٢٥٧
٢٢٩.	٥/٣	حاشية على شرح جمع الجوامع للمقدسي	حاج حسين بك	-	٢١٥
٢٣٠.	٦/٨	شرح الفقه الأكبر ملا علي القاري	حاج حسين بك	١٠٨١هـ	٢١٣
٢٣١.	٦/١٤	شرح وقاية الرواية في مسائل الهداية لتاج الشريعة	حاج حسين بك	١١٠٥هـ	٢٦٢
٢٣٢.	٦/١٥	شرح وقاية الرواية في مسائل	حاج حسين بك	-	١٨٨



		المحمدية			
٢٦٨.	٤/٧	شرح ألفية العراقي	المدرسة المحمدية	١٠٨٢هـ	٢٦٢
٢٦٩.	٤/١١	مصابيح السنة للبقوي	المدرسة المحمدية	٨٠٧هـ	٢٥٦
٢٧٠.	٥/٤	حاشية على شرح التجريد للجرجاني	المدرسة المحمدية	-	٢١٢
٢٧١.	٥/١١	شرح المواقف للجرجاني	المدرسة المحمدية	-	٣٦٣
٢٧٢.	٦/١	إحياء علوم الدين المجلد الرابع للغزالي	المدرسة المحمدية	٦٣١هـ	١٣٠
٢٧٣.	٧/٥	منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل لابن حاجب الملكي	المدرسة المحمدية	١٠٥٥هـ	١٠٧
٢٧٤.	٨/١	تفصيل عقد الفرائد بتكميل قيد الشرائد لابن شحنة	المدرسة المحمدية	٩٩١هـ	٣٥٢
٢٧٥.	٨/٣	جامع الفصولين المجلد الأول لمحمود سماونة	المدرسة المحمدية	-	٣٣٧
٢٧٦.	٨/٥	جامع الفصولين المجلد الأول لمحمود سماونة	المدرسة المحمدية	-	٣٢٨
٢٧٧.	٨/٧	الخراج - أبو يوسف القاضي	المدرسة المحمدية	١١٣٧هـ	١٥٠
٢٧٨.	٨/٩	الدر المختار شرح تنوير الأبصار للحصكفي	المدرسة المحمدية	-	٢٥٥
٢٧٩.	٨/١٨	عيون المذاهب للكاملي	المدرسة المحمدية	١١٦٩هـ	١٣٠
٢٨٠.	٨/٢٢	الفتاوي الخيرية للرمل	المدرسة المحمدية	١١٥٤هـ	٣٠١
٢٨١.	٨/٢٤	كنز الدقائق لحافظ الدين	المدرسة المحمدية	٩٩٣هـ	٣٣٩
٢٨٢.	٩/٢	الإرشاد مختصر الحاوي للقزويني	المدرسة	٨٦٥هـ	١٠٢

٢٥٢.	٤٨	مجموع: أ. شرح العقائد النسفية. ب. حاشية على شرح التفتازاني على العقائد النسفية. ج. حاشية على شرح التفتازاني على العقائد النسفية	ميسر صالح	-	١٥٠
٢٥٣.	١	القران الكريم	محمد صديق الجلبي	١١٨٤هـ	٢٩٣
٢٥٤.	٧	حاشية على وقاية الرواية خضر بيك	محمد صديق الجلبي	-	١٨١
٢٥٥.	١٧	شرح الفقه الأكبر للقاري	محمد صديق الجلبي	-	٢٢٤
٢٥٦.	١٨	شرح كتاب الإيمان	محمد صديق الجلبي	-	٨٧
٢٥٧.	١٢	قطر الندى وبل الصدى ابن هشام	عبد الهادي رؤوف	١٢٧٠هـ	١٥٦
٢٥٨.	١	انتهاز الفرص في الصيد والقتص للناشري	عبدالله نشأة	-	١٤٧
٢٥٩.	٣	جامع الفتاوي للحميدي	عبدالله نشأة	٩٧٧هـ	٢٢٣
٢٦٠.	١٣	كشف الرين ونزح الشين ونور اليقين علوان الحموي	عبدالله نشأة	١٢٣٠هـ	٢٨٢
٢٦١.	١٤	نزهة المجالس الصفوري	عبد الله نشأة	١٢٣٧هـ	١٧٣
٢٦٢.	١/١	القران الكريم	المدرسة المحمدية	١١٩٨هـ	٣٠
٢٦٣.	٣/١٠	معالم التنزيل	المدرسة المحمدية	٩٦٤هـ	٤٦٧
٢٦٤.	٣/١١	معالم التنزيل	المدرسة المحمدية	٩٦٥هـ	٤١٥
٢٦٥.	٤/٢	الجامع الصحيح	المدرسة المحمدية	-	٣٢٠
٢٦٦.	٤/٣	الجامع الصحيح	المدرسة المحمدية	-	٢٠٢
٢٦٧.	٤/٦	شرح الاربعين النووية	المدرسة	-	١٦٣

		المحمدية	التحتاني		
٢٩٨.	١٧/٢	المدرسة المحمدية	تهذيب السيرة النبوية لابن هشام	١٩٥	٦٠٦هـ
٢٩٩.	١٧/٣	المدرسة المحمدية	تهذيب السيرة النبوية	٢١٤	٧٩٨هـ
٣٠٠.	١٧/٥	المدرسة المحمدية	حضره النديم من تاريخ ابن العديم	٨٠	-
٣٠١.	١٧/١٨	المدرسة المحمدية	مناقب أبي حنيفة - ابو القسم القرشي	١٠٠	١٠٠٩هـ
٣٠٢.	١٧/٢٠	المدرسة المحمدية	يتيمة الدهر للثعالبي	١٧٢	-
٣٠٣.	١٩/١	المدرسة المحمدية	التوراة	١١٢	١٨٠٤هـ
٣٠٤.	١٩/٣	المدرسة المحمدية	ديسقوريدس الحكيم	١٢٤	-
٣٠٥.	٢٠/٢	المدرسة المحمدية	مجموع: أ. الجذر الصفي من البحر الوقي ب. روضة المخلصين وذكر الموحدين	١١٠	-
٣٠٦.	٢٠/٥	المدرسة المحمدية	مجموع: أ. سور من القرآن الكريم ب. الحزب الأعظم والورد الأفخم	٨١	-
٣٠٧.	٢٠/٦	المدرسة المحمدية	مجموع: فيه ١٥ رسالة	٢٢١	١١٠٦هـ
٣٠٨.	٢٠/١١	المدرسة المحمدية	مجموع: أ. أخبار محزنة. ب. أخبار ليلي ومجنون. ج. أخبار خسرو. د. أخبار شيرين. هـ. أخبار الاسكندر	٣٣٩	٨٦٨هـ
٣٠٩.	٢٠/١٦	المدرسة المحمدية	مجموع: أ. خزائن الفقه. ب. تحفة الملوك	١٦٩	١١٧٠هـ
٣١٠.	٢٠/٢٠	المدرسة المحمدية	مجموع: أ. شرح رسالة الاستعارة ب. حاشية على عصام الاستعارة	٦٧	-
٣١١.	٢٠/٣١	المدرسة	مجموع: أشرح عقائد النسفية	١٤٤	-

		المحمدية			
٢٨٣.	٩/٤	المدرسة المحمدية	شرح الإيجاز	-	١٧٧
٢٨٤.	٩/٧	المدرسة المحمدية	شرح على المقدمة الحضرمية الهيثمي	١١٨٤هـ	٢٠٦
٢٨٥.	٩/١٧	المدرسة المحمدية	كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين للانصاري	١١٠٠هـ	٣٥٣
٢٨٦.	٩/١٨	المدرسة المحمدية	مناهج الطالبين للنووي	-	٢١٨
٢٨٧.	٩/١٩	المدرسة المحمدية	مناهج الطالبين	-	٢٠٩
٢٨٨.	١١/٤	المدرسة المحمدية	مختار الصحاح للرازي	١١٤٧هـ	٣٧٢
٢٨٩.	١٢/٥	المدرسة المحمدية	حاشية على الفوائد الضيائية على الكافية عصام الدين الاسفراييني	١١٦٠هـ	٢٤٤
٢٩٠.	١٢/١٨	المدرسة المحمدية	الفوائد الضيائية ملا جامي	١٠٧٢هـ	٢٠٩
٢٩١.	١٢/٢٢	المدرسة المحمدية	مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ابن هشام	١١٠٠هـ	٢٦٧
٢٩٢.	١٤/٥	المدرسة المحمدية	شرح تلخيص المفتاح للتفتازاني	-	٢٥١
٢٩٣.	١٤/٨	المدرسة المحمدية	المطول شرح تلخيص المفتاح للتفتازاني	١١٣٢هـ	١٩٥
٢٩٤.	١٥/٨	المدرسة المحمدية	حل مشكلات الإشارات	١٠٧٤هـ	٢٠٧
٢٩٥.	١٥/١٤	المدرسة المحمدية	شرح الشمسية التحتاني	٨٩٥هـ	١٦٥
٢٩٦.	١٥/١٥	المدرسة المحمدية	شرح هداية الحكمة ما سوى المنطق للخزيرياني	-	٨٥
٢٩٧.	١٥/١٨	المدرسة	لوامع الأسرار شرح مطالع الأنوار	-	٢٩٨

			ملا خسرو		
٣٣٣.	٦/١٠	الدرر المختار في شرح تنوير الأبصار	الصانغ	١١٤٥هـ	٢١٩
٣٣٤.	٦/٢٠	فتاوي قاضي خان	الصانغ	١١٠٦هـ	٥٠٠
٣٣٥.	٦/٢٥	كنز الدقائق	الصانغ	١١٥٠هـ	١٠٤
٣٣٦.	٦/٢٨	المختار	الصانغ	١١٢٧هـ	١٣٨
٣٣٧.	١٢/٣	شرح التصريف الفريد	الصانغ	١١٠٥هـ	٨٤
٣٣٨.	١٥/٥	الشفاء بتصريف حقوق المصطفى	الصانغ	١١٧٩هـ	٣٦٧
٣٣٩.	١٧/٤١	مجموع: أ. رسالة في التجريد ب. أحاديث ج. دعاء الختم للشيخ عثمان د. زينية للإمام علي.	الصانغ	١٢٦٧هـ	٨٠
٣٤٠.	١٧/٥٣	مجموع: أ. نسيم الصبا ب. حكاية عشق ج. كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار.	الصانغ	-	١٤٤
٣٤١.	٢	قران كريم	النعمانية	١٢١٧هـ	٢٦١
٣٤٢.	٤	البهجة الوردية لابن الوردي	النعمانية	١١٧٩هـ	٢٠٤
٣٤٣.	٥	تبين الحقائق لما فيه ما اكتنز من الدقائق للزليعي	النعمانية		٣٢٢
٣٤٤.	٦	تبين الحقائق لما فيه ما اكتنز من الدقائق المجلد الثاني	النعمانية		٢١٨
٣٤٥.	٧	تبين الحقائق لما فيه ما اكتنز من الدقائق المجلد الثالث	النعمانية	٨٦٥هـ	٣١٣
٣٤٦.	٨	تحرير القواعد المنطقية في شرح الشمسية للتحفاني	النعمانية	١١٩٨هـ	١٢٦
٣٤٧.	٩	تحرير القواعد المنطقية في شرح الشمسية	النعمانية	١١٩٨هـ	١٨٣
٣٤٨.	١٢	التوضيح في حل غوامض التنقيح للمحبوبي	النعمانية	١١٢٥هـ	١٣٥
٣٤٩.	١٣	التوضيح في حل غوامض التنقيح	النعمانية	٩١٦هـ	١٥٧
٣٥٠.	١٤	حاشية على شرح التفقازاني	النعمانية	-	١٢٥

			ب. حاشية على شرح التفقازاني على النفسية		
٣١٢.	٢١/١٠	تشريح ذخيرة خوارز مشاهي يحتوي على مصورات في التشريح	المدرسة المحمدية	-	١٠٧
٣١٣.	٢١/٢٧	كليلة ودمنة	المدرسة المحمدية	-	٢٠٨
٣١٤.	١/١	الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي	الصانغ	-	١٤٨
٣١٥.	١/٤	حاشية على حاشية العصام على أنوار التنزيل للكواكبي	الصانغ	١١٣١هـ	٢١٠
٣١٦.	١/٥	حاشية على الكشاف للجرجاني	الصانغ	-	٢٠٢
٣١٧.	١/٦	حاشية على الكشاف	الصانغ	-	٢٣٠
٣١٨.	١/١٠	الكشاف عن حقائق التنزيل الزمخشري	الصانغ	-	٢٠٥
٣١٩.	١/١١	الكشاف عن حقائق التنزيل الزمخشري	الصانغ	-	٢٠٨
٣٢٠.	١/١٢	معالم التنزيل	الصانغ	-	٣٥٩
٣٢١.	١/١٥	معالم التنزيل	الصانغ	-	١٧٧
٣٢٢.	١/١٦	معالم التنزيل	الصانغ	-	١٨٨
٣٢٣.	١/١٧	معالم التنزيل	الصانغ	١١٧٢هـ	٢٣١
٣٢٤.	١/١٨	معالم التنزيل	الصانغ	-	٢٢٨
٣٢٥.	٢/٥	الجامع الصحيح	الصانغ	٨٥٤هـ	٢٠٦
٣٢٦.	٢/٦	الجامع الصحيح	الصانغ	-	١٤٩
٣٢٧.	٢/١٢	شرح الأربعين النووية	الصانغ	١٢١٠هـ	٤٥٥
٣٢٨.	٢/١٦	فيض الفياض الباري في أحاديث صحبة منتخبة من صحيح مسلم	الصانغ	١٢٠٣هـ	٣١٨
٣٢٩.	٢/١٨	مشكاة المصابيح الخطيب العمري	الصانغ	١١٣١هـ	٤٢٥
٣٣٠.	٢/٢١	مصابيح السنة	الصانغ	١١٥٦هـ	٢٠٢
٣٣١.	٤/٢٤	الطريقة المحمدية	الصانغ	١١٤٤هـ	٢٠٣
٣٣٢.	٦/٩	درر الحكام في شرح غرر الأحكام	الصانغ	١١٠٥هـ	٤٠٢

٣٧٢.	٨٩	ملتقى الأبحر الحلبي	بكر أفندي	-	٢٠٨
٣٧٣.	٩٤	الوجيز في تفسير القرآن العزيز	بكر أفندي	٥٥٠هـ	٢٢١
٣٧٤.	٩٥	الهداية	بكر أفندي	٨٠٧هـ	٢٦٥
٣٧٥.	٢	أحاديث في الزهد	مريم خاتون	-	١٨٧
٣٧٦.	٣	أحاديث نبوية	مريم خاتون	-	١٣٥
٣٧٧.	٤	الاختيار شرح المختار مجد الدين الموصلي	مريم خاتون	٧١٠هـ	١٥١
٣٧٨.	٦	البحر المحيط ج ٢ أبو حيان الاندلسي جلده مزخرف بطغرات مذهبة	مريم خاتون	-	٢١٤
٣٧٩.	٩	تفسير القرآن الكريم	مريم خاتون	٧٢٦هـ	٣٠٥
٣٨٠.	١٨	شرح الألفية	مريم خاتون	١٢٧١هـ	٢١٩
٣٨١.	٢٤	شرح عقائد النسفي	مريم خاتون	١١٩٦هـ	١٠٤
٣٨٢.	٣٤	فتاوي قاضيخان	مريم خاتون	-	٦٣٤
٣٨٣.	٤٣	مختصر الفقه	مريم خاتون	١١٥٧هـ	١٧٠
٣٨٤.	١	القران الكريم	المدرسة اليونسية	-	٣٦٨
٣٨٥.	٢	القران الكريم	المدرسة اليونسية	١١١٤هـ	٣٠٣
٣٨٦.	٩	القران الكريم	المدرسة اليونسية	١٢١٠هـ	٤٥٧
٣٨٧.	١٣	القران الكريم ج ١٩ آياته مذهبة يتخلل الآيات طغرات مزخرفة	المدرسة اليونسية	-	٤١
٣٨٨.	٦٦	كتاب السلوك للغزالي	المدرسة اليونسية	-	١١٥
٣٨٩.	٦٩	معالم التنزيل م ١ للفراء	المدرسة اليونسية	-	٣٦٧
٣٩٠.	٧٠	معالم التنزيل م ٢	المدرسة اليونسية	-	٢٩٩

٣٥١.	٢١	خلاصة الأخبار في أحوال النبي المختار	النعمانية	-	١٢٩
٣٥٢.	٢٢	رسالة في العقائد	النعمانية	-	٨٠
٣٥٣.	٣٧	الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري	النعمانية	١٠٨٥هـ	٤٢٨
٣٥٤.	٣٨	مجالس الأبرار ومسالك الأخيار احمد الرومي	النعمانية	١٢٤٠هـ	٢٢٤
٣٥٥.	٤٠	مصاييح السنة	النعمانية	٩٧٤هـ	١٩٧
٣٥٦.	٤١	مطالع الأنظار شمس الاصفهاني	النعمانية	٧٧٧هـ	١٧١
٣٥٧.	٤٢	المطول شرح تلخيص المفتاح للتفتازاني	النعمانية	-	٣٠٣
٣٥٨.	٥٢	مجموع: أ. الفوائد الفنارية ب. حاشية على شرح الفوائد الفنارية	النعمانية	١٢٦٩هـ	٦٥
٣٥٩.	١٢	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	بكر أفندي	١٠٧٧هـ	٣١٤
٣٦٠.	١٣	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	بكر أفندي	٩٢٨هـ	٧٣٠
٣٦١.	١٤	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	بكر أفندي	١٠١٧هـ	٤٠٦
٣٦٢.	٢٢	التوضيح في حل غوامض التنقيح	بكر أفندي	-	١٦٨
٣٦٣.	٣٣	حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات للنووي	بكر أفندي	٧٩٤هـ	١٤٢
٣٦٤.	٣٤	حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات	بكر أفندي	٧٩٤هـ	٢٥٨
٣٦٥.	٣٥	حياة الحيوان الدميري	بكر أفندي	-	١٤٣
٣٦٦.	٥١	عوارف المعارف السهروردي	بكر أفندي	-	٢٨١
٣٦٧.	٥٣	غنية المتملي شرح منية المصلي	بكر أفندي	-	٢٤٤
٣٦٨.	٨١	مصاييح السنة	بكر أفندي	٧هـ ق	٢٥٠
٣٦٩.	٨٢	المطالع السعيدة في شرح الفريدة للسيوطي	بكر أفندي	١١٣٢هـ	١٥٤
٣٧٠.	٨٣	معالم التنزيل	بكر أفندي	١١٦٩هـ	٢٤٧
٣٧١.	٨٤	معالم التنزيل	بكر أفندي	-	٣٤٩

		الرضوانية			
٤٠٦.	٧/١٧	الرضوانية	فتاوي مؤيد زادة	-	٢٠٢
٤٠٧.	٧/١٨	المدرسة الرضوانية	الفوائد المنثورة في الفتاوي الماثورة	١٢١٢هـ	٢٤٦
٤٠٨.	٩/٧	المدرسة الرضوانية	شرح الأنموذج	-	٩٨
٤٠٩.	١٠/٥	المدرسة الرضوانية	شرح التصريف العزي	١١١٠هـ	٧٣
٤١٠.	١٠/٨	المدرسة الرضوانية	شرح الشافية	١١١٣هـ	١٩٨
٤١١.	١٣/٤	المدرسة الرضوانية	حاشية على الفوائد الفنارية	١٣٠١هـ	٧٠
٤١٢.	١٥/٦	المدرسة الرضوانية	قصص		١٣٧
٤١٣.	١٨/٢	المدرسة الرضوانية	مجموع: أ. الفتاوي الصيرفية. ب. ترجيح البنات. ج. شرح حديث. د. رسالة العروض	١٠٨٩هـ	١٠٢
٤١٤.	١٨/٨	المدرسة الرضوانية	مجموع: أ. الدرر السنية. ب. أقوال العلماء في ليلة القدر		١٤٦
٤١٥.	١٨/١٠	المدرسة الرضوانية	مجموع: أ. رسالة في العقائد. ب. وصية كعب الأحبار لأولاده. ج. جنات الجنات في استعمال الدخان. د. مقدمة الغزنوي.		١٤٠
٤١٦.	١٨/١٨	المدرسة الرضوانية	مجموع: أ. بهجة الناهض الى علم الفرائض ب. تفسير سور من القرآن الكريم	٩٧٤هـ	١٨٩
٤١٧.	١٨/٣٩	المدرسة الرضوانية	مجموع: أ. شرح عقائد النسفية ب. حاشية على شرح التفتازاني	-	١٣٣
٤١٨.	١٨/٤٣	المدرسة الرضوانية	مجموع: أ. شرعة الإسلام ب. رسالة في التجويد ج. رسالة في الفقه	-	٧١
٤١٩.	١٨/٥٢	المدرسة الرضوانية	مجموع: أ. إتيان في إعراب القرآن ب. نقولات وحكايات	-	٢٤٥

٣٩١.	٧٤	المدرسة اليونانية	مجموع: أ. كتاب الأربعين ب. الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة	١٢٢٠هـ	١٢٩
٣٩٢.	٧٧	المدرسة اليونانية	مجموع: أ. مختصر الفقه. متن القديري ب. رسالة في طب الأبدان والأديان	١٠٩٥هـ	٢٢٥
٣٩٣.	٢/١	المدرسة الرضوانية	الأربعون حديثاً للنووي	-	٨٣
٣٩٤.	٢/٣	المدرسة الرضوانية	شرح الجامع الصحيح	-	٣٠٣
٣٩٥.	٢/٤	المدرسة الرضوانية	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد نور الهيثمي	١٠٥٠هـ	١٩٥
٣٩٦.	٣/٢	المدرسة الرضوانية	بحر الأفكار حسن الحلبي	-	١٧١
٣٩٧.	٤/٤	المدرسة الرضوانية	التنوير في إسقاط التدبير احمد الاسكندري	-	٩٤
٣٩٨.	٧/١	المدرسة الرضوانية	الأشياء والنظائر ابن نجيم المصري	٩٧٨هـ	١٢٩
٣٩٩.	٧/٣	المدرسة الرضوانية	جامع الصدر الشهيد	٨٨٢هـ	١٦١
٤٠٠.	٧/٤	المدرسة الرضوانية	حاشية على الدر	١٢٤٧هـ	٢٦١
٤٠١.	٧/٦	المدرسة الرضوانية	حل المواضع المغلفة من وقاية الرواية	-	٢٣٩
٤٠٢.	٧/٩	المدرسة الرضوانية	الرسائل الزينية في فقه الحنفية	١١١٣هـ	٩١
٤٠٣.	٧/١١	المدرسة الرضوانية	شرح فتاوي ابن نجيم محمد الخطيب	-	١٠١
٤٠٤.	٧/١٥	المدرسة الرضوانية	الفتاوي الصيرفية في فقه الحنفية	١٠٥٣هـ	٨٥
٤٠٥.	٧/١٦	المدرسة	فتاوي منظومة علي افندي	١١٥٩هـ	٨١

٤٤٩.	٤	أذكار النووي	مدرسة العبدالية	-	١٠٥
٤٥٠.	٥	الأشباه والنظائر	مدرسة العبدالية	١١٣٤هـ	٢١٠
٤٥١.	٩	تعبير الأحلام	مدرسة العبدالية	١١٦٩هـ	١٢٤
٤٥٢.	٢٣	الجواهر البهية في شرح الأربعين للنووي	مدرسة العبدالية	١٢١٩هـ	٨٥
٤٥٣.	٣١	شرح الطريقة المحمدية	مدرسة العبدالية	١١٧٢هـ	١٠٠
٤٥٤.	٣٤	شرح مجمع البحرين	مدرسة العبدالية	٨٤٠هـ	٢٤٨
٤٥٥.	٣٩	الفتاوى الخيرية لنفع البرية	مدرسة العبدالية	١١١٢هـ	٤١٠
٤٥٦.	٤٣	كنز الدقائق	مدرسة العبدالية	١١٠١هـ	٢٠٠
٤٥٧.	٤٥	مجال الأبرار ومسالك الأخيار	مدرسة العبدالية	١٢٢٩هـ	١٧٩
أ.	٤٩	مجموع: أ. الرسالة الحنفية ب. شرح الرسالة الوضعية ج. حاشية الوغ بيك	مدرسة العبدالية	١٢٢٧هـ	٨٤
٤٥٨.	٢٠	كنز الدقائق	مدرسة المحمودين	١٠٨٤هـ	١١٦
٤٥٩.	٢٣	ملتقى الأبحر	مدرسة المحمودين	١٠٨٨هـ	١٩٢
٤٦٠.	٢٥	الموجز في الطب	مدرسة المحمودين	٨٦٧هـ	١٥٩
٤٦١.	٥	مجموع: أ. حاشية على شرح الكافي على ايساغوجي. ب. حاشية على شرح الدواني على العقائد العضدية.	المدرسة الخليلية	-	٩٥
٤٦٢.	١	الجزء الثالث عشر	الهدايا/الخياط المضافة	-	١٨
٤٦٣.	٤٢	إجازة في أصول قراءة عامر براوية حفص	الجزء التاسع	١٣٩٩هـ	-
٤٦٤.	٤٧	إجازة في أصول قراءة عامر براوية حفص	الجزء التاسع	-	-
٤٦٥.	٥٤	إجازة في أصول قراءة عامر براوية حفص	الجزء التاسع	-	١٨
٤٦٦.	٥٥	القران الكريم	التاسع/ابراهيم النعمة	١٢٧٨هـ	٣٠٤
٤٦٧.	٥٧	رسالة في الكتاب العربية المنقحة وضعها انتساس ماري الكرمل	الجزء التاسع	-	١٥

٤٢٠.	١٨/٩١	مجموع: أ. شرح الفقه الأكبر ب. شرح حديث الدين النصيحة	المدرسة الرضوانية	١٢١٣هـ	٦٨
٤٢١.	٢/٧	تفسير القران الكريم	حاج زكر	٦٩٦هـ	٢٨٢
٤٢٢.	٢/٨	تفسير القران الكريم	حاج زكر	١٠٧٦هـ	٣٢٦
٤٢٣.	٢/١٢	عرائس البيان في حقائق القران الشيرازي	حاج زكر	-	٢٩٥
٤٢٤.	٢/١٦	الكشاف	حاج زكر	-	٣٨٥
٤٢٥.	٢/١٧	الكشاف	حاج زكر	-	٢٩٤
٤٢٦.	٢/١٨	مختصر المعاني من حرز الأمانى ووجه النهائي	حاج زكر	٧٧٢هـ	٢٣٣
٤٢٧.	٣/٢	تخريج أحاديث المحرر للرافعي	حاج زكر	٧٨٨هـ	٢١٨
٤٢٨.	٣/٣	الترغيب والترهيب المنذري	حاج زكر	١١٦٩هـ	٣٥٦
٤٢٩.	٣/٤	الترغيب والترهيب المنذري	حاج زكر	-	٣٦٥
٤٣٠.	٣/٧	الجامع الصحيح	حاج زكر	-	٢٢١
٤٣١.	٣/٩	رياض الصالحين	حاج زكر	-	٥٥٣
٤٣٢.	٣/١١	شرح صحيح البخاري	حاج زكر	-	٤٢٠
٤٣٣.	٣/١٣	الشفاء بتعريف حقوق المصطفى	حاج زكر	٧٨٧هـ	١٦٢
٤٣٤.	٣/١٨	الكاشف عن حقائق السنن	حاج زكر	-	٢٨٥
٤٣٥.	٣/٢٢	مصاييح السنة	حاج زكر	٩٦٩هـ	٢٨٩
٤٣٦.	٣/٢٤	المقاصد الحسنة	حاج زكر	-	٢٠٨
٤٣٧.	٤/٤	شرح تجريد الكلام	حاج زكر	-	٣٩٨
٤٣٨.	٦/٢	حاشية على جمع الجوامع	حاج زكر	٩٩٩هـ	٢٣٥
٤٣٩.	٦/٣	حاشية على شرح جمع الجوامع	حاج زكر	٩١٣هـ	٢٣٢
٤٤٠.	٦/٥	حاشية على مختصر المنتهى	حاج زكر	-	١١٠
٤٤١.	٧/٧	خزانة الفقه	حاج زكر	١١٥٥هـ	١٢٣
٤٤٢.	٧/١٧	المختار للفتاوى	حاج زكر	-	١٤٠
٤٤٣.	٧/٢١	ملتقى الأبحر	حاج زكر	-	١٦٦
٤٤٤.	٨/٣٤	تيسير الفتاوى في تحرير الحاوي	حاج زكر	-	٢٧٠
٤٤٥.	٨/٥٥	شرح المقدمة الحضرمية	حاج زكر	١١٣٨هـ	٢٠٦
٤٤٦.	١٢/٣	شرح مراح الأرواح	حاج زكر	-	١٥١
٤٤٧.	١٣/٤	المختصر	حاج زكر	١٠٠٢هـ	١٧٥
٤٤٨.	١٦/١	حياة الحيوان	حاج زكر	-	٢٠٢

## الهوامش:

- (١) ينظر: عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة/١٩٩٨م)، ص٤٢؛ المسفر، د. عبد العزيز محمد، المخطوط العربي وشيء من قضاياها، دار المريخ، (الرياض/١٩٩٩م)، ص٦٧؛ المرعشلي، د. يوسف، أصول كتابة البحث العلمي وتحقيق المخطوطات، ط٣، دار المعرفة، (بيروت/٢٠٠٨م)، ص٢٠٩.
- (٢) لويز - نويل ماكليس، البيلوغرافيا، ترجمة: بهيج شعبان، مراجعة: هنري رغب، منشورات عويدات، ط١، (بيروت/١٩٧٤م)، ص١٠-١١.
- (٣) لاستزادة عن أسماء الخزائن ينظر: داود الجلي الموصل، مخطوطات الموصل، مطبعة الفرات، (بغداد/١٩٢٧م).
- (٤) بموجب الكتاب المرقم (٩٨٥٦/١٧٠٩) في ٥/ ذي الحجة /١٣٥٥ الموافق ١٦/ شباط /١٩٣٧.
- (٥) هامش سالم عبد الرزاق، فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، مطبعة الأوقاف، (بغداد/١٩٧٤م)، ١٥/١.
- (٦) افتتاح مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، مطبعة الإرشاد، (بغداد/١٩٧٤م)، ص٤، ١٢.
- (٧) كما هو موثق ومدون في كتاب سجل الأساس المحفوظ في مكتبة الأوقاف.
- (٨) داود بن محمد سليم بن احمد الجلي (١٨٧٩-١٩٦٠م)، طبيب ومؤرخ لغوي يتقن التركية والفرنسية ولمم بالفارسية والألمانية والسريانية له عدة مؤلفات منها (الأثار الآرامية في لغة أهل الموصل). ينظر ترجمته : سالم عبد الرزاق، فهرس المخطوطات، ١٥٣-١٥٥؛ عمر محمد الطالب، موسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين، مركز دراسات الموصل، (الموصل/٢٠٠٧م)، ١٦٧.
- (٩) سالم عبد الرزاق بن احمد الطائي (١٩٢٩-٢٠٠٩م)، نال الدبلوم من كلية الصحافة المصرية، وحصل على الإجازة العلمية في القراءات السبع، عمل أميناً

## الخاتمة:

### أولاً: النتائج

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج:

- ١- ضرورة البحث والتتقيب عن تراثنا المفقود ضمن منهجية علمية.
- ٢- إن عناوين المخطوطات المفقودة في مكتبة أوقاف الموصل تشمل جميع فنون العلوم من القرآن وعلومه والحديث والعقيدة والفقه والأصول والمنطق.
- ٣- معظم المخطوطات المفقودة من المكتبة هي مختارة من حيث قدم المخطوط تاريخياً، والغريبة، والنفيسة، والمزخرفة، والمكتوبة بالذهب، والمنسوخة بخط المؤلف.
- ٤- بلغ عدد المخطوطات المفقودة (٤٦٧) عنوان لمخطوط.

### ثانياً: المقترحات والتوصيات

نقترح إنشاء مركز بحثي يعنى بالتراث الموجود والمفقود في مكتبات العراق وإعداد الكوادر الخاصة والبرامج العلمية لذلك.

- (١٨) للاستزادة عن هذا الموضوع ينظر: الراشد، رائد أمير عبد الله، المخطوطات المفقودة في مكتبة الأوقاف الموصل، مجلة دراسات موصلية، ص ٩٩.
- (١٩) الطغراء، ختم بتوقيع السلطان. محمد احمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط ١، دار الفكر المعاصر، (بيروت/١٩٩٠م)، ص ١٠٩.
- (٢٠) سالم، الفهرست، ٢٨/١.
- (٢١) سالم، الفهرست، ٤٠/١.
- (٢٢) سالم، الفهرست، ٤٦/١.
- (٢٣) سالم، الفهرست، ١٣١/١.
- (٢٤) سالم، الفهرست، ٢٢٥/١.
- (٢٥) سالم، الفهرست، ٢٤٨/١.
- (٢٦) سالم، الفهرست، ٢٢/٢.
- (٢٧) سالم، الفهرست، ٣٣/٢.
- (٢٨) سالم، الفهرست، ٦٠/٢.
- (٢٩) سالم، الفهرست، ٧٦/٢.
- (٣٠) سالم، الفهرست، ١٢٨/٢.
- (٣١) سالم، الفهرست، ١٣٥/٢.
- (٣٢) سالم، الفهرست، ١٣/٤.
- (٣٣) سالم، الفهرست، ١٣٥/٥.
- (٣٤) سالم، الفهرست، ٢٩٧/٦.
- (٣٥) سالم، الفهرست، ٨٢/٧.
- (٣٦) سالم، الفهرست، ٨٣/٧.
- (٣٧) سالم، الفهرست، ١٧/٨.
- (٣٨) سالم، الفهرست، ١٧/٨.
- (٣٩) سالم، الفهرست، ٦١٢/٩.
- (٤٠) سالم، الفهرست، ١٧٥/٦.

## Abstract

- لمكتبة الأوقاف، ومن أشهر مؤلفاته (فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف). ينظر ترجمته: سالم عبد الرزاق، فهرس المخطوطات، ٣٤٩/٦-٣٥٠؛ عمر الطالب، موسوعة أعلام الموصل، ص ٢٠٧.
- (١٠) للمزيد عن فهرسة سالم عبد الرزاق ينظر : مجلة دراسات موصلية، مركز دراسات الموصل، العدد السادس والعشرون، السنة الثامنة/٢٠٠٩، ص ٩٩.
- (١١) السرقة تمت ليلة ١٩ على ٢٠ من تشرين الأول سنة ١٩٩٥م، وتم إبلاغ شرطة مكافحة الأجرام الدواسة بموجب كتاب المديرية المرقم العدد فوق العادة في ٢٠/١٠/١٩٩٥م، وتم إعلام مكتب المحافظ بموجب الكتاب المرقم إدارية ٢٨٤٩/٨ في ٢٢/١٠/١٩٩٥م وتم تشكيل لجنة التحقيق من قبل الشرطة والأمن. مزيدا من التفاصيل ينظر الكتاب المرقم إدارية/٨/٢٩٤٢ في ٣١/١٠/١٩٩٥م الصادر من مديرية الأوقاف والشؤون الدينية نينوى.
- (١٢) حسب الكتاب المرقم : سريات/١/٤٧ في ١٤/١٠/١٩٩٩م.
- (١٣) مزيدا من التفاصيل ينظر: فهرس المخطوطات، ٣٦٩/٨.
- (١٤) بموجب الكتاب المرقم ٢١١٣ في ٢/١١/١٩٩٥م؛ ثم شكلت لجنة أخرى بموجب الأمر المرقم ٦٠٥/٨ في ١٦/٣/١٩٩٦م.
- (١٥) قدر سرقة المطبوعات (٧١٢) كتاب مطبوع كما موثق بالكتاب المرقم إدارية ٣٨٥/٨ في ٢٠/٢/٢٠٠٠م، ثم عثرت اللجنة على (٢٠) كتاب مطبوع وبطرح العدد يبقى (٦٩٢) عدد المطبوعات المفقودة وهي مجهولة الأوصاف.
- (١٦) للاستزادة عن هذا الموضوع ينظر: الراشد، رائد أمير عبد الله، المخطوطات المفقودة في مكتبة الأوقاف الموصل - دراسة وثائقية إحصائية، مجلة دراسات موصلية، مركز دراسات الموصل - جامعة الموصل، العدد ٢٦، آب ٢٠٠٩، ص ٩٩.
- (١٧) شكلت اللجنة بموجب الأمر الإداري المرقم (٧٣٤/٨) في ١٩/٤/٢٠٠٤م، برئاسة الدكتور رائد أمير عبد الله.



The research represents a new and serious attempt in the curriculum by its context that refers to heritage. It seems that our view which emerge from the truth of interesting in our Arabic-Islamic heritage is an integral part of our ambition to come up with the level of research as well as raising the curriculum value. Our heritage is full of accomplishments related to the curriculum and scientific research which contain perfection, high quality and looking forward to a better future. The research aims at tracing the manuscripts of the central endowments library in Nineveh whose manuscripts have been stolen and neglected. This library is considered one of the cultural institution that contain treasure of manuscript heritage which is rich in all kinds of various curriculum. Classifying Bblograve , the research could be made as a reference and scientific guide for researchers and beneficiaries in the field of manuscripts. The study has reached to many results one of these is most important which is the necessity of scientific way by establishing a research center care about heritage.

## تكنولوجيا المعلومات في المكتبات الجامعية الطبية

((مكتبة كلية الطب / جامعة بغداد - نموذجاً -))

د. وفاء أحمد سعيد البياتي

جامعة بغداد / مركز إحياء التراث العلمي

العربي / قسم توثيق بغداد

“تكنولوجيا المعلومات في المكتبات الجامعية الطبية”

"Information Technology in Medical University  
Libraries"

### المستخلص

تعد المكتبات الجامعية كغيرها من المؤسسات والمنظمات والهيئات التي تسعى الى تلبية احتياجات مستفيديها في مجالات تخصصهم. وتتميز المكتبات الجامعية والطبية (تحديداً) عن غيرها من المكتبات بطابعها التخصصي سواء من حيث مصادر المعلومات الموجودة فيها أو المجتمع الذي تخدمه، أو الخدمات التي تقدمها. وعلى الرغم من هذا الاختلاف إلا إن وظيفتها واحدة وهي تقديم المعلومات لروادها والمستفيدين منها بأختلاف الطرق والمصادر.

وفي العقدين الأخيرين سعت هذه المكتبات الى الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات المتاحة بدءاً من تطبيقات الحاسوب والبرمجيات والتقانات المختلفة لمساعدة روادها والمستفيدين منها، وإيصال المعلومات المطلوبة بسرعة عبر توفير

مكتبات الكترونية (رقمية) وشبكات اتصال خاصة بها، وبناء شبكات وقواعد معلومات متعددة. ومن هذه المكتبات مكتبة NLM المكتبة الطبية الوطنية في أميركا ومكتبة كلية الطب في جامعة بغداد والتي تم توضيح جوانب عملها وخدماتها ونشاطاتها المقدمة كل على حدة وموقعهما ودورهما في عصر تكنولوجيا المعلومات وكيف تم تسخير لخدمتهما. والتي تعتبر أمثلة حية على طبيعة وهدف البحث.

توصل البحث الى جملة من النتائج والتوصيات منها: إن المكتبة الجامعية الطبية مطالبة بمسايرة عصر المعلومات، وإعتماد الآليات والتقنيات الحديثة دعماً لأعمالها وتحسيناً لخدماتها تجاه المستفيدين، والتأكيد على ضرورة مواكبة التطورات الحاصلة التي لا تتوقف على توفير الحواسيب وإنشاء النظم المتطورة فحسب، بل الإهتمام بالمكتبي والمستفيد، فالمكتبي مطالب بأكتساب مهارات جديدة لرفع مستوى خدماته تجاه المستفيد، وعلى الأخير أن يكون في مستوى كفاءة المكتبي لضمان الإستغلال الأمثل للوسائل التكنولوجية المتوفرة له في المكتبة.

## تكنولوجيا المعلومات في المكتبات الجامعية الطبية

### مُتَكَلِّمًا

تغير مفهوم العمل في المكتبات الجامعية، بحكم التطورات الحديثة في مجال خدمات المعلومات واسترجاعها وبنائها، وظهر تبعاً لذلك خدمات ووظائف جديدة، وأصبحت معطيات التكنولوجيا الحديثة بدائل ضرورية لتفصيل عمل المكتبات، والرفع من مستوى الأداء والإنتاجية، وظهور شبكات المعلومات في عصرنا الحاضر، التي جاءت نتيجة للتطورات التي حدثت في مجال التخاطب الإلكتروني بين أجهزة الحاسبات، مما سهل عملية تبادل ونقل المعلومات بكافة أنواعها وأشكالها عبر الدول<sup>(١)</sup>.

وقد كانت المكتبات في الكليات والجامعات - عبر التاريخ - هي المختصة بالحصول على المعلومات وإدارتها وإدارة مصادرها، إلا أنه مع بدء ظهور الحاسبات الإلكترونية والإنترنت وغيرها من تكنولوجيا المعلومات، توقفت المكتبة عن كونها المصدر أو المزود الوحيد للمعلومات بالكلية أو الجامعة. ومع هذا الظهور للحاسبات الإلكترونية، أصبحت كافة الموضوعات المرتبطة بالمعلومات أكثر تعقيداً. وقد يكون السبب في ذلك عائداً إلى فشلنا في الوصول إلى الفهم الحقيقي لطبيعة ومتطلبات التغير التكنولوجي. فالتغيير التكنولوجي ليس مجرد إضافة تكنولوجية ولكنه تغيير نفسي وذاتي، فإدخال الحاسبات في الكليات والجامعات لا يؤدي إلى خلق بيئة معلومات تتكون كلياً من مكتبة وموارد وإمكانيات حاسوبية، ومنظمة خدمات، بل إنه قد يكون أكثر من ذلك أننا نخلق بيئة معلومات مختلفة ومتغيرة بشكل أساسي.

وفي هذا المجال، أشار أوناديل بلاي (Onadell Bly) إلى أنه في الثلاثين عاماً الماضية كانت المكتبات الجامعية ومراكز الحاسب، وهما من الإدارات التقليدية

المستقلة بأي جامعة، يسيران بشكل متوازن كل في مساره، مركز الحاسب الآلي يطور ويستخدم التكنولوجيا لإنتاج المعلومات، والمكتبة الجامعية أو الأكاديمية تنظمها وتخزنها، وتسمح بالرجوع لها والحصول عليها لمتابعة الاطلاع على مختلف الموضوعات. وفي العقد الأخير اتجه التوازي في المسارين، في الاختفاء، حيث بدأ المساران في الاندماج في مسار واحد، وقد بدأ هذا الاندماج في الحدوث ببطء، ثم تزايد بصورة كبيرة في السنوات الأخيرة، كما تزايد أيضاً سرعة الإحساس بأهمية وضرورة هذا الاندماج<sup>(٢)</sup>.

لقد كانت التكنولوجيا دائماً جزءاً من المكتبات، فقد استخدمت في خزن واسترجاع المعلومات، إلا أنه في السنوات الأخيرة، تم تدعيم تلك التكنولوجيات بظهور استخدامات وتطبيقات بليوغرافية باستخدام الحاسب الآلي. إلا أنه وفقاً لطبيعة هذه التكنولوجيات فقد كانت معدلات ومتطلبات التغيير في المكتبات بطيئة وليست جذرية، وحديثاً أصبح التغيير في التكنولوجيا وضرورة حدوثه تفوق طاقة المكتبات التنظيمية للتغيير. وبالإمكان ملاحظة ذلك وبكل وضوح في المكتبات الجامعية الطبية والتي تعد من أكثر المكتبات حاجةً لمواكبة هذا التطور كونها تخدم شريحة مهمة من شرائح المجتمع كالأطباء والصيادلة ومختلف التخصصات الطبية.

### هدف البحث:

يهدف البحث الى تسليط الضوء على تكنولوجيا المعلومات المستخدمة في المكتبات الجامعية والمكتبات الطبية (على وجه الخصوص) في عصر أصبح يعرف بعصر المعلومات وتكنولوجياتها الجديدة. فالجامعة تعتمد على المكتبة في الإضطلاع برسالته البحثية والتعليمية، وتعمل على تحقيق أهدافها من خلال دعم ومساندة وتشجيع البحث العلمي فيها، وتسخير أحدث الوسائل لخدمة الطلبة والباحثين وإستخدام تكنولوجيا المعلومات في مكتباتها سواء بإدخال محتوياتها من مصادر

مختلفة الى الحاسوب في نظام أو برنامج معين، أو استخدام مصادر الكترونية في عملية البحث عن المعلومات.

### التعريف ببعض مصطلحات البحث:

١- تكنولوجيا المعلومات "Information Technology". تعددت تعريفات تكنولوجيا المعلومات حسب كل مصدر. فتعرفها الموسوعة الدولية لعلم المعلومات والمكتبات على إنها<sup>(٣)</sup>: التكنولوجيا اللازمة لتجميع وإختران وتجهيز وتوصيل المعلومات.

كما قدمت منظمة اليونسكو<sup>(٤)</sup> تعريفاً لمفهوم تكنولوجيا المعلومات وهو: إن تكنولوجيا المعلومات هي تطبيق التكنولوجيات الألكترونية ومنها الحاسب الآلي والأقمار الصناعية وغيرها من التكنولوجيات المتقدمة لإنتاج المعلومات التناظرية والرقمية وتخزينها وإسترجاعها، وتوزيعها، ونقلها من مكان الى آخر.

٢- المكتبات الجامعية "University Libraries"<sup>(٥)</sup>: المكتبة الجامعية عبارة عن مؤسسة ثقافية وتنقيفية وعلمية تعمل على خدمة مجتمع معين من الطلبة والأساتذة والباحثين الذين ينتسبون الى الجامعة او الكلية او المعهد، وذلك بتزويدهم بالمعلومات التي يحتاجونها في دراستهم وأعمالهم من الكتب والدوريات والمطبوعات الأخرى والمواد السمعية والبصرية وتسهيل استخدامهم لها.

٣- المكتبة الطبية "Medical Library"<sup>(٦)</sup>: هي مكتبة تخدم احتياجات الطلبة والأطباء والباحثين في أحد فروع العلوم الصحية والطبية مثل طب الأسنان والتمريض والصيدلة، وقد تديرها جامعة أو هيئة متخصصة أو مستشفى أو جمعية طبية أو مؤسسة أدوية وعقاقير تجري أبحاثاً أو وحدة في حكومة محلية أو ولاية أو حكومة فيدرالية. وتسمى أيضاً (Health sciences Library).

المستفيدون من البيانات التي تمت معالجتها من خلال امكانات المكتبة لتخرج نتائج مفيدة لهم.

٧- مراكز المعلومات "Information Centers"<sup>(١١)</sup>: مراكز المعلومات وريث لمراكز التوثيق التي كانت تهتم بالأشكال غير التقليدية لمصادر المعلومات والأساليب الحديثة في معالجتها وتنظيمها والاعتماد على المتخصصين في المجالات الموضوعية، والمؤهلين مهنيًا في طرق المعالجة الفنية للوثائق بالإضافة الى تقديم خدمات أكثر إيجابية وعمقاً وتطوراً من تلك التي تقدمها المكتبات التقليدية.

٨- المعلوماتية "Informatics"<sup>(١٢)</sup>: ذلك الإطار الذي يحوي تكنولوجيا المعلومات وعلوم الحاسبات، ونظم المعلومات وشبكات الاتصالات وتطبيقاتها في مختلف مجالات العمل الإنساني المنظم، كما يمكننا القول إن المعلوماتية هي منظومة تحوي ثلاثة أبعاد رئيسية هي: الأجزاء الصلبة "Hard Ware"، الأجزاء المرنة أو البرمجيات "Soft Ware" والمواد المعرفية "Knowledge Ware".  
وبتعريف آخر<sup>(١٣)</sup> هي العلم الذي يدرس استخدام ومعالجة البيانات والمعلومات والمعرفة، فالمعلوماتية ليست علم الحاسوب، بل هي تطبيق لعلم الحاسوب، ومعالجة المعلومات إلكترونياً لايعطيها قيمة إضافية لها إلا اذا كانت هي في الأساس على مستوى عال من الجودة. فالمعلومات الخام الجيدة تأخذ قيمة كبيرة إذا ما عولجت بالوسائل الإلكترونية.

٤- المكتبة الرقمية (الألكترونية) - "Digital Library (Electronics)": هي عبارة عن مكتبة يجري إنشاؤها دون رفوف توضع عليها أوعية المعلومات، والتي إنما هي حاسبات مضيئة خادمة (Servers) تحتضن المليزرات بداخلها من دون مستفيدين يستخدمون المكتبة الأم، وإنما هي حاسبات (Computers) تحت أيدي المستفيدين في أي مكان على وجه الأرض إلى جانب حاسبات موجهة (Routers)، وهي بحق الذروة العليا التي بلغت التطبيقات التجارية لتكنولوجيا المعلومات<sup>(٧)</sup>.

وهناك تعريف أكثر شمولية قدمه (جابين) وهو أن المكتبة الرقمية: "هي المكتبة الإلكترونية التي تعكس مفهوم الإتاحة من بعيد لمحتويات وخدمات المكتبات وغيرها من مصادر المعلومات، بحيث تجمع بين الأوعية على الموقع (on - site collection) والمواد الجارية والمستخدم بكثرة سواء كانت مطبوعة أو إلكترونية، وتستعين في ذلك بشبكة إلكترونية تزودنا بإمكانيات الوصول إلى المكتبة أو المصادر العالمية الخارجية واستلام الوثائق منها"<sup>(٨)</sup>

٥- خدمات المكتبات "Libraries Services"<sup>(٩)</sup>: مصطلح يعني كل الأنشطة التي تؤديها المكتبات والبرامج التي تقدمها لمقابلة احتياجات المعلومات التي يحتاجها رواد المكتبات وقراؤها. ويمكن أن تضم هذه الخدمات مدى واسعاً وتدرجاً هرمياً للخدمات المكتبية مثل (الخدمات العامة، خدمات المعلومات، خدمات الإعارة) التي يتم إقرارها لمكتبة معينة وفقاً لأهدافها.

٦- المستفيد النهائي "End User"<sup>(١٠)</sup>: المستفيد النهائي أو المستفيدون من البيانات والمعلومات والنتائج التي تم استرجاعها من بحث يقوم به العاملون بالمكتبة، باستخدام امكاناتها من أدوات وفهارس وقواعد بيانات متاحة من خلالها، أو

## أهمية استخدام تكنولوجيا المعلومات في المكتبات الجامعية.

نظراً لأهمية تكنولوجيا المعلومات (في وقتنا الحاضر) ازداد وعي المشرفون على المكتبات، والمكتبيين العاملين فيها. فتورة المعلومات والاتصالات جعلت من الطرق التقليدية المستخدمة في النظم الورقية تحديداً غير صالحة وغير كافية لمواجهة النمو الهائل في حجم المعلومات الذي بلغ حداً جعل المختصين يصفون هذه الظاهرة بأنها تضخم وانفجار معلوماتي، وبالتالي فإن المكتبات بطابعها التقليدي لم تعد تستجيب لمتطلبات العصر الحديث (عصر المعلومات)، فاتخذوا قراراً يتضمن ضرورة مواكبة التطورات السريعة في مجال تكنولوجيا المعلومات واستخدام الجديد، ليتمكنوا من مواجهة التدفق المتواصل للإنتاج الفكري العالمي والزيادة المستمرة للرصيد المعلوماتي، وكذلك تغطية العجز الواضح في توفير كل ما ينتج في العالم من معلومات في مختلف المجالات وإتاحتها للمستخدمين منها كالأستاذة والطلبة والباحثين... وغيرهم.

ويمكن الإشارة لعدد من الوسائل التكنولوجية الحديثة المستخدمة حالياً في المكتبات<sup>(١٤)</sup>:

١- استخدام الأقراص الليزرية المدمجة "CD-ROM" المخزن عليها العديد من المواد المعرفية المختلفة، وهذه الأقراص متوفرة في العديد من المكتبات الجامعية والتجارية أيضاً. وتستخدم هذه المواد بمختلف المكتبات الجامعية (كل حسب تخصصه المعرفي) من قبل الباحثين والمحتاجين لمثل هذا النوع من المواد المعرفية.

٢- يمكن البحث عن عناوين الكتب التي تغطي مجالاً وتخصصاً معيناً يطلبه المستخدم، وذلك بصورة سريعة من خلال برامج حاسوبية، وإذا لم تكن النتائج مرضية للمستخدم فبالإمكان الاستعانة بشبكة الإنترنت للبحث في فهارس المكتبة

البريطانية، أو مكتبة الكونجرس الأمريكية أو غيرها من المواقع، ليتمكن المستخدم من الحصول على كل هذه المعلومات مطبوعة خلال دقائق معدودة وفي فترة زمنية وجيزة.

٣- يتم استخدام قواعد البيانات المتخصصة، وذلك لاختزان المعارف المختلفة المتزايدة بشكل كبير في المقالات والكتب والتقارير والنشرات وغيرها، وتقوم بعض المنظمات العلمية بتحديث هذه القواعد بصورة تعاونية مع المؤسسات المشابهة لها، وتصور القوائم المحدثة سنوياً على أقراص مدمجة وتوزيعها بهدف تعميم الفائدة منها.

٤- بدلاً من إصدار نشرات الإحاطة الجارية شهرياً، تستطيع المكتبات الحديثة إصدار هذه النشرات بشكل يومي من خلال موقعها على شبكة الإنترنت، ودون أن تتكلف جهود الطباعة ونفقات الإرسال البريدي.

٥- تستطيع المكتبات الحديثة اليوم نشر كشافاتها ومستخلصاتها ونظم استرجاع المعلومات الخاصة بها من خلال موقعها على شبكة الإنترنت، وبالتالي يستطيع المستخدم الحصول على هذه المعلومات وهو في مكتبه أو في بيته، مما يسهل عليه تحديد الكتاب أو المقال المطلوب وبالتالي طلب تصويره.

٦- تستطيع المكتبات الحديثة بناء نظم للأرشفة الضوئية تحل محل تقنيات المصغرات الفيلمية، وذلك لحفظ صور المقالات المهمة من الدوريات والتقارير والنشرات، وبذلك يمكن إدخال المقالات الحديثة واسترجاعها بسهولة تامة.

٧- يمكن للمكتبات الحديثة التعامل مع الكتب الرقمية الإلكترونية، وتستخدم تحقيق الفائدة القصوى من ذلك باستخدام واسترجاع المعلومات للنص الكامل.

٨- نظراً للارتفاع الشديد في أسعار بعض المطبوعات العلمية، فإن الحل الذي يبدو ممكناً لحل مثل هذا الإشكال يكمن في الاعتماد على النشر الإلكتروني للدوريات

وفي الفترة ما بين (١٩٦٠ - ١٩٧٠م) جرى الانتقال من إدارة المجموعات المكتبية على أساس الحصر والرصد الجامد إلى خدمات المعلومات الديناميكية والمتحركة، من خلال نظم الاتصالات وتبادل المعلومات، ومن هنا بدأ الاستخدام الفعلي للحواسيب المركزية القادرة على خدمة عدد من المكتبات على أساس مشاركة الوقت<sup>(١٦)</sup>.

وفي السبعينات بدأت تكنولوجيا الحاسوب توفر خدمات الضبط الببليوغرافي، عن طريق استخدام قواعد بيانات مركزية يساهم عدد من المكتبات في إثرائها، مما مكن من إيجاد فهارس مركزية وخدمات الفهرسة المركزية بين المكتبات. ومكنت هذه الفهارس من الخروج من مأزق الكتب غير المفهرسة في المكتبات، وساعدت على الوصول إلى المجموعات المكتبية بشكل أسرع، وساهمت في جعل الإعارة المتبادلة جزءاً لا يتجزأ من خدمات المكتبات، وجعلت من الإعارة والحجز وضبط الدوريات إجراءات أقل تعقيداً وأكثر نفعاً في المكتبة.

وفي الثمانينات دخل مفهوم المكتبة الموزعة أو غيرالمركزية، والمكتبة من غير جدران، والمكتبة الإلكترونية. فأصبح بالإمكان استخدام المكتبة بدون الحضور إلى مبنى المكتبة، وذلك عن طريق الحاسوب والمودم والهاتف، وأصبح الفهرس المقروء آلياً السمة الغالبة في المكتبات، وبدأ تدريجياً اختفاء الفهرس الورقي أو البطاقي، حيث قل استخدام المستفيدين له في المكتبات، وزاد اعتماد الرواد على الأنظمة المحوسبة للبحث عن المعلومات، ومرت السنوات خلال الثمانينات حيث كان نوعا الفهارس (الآلي والورقي) متوافرين جنباً إلى جنب، وبدأ الفهرس غير المقروء آلياً يخسر لصالح الوصول إلى المعلومات والفهارس عن بُعد، وبدون الاضطرار للوقوف أمام صناديق الفهرسة أو حتى الحضور للمكتبة، وأصبح بالإمكان البحث في أكثر من فهرس مكتبة في نفس الوقت<sup>(١٧)</sup>.

والكتب العلمية المتخصصة، بالإضافة إلى اعتماد المكتبات الصغيرة على مقتنيات المكتبات الكبرى من خلال شبكة الإنترنت.

ومن المعروف بأن المكتبات هي المكان الأمثل لإنشاء وتقديم خدمات شبكات وقواعد المعلومات، على الرغم من أن هناك جهات أخرى تشارك المكتبات في تقديم هذه الخدمة، ولعل ما يهم المستفيدين هو نوع الخدمة المقدمة بصرف النظر عن مكان وجودها، غير أن وجود خدمة شبكات وقواعد المعلومات داخل المكتبة الجامعية وتحت إدارتها وإشرافها يساعد على توثيق الصلة بالطلاب وأعضاء هيئة التدريس، ويجعل المكتبة الجامعية أكثر تجاوباً مع متطلباتهم واحتياجاتهم بفضل التقنيات الحديثة في مجال خزن المعلومات واسترجاعها<sup>(١٥)</sup>.

وبعد كل ما سبق كان لازماً على المكتبة الجامعية (بصورة عامة والطبية بصورة خاصة) أن تحرص على أن تكون محافظة على توافقها مع التكنولوجيا السائدة، وأن تستخدم الاتصالات الإلكترونية بفاعلية، ومساعدة أعضاء هيئة التدريس وطلاب الدراسات العليا والباحثين، بتوفير مختلف مصادر المعلومات وما إلى ذلك. ولا شك أن ذلك يمثل أكبر تحد يمكن للمكتبات الجامعية أن تواجهه، فهل المكتبات الجامعية قادرة فعلاً على مواجهة تلك التحديات؟

### **بدايات استخدام تكنولوجيا المعلومات في المكتبات:**

بدأت المكتبات في خمسينات القرن الماضي باستخدام الأساليب المحوسبة لإدارة المعلومات. وقد كان ذلك باستخدام البطاقات المثقبة وأدوات الفرز والتجميع والحساب بالآلة لتحليل رؤوس الموضوعات وتكرار عناوين المجالات وتطوير قوائم المصطلحات من أجل التكشيف، ونتج عن مثل هذه المحاولات كشافات متخصصة كالكشف الطبي (IndexMedics) وكشف العلوم التربوية (ERIC) والمستخلصات الكيميائية (Chemical Abstracts).

## تكنولوجيا المعلومات المستخدمة في المكتبات الجامعية:

ما هي الأدوات التي تستخدمها المكتبات في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين؟ وكيف ظهرت هذه الأدوات إلى حيز الوجود؟ عندما نقول الأدوات، فإننا لا نعني فقط الأجهزة والمعدات، بل نضيف إلى ذلك البرمجيات وأساليب العمل والأفكار التي تسيّر كل ذلك، فمن حيث الأجهزة والمعدات نجد أن المكتبات تستخدم المطارييف، والحواسيب الشخصية، والحواسيب الصغيرة، والمودم، وسواقات الأقراص المتراسة بكافة أنواعها، والمساحات الضوئية، والفيديو التفاعلي، والشبكات المحلية الموسعة. أما بالنسبة للبرمجيات فإن استخدام قواعد إدارة البيانات العلائقية أصبح هو الشائع، بالإضافة إلى نظم المعلومات المتكاملة. وباستخدام تكنولوجيا المعلومات أصبحت المكتبة شريكاً كاملاً في التعليم الأكاديمي، فهي لا تقدم البحث الببليوغرافي فحسب، بل تقدم أيضاً الأقراص المتراسة متعددة الوسائط والتي هي إحدى بدائل التعليم الصفي في بعض الحالات، وفي الحالات الأخرى هي جزء منه. أما في داخل الصف نفسه فنجد العديد من أدوات تكنولوجيا المعلومات، أبسطها جهاز العرض للشفافيات، وأعقدها الائتمان عن بُعد بواسطة الأقمار الصناعية والحاسوب<sup>(١٨)</sup>.

وقد بدأت المكتبات في السنوات الأخيرة من هذا القرن بدمج الخدمات التقليدية مع الخدمات المدعمة إلكترونياً، كخدمات المراجع والرد على الاستفسارات، فبعد أن كان على مستخدم المكتبة الحضور إلى مبنى المكتبة ليتمكن من الاستفادة من خدماتها، تغير الوضع الآن وأصبح بالإمكان الاستفادة من هذه الخدمات دون الاضطرار لمغادرة البيت أو مكان العمل، ليس هذا فحسب بل إن السرعة والكفاءة في تقديم هذه الخدمات هو ما يجعل بدايات هذا القرن مختلفة بالنسبة للمكتبات، فقد غير استخدام تكنولوجيا المعلومات الطريقة التي يتم بها توصيل هذه المعلومات إلى المستفيد النهائي، ويبقى هدف المكتبات توفير المعلومات بأفضل أسلوب يناسب

المستفيد، ومكنت التكنولوجيا المكتبة من القيام بذلك وكفاءة عالية. لقد شكلت المعلومات وما زالت تشكل أحد مظاهر التكوين الإنساني التي قام ويقوم بإدارتها وتنظيمها وتبادلها بطرق وأساليب تتجدد يوماً بعد يوم، وما الحاسوب إلا أداة من هذه الأدوات التي تمكن من إدارة المعلومات بشكل أفضل، خاصة مع الازدياد الهائل في كميات المعلومات التي تنتج كل يوم، ومكنت هذه الأدوات من خلق بيئة مهدت بشكل كامل لتسهيل مهمة المستفيد النهائي، بغض النظر عن سبب استخدامه للمعلومات، سواء كانت للبحث أو للتعليم أو لتبادل المعلومات.

١- الوصول إلى مصادر المعلومات: ساعدت التكنولوجيا على تحديد ومعرفة محتوى المجموعات المكتبية بشكل أسرع، وزادت من إمكانية التعرف على محتوى المكتبات عن طريق الكشافات والفهارس المفصلة. ومع أن الكتب والمصادر المطبوعة ستبقى أحد أهم محتويات المكتبات، إلا أن عملية تسهيل الوصول إلى هذه المحتويات لن تكون سهلة وبسيطة وسريعة إلا باستخدام التكنولوجيا، فحتى وقت قريب كان لابد للقارئ من الحضور إلى المكتبة لكي يستخدم الفهرس البطاقي لمعرفة إن كان في المكتبة كتاب لمؤلف أو موضوع أو عنوان محدد، لكن الآن أصبح بالإمكان معرفة كل ذلك من غير الحاجة للحضور إلى المكتبة، ولم يعد مستخدم المكتبة محددين بمحتوى مكتبة واحدة، بل أصبح بالإمكان البحث في فهارس عدة مكتبات في نفس الوقت، سواء في منطقة واحدة أو قطر واحد أو حتى في العالم أجمع، إذ تساهم المكتبات، من كل أنحاء العالم وفي مختلف التخصصات، في تشكيل شبكة من قواعد البيانات بكافة أشكالها ومحتوياتها، وبالتالي إتاحتها للمستفيدين<sup>(١٩)</sup>.

وتمكن تكنولوجيا الأقراص المكتنزة (CD-ROM) المكتبات حالياً من توفير بحث مباشر للمستفيد النهائي بكلفة بسيطة جداً. وقد وجد منتجو هذه الأقراص والمكتبات أنها الشكل الأفضل لتوزيع قواعد البيانات، وعلى الرغم من الانخفاض في أسعار وكلفة هذه التكنولوجيا إلا أن لها بعض السلبيات التقنية، كالبطء في الاسترجاع وازدياد احتمالات الفشل في الأجهزة والمعدات الخاصة بهذه الأقراص أكثر من غيرها، بالإضافة إلى بعض المشاكل الخاصة بشبكات المعلومات المحملة عليها هذه الأقراص. ومن المتوقع أن يصبح المستفيد النهائي هو المستهدف في عملية التسويق والتوزيع، إذ أصبح وجود سواقة خاصة بالأقراص المترصة أمراً عادياً وليس اختيارياً في الحواسيب المنتجة حديثاً، فأصبحنا نرى الموسوعات، كموسوعة دائرة المعارف البريطانية، والقواميس كمعجم أكسفورد، والمورد، وكتب عيون التراث العربي الإسلامي، التي تشكل ركناً أساسياً من أركان استخدام الحاسوب في البيت، مما يعني أن المستفيد لن يلجأ إلى المكتبة للحصول على مثل هذه الخدمات المرجعية، فهي متوفرة لديه متى شاء<sup>(٢١)</sup>.

٣- الوصول إلى قواعد البيانات واسترجاع محتوياتها: تقوم قواعد البيانات بتخزين وتنظيم وتكثيف البيانات والبحث فيها وتلخيص واسترجاع التقارير المتعلقة بها، وقد تكون هذه البيانات ببليوغرافية أو إحصائية أو نصوصاً كاملة أو أدلة أو صوراً أو خليطاً من كل ذلك. وتقوم برمجيات الاسترجاع أو البحث الببليوغرافي على نظم طورت منذ أكثر من ثلاثين سنة مضت، حيث كان يترتب على الباحث أن يقوم بصياغة البحث بطريقة دقيقة وقد تكون صعبة، وباستخدام لغات برمجية خاصة، بينما كان القليل من النظم يقبل اللغة الطبيعية، ولم تكن النظم قادرة على تقديم أي صيغة مساعدة للباحث في صياغة البحث أو فرز المخرجات أو تحديد مدى علاقتها بالبحث. وعلى

من هنا تمكنت المكتبات من تسخير تكنولوجيا الاتصالات للاستفادة منها في تبادل الخبرات والمعلومات الفنية والمهنية، كما هو الحال في عقد المؤتمرات عن بعد، ومجموعات النقاش والبريد الإلكتروني وما إلى ذلك.

٢- البحث المباشر عن طريق المستفيد النهائي: لقد نقلت تكنولوجيا المعلومات عملية البحث في قواعد البيانات إلى يدي المستفيد النهائي، إذ تشير الإحصائيات إلى أن العدد الأكبر من البحوث الببليوغرافية يجريها المستفيد النهائي وليس أمين المكتبة. فمثلاً تشير الإحصائيات الخاصة باستخدام قاعدة (ميدلاين الطبية) إلى أن ما يقارب ثلث ما مجموعه (٤ - ٥) مليون بحث قد أجراه أطباء أو عاملون في المجال الصحي والطبي<sup>(٢٢)</sup>.

واكتسبت المكتبات سيطرة أكبر على التكنولوجيا عندما جرى تحميل قواعد البيانات على نظم محلية في داخل المؤسسة، وأصبح من الممكن من خلال الحصول على محتوى قواعد البيانات تحميلها على نظم وبرمجيات مكنت المكتبات من إعادة تنظيم هذه القواعد مع قواعد بيانات أخرى، ومن نوع آخر في المؤسسة عن طريق الإنترنت، لتشكل جميعاً مصدراً موحداً للمعلومات. كما هو الحال في مكتبة كلية الطب / جامعة بغداد التي تستخدم قاعدة الميدلاين الطبية التي كانت سابقاً على شكل أقراص ليزيرية وبدخول الانترنت الى المكتبة الغيت الأقراص واستخدم بدلها موقع خاص على شبكة الإنترنت هو موقع HINARI الذي يتيح للمستفيدين النهائيين الحصول على أحدث المصادر والمقالات الطبية والصحية الحديثة وبدون مقابل (متاحة بشكل مجاني)، وللمستفيدين من مكتبة كلية الطب تحديداً. ((سيتم الحديث عن هذا النظام بشكل مفصل في الصفحات اللاحقة)).



الرغم من أن النظم الجديدة تعتبر واجهة بحث تمكن من التحوار الطبيعي مع النظام، وتشتمل على العديد من رسائل المساعدة وقوائم الاختيار ومبنية على الواجهات المرئية، فإن المستفيد أو الباحث غير المتمرس يواجه مشاكل في البحث والاستخدام، ولا بد من التأكيد هنا على أن عمليات تحليل نتائج البحث في العديد من قواعد البيانات أوضحت أن كثيراً من المستفيدين ما زالوا غير قادرين على فهم طريقة خزن وتكشيف واسترجاع المعلومات باستخدام رؤوس الموضوعات أو المكانز أو المنطق البوليني (Bolian Logic) والعديد من تقنيات البحث الأخرى.

٤- شبكات المكتبات والمعلومات: استعار علم المكتبات والمعلومات كلمة "الشبكة" من الهندسة الإلكترونية، حيث أنها تمثل عدداً من المكونات الإلكترونية التي ترتبط معاً لتلبي حاجة معينة. وهذه المكونات أو العناصر في مجال المكتبات والمعلومات هي المكتبة أو مركز المعلومات، وترتبط شبكة المعلومات أو المكتبات عدداً من هذه الخدمات معاً لتلبي حاجة معينة هي حاجة المعلومات. وعند الحديث عن شبكات المعلومات والمكتبات ترد العديد من المفاهيم التي يجري تداولها مثل: التعاون المكتبي، ومشاركة الموارد، وانتلاف المكتبات، وشبكات المعلومات. وقد جرى اختيار مصطلحي شبكات المكتبات وشبكات المعلومات للإشارة إلى ذلك كله.

ولعل أبسط تعريف لشبكة المعلومات هو: "اشتراك مكتبتين أو أكثر بطريقة رسمية لتبادل المعلومات على نطاق واسع بينهما، بهدف تطوير أساليب للاتصال من أجل بث المعلومات وتبادلها بين المستفيدين"<sup>(٢٢)</sup>. وفي حالة الإنترنت، فإن الاتفاق غير الموقع عليه بين سائر المشاركين في الشبكة يتمثل باستخدام معايير وبروتوكولات محددة، بحيث يصبح هؤلاء المشاركون جزءاً من الشبكة، أما الطريقة

البسيطة لتمثيل الشبكة فتكون عبر وجود ثلاث مكتبات تشكل "عقد الشبكة" وبحيث ترتبط معاً وتتراسل البيانات فيما بينها؛ كل واحدة منها مع العقدتين الأخريين للحصول على المعلومات وخدماتها.

وقد لعبت الحواسيب دوراً فاعلاً في تطوير شبكات المعلومات، إلا أنه يتعين علينا التأكيد هنا على أن شبكة الحواسيب تختلف عن شبكة المعلومات، وأن ليس كل شبكة معلومات هي بالضرورة شبكة حواسيب، والعكس صحيح. فالحواسيب مع شبكات الاتصالات جعلت المشابكة الإلكترونية أمراً سهلاً عن طريق ربط حاسوبيين معاً، أما تكنولوجيا المعلومات فمكنت شبكات المكتبات والمعلومات من توفير أدوات وأشكال عديدة للمشابكة في مجالات عديدة، منها:

- أدوات وخدمات الإنترنت التي تمكن من تبادل المعلومات والوصول إلى مواردها.
- الفهارس الموحدة.
- الإعارة بين المكتبات.
- خدمات الإحاطة الجارية.
- الخدمات المرجعية.
- البث الانتقائي للمعلومات.
- الاتصال من بعد.
- المكتبة الرقمية أو الألكترونية.
- البحث الآلي المباشر.

### المكتبات الطبية الجامعية:

يعد الإنسان محوراً لكل البحوث والدراسات والعمليات، فصحته تعد من أهم الأحداث في حياته على الإطلاق، لذا بات من الضروري الإهتمام بها ليتمكن من العيش بعيداً عن كل ما يعكر ويهدد صفو حياته ويقلل من نشاطه وأدائه، كونه أساس

المجتمع ومن حقه ان تتوفر له حياة خالية من الأمراض وبالتالي يكون المجتمع ككل معافى هو الآخر. كل هذا يتطلب رعاية واهتمام صحيين، وهاتان الصفتان يتطلب وجودهما وجود المعلومات اللازمة في هذا المجال. ولأن المكتبات الطبية هي الأساس في الحصول على هذه المعلومات (بعد المقررات الدراسية والتعليم) كان من الضروري دراستها وصولاً الى معرفة مدى إفادة المجتمع المستفيد منها. هنا سيتم التطرق الى مكتبتان (على سبيل المثال لا الحصر) الأولى مكتبة طبية عالمية والأخرى عربية عراقية وهي مكتبة كلية الطب في جامعة بغداد، اذ سيتم تناول بداياتها، مصادر المعلومات الموجودة فيها، التقنيات الموجودة فيها، الخدمات التي تقدمها، الموظفين العاملين فيها والمستفيدين منها.

### أولاً: المكتبة الوطنية الطبية

(NLM – National Library of Medicine)<sup>(23)</sup>.

تأسست هذه المكتبة في عام ١٨٣٦، وكانت تابعة للجيش الإتحادي ومعروفة بأسم (Library of the Surgeon Office United Army)، ثم أصبحت مكتبة طبية وطنية للولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٦ (NLM- National Library of Medicine). تقع المكتبة في المجمع القومي للمؤسسات الصحية في بيتسدا، ماريلاند (Bethesda-Maryland)، وتعتبر هذه المكتبة أكبر مكتبة طبية في العالم، وهي جزء من المعهد القومي للصحة التابع لوزارة الصحة الأمريكية / قسم الخدمات الصحية والإنسانية. ولعبت NLM منذ وجودها دوراً مهماً في ترجمة البحوث الطبية والصحية بالإضافة لكونها تعد أكبر مكتبة طبية متطورة في العالم، إذ تقدم خدمات المعلومات والمعلوماتية الإلكترونية الى ملايين المستخدمين في كافة أنحاء العالم من علماء وإختصاصيين في مجال الطب والصحة العامة

بالإضافة الى عامة الناس من الباحثين عن المعلومات الصحية والطبية عن طريق خدمة البحث الآلي المباشر (ON-LINE Search).

❖ تفتح المكتبة أبوابها لجميع المستفيدين من مختلف الإختصاصات الطبية والصحية بالإضافة الى عامة الناس، وتقدم لهم العديد من الخدمات والمصادر المعلوماتية المختلفة (والتي سنأتي على ذكرها لاحقاً). وتمتلك المكتبة (١٢) مليون كتاب Books تقريباً بالإضافة الى المجلات Journals المخطوطات Manuscripts، المواد السمعية والبصرية Audio-Visual Materials، وأشكال أخرى من مصادر المعلومات الطبية والصحية المتاحة للإستخدام والموضوعة على الرفوف مما يجعلها (NLM) المكتبة الطبية الأكبر في العالم.

❖ في عالمنا الرقمي اليوم تواصل مكتبة (NLM) مهمتها في مجال تقديم البحوث والمعلومات الطبية وإتاحتها للمستفيدين منها من الإختصاصيين، كما وتتيح المجال لعامة الناس الإستفادة من هذه البحوث وخصوصاً المتعلقة بالسلوك الصحي الصحيح وإكسابهم معلومات مختلفة عن الرعاية الصحية وكيفية التعامل مع كل حالة والإهتمام بها، وكل هذا من خلال موقعها على الإنترنت وقواعد البيانات المتخصصة المتوفرة لديها وكذلك خدمة البحث الآلي المباشر (ON-LINE Search).

❖ قامت (NLM) بإنشاء مشروع الشبكة الوطنية للمكتبات الطبية (NN/LM – National Network of Libraries of Medicine) والمنتشرة في كافة أنحاء الولايات المتحدة. وبلغ عدد المشتركين في هذه الشبكة ٥,٦٠٠ مشترك.

ومن الخدمات التي تقدمها المكتبة:

✓ تقديم خدمة البحث عن المعلومات المتخصصة وذات العلاقة بعلم السموم والصحة البيئية مثلاً بإستخدام شبكات المعلومات والإتصالات التي تتيح للباحثين

فرصة البحث عن المعلومات ونشرها واستخدامها مابين الأخصائيين من أطباء وأصحاب المهن الصحية، بالإضافة للمرضى وعامة الناس.

✓ تقديم البحوث الخاصة بالمعلوماتية الطبية للمتدربين والدارسين في فترة ما قبل وبعد نيل شهادة الدكتوراه، وتدريبهم على استخدام تقنيات المعلومات الطبية الموجودة والمتوفرة في (١٨) جامعة أمريكية.

✓ أما فيما يتعلق بخدمات المعلومات العلمية التي تقدمها فيعتبر أشهرها وأكثرها استخداماً والمتاح عبر الإنترنت قاعدة بيانات Pub Med، وقاعدة بيانات Medline والمتاح استخدامها للجميع. وتقوم ١٨ مليون مجلة بدعم هذا الموقع من خلال تقديم الخلاصات للمقالات الطبية المنشورة فيها والمعلومات البيوغرافية الخاصة بكل مقالة. وتم البدء بتقديم هذه الخدمات منذ عام ١٩٤٨ ولغاية يومنا هذا.

✓ تقوم المكتبة بتقديم خدمة البحث الآلي المباشر للمقالات الطبية والمتخصصة مجاناً عن طريق التعاون مع مركز الطب العام (Pub Med Central- PMC). ويبلغ عدد المقالات المتاحة بالنص الكامل ١,٥٠٠,٠٠٠ مقالة.

✓ تقديم خدمة المعلومات المتخصصة (-Specialized Information Services) (SIS)، وعرض مجموعة وتشكيلة واسعة من المصادر الخاصة بالصحة البيئية وعلم السموم، كما وتقوم بتقديم معلومات متقدمة جداً وحديثة عن مرض الإيدز (AIDS-HIV) من خلال عدد من قواعد البيانات المتاحة والمتعلقة بهذا الجانب ومنها قاعدة بيانات (TOXnet).

✓ تقديم خدمات المعلومات لعامة الناس. إذ تعمل المكتبة على تقديم كافة المعلومات الطبية والصحية للعموم. وتعتبر هذه الخدمة هدفاً أساسياً لها، فهي تقدم هذه الخدمة بشكل مباشر للمستفيدين النهائيين من المعلومات من خلال

ارتياد المكتبة أو من خلال موقعها على الإنترنت (Medline Plus) والمتاح باللغتين الإنكليزية والإسبانية. تحدث المعلومات الموجودة باستمرار وتدرج معلوماتها بمصطلحات سهلة القراءة والإستخدام كونها تقدم لعموم الناس من غير الأطباء أو المهن الصحية. ويبلغ عدد المصطلحات المستخدمة مايقارب من ٨٠٠ موضوع ومصطلح طبي وصحي مستخدم ومفهوم من قبل الباحثين والمستفيدين. كما يعرض هذا الموقع مجموعة من أفلام الفيديو الخاصة بالعمليات الجراحية، والآلاف من الوصفات الطبية وكيفية استخدام الدواء فيها (بدون وصفة طبيب) وإيجاد بدائل في عملية المعالجة هذه.

أما فيما يتعلق بنشاطات المكتبة الأخرى:

✗ تقوم مكتبة (NLM) بإصدار مجلة باللغتين الانكليزية والاسبانية

(NIH-National Information Health- Medline Plus magazine)

(NIH Medline Plus Salud) و

✗ تتعاون المكتبة (NLM) مع المعهد الوطني الخاص بالشيخوخة. إذ تقوم بعرض المعلومات الصحية والطبية التي لها علاقة بكبار السن وكيفية الإهتمام بهم، وتقديم المعونة لهم، ويتم عرض هذه المعلومات بطريقة مسموعة ومرئية مقروءة لتساعد كبار السن في الإستفادة من هذه المعلومات إن لم يكن عن طريق القراءة فعن طريق الإستماع.

✗ إتاحة المكتبة (NLM) موقعاً تفاعلياً لها على شبكة الإنترنت خاصاً بالأطفال الذين تتراوح أعمارهم مابين ٧-١٠ سنوات. إذ يصار الى تعليم الأطفال بمخاطر استخدام المواد الكيماوية المحتمل وجودها في المنزل وعدم التعرض والتعامل معها بالإضافة الى دروس تعليمية أخرى تناسب أعمارهم وتوفر لهم معلومات

عامة عن هذه الحوادث وكيفية تجنبها ومعالجتها في حالة حدوثها وبشكل مبسط (تقديم الإسعافات الأولية) لحين قدوم سيارة الإسعاف والطبيب.

✘ أنجزت مكتبة (NLM) الشبكة الوطنية للمكتبات الطبية والتي تربط كافة المكتبات الطبية الموجودة والمنشرة في كافة أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية وتقدم معلوماتها الطبية والصحية لمستخدميها والمستفيدين منها. يشترك في هذه الشبكة ٥,٦٠٠ مشترك منهم عدد من المؤسسات والمعاهد والمكتبات الطبية الإقليمية الثمانية (والتي تستلم الدعم من مكتبة NLM) و ١٢٥ مكتبة طبية وأكثر من ٥٠٠٠ مكتبة عامة كأن تكون تلك الموجودة في العيادات الطبية والمستشفيات.

أما فيما يتعلق بالمكتبة من حيث مجموعاتها المكتبية وموادها وعدد مصادرها وواجباتها فيمكن إجمالها بالآتي:

- (١) تبلغ مجموعة المكتبة من مصادر كالكاتب وغير الكاتب ١١,٨٩٠,٩٦٤ مصدر.
- (٢) يبلغ عدد المصطلحات المفهرسة ٢١,٥٠٧ مصطلح.
- (٣) بلغ عدد العناوين المتسلسلة (سلسلة الكتب التعليمية -ع، سلسلة دار الكتب... مثلاً) والمستلمة والموجودة في المكتبة ٢٠,٩٠١ عنوان لسلسلة.
- (٤) بلغ عدد المقالات المكتشفة (في قاعدة الميدياين) من قبل المكتبة ٦٧١,٩٠٤ مقالة.
- (٥) بلغ عدد الإعارات الداخلية (داخل المكتبة) ٢٣٤,٠٢٠ إعارة.
- (٦) بلغ عدد مستخدمي الموقع الخاص بالمكتبة ١٧١,٤٥٥ مستخدم.
- (٧) فيما يتعلق باستخدام عملية البحث الآلي (ON-LINE Search) واستخدام قاعدة (Medline) و (Pub Med)، فبلغ عدد العمليات البحثية ٧٥٥,٥٠٤,٥٥٧ عملية بحث.

(٨) تعمل المكتبة على تقديم خدمة الرد على الأسئلة والاستفسارات المقدمة من المستخدمين والمستفيدين من المكتبة. وبلغ مجموع الإجابات حوالي ٥٠٤,٤٧٥ إجابة ورد.

(٩) أما فيما يتعلق بعدد الموظفين والعاملين في المكتبة، فقد بلغ عددهم ٦٩٩ موظف وموظفة.

(١٠) بلغت مصروفات المكتبة (جميع الفعاليات والنشاطات والأجور وكل ما يتعلق بنفقاتها) 323,387,000 \$.

وتجدر الإشارة الى إن كافة المعلومات المذكورة عن مكتبة (NLM) من خدمات ونشاطات وقواعد بيانات وغيرها، مذكورة في موقع المكتبة على الإنترنت وكان آخر تحديث لها بتاريخ ٢٤/June/٢٠٠٩. ويمكن معرفة كل ماله علاقة بالمكتبة من خلال موقعها على الإنترنت [www.nlm.gov](http://www.nlm.gov).

## ثانياً: مكتبة كلية الطب/ جامعة بغداد<sup>(٢٤)</sup>.

تأسست كلية الطب في جامعة بغداد سنة ١٩٢٧. وكانت تهدف عند تأسيسها الى إعداد أطباء يمتلكون القدرة والتميز على تأدية الواجبات الملقاة على عاتقهم في المؤسسات الصحية في القطر، وتقديم الإستشارات والخبرات للمؤسسات الصحية ذات العلاقة بهذا الجانب المهم والحيوي.

لقد خُطت هذه الكلية منذ تأسيسها ولحد الآن خطوات واسعة أُرست فيها معالمها وخطت فيها طابعها الخاص بها. فقد أصدرت أول مجلة لها عام ١٩٣٧ لنشر بحوث الأساتذة وبعض قرارات الكلية وأخبارها واستمرت لغاية عام ١٩٥٩، حيث تشكلت هيئة تحرير جديدة ترأسها المرحوم الأستاذ الدكتور فيصل صبيح. واستمرت بالصدور الى يومنا هذا نشرت خلالها مئات البحوث ذات القيمة العلمية العالية.

أمتلكت الجامعة منذ بدء تأسيسها ليومنا هذا مكتبة طبية تعد أكبر وأقدم مكتبة طبية في القطر تأسست مع تأسيس الكلية عام ١٩٣٧، وهي مفهومة ومصنفة حسب أحدث الطرق الفنية. والمكتبة تستقبل الكادر الطبي في العراق من مختلف الكليات الطبية.

تقع المكتبة في منطقة باب المعظم ضمن المجمع الطبي الذي يضم كل من كلية الطب، كلية طب الأسنان التابعتان لجامعة بغداد بالإضافة الى وزارة الصحة العراقية وعدد من المستشفيات الحكومية كمستشفى مدينة الطب والعديد من المراكز الطبية التخصصية.

#### نشاطات واجبات المكتبة:

(١) تفتح المكتبة أبوابها من الثامنة صباحاً وحتى الساعة الواحدة ظهراً لكافة المستفيدين في مختلف الاختصاصات الصحية والطبية. وتقدم لهم خدمات عديدة تبدأ من لحظة وصول المصدر المطبوع الى المكتبة لغاية استلامه من قبل المستفيد النهائي، والاستفادة منه في الحصول على المعلومات، بالإضافة الى مصادر معلوماتية أخرى مختلفة والتي سنأتي على ذكرها لاحقاً.

(٢) تستخدم المكتبة نظام تصنيف المكتبة الطبية الوطنية المستخدم في مكتبة (NLM) "MEDICINE AND RELATED SUBJECTS" والمصنف بطريقة تختلف عن التصنيف الأخرى مثل نظام ديوي العشري المستخدم في باقي المكتبات. وأدناه بعض الأمثلة حول نظام التصنيف هذا:

W	Medical profession	خاصة بالجانب الطبي والمهن الصحية
WA	Public health	جانب الصحة العامة
WB	Practice of medicine	عموميات ممارسة الطب/التدريب والدورات
WC	Infectious diseases	الأمراض الانتقالية والسارية
WD100	Deficiency diseases	الإضطرابات الغذائية
WD200	Metabolic diseases	الأمراض الأيضية (الإستقلابية)
WN	Radiology	علم الإشعاع، التصوير التشخيصي
WS	Pediatrics	طب الأطفال

وهكذا التفرع لكل موضوع من الموضوعات الأخرى ليشمل بالتالي كل المصنفات الخاصة بالموضوعات المتفرعة عن الموضوع الرئيسي وهكذا...  
(٣) تستخدم المكتبة نظام WINISIS في عملية بناء قواعد البيانات الخاصة بالمصادر الموجودة في المكتبة. هذا النظام مصمم من قبل منظمة اليونسكو وموزع مجاناً من قبلها وخصوصاً للمكتبات التي لها علاقة بمنظمة الصحة العالمية WHO- WORLD HEALTH ORGANIZATION والمكتب الاقليمي لدول شرق البحر المتوسط EMRO والتي مقرها في جمهورية مصر العربية. وبلغ عدد الكتب المدخلة في قاعدة البيانات الخاصة بالكتب ٢٠٧٣ كتاب.

(٤) خدمة إتاحة الدوريات. تلعب الدوريات دوراً هاماً في دعم وتطوير عملية البحث العلمي فهي شريان هام من شرايين المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات وخاصةً الطبية منها. ولقد ظلت الدوريات المطبوعة هي السائدة حتى قبيل

نهايات القرن الماضي وقبل التحول الجذري في وسائل نقل المعلومات الى الحاسب الألكتروني الذي تزداد الحاجة لوجوده يوماً بعد يوم. وقد توقف ورودها الى مكتبة كلية الطب بشكلها الورقي بعد أحداث عام ٢٠٠٣، إذ كانت WHO ومنظمة الصليب الأحمر الدولي مسؤولة عن تزويد المكتبة بالدوريات الحديثة. كما إن العديد من الدوريات التي كانت موجودة في المكتبة قد سرقت أثناء الأحداث ذلك العام. ومنذ بضع سنوات تسارعت خطى عملية النشر الألكتروني حتى أصبحت نسبة كبيرة من الدوريات تنشر إلكترونياً بجانب النشر الورقي مما أدى الى صدور الكثير من الدوريات المتخصصة في كل جانب ومجال طبي وصحي وحتى علمي في وسيط الألكتروني فقط مما سهل عملية إصدار هذه الدوريات المتخصصة وخفض كلفة النشر والإصدار بل وسهل عملية توزيع ووصول الدوريات الى المهتمين بها. وفي ظل ارتفاع اسعار الدوريات الورقية وتزايد العبء المالي على ميزانية المكتبة فقد وجدت المكتبة مخرجاً للاشتراك في أكبر عدد ممكن من عناوين الدوريات وذلك من خلال WHO و EMRO اللتان كانتا مسؤولتان عن توفير عدد كبير منها من خلال التعاقد مع عدد من الناشرين للحصول عليها وتسهيل وصولها الى المستفيدين منها داخل المكتبة.

٥) قامت المكتبة بالإشتراك في عدد من قواعد البيانات منها على سبيل المثال:

- قاعدة HINARI والتي هي شبيهة بقاعدة MEDLINE التي توقفت عن الوصول الى مكتبة الكلية منذ 2006/Jan. وهي تتيح للمستفيدين منها من أطباء واختصاصيين وطلبة الحصول على نصوص كاملة للمقالات المنشورة فيها وبشكل مجاني بعد ان تولت WHO , EMRO مسؤولية الاشتراك ولكن بمحددات على الباحث الالتزام بها وكما مبين في الملزمة المرفقة في نهاية البحث والتي تصدرها مكتبة الكلية وتتولى مسؤولية توزيعها حصراً، وهي تفيد

الباحثين في مختلف الاختصاصات والمستويات التعليمية الطبية والصحية وتدلهم على الطريقة الصحيحة للاستفادة من المقالات المنشورة بشكل إلكتروني.

- JNNP On-Line. موقع طبي خاص مجاني سجلت فيه مكتبة الكلية كمستفيد لتتيح الفرصة والمجال للباحثين في الحصول على مصادر معلومات مختلفة منشورة في عدد من المواقع وقواعد البيانات الطبية المختلفة. من مميزات هذا الموقع كونه لايعطي جميع عناوين الدوريات والمجلات الطبية والصحية بل عدد محدد فقط لشروط خاصة به

- من المواقع الطبية الأخرى التي يستطيع المستفيد الدخول اليها والحصول على معلومات تهمة وتقيد Medscip , E-medicin, Hiware. بالإضافة الى امكانية البحث في قاعدة بيانات Medline و Pub med من خلال موقع مكتبة NLM كما سبق لنا ذكره في صفحات سابقة.

٦) تؤدي المكتبة عملية مهمة جداً هي عملية مساعدة الباحثين في البحث عن المعلومات وتهيأتها لهم بعد ملئهم لطلب خاص معد من قبل المكتبة يقوم الباحث فيه بإعطاء المصطلحات الطبية التي يراد الحصول على معلومات عنها (كما مرفق في نهاية البحث) وتقوم الموظفة المسؤولة باجراء عملية البحث وتسجيلها على قرص ممغنط CD-ROM وتسليمها اياه بعد تحديد موعد محدد للاستلام. كما بإمكان الباحث اجراء عملية البحث بنفسه والاستعانة بخبرة الموظفة في تسهيل العملية والحصول على أفضل النتائج في حال الحاجة الى المعلومة المطلوبة بأسرع وقت. ويمكن الحصول على المعلومات المطلوبة بشكل ورقي مطبوع مقابل مبلغ مالي زهيد

٧) تتوفر لدى المكتبة مجموعة من اقراص CD-ROM تتضمن موضوعات طبية وصحية وفي مختلف الاختصاصات وتم تسجيلها وتنظيمها في سجل خاص معد

لهذا الغرض يستطيع الباحث الاستعانة به لإيجاد ما يبحث عنه من معلومات ومصادر وحتى أفلام وصور لعمليات وحالات مختلفة. وقد تكون هذه الأقراص لكتب أو دوريات الكترونية موجودة ضمن مصادر المكتبة ومراجعتها.

٨) أما فيما يتعلق بالكادر الموجود في المكتبة فهو قليل مقارنة مع المكتبة السابقة الذكر فهي تضم ١٣ موظف وموظفة وفي اختصاصات مختلفة وكالاتي:

٤ - موظفين يحملون شهادة بكالوريوس مكتبات. ١ - بكالوريوس حاسبات.

٣ - دبلوم مكتبات. ٤ - خريج الدراسة الإعدادية. ١ - معين.

٩) يوجد في مكتبة المركز شبكة ما بين الحاسبات الموجودة فيها والتي يبلغ عددها ١٦ حاسبة، مربوطة بشبكة داخلية يستطيع الباحث الاستفادة منها في البحث عن مصدر معين من خلال قاعدة بيانات الكتب، أو من خلال شبكة الانترنت الموجودة في المكتبة. ويستطيع الباحث ان يقوم بعملية البحث الآلي المباشر من خلال ائحة شبكة الانترنت ومن خلال القواعد والمواقع التي تم الاشتراك بها.

من خلال السطور السابقة لا يمكننا المقارنة بين ماتقدمه مكتبة NLM وما تقدمه مكتبة كلية الطب لعدة أسباب أولها قدم المكتبة الأولى وعراقتها، والامكانيات المتقدمة التي تمتلكها بالإضافة الى الميزانية الضخمة التي تمتلكها وبالتالي فإن ذلك ينعكس سلباً أو ايجاباً على شهرة ونشاطات تلك المكتبة مقارنة بالمكتبات الطبية الأخرى. ولكن ومع مختلف الفروق التي وردت لا يمكن اغفال جانب مهم هو محاولة مكتبة كلية الطب في جامعة بغداد تهيئة وتوفير كل ما يحتاجه الباحث في رحلته في البحث عن المعلومات والمعلوماتية التي تؤهله وتطور عمله ليبرز وتكون له شهرة واسعة سواء داخل القطر أو خارج شأنه في ذلك شأن من سبقوه من الذين يشار اليهم بالبنان من علماء العراق وجراحوه.

### النتائج والتوصيات:

لقد تحقق من خلال تكنولوجيا المعلومات وتكنولوجيا الحاسبات والاتصالات مفهوم القرية الكونية، فالمستفيد المتواجد في أماكن مختلفة يستطيع الوصول الى أي

معلومة مخزنة على حواسيب في مدن أخرى بعيدة آلاف الاميال. فانتقال المعلومات عبر الحدود اصبح حقيقة واقعة من خلال الانترنت أو غيرها، وأصبح من الضروري التفكير في كيفية استيعاب المعلومات المنتشرة والموزعة في مختلف مناطق العالم.

### وخرجت الدراسة بعدد من النتائج والتوصيات منها:

١- إن المكتبة الجامعية الطبية مطالبة بمسايرة عصر المعلومات وإعتماد الآليات والتقنيات الحديثة دعماً لأعمالها وتحسيناً لخدماتها تجاه المستفيدين.

٢- كان لابد في عصر المعلومات والمعلوماتية الجديد من الاهتمام بالعاملين في مجال المعلومات والمكتبات إذ هناك حاجة ماسة وحقيقية لاحتواء وتطوير وتدريب الخريجين والمؤهلين في مجال المعلومات والمكتبات للتعامل مع تكنولوجيا المعلومات في المكتبة.

٣- على كل مكتبة أن تضع سياسات وتحدد أهداف واقعية لإدخال التكنولوجيا الى المكتبة ودعمها لصالح المستفيد النهائي منها. ويتطلب هذا الأمر التعاون المستمر والنقاش الحضاري العلمي ما بين العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات والعاملين في مراكز الحاسوب من أجل وضع الخطط التنموية للمكتبة ولعملها حتى تتماشى مع الواقع وتوفير المعلومات للمستفيد النهائي بشكل أكثر كفاءة وبكلفة أقل، وذلك يكون من خلال إرشاد المستفيدين لأفضل الطرق للبحث في موارد المعلومات والوصول اليها

٤- لابد للمكتبي أو المسؤول عن خزن المعلومات من أن يتغير، فينبغي له ان يكون قادراً على التعامل مع التكنولوجيا ومع موارد المعلومات الجديدة والبحث فيها والاستفادة منها. فعلى أمين المكتبة أو متخصص المعلومات ان يكون جزءاً من

يستطيعون مواكبة العصر وتقديم أفضل الخدمات للباحثين عن المعلومات والمستفيدين منها.

٩- محاولة تعريف المستفيد على كافة الإمكانيات المتاحة له للحصول على المعلومات وتعريفه بالأساليب والوسائل المثلى للحصول على هذه المعلومات، وتعريفه بالأسلوب الأمثل للتعبير عن استفساره وسؤاله ليتمكن فيما بعد من إجراء عملية البحث بنفسه بعد قيام اختصاصي المعلومات أو المكتبي بأجراء عملية البحث على القاعدة أو القواعد المراد البحث فيها. ويتكرر عملية البحث يستطيع المستفيد القيام بها بنفسه ودون الحاجة الى خدمات المكتبي أو اختصاصي المعلومات، وهو بهذا يسهل على المكتبي القيام بواجباته الأخرى ومساعدة المستفيدين الآخرين.

قال رسول الله (ﷺ): "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له

طريقاً إلى الجنة". صدق رسول الله

المكتبة العالمية أو مكتبة الواقع التخيلي أو الافتراضي بحيث يساهم فيها ويستفيد منها لصالح المستفيد النهائي.

٥- لابد في عصر المعلومات من دعم لعملية التعليم المستمر والتعليم عن بعد، فيتوجب على امناء المكتبات تعلم كل ماهو جديد ليكونوا قادرين على التعامل مع الحواسيب وشبكات المعلومات والاتصالات وقواعد البيانات وحاجات المستفيدين وهذا لا يكون الا من خلال استمرار التعلم مادام على قيد الحياة.

٦- ضرورة الاهتمام بالمخصصات المالية التي تؤثر كثيراً على المكتبات الجامعية في عصر المعلومات بالاضافة الى الموارد البشرية. إذ ان ميزانية المكتبة مهمة كثيراً كي تتمكن من شراء المصادر المطبوعة وغير المطبوعة وشراء تقنيات جديدة من حواسيب واجهزة ملحقة أخربا بالاضافة الى الاشتراك بقواعد بيانات ومواقع قد لا تتوفر مجاناً وهي مهمة جداً للمستفيد النهائي منها ألا وهو الباحث كطبيب وكإنسان مستفيد.

٧- ضرورة اهتمام الجامعة بالمكتبة كمركز حيوي مهم للغاية فهي المكان الأكثر اهمية للباحث عن المعلومات قديمة كانت أم حديثة وكذلك بالنسبة للجامعة التي يقاس تطورها واهتمامها بالعلم من خلال اهتمامها بالمكتبة التي توفر كل ما يحتاجونه من معلومات لانجاز بحوثهم وتمثيل جامعاتهم التي ينتمون لها.

٨- مساعدة المكتبيين من خلال اتاحة الفرص لهم بالقيام بالزيارات الميدانية والسفرات والافادات للتعرف على تجارب ونشاطات المكتبات الاخرى لتتسنى لهم فرص الاستفادة وتحقيق ما عرفوه وتطبيقه على ارض الواقع في مكتباتهم وبذلك



## المواش:

- (١) الغامدي، فالح. شبكة الخليج من منظور أعضاء هيئة التدريس في جامعة الملك فيصل في مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج ٣، ع ١، ١٩٩٦. ص ٩٢.
- (٢) الحداد، فيصل عبد الله. خدمات المكتبات الجامعية السعودية: دراسة تطبيقية للجودة الشاملة (رسالة دكتوراه). - القاهرة، كلية الآداب/ جامعة القاهرة، ٢٠٠١. ص ١٨.
- (٣) معجم علوم المكتبات والمعلومات: انجليزي - عربي. - الكويت: جامعة الكويت، ٢٠٠٣. ص ١٢٥.
- (4) Baldwin, C. Electronic Journal Publishing: Meeting User Needs. IFLA Journal. (1999). vol25 ,No.(4), 214-21
- (٥) قنديلجي، عامر ابراهيم وعبد الجبار عبد الرحمن ونزار محمد علي قاسم. المكتبات الجامعية. . بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٥. ص ٧.
- (٦) الشامي، محمد احمد، سيد حسب الله. المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات. . الرياض: دار المريخ، ١٩٨٨. ص ٧١٩.
- (٧) الترتوري، محمد عوض وجويحان، أغادير عرفات. إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي والمكتبات ومراكز المعلومات. - عمان: دار المسيرة، ٢٠٠٦. ص ١٧٨.
- (٨) بدر، أحمد. مدخل لعلم المكتبات والمعلومات. - القاهرة: مكتبة غريب، ٢٠٠٠. ص ٣٨.
- (٩) مفتاح، محمد ذياب. معجم المصطلحات العلمية في علم المكتبات والتوثيق والمعلومات. القاهرة: الدار الدولية للنشر، ١٩٩٥. ص ١٥١.
- (١٠) معجم علوم المكتبات والمعلومات. مصدر سابق..

- (١١) قاسم، حشمت. مدخل لدراسة المكتبات والمعلومات. - القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٩٠. ص ٣٤.
- (١٢) دك الباب، نبيل. الطبيب في عصر المعلوماتية: صراع من أجل البقاء. . دمشق: دار الرضا للنشر، ٢٠٠٠. ص ٤٤.
- (١٣) الترتوري، أغادير. إدارة الجودة. مصدر سابق... ص ١٧٨
- (١٤) الترتوري، محمد عوض والرقب، محمد والناصر، بشير. إدارة الجودة الشاملة في المكتبات ومراكز المعلومات الجامعية. - عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩. ص ٢٨٣-٢٨٥.
- (١٥) الحداد، فيصل عبد الله. خدمات المكتبات الجامعية السعودية: دراسة تطبيقية للجودة الشاملة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة. ٢٠٠١، ص ٢٠.
- (١٦) الترتوري والرقب والناصر. إدارة الجودة... مصدر سابق.. ص ٢٨٦-٢٨٧.
- (١٧) الشرجي، نجيب. تكنولوجيا المعلومات والمكتبة، المكتبات ومراكز المعلومات في الأردن: الواقع والتحديات. - عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان، ٢٠٠٠. ص ٦٤-٦٥.
- (١٨) المصدر السابق... ص ٦٦.
- (١٩) الترتوري والرقب والناصر. إدارة الجودة. مصدر سابق.. ص ٢٩.
- (20) Wood M. & Horak, E. User Searching in the HEALTH Sciences, USA, The Haworth Press (1996).
- (٢١) الشرجي، نجيب... مصدر سابق... ص ٦٨.
- (٢٢) نفس المصدر السابق... ص ٧١.
- (23) www.nlm.gov (Searching Item -NLM fact sheet-)
- (٢٤) معلومات تم الحصول عليها أثناء الزيارة الميدانية التي قامت بها الباحثة لمكتبة كلية الطب/ جامعة بغداد بتاريخ ٢٧/١٠/٢٠٠٩.

## الهجرات القديمة الى شمال العراق منذ عصر فجر

### السلالات حتى سقوط نينوى عام ٦١٢ ق.م

أ.م.د. عبد ربة سكران م. إبراهيم حسين خلف

جامعة تكريت/ كلية التربية للبنات قسم التاريخ

#### ملخص البحث

### «دور الاقوام التي سكنت شمال العراق قديماً»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد (ﷺ) اما بعد:

لقد تناولت في بحثي الموسوم ((دور الاقوام التي سكنت شمال العراق قديماً)) أهم التحديات التي واجهت العراق خلال تاريخه القديم واثرت تأثيراً مباشراً في مجمل الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية للعراق خاصة مايتعلق بالمنطقة الشمالية التي تكاد تكون معلوماتنا عنها شحيحة بسبب قلة المصادر.

لقد بحثت في أصل هذه الاقوام من حيث الموقع والتسمية والتحالفات السياسية، وتبين لي ان العديد من الاقوام التي سكنت المنطقة الشمالية كان لهم دور كبير وتحدي في زعزعة المنطقة الشمالية قبل وصول الاكراد اليها وحسب التسلسل التاريخي، ابتدأت أولاً بالسويثيون او السوباريون ثم اللولوبيون والكويتيون والخوريون والميتانيون فضلاً عن بلاد النائيري والاوراتو واخيراً الميديون، كما استعرضت جهود ملوك العراق القديم في الدفاع عن الارض والذود عن الحرمات واهم المعارك التي خاضوها مع تلك الاقوام، كما تناولت تأثير تلك الاقوام من الناحية الثقافية على المنطقة الشمالية والمناطق المجاورة. واستعرضت اصول هذه الاقوام وتبين ان العديد منها ورد ذكرها في النصوص المسمارية ترجع في اصولها الى المنطقة الواقعة جنوب

وغرب بحيرة قزوين وتضم منطقتين رئيسيتين هي (سو) و(كردا) وهذا يذكرنا بالجزيرة العربية كونها مهد الاقوام التي سكنت العراق وبلاد الشام. وهذا الامر يجنبنا حالة الارباك والشك في اصل تلك الاقوام طالما ان موقعها من الناحية الجغرافية حدد بشكل دقيق في النصوص المسمارية، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فأن النصوص المسمارية المتعلقة بالنواحي الجغرافية تكاد تكون اكثر دقة ومسالة تعرضها للتزوير معدومة لانها تنقل حقائق جغرافية، وتختلف عن تلك النصوص الملكية الاعلامية التي تتناول طبيعة الملوك وتسهب في ذكر منجزاتهم سواء كانت اعمال حربية كانتصار او اخفاق في معركة، او تتناول اعمالهم العمرانية وتحصيناتهم الدفاعية وهذه نصوص تعتمد دقتها على الشخص الذي دونها وعلى طبيعة الاوضاع العامة لحظة كتابة هذه النصوص. ثم عرجت في بحثي على اسماء تلك الاقوام في النصوص المسمارية وماتعنيه التسمية الاصطلاحية من الناحية اللغوية والجغرافية، فضلاً عن مساعي تلك الاقوام وجهودها وتحالفاتها مع الاقوام الاخرى من اجل تشكيل جبهة ومحاولاتها تقسيم العراق والسيطرة على ثرواته وابقائه في حالة من الفوضى والارباك في مجمل مناحي الحياة كتحالف السويثيون مع بلاد عيلام العدو التقليدي لارض الرافدين في الالف الثالث قبل الميلاد واسقاط مدينة اور التاريخية وقد وصلنا نص يبين رثاء المدينة، ولم نتوقف جهود هؤلاء عند هذا الحد بل كانوا يتطلعون الى احتلال المناطق السومرية والاكديية وقد استعرضت المعارك التي خاضوها وجهود ملوك العراق القديم في صدهم دخول، كما استعرضت في مجمل حديثي اقوام اللولوبو من حيث التسمية وموقعهم الجغرافي والتحالفات السياسية مع المناطق المجاورة وخصوصاً حلب من اجل تشكيل جبهة لزعزعة السلطة السومرية وخصوصاً خطرمنطقة كيش بزعامة مسيلم و فعلاً خضعت خمازي لكيش حتى بعد سقوطها وتتبعت جهود الملوك الاكدييين في القضاء على هذه الاقوام وماخلفوه من منحوتات

من الحقائق الواضحة في تاريخ المنطقة الشمالية من العراق القديم، هو ان العديد من الاقوام الذين ذكروا في المدونات المسمارية، هي انهم يرجعون في اصولهم الى المنطقة الواقعة غرب وجنوب غرب بحيرة قزوين، وهذا يعني ان المنطقة الجغرافية التي جاءوا منها قد حددت بشكل واضح الموطن الاصلي للاقوام التي سكنت المنطقة الشمالية من العراق القديم. وهذه كانت تحتوي على منطقتين رئيسيتين، الاولى وتسمى منطقة (سو) والثانية ويطلق عليها منطقة (كردا). وقد اكدت لنا هذه صحة المعلومات في الكتابات المسمارية التي خلفها لنا الملك (شوسين ٢٠٣٦-٢٠٢٨ ق.م) وهو رابع ملوك سلالة اور الثالثة (٢١١١-٢٠٠٣ ق.م) حيث وردت في النص المسماري بالشكل الآتي:-

IRII D-NANNa SAGIN Lu-Su KI

منطقة سو - سكان حاكم ايرنا

MA - DA KAR - DA

اراضي كوردا

وتصبح ترجمتها بهذا المعنى - (ايرنا حاكم منطقة سو وراضي كوردا)<sup>(١)</sup>.

من هذا نستنتج ان الاقوام التي سكنت المنطقة الشمالية من العراق عبر التاريخ القديم، انها جاءت من المنطقتين المذكورتين (سو - كوردا) مثلما كانت الجزيرة العربية تعد الموطن الاصلي للاقوام الاكدية والبابلية والاشورية والامورية والكنعانية وغيرهم من اقوام الجزيرة العربية.

وفيما يلي عرضا لاقوام التي سكنت المنطقة الشمالية من العراق القديم وفقاً

لتسلسلها الزمني هي:

### السونيون:

من خلال المعلومات التاريخية يبدو ان هؤلاء كانوا يمثلون الموجة الاولى من الهجرات التي وصلت الاراضي الشمالية من العراق من منطقة (سو) وقد ذكر اسم هؤلاء في بداية الامر بانهم (سوبار SuBAR)

كما وردت في كتابات الملك السومري (أي اناتم<sup>(٢)</sup> ٢٤٧٠-٢٤٣٠ ق.م) وهو

تصور انتصارهم على اللولوبووفقا لما اشارت له النصوص المسمارية وجهود الملوك الاكديين في القضاء عليهم وتشتيت قوتهم ومما يذكر ان هؤلاء كانوا قد تأثروا كثيراً بثقافة وديانة ولغة الاكديين، حتى ان نتاجهم كان باللغة الاكدية، وان اسماء ملوكهم كانت هي الاخرى اسماء اكدية. وهناك مسلة في سربيل زهاب خلفها الملك اللولوبي انوبانيني مدونة باللغة الاكدية ويضاف الى ذلك ان اسم الملك كذلك اكدية ومعناه(اله السماء) بعد ذلك تناولت الاقوام الكوتية من حيث التسمية والموقع وعن أهم الملوك الكوتيين ونجاحهم في اسقاط الدولة الاكدية بعد ان استنزفت الدولة الاكدية قواها في حروبها مع اللولوبو وفي النتيجة دمروا مدينة آشور، لكنهم تأثروا بالحضارة العراقية القديمة، بحيث اقتبسوا منها الخط المسماري واللغة الاكدية في مقابل ماخلفوا من خراب ودمار للمناطق التي سيطروا عليها. وقد دامت فترة حكمهم حوالي (١٠٠ عام)، وكان عدد ملوكهم الذين حكموا (٢٥) ملكاً حيث وردت هذه الاحصائية في جداول اثبات الملوك، تم اخذت بالبحث الخوريون ومحاولتهم تشكيل مملكة لهم بعد سقوط الدولة الاكدية على يد الكوتيون والمعارك التي خاضوها ضد السومريين ومن بعدهم الاكديين واهم الاثار التي خلفوها والتي تؤكد تاثيرهم بالحضارة العراقية القديمة ثم تناولت الاقوام الميثانية والميديه وقوام الاورارتو، وبرز ملوكهم وتجريد الاشوريين الحملات العسكرية المتلاحقة لصد تلك الاقوام.

كالدولة السومرية والاشورية والدولة البابلية<sup>(٦)</sup>.

وبالرغم من ذلك فقد جرت بينهم عدة معارك، حيث يذكر أن أشبي أرا حاكم لكش قد حارب ملك سوبارتو<sup>(٧)</sup> وفي أحد النصوص يدون حمورابي صراعه مع السوبارتو بأنه سيطر على شواطئ دجلة في سوبارتو وخاض عدة معارك معهم في عام (١٧٥٧-١٧٥٥ ق.م)<sup>(٨)</sup>.

ولقد استمر اسم السوباريين واسم بلاد سوبارتو يطلق على جزء من شمالي العراق من قبل ملوك سومر وأكد، وخاصة على المنطقة الاشورية، حيث ذكر الثائر البابلي على السيادة الاشورية مردوك ابل<sup>(٩)</sup> (٧٢١-٧١٠ ق.م) الملك الاشوري سرجون بأنه ملك بلاد سوبارتو<sup>(١٠)</sup>، اما بالنسبة للاشوريين فقد تحاشوا استخدام هذا الاسم للدلالة على بلاد آشور استهجاناً منهم كون منطقة سوبارتو يجلب منها العبيد، وفي النصوص المتأخرة أصبحت كلمة سوبارتو تعني كلمة عبد<sup>(١١)</sup>.

وفي ختام كلامنا عن السوثين، فإن المعلومات التي وردت عنهم في الكتابات المسمارية المختلفة كانت قد وردت بالصيغ الآتية سوبارتو - سوبار - سوبير - شوبور، ومهما تكن العبارات فليس هناك فرق في التسميتين (السوثيين والسوباريين) حيث كلاهما تدل على الشعب الذي سكن منطقة سوبارتو.

## اللولوبو:

تؤكد المعلومات الواردة في النصوص المسمارية ان هؤلاء مع السوثيين كانوا متعاصرين، ويبدو من هذا انهما كانا يمثلان موجة واحدة، لكنهما انقسما عند وصولهما المنطقة الشمالية من العراق الى قسمين: الاولى استقرت وانتشرت في المنطقة المحصورة بين جبال زاكروس ونهر الخابور. اما القسم الاخر وهم اللولوبيون، فانهم استقروا في المناطق التي تحيط بمدينة السلیمانية الحالية. وفي النصوص العائدة للملك سرجون الاكدي قد حدد المنطقة بانها الاراضي التي تقع بين

ثالث ملوك سلالة لكش الاولى (٢٥٢٠-٢٣٥٥ ق.م)<sup>(٣)</sup> ويظهر من الاسم انه مركب من (su) وهو اسم القوم المهاجرين من جنوب غرب بحيرة قزوين. ومن (BAR)، التي تعني بلغة السومريين (الخارج). والكلمة لمجملها تكون (سوبار) وهم القوم الذين يعيشون خارج الحدود.

والمعروف ان هذه التسمية كانت قد ظهرت في النصوص المسمارية بصيغة (سوبارتو) لان (تو) كانت تضاف من قبل السومريين كنهاية الى كلمات الجهات الجغرافية. مثل اوراتو - مارتو - سوبارتو.

اما فيما يتعلق بحدود منطقة (سوبارتو) فأنها كانت محصورة بين جبال زاكروس شرقاً ونهر الخابور غرباً<sup>(٤)</sup> وتشير المعلومات الواردة في النصوص المسمارية ان منطقة سوبارتو كانت خضعت خلال الالف الثالث قبل الميلاد الى سيطرة الملك (أي أناتم) والآخر زمن الملك سرجون الاكدي ٢٣٤٠-٢٢٨٤ ق.م<sup>(٥)</sup>

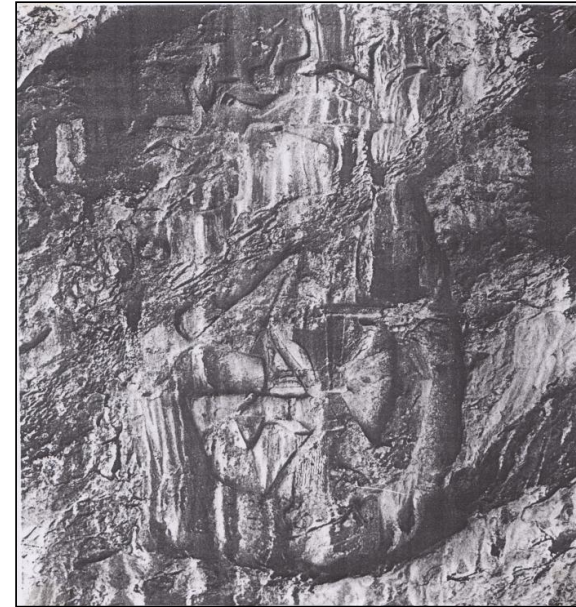
وكان السوثيون قد تحالفوا مع العيلاميون في أواخر الالف الثالث قبل الميلاد للهجوم على العراق واسقاط مدينة (اور) وقد وردت تلك الحادثة في (رثاء مدينة اور) حيث ذكر كاتب الرثاء الإشارة الآتية:

Lu - Su- KI ELAM. KI Lu KuR - RA SA - DuLL - GE -DE  
قد وصلوا الاعاء عيلام منطقة سو سكان

وكان هذا الهجوم قد حدث زمن سلالة اور الثالثة، حيث اكدت المعلومات ان السوثيون والعيلاميون لم يكونوا مكتفين بمنطقة سوبارتو التي فيها بل كانوا يتطلعون الى احتلال المناطق التي شغلتها الدويلات السومرية والاكديّة، ولكن قوة تلك الدويلات هو الذي كان يمنعهم من تحقيق هدفهم، ولكن عندما توفرت الفرصة لهم بالهجوم على مدينة أور لم يترددوا بذلك، والواقع أن عدم قناعة السوثيين بالمناطق التي اقاموا بها يعود الى عامل مهم جداً وهو محدودية الموارد الاقتصادية والتي لاتساعد على بناء كيان دولة تنافس كيان الدول القائمة آنذاك في العراق القديم

بالحصول على استقلالها ثانية<sup>(١٦)</sup>، وفي عهد سرجون الاكدي الذي انشغل بضم دويلات المدن السومرية وتوحيد البلاد، استغلت خمازي ذلك لنيل استقلالها. لكن حفيده (نرام - سين) ٢٢٦٠-٢٢٢٣ ق.م قام بشن حملة عسكرية عليها واخضعها لسلطته.

شكل رقم (١)



وقد خلد ذلك النصر على منحوتة جبلية في منطقة دربند كاور<sup>(١٧)</sup> في جبل قره داغ الى الجنوب من السليمانية (شكل ١)، ويتكرر موضوع هذه المنحوتة الجبلية على المسلة المعروفة بمسلة النصر للملك ترام - سين التي عثر عليها في سوسة في جنوب غرب ايران، وعلى الرغم من التلف الذي اصابها لكنها مازال تحتفظ بمكانة خاصة بين الاعمال الفنية في النحت الناتي في الشرق الادنى القديم<sup>(١٨)</sup> فهي تتألف من لوح من حجر الرمل مستدق عند القمة بأرتفاع ٢م وعرض ١م، اقامها نرام -

منطقتي (اورونا - ومينو)<sup>(١٢)</sup> وليست لدينا معلومات عن مواقع هاتين المنطقتين، وهذا يجعلنا لانستطيع ان نحدد سيطرة اللولوبيين عليها. غير ان ذلك لا يمنع ان نقول بان منطقة السليمانية كانت تمثل قلب المنطقة التي سكنها هؤلاء، وكانت بالوقت نفسه تمثل عاصمة لمملكة كانت تعرف بأسم (مملكة خمازي) خلال الالف الثالث ق.م. وهذا يعني ان اللولوبيين هم الذين انشأوا تلك المملكة.

ومن خلال الرسائل المدونة بالخط المسماري والمكتشفة في موقع ايبلا(تل مارديخ) جنوب حلب تعرفنا عليه وجود علاقات دبلوماسية بين مملكتي (ايبلا - وخمازي) قد وردت في الرسالة طلب ملك ايبلا المدعو (اركب - دمو) مساعده ملك خمازي بارسال جنود اقوياء مدربين الى ايبلا وكان الاخير قد ارسل عدة هدايا الى ملك خمازي المدعو (زيزي)<sup>(١٣)</sup>

تبين الرسالة ان المملكتين كانتا مستقلتين في حدود الالف الثالث قبل الميلاد ولم تخضعا لاية سلطة اخرى، وانهما كانا يتخذان الخطوات المستقلة التي تتناسب مع مصالح المملكتين. وتشير المعلومات التاريخية، ان سبب ذلك التحالف كان يعود الى مواجهة نفوذ مملكة (كيش) في النصف الاول من الالف الثالث قبل الميلاد والتي كانت تتمتع بقوة كبيرة وتعمل على ابراز قوتها امام الممالك الاخرى المجاورة لها. ومما يؤيد ذلك احد النصوص المسمارية المكتشفة في مدينة كيش، ذكر فيها وقوع معركة بين كيش وخمازي<sup>(١٤)</sup> كما بين نص آخر مكتشف في ايبلا اشار الى ان ملك كيش المدعو (مسيلم) كان ينوي السيطرة على ايبلا<sup>(١٥)</sup>.

ومن خلال النصوص المسمارية ايضا تبين ان كيش فعلاً فرضت سيطرتها على خمازي وضلت خاضعة حتى بعد سقوط كيش عندما انتقلت زعامة القسم الجنوبي من العراق الى سلالة الوركاء ورغم ذلك التغير، فان خمازي بقيت ايضاً خاضعة لقوة الوركاء. غير ان الضعف الذي دب الاخيرة فسح المجال لخمازي

عليهم اعادهم الى سيطرة الاكديين<sup>(٢١)</sup>.

وعندما تمكن الكوتيون من فرض سيطرتهم على معظم الدويلات العراقية القديمة في فترة ضعفها، استطاع اللولوبيون التحرر من السيطرة الاكدية. الا انه تجدر الاشارة الى ان هؤلاء لم يكن لهم دور او تأثير في الاحداث التي كانت تقع في المنطقة بعد (شاركلي شري). وهذا يعني ان الملوك الاكديين تمكنوا من التصديق عليهم وازالة اركان مملكتهم. وبعد مجيء الكوتيين تقلصت مملكتهم بحيث انهم وفي اواخر العصر الاكدي كان اللولوبيون يعيشون على شكل جماعات متفرقة تحولت مع الزمن الى عدة عشائر ولكل منها حاكمها والها الخاص بها.

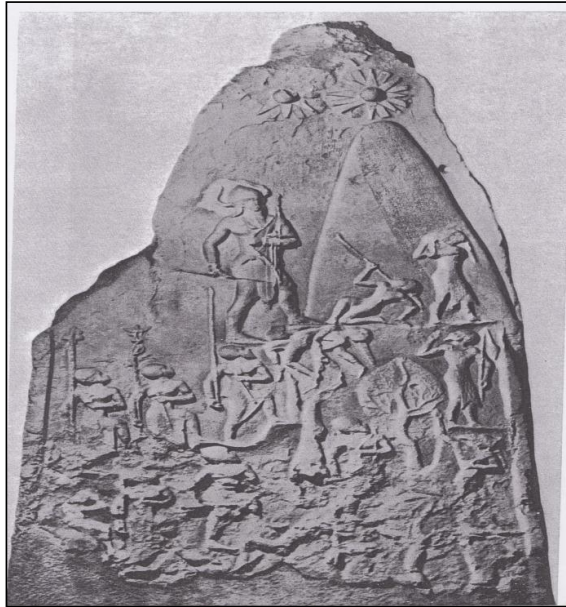
ان تفرق اللولوبيين بهذا الشكل يعني انهم اصبحوا غير قادرين على اعادة تنظيمهم وقوتهم، وهذا ماجعلهم وباستمرار يخضعون لحكم الدول او القوى التي تحكم المنطقة التي اقاموا فيها عند نزوحهم من مناطقهم الاصلية. فبعد زوال حكم الكوتيين، خضعت لحكم سلالة كيش الثانية ٢١٦٤ - ٢١٠٩ ق.م حيث تشير المعلومات ان الحاكم (نمخاني) ٢١١٣ - ٢١٠٩ ق.م قد عين ابنه (اورننا) حاكماً على حمازي<sup>(٢٢)</sup>.

اضافة الى ذلك، فإن كتابات سلالة اور الثالثة ٢١١١-٢٠٠٤ ق.م، وبالاخص كتابات الملك (شوسين) ٢٠٣٦-٢٠٢٨ ق.م، وهو رابع ملوك السلالة اشار الى انه عين مستشاره المدعو (ايرننا) حاكماً على اربيل واميراً على خمازي وعلى سكان (سو) وعلى اراضي كردا<sup>(٢٣)</sup>.

والملاحظ ان كتابات الملك (شوسين) قدمت معلومات هامة عن علاقة اللغة التي تكلم بها السوثيون واللولوبيون حيث ذكر في احد نصوص هذا الملك ان لغة هؤلاء كانت متشابهة<sup>(٢٤)</sup>.

ونتيجة لما اصاب اللولوبيين من مصاعب بعد ما تمتعوا بفترة قصيرة من

سين في سبار مدينة الاله الشمس في أكد، وتملاً النجوم الكبيرة ذات الرؤوس الثمانية المسننة قمة المسلة، يتضح من الكتابات المسمارية الموجودة على المسلة أن المشهد قصد به تخليد انتصار نرام - سين على ساتوني ملك اللولوبي الجبلي<sup>(١٩)</sup>، وفي القمة يمكن مشاهدة نرام-سين وهو يضع على رأسه خوذة ذات قرون وقد تسليح بسهم وفأس وقوس وهو يطأ بقدميه جثث الاعداء، وقد جعل شخصه مركز الاهتمام<sup>(٢٠)</sup>. شكل (٢)



ويبدو، ومن خلال النصوص المسمارية ان اللولوبيين لم يخلدوا او يركنوا للهدوء عند خضوعهم لسيطرة دولة او قوة، بل كانوا يحاولون العمل على نيل الاستقلال كلما سنحت لهم الفرصة بذلك. فعند موت نرام - سين تحرروا من سيطرته، لكن خليفته شاركلي شاري ٢٢٢٣-٢١٩٨ ق.م قام بشن حملة عسكرية

والاشارة الاخرى التي تؤيد انقسامهم الى عشائر كثيرة وردت على لسان الملك الاشوري تجلات بليرز الاول ١١١٤-١٠٧٦ ق.م حيث جاء في نص بانه قد اخذ (٢٥) الها لولوبياً ووزعها على المعابد الاشورية<sup>(٣٠)</sup>.

### الگوٲيون:

يعد الگوٲيون من الاقوام التي جاءت ايضاً من منطقة كرداء، لكن لا يعرف بالضبط فترة مجيئهم، لكنهم كانوا معاصرين لاقوام اللولوبو. غير ان المعلومات التاريخية الواردة في النصوص المسمارية تؤيد ان هؤلاء اقاموا في جنوب سهل شهرزور في المنطقة المحصورة بين نهري الزاب الاسفل ونهر دبالى واتخذوا من كركوك (ارابخا) مركزاً لهم.

وتذكر النصوص المسمارية ان اول ملوكهم كان يدعى (ERRIDUPIZIR) وكان معاصراً لحكم الملك الاكدي نرام سين. وقد تمكن الملك الگوٲي هذا من فرض سيطرته على مدينة (نفر) وترك فيها كتاباته التي ذكر فيها انه ملك الجهات الاربعة.

يضاف الى هذا الملك القوي، هناك ملوك اخرين حكموا في تلك المنطقة، منهم الملك الرابع (سورلكاب SUR-LAGAB) الذي عاصر الملك الاكدي شاركلي شري ٢٢٢٣-٢١٩٨ ق.م. وقد شكلت فترة حكمه مرحلة الخطر على الامبراطورية الاكدية، لكن الامبراطور الاخير تمكن من شن حملة عسكرية ناجحة دحر فيها الملك الگوٲي وازال خطرهم. كما ظهر ملك سادس للگوٲيين وهو (E-LU-LU-MES) الذي هدد ايضاً كيان الامبراطورية الاكدية من جديد وتصادف ان مات الملك الاكدي شاركلي شري، فجاء الى الحكم عدد من الملوك الذين دخلوا في صراع على السلطة مكن الملك الگوٲي (ايلولوميش) اعلاه من اسقاط الدولة الاكدية حتى انه لقب نفسه بـ(الملك القوي لأكد)<sup>(٣١)</sup>.

القوة فان ذكرهم ورد على لسان السلالتين ١٨-١٩ المصرية حيث تطرق اليهم الملك المصري (تحتومس الثالث) في النصوص العائدة له من خلال حديثه عن الخوريين في شمال سوريا<sup>(٢٥)</sup> اضافة الى ذلك فقد استمر ذكرهم في المصادر المسمارية الى ما قبل سقوط العاصمة الاشورية نينوى عام ٦١٢ ق. م حيث ان كتابات الملك الاشوري تجلات بليرز الثالث ٧٤٠-٧٢٧ ق. جاء فيها ذكر اللولوبيون<sup>(٢٦)</sup>.

ومما يذكر ان هؤلاء كانوا قد تأثروا كثيراً بثقافة وديانة ولغة الاكديين، حتى ان نتاجهم كان باللغة الاكدية، وان اسماء ملوكهم كانت هي الاخرى اسماء اكدية. وهناك مسلة في سربيل زهاب خلفها الملك اللولوبي انوبانييني مدونة باللغة الاكدية ويضاف الى ذلك ان اسم الملك كذلك اكدي ومعناه (اله السماء)<sup>(٢٧)</sup>.

لقد ذكرت النصوص المسمارية اللولوبين بصفتين الاولى: Lu-Lu-BI او Lu.Lu.Bum وهذه صيغة اكدية ناتجة عن اضافة اداة التعريف (um) الى نهاية الكلمة. اما الثانية فكانت بصيغة Lu.Lu. وقد نسبت هذه الاسماء الى لغة مجهولة اطلق عليها العالم الامريكي (كيلب GELB) اسم لغة الموز (BANANA LANGUAGE) وعليه يكون اسم اللولوبيين اما نسبة الى قائدهم او نسبة الى المنطقة التي انتشروا حولها، مثلما هو الحال مع السوئيين والسوربارتيين والگوٲيين<sup>(٢٨)</sup>.

وعليه، مهما كانت لغتهم، فان الاشارات الواردة عن تاريخهم تؤكد انقسامهم الى جماعات عديدة خاصة بعد زوال الحكم الگوٲي. ومن تلك الاشارات ماورد في احدى الرسائل التي كانت موجهة الى ملك الخوريين المدعو (كواري) (KUWARI) في شوشرا (حالياً شمشاره) حيث ذكر فيها المبعوث المدعو شيرانو (SEPRATU) بان ملوك اللولوبين (وليس ملك واحد) يعانون من نقص في الحبوب، ولذلك هم يتقدمون بطلب السلام مع ملك شوشرا<sup>(٢٩)</sup>.

وبالرغم من اسقاطهم الدولة الاكدية، الا ان سيطرة الكوتيين اقتصر على المناطق الشمالية من الدولة الاكدية ويبدو أن من جملة العوامل التي مهدت للغزو الكوتي أن الامبراطورية الاكدية استنزفت قسماً من قوتها في معاركها ضد قبائل ((اللوليو)) آفة الذكر<sup>(٣٢)</sup>. وهو ما فسخ المجال امام الكوتيين لنشر قواتهم وحامياتهم العسكرية في النقاط الاستراتيجية، وفي النتيجة دمروا مدينة آشور، لكنهم تأثروا بالحضارة العراقية القديمة، بحيث اقتبسوا منها الخط المسماري واللغة الاكدية في مقابل ما خلفوا من خراب ودمار للمناطق التي سيطروا عليها. وقد دامت فترة حكمهم حوالي (١٠٠ عام)، وكان عدد ملوكهم الذين حكموا (٢٥) ملكاً حيث وردت هذه الاحصائية في جداول اثبات الملوك<sup>(٣٣)</sup>.

وتسمى عدد من ملوكهم بأسماء سامية مثل (KURUM) كورم و (Khabil-Kin) خابل كن، ويرجح أنهم اقتبسوا بعض الالة الاكدية وطبقوها مع الهتهم فقد ادعى الملك (لارابم) الالهة عشتار والاله سن آلهة الكوتيين<sup>(٣٤)</sup>.

اشارت النصوص المسمارية الى صورة واضحة للانهييار المفاجيء للامبراطورية الاكدية، مما ادى الى فوضى سياسية وارتباك في السلطة ولعل استشهد به لهذا الدمار العبارة المأثورة (تري من كان الملك ومن يكن ملكاً)<sup>(٣٥)</sup>. ونقرأ في رسالة تعود الى زمن الملك شاركاربي شاري وتحديد الى الفترة التي سبقت سقوط الامبراطورية الاكدية ان الكوتيين كانوا يهجمون على الحقول وينهون ماشية الفلاحين حتى ان بعض المعابد لم تسلم من ايديهم، ولم يتركوا امرأة او طفل بشأنه من دون ان يستطيع ان يقول لهم كلمة واحدة على حد تعبير الرسالة<sup>(٣٦)</sup>.

اما عن اصل التسمية فان تسميته Ku-Tu، أي الكوتيين، فانها متشعبة عن اسم المنطقة التي جاءوا منها وهي منطقة (كردا). وكان السومريون يضعون امام اسماء المدن العلامة المسمارية (URU) وتعني المدينة والى خلفها العلامة (KI).

اما بخصوص المناطق والمدن الشمالية والجبلية فانهم وضعوا (KUR) قبل اسماء المدن والمناطق بدلاً من (URU) وذلك تميزاً لهذه المناطق عن البقية. وعليه فقد وضع السومريون العلامة (كور) التي تعني الجبل او الارض فاصبح الاسم بهذا الشكل KAR-DA-KI (KUR) وتأثر حروف العلة الخاصة بمدينة (كردا) بحرف الـ (U) الموجودة في كلمة كور، فعليه لفظ اسم المدينة خلال الفترة الاكدية من قبل السومريون على شكل KuR- Kur - Du KI، وبما ان اللغة الاكدية كانت لغة الثقافة والسياسة، فان اي حرف سومري يبدأ بـ (D) تحول الى حرف (T) فاصبح يلفظ باللسان الاكدي على شكل Ku-Tu<sup>(٣٧)</sup>.

### الخوريون:

تشير المعلومات التاريخية ان موطن الخوريين الاصلي هي المناطق الشمالية من العراق والتي تمتد ما بين جبال طوروس وبحيرة (وان)، وكان اول اشارة ظهور لهم في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد. وبسبب قوة الدويلات الحاكمة في العراق، فانهم خضعوا للسيادة السومرية أولاً وبعدها للاكدية، وهذا الواقع قد جعل من الخوريين وسطاء لنقل حضارة بلاد وادي الرافدين الى اسيا الصغرى وبلاد الشام<sup>(٣٨)</sup>.

ومن اشهر ملوكهم الذين ذكرتهم النصوص المسمارية هو الملك (KIKLIP- ATAL كيكلب - اتل) وكان مقر حكمه في مدينة (توكريش) (TUKRISH) والتي لم يحدد موقعها بشكل اكيد، ويرجح ان الخوريين استقروا في منطقة لورستان. وكان الخوريون قد تمكنوا من تأسيس دولتهم الواسعة بعد سقوط الامبراطورية الاكدية أولاً، وزوال حكم الكوتيين من العراق ثانياً. وكان على رأس هذه الدولة ملك يدعى (ATEL - SHEN) (اتل - شين) الذي ترك لوحة من البرونز عليها كتابة بالخط المسماري وباللغة الاكدية<sup>(٣٩)</sup>.

وعند ظهور سلالة اور الثالثة (٢١١١-٢٠٠٤ ق.م) والتي فرضت سيادتها



اما من الناحية الثقافية، فان النصوص المسمارية تشير بان لغتهم لها علاقة باللغة التي كانت سائدة في منطقة سوبارتو، اي لغة السوثيين، وبناء على ذلك يمكن القول ان لغات شعوب هذه المنطقة متقاربة في الشبه من بعضها الاخر والى حد كبير، وذلك لانها من اصل واحد.

ومهما يكن من امر اللغة، فان دور الخوريين كقوة حاكمة في المناطق التي شغلوها لم تنتهي الا في اواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد، حيث بدأت النصوص المسمارية تقدم الدلائل على انتقال السلطة من ايديهم الى احد فروعهم في حلب وهم الميتانيون.

### الميتانيون:

يعتقد ان هؤلاء يمثلون موجة من الهجرات التي استوطنت واستقرت في وادي نهر الخابور، حيث تمكنوا من تأسيس دولة اطلق عليها اسم (خانيكليات) ولم تشر المعلومات التاريخية عن دور هؤلاء قبل فترة القرن الخامس عشر قبل الميلاد ولكن ما ان حلت سنة ١٤٧٠ ق.م حتى تمكن الميتانيون من توسيع رقعة مملكتهم فسيطروا على مدينة حلب ووصلوا الى فلسطين، ومما ساعدهم على ذلك التوسع والانتشار هو استخدامهم الخيول والعربات الحربية ذات العجلتين، بحيث انهم شغلوا المساحة الواقعة ما بين سواحل البحر المتوسط ومدينة (نوزي) كركوك<sup>(٤٤)</sup>.

اما عن اول ملوكهم فتذكر لنا النصوص المسمارية هو (PARRTARNA براتانا) وتذكر النصوص ايضاً ان حكمه كان في اوائل القرن الخامس عشر قبل الميلاد، ومن المحتمل انه هو الذي سيطر على مدينة حلب، وقد تولى الحكم بعد هذا الملك عدد من الملوك اشهرهم (كيرتا KIRTA) الذي حكم عام ١٤٦٠ ق.م والملك (شوتارنا SHUTTARNA) ابن الملك (كيرتل) ثم جاء بعده عام ١٤٤٠ ق.م الملك (بارساتاتار PARSATATAR) اما الملك الاخر فهو

على البلاد نتيجة ذلك تأثير الخوريين في الحياة العامة، خاصة وان الملك السومري (شولكي ٢٠٩٣-٢٠٤٦ ق.م) قام بعدة معارك ضد الخوريين حتى انه جلب منهم العديد من الاسرى.

ولكن عندما بدأت الموجات الامورية القادمة من غرب العراق بدأت تضغط على سلالة اور الثالثة، خاصة في اواخر الالف الثالث قبل الميلاد، فسح المجال من جديد للخوريين من اعادة سيطرتهم على معظم الاجزاء الشمالية والشمالية الشرقية من العراق. حتى ان احد ملوكهم المدعو (نيش - اتل) لقب نفسه (رجل نينوى) للاستدلال على سيطرته على تلك الاجزاء<sup>(٤٥)</sup>.

والملاحظ هنا، ان الملوك الاقوياء الذين كانوا يحكمون البلاد، ونتيجة لما تمتعوا به من سلطة واسعة، كانوا يضفون على انفسهم صفة الالهوية خاصة وان بعض من ملوك سومر واكد كانوا يضعون العلامة التي تدل على الالهوية امام اسمائهم. وقد تشبه بهؤلاء الملوك بعض ملوك الخوريين حيث وجدت بعض الاختام الخورية تضع تلك العلامات الدالة على الالهوية. ومن ابرز هؤلاء الملوك (نيش - اتل) و(ادي - سين IDI-SUEN)<sup>(٤٦)</sup>

مما تقدم يتضح لنا ان سقوط سلالة اور الثالثة قد ادى الى استقلال الكثير من الحكام المحليين في منطقة جبال زاكروس، لكنهم لم يستطيعوا من اقامة دولة موحدة، وذلك لان السلالات التي حكمت في السهل الرسوبي بعد سلالة اور الثالثة لم تقسح المجال للخوريين بالتوغل الى داخل السهل.

ولكن رغم ذلك، فان الخوريين تمكنوا وفي الربع الاول من الالف الثاني قبل الميلاد من الانتشار الى عدة جهات من الهلال الخصيب، ابتداء من منطقة نوزي (كركوك) وصولاً الى منطقة (تل العطشانة) شمال سوريا<sup>(٤٧)</sup> الواقع بين حلب وانطاكيا، كما وصلوا الى اللاذقية، كما وجدت اثارهم في مناطق قرب الموصل<sup>(٤٨)</sup>.

العاصمة المصرية طيبة) ان هناك رسائل مرسلة من الميتانيين والحثيين والكاشيين مدونة بالخط المسماري ومكتوبة باللغة البابلية<sup>(٤٧)</sup>، وهذا يعني ان هؤلاء قد تأثروا كثيراً بحضارة وادي الرافدين.

والواقع ان حالة الفوضى التي مرت بالدولة الميتانية، ومن قطع الصلات مع المصريين، لم تستمر طويلاً، فقد تمكن الملك المنصب (توشراتا) من تحرير نفسه من التأثير (اوتخي) ومن عودة الامور الى سابق عهدها مع المصريين. وتوثيقاً لذلك فقد ارسل هذا الملك ابنته الاميرة (تاتوخيبا TATU-HEPA) الى الفرعون امينوفس الثالث كزوجة له. لكن، وبعد فترة من الزمن توفي الفرعون المصري وجاء الى الحكم الفرعون (امينوفس الرابع) الملقب بـ(اخناتون) الذي شغل نفسه بالامور الدينية الجديدة، وهذا مادعاه الى اهمال ما اتفق عليه مع الميتانيين، كما ادى الى قطع العلاقات الدبلوماسية بينهما وعاد كل من المبعوثين الى بلده.

وفي هذه الاثناء بدأ الاشوريون بالنمو بحيث قاموا بمساعدة الناصر على الدولة الميتانية (اوتخي) والذي لقب بـ(ارتاتاما ARTATAMA) ومكنوه من تكوين دولة توازي في قوتها دولة (خانيكلبات الميتانية) وقد ارسل الملك الاشوري (اشور - بلط ١٣٦٣-١٣٢٨ ق.م) الى الفرعون المصري امينوفس الرابع (١٣٦١-١٣٤٠ ق.م) يبلغه من تخلص الاشوريين من سطوة الميتانيين. كما تصادف نمو قوة الدولة الحثية، فاخذت كل من الدولتين الاشورية والحثية باقتطاع اجزاء من اراضي الدولة الميتانية وتضمها الى حدودها، وكانت تلك الاحداث قد وقعت زمن الملك (توشراتا TUSHRATA)<sup>(٤٨)</sup>.

وعلى الرغم من تلك الاحداث التي مرت على الدولة الميتانية، والتي تميزت بالصراع على السلطة واقتطاع اجزاء من اراضيها من قبل بعض الدول المحيطة بها. فان هناك محاولات جرت قام بها بعض رجال الدولة الميتانية امثال (ارتاتاما الثاني

(ساوشتاتار SHUSHTATAR) ابن الملك بارساتاتار.

وعلى الرغم من القوة التي تمتعت بها الدولة الميتانية، الا انها تعرضت لتهديد الفرعون المصري تحوتمس الثالث الذي قاد حملة كبيرة على قادش عام ١٤٤٧ ق.م ووصل بجيشه الى نهر الفرات، لكن الملك الاخيرساوشتاتار تمكن من انقاذ دولته وذلك بالتحالف مع الفرعون ضد الاشوريين حيث استطاع من احتلال مدينة اشور بتلك المساعدة. كما تمكن من ضم المناطق التي كانت خاضعة للخوريين واتخذ من مدينة (وشكاني WASHUKANNI) وهي (رأس العين عند منابع نهر الخابور) مركزاً لحكمه<sup>(٤٩)</sup>.

لكن تلك العلاقة بين الدولتين لم تدم طويلاً، فقد حصل صراع بينهما للسيطرة على بلاد سوريا حيث جهز الفرعون طحوطمس الرابع عام ١٤٠٠-١٣٩٠ ق.م حملة عسكرية ضد الميتانيين غير ان تولى الفرعون (امينوفس الثاني) ١٤٢٨-١٤٠٠ ق.م غيرت تلك الاوضاع، فقد بدأت العلاقة الودية بين البلدين، حتى ان احد احفاد (ساوشتاتار الاول) ارسل ابنته هدية وزوجة للفرعون المصري. ويؤكد المؤرخون ان هذه الحالة تعني اشارة الى ان الدولتين المصرية والميتانية اصبحتا على قدم المساواة. ولم يكتفي الميتانيون بارسال احفاد الملوك السابقين من الفتيات الجميلات، بل ان الملك الميتاني (شوترنا الثاني) قام هو الاخر بارسال ابنته الاميرة (كيلو جيبا KELU-HEPA) زوجة للفرعون امينوفس الثالث ١٣٩٠-١٣٥٢ ق.م<sup>(٤٦)</sup>.

غير ان بموت الملك اعلاه دخلت الدولة الميتانية بصراع على السلطة، حتى ان احد الشائرين المدعو (اوتخي UTHI) والذي لم يكن من البيت الحاكم، قام باغتيال الملك الشرعي ونصب للحكم احد اولاد الملوك السابقين وهو المدعو (توشراتا TUSHRATA) ملكاً شكلياً. ولقد ادت تلك الاحداث الى قطع في العلاقات المصرية الميتانية. ومن خلال الرسائل المتبادلة بين الجانبين وجد في (تل العمارنه

ونتهي حديثنا عن الخوريين بشيء من الفن الخوري والميتاني خلال العصر الاشوري الوسيط حيث انتعش الفن الخوري وتغلغلت العناصر الفنية الخورية والميتانية في اماكن مجاورة مثل آشور وكالح (نمرود) واوغاريت في سورية، حيث وجدت في آشور وثائق كثيرة طبعت بأختام خورية تماثل في تفاصيلها الاختام التي وجدت في نوزي والالاخ خلال القرن الرابع عشر والخامس عشر قبل الميلاد وفي القرن الخامس عشر ق.م كانت الموضوعات والاساليب تتقلب بين الخورية والاشورية (شكل ٣).

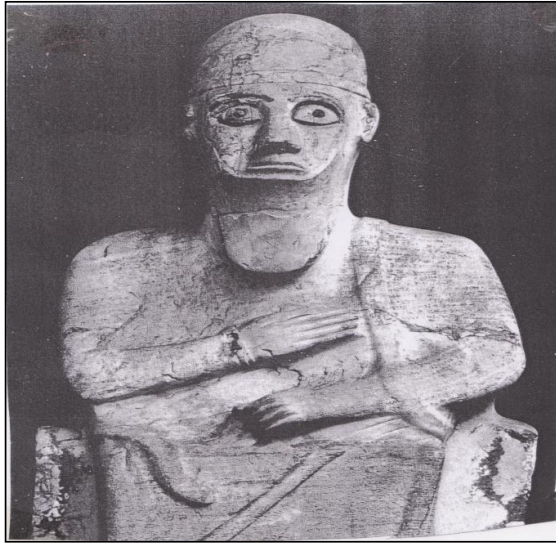


والملك شوترنا الثالث) الذي استطاع هذا من تحرير بعض الاجزاء بسبب قبوله الدخول في حماية الدولة الاشورية، حيث ساعدته في تحقيق ذلك الهدف، لكن مجيء الملك الميتاني (شتي وازا SHATT/ WAZA) غير اتجاهه وقبل حماية الدولة الحثية اعتقاداً منه ان هؤلاء اكثر اماناً للميتانيين من الاشوريين حيث ان هؤلاء هم سكان المنطقة الاصليين ويحاولون في اي وقت استعادت الاراضي المحيطة بدولتهم. لقد كان ظن الملك الميتاني (شتي وازا) في مكانه، فقد ظهر الملك الاشوري (ادد نراري الاول ١٣٠٥-١٢٧٤ ق.م) والملوك الذين جاءوا من بعده، قد تمكنوا فعلاً من احتلال الاقسام الشمالية من بلاد وادي الرافدين حتى نهر الفرات. وعليه، فان نهاية الدولة الميتانية كانت على عهد الملك الاشوري (شلمنصر الاول ١٢٧٣-١٢٤٤ ق.م). فقد اكد لنا في كتاباته انه قضى على العاصمة الميتانية (خانيكليبات) وبهذا تكون هذه الدولة قد انتهت على يد الاشوريين<sup>(٤٩)</sup>.

اما عن اصل التسمية، فان المؤرخين لم يتفقوا حالياً على اصل تسمية الميتانيين. لكن النصوص الكتابية ذكرت بكثرة اسم العلم (مايتا MATTA) واذا ما اضيف اليه النهاية (NI) وهي للنسبة يصبح الاسم (مايتاني MAITTANI) من ثم (ميتاني MITTANI) فاذا صح مثل هذا التفسير فسيكون معنى الاسم اتباع (مايتا). والفرق بين هؤلاء والخوريين ظهر فقط في اسماء الاعلام. اما اللغة فهي واحدة، حيث كثيراً ما يسمى ما هو ميتاني بالخوري وبالعكس. كما ان الملوك الميتانيين لم يحكموا الا في مناطق يسكنها الخوريون.

هذا ومن خلال عدد من اسماء الالهة الميتانية ومنها (MITRA) يظهر ان هؤلاء هم (اندو اربين). وهذا الحال ينطبق على الخوريين ايضاً. ولكنهم يمثلون فرعاً غير الفرع الميتاني، وذلك بسبب نوعية اسماء الاعلام التي كانوا يحملونها. وان الفرق بالاسماء هذا فسببه يعود الى ان الخوريين اتسموا باسماء متأثرة بالمناطق التي شغلوها والواقعة بين جبال زاكروس والبحر المتوسط، بينما الاسماء الميتانية فهي بقيت تحمل طبيعة المنطقة التي جاءوا منها<sup>(٥٠)</sup>.

ومن الآثار الميتانية التي وصلتنا تمثال شوترنا ادريمي من الالاخ وهو أحد مزارعي الملك الميتاني براترنا (Baratarna) وهو يمثل من سحنته ملامح سورية وخورية ميتانية، ويتحدث دريمي في الكتابة الطويلة على التمثال الجالس عن مساهمته في المعارك الى جانب الميتانيين، ويرتدي ادريمي في هذا المشهد ثوباً شبيه بالاثواب التي ظهرت على الاختام السورية<sup>(٥١)</sup> (شكل ٤).



(شكل ٤)

كما عثر اثناء التنقيبات الانكليزية في نمرود على قطعة تؤلف جزءاً من كأس سكب الشراب على شكل يد وساعد تعود الى الفن الخوري الميتاني وهي لايزيد عرضها عن ٧.٥ سم ولكن مايهمنا هو زخرفتها واسلوبها وموضوعها الذي يكاد يكون مرتبطاً بكل وضوح بالاشكال المنحوتة على اختام كركوك، قوامها حيوانات مضطجعة اسود وماعز وطيور انطوت سيقانها وانحنى الى الخلف رؤوسها<sup>(٥٢)</sup> (شكل ٥).

شكل (٥)



### النائيري والاورارتو:

من خلال الحديث عن السوثيين وعن بلاد سوبارتوذكرنا ان الاخيرة كانت جغرافيا محصورة بين جبال زاكروس من جهة الشرق ونهر الخابور من الجهة الغربية وكانت جزء من هذه المنطقة تحت السيادة الاشورية ولذلك فانهم اطلقوا على الاقسام الشماليه من حدود امبراطوريتهم فعرفوها باسم (شوبريا) ثم ابدلوا باسم (بلاد نائيري NAIRI) وكانت تتحد بالمناطق الواقعة بين منابع نهري دجلة والفرات. وعليه فان الاشوريون اطلقوا على بحيرة (وان) اسم بحر النائيري<sup>(٥٣)</sup>.

وظهر من خلال الكتابات المسمارية للفترة ما بين (١٨٠٠ - ١٥٠٠ ق.م) ان بلاد ارمينيا كانت تعتبر جزء من بلاد نائيري. وكان يقيم فيها عدد كبير من الخوريين، وكانت لغتهم متقاربة مع اللغة الارمنية في كثير من الاصوات والعبارات. ولذلك اعتبرت المصادر المسمارية بانها لغة جديدة ومن اللهجات الخورية وقد اطلق

اورمية.

اضافة الى ذلك كانت هناك كتابات اخرى بالطريق مابين راوندوز ومدينة (اوشنو) ولكنها هذه المرة مدونة باللغتين الاورارتية والاشورية. ومضمون تلك الكتابة عبارة عن وصف لمسيرة قام بها الملك مع ابنه (مينو MENU) في منطقة مصاصير (بحيسر حالياً). وذكر فيها ايضاً انه كان يقصد من تلك المسيرة الوصول الى المعبد الخاص باله اورارتو المدعو (خالدي HALDI) وهذا الموقع يبعد عن مدينة اربيل حوالي ١٠٠ كم.

ونتيجة لما حققه هذا الملك، فقد اطلق على نفسه بعض الالقاب التي تدل على قوته، فمنها لقب ملك العربات الحربية، دلالة على استخدامه العربات الكثيرة في حروبه، ويقابل هذا اللقب باللغة الاشورية بـ(ملك نايري) اضافة الى ذلك فقد لقب الملك (ايشبوني) نفسه ايضاً بـ(سيد مدينة طوشبا (ن) TUSHPA(N) التي كانت تمثل عاصمة الدولة الاورارتية<sup>(٥٦)</sup>.

وبعد وفاته جاء ابنه الملك (مينوا) في حدود ٨٠٥ ق.م وكان يعاصره في الدولة الاشورية الملك (أدد نراري الثالث ٨١٠ - ٧٨٣ ق.م) ومن اهم اعماله العمرانية هو بناء لعاصمة جديدة لمملكة سماها باسمه . وتذكر النصوص انها تقع عند منابع نهر (كرا- صو). ومن اعماله التي وجدت مدونة في مدينة (تاش- تبه TASH\_TEP) الواقعه جنوب بحيرت اورمية، تذكر تلك الكتابات انه تمكن خلال فترة حكمه من ضم العديد من المناطق الاشورية الى حدود دولته.

اما اشهر الملوك الاورارتيون الذين حكموا بعد (مينوا) فكان الملك (اركيشتي الاول ٧٨٩ - ٧٦٦ ق.م) ومن اهم اعماله هي سيطرته على سهول (ارارات وعلى مصادر معادن النحاس في قفقاسيا، ثم بناءه مدينة جديدة محصنة على الجانب الايسر لنهر (اراكيس ARAXES) وايضاً سماها بأسمه . وقد وجدت نصوص

عليها فيما بعد وفي المصادر المسمارية اسم (الاورارتية).

ونتيجة لتلك المتغيرات، فقد ظهر لارمينيا وفي النصف الاول من القرن الثالث عشر قبل الميلاد اسم جديد هو (اورارتو)<sup>(٥٤)</sup> وقد شمل هذا الاسم بلاد ارمينيا حتى بحيرة (وان). اما المناطق المحصورة بين اعالي نهري دجلة والفرات فقد ظلت تسمى من قبل الاشوريين ببلاد نايري حيث ذكرت الحملات الحربية التي قادها الملك الاشوري أدد نراري الثاني ٩١٢ - ٨٩١ ق م وكتابات ابنه توكلتي نورتا ٨٩١ - ٨٨٤ ق م<sup>(٥٥)</sup>.

اما ماتعلق بالمعلومات عن منطقة (اورارتو)، فانها بدأت بالنمو والتوسع خلال الفترة المحصورة بين حكمي الملكين الاشوريين اشوربيل كلا ١٠٨٢ - ١٠٦٦ ق م وشلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م) وكادت ان تضم تحت لوائها جميع مناطق الشرق الاوسط. ومن اشهر ملوكها الملك (سار دوري الاول ٨٣٢ - ٨٢٥ ق م) وقد عاصر حكمه حكم الملك الاشوري (شلمنصر الثالث) وقد ترك الملك (سار دوري) كتاباته على احد الاسوار مدونة باللغة البابلية، وهذا دليل على سيادة الثقافة البابلية في تلك المنطقة.

ومن اشهر الملوك الذين خلفوا الملك الاورارتي (ساردور) ابنه الملك (ايشبوني ISHPUNI) الذي حكم خلال الفترة مابين ٨٢٤ - ٨٠٦ ق.م واهم مميزات حكمه ان كتاباته كانت باللغة الاورارتية. وتؤكد هذه الاحداث على رغبة هذا الملك ببناء دولته اعتماداً على كل ما هو اورارتي. ولتنشيت اركان دولته هذه، فانه قام بعدة حملات عسكرية الاولى كانت باتجاه الشمال حيث ترك كتابات على الحجر بالطريق الذي كان يؤدي الى ممر جبلي يدعى (ديلي بابا DILI BABA) كما ذكر انه قام بحملة حربية كبيرة تتألف من ١٠٦ عربة حربية و ١٠٠٠ فارس وعلى ٢٢ الف جندي مشاة. وكانت هذه الحملة موجهة على منطقة بارسوا (فارس) الواقعة جنوب من بحيرة

في هجرتهم نحو الجنوب، بينما الاقوام التي سبقتهم فانها اتجهت غرباً. ويظهر السبب في ذلك هو وجود الدولة الاشورية القوية والتي لم تستطع اية قوة من مواجهتها في تلك الفترة، حتى ان مدينة اربيل كانت العاصمة الثانية للاشوريين، وكانت منطلقاً لحملاتهم العسكرية باتجاه الشرق. ولهذا لم يتمكن الميديون من التوغل غرباً<sup>(٥٨)</sup>.

ومهما يكن من امر الميديين، فان اول ذكر لهم ورد في كتابات الملوك الاشوريين الذين حكموا في القرن التاسع قبل الميلاد، واول اشارة كانت زمن الملك شلمنصر الثالث ٨٥٨-٨٢٤ ق.م والتي اخبرتنا عن قيامه بعدة حملات عسكرية على المنطقة الجبلية في ايران وجبال زاكروس حيث جاءت في هذه الاخبار ذكر للقبائل الميديية بصيغة (اماداي AMADAI) وهذا يعني ان هذا الاسم يمثل الاسم القومي للميديين، بل هو نسبة الى المنطقة التي تمركزوا فيها. والمعروف ان الشعوب القديمة عموماً كانت تسمى باسماء المواقع الجغرافية التي كانت تشغلها.

والملاحظ هنا هو ليس غربياً ان تتحول كلمة (مادا) والتي ظهرت في نصوص الالف الثالث قبل الميلاد الى كلمة (اماداي) في كتابات الالف الاول قبل الميلاد، خاصة اذا ماوضعنا بنظر الاعتبار بان الملك الميتاني (توشراتا) كان يسمى (امينوفس الثالث) باسم (نيموريا) وهذا كان زوج ابنته، كما كان يسمى الاله (امون) باسم (امانوا)<sup>(٥٩)</sup>.

ولقد ورد ذكر للميديين في كتابات الملوك الاشوريين منهم الملك (شمشي أد الخامس) ٨٢٣-٨١١ ق.م والملك (أد نراري الثالث) ٨١٠-٧٨٣ ق.م كما وصفهم الملك تجلات بليرز الثالث ٧٤٤-٧٢٧ ق.م، والملوك الذين جاءوا بعده بان هؤلاء الميديين انهم اشداء اقوياء يقيمون في المنطقة الجبلية الممتدة من الخليج العربي تقريباً حتى بحيرة (وان) بموازاة سلسلة جبال زاكروس.

وعلى الرغم من هذا الامتداد للميديين، فان النصف الثاني من القرن الثامن

كتابية تتحدث عن مجمل اعماله العمرانية والزراعية . جاء بعده ابنه المسمى (ساردور الثالث ٧٦٥-٧٣٣ ق.م) وكان عمله هو الاستمرار على نهج والده في توسيع رقعة الدولة الاورارتية حتى انه وصل نتيجة لحملاته العسكرية الى سواحل البحر الاسود والى اعالي نهر الفرات . لكن ظهور الملك الاشوري (تجلات بليرز الثالث) الذي اعطى الدولة الاشورية قوة جديدة منعت الاورارتيون من مواصلة توسعها. لكن رغم ذلك فان هذا الملك وقبل ظهور الملك الاشوري الاخير، كان قد ترك كتابات مدونة عند اعالي الفرات جاء فيها انه وصل الى منطقته لم يصل اليها أحد قبله من ملوك اورارتو، وانه تمكن من اخضاع مملكة (ملاتيا MALATIA) لسلطانه. وكانت هذه المملكة تسمى عند الاشوريين بـ(كوموخو KummuHu) وان ملكها المدعو (كوستاشيلي) لم يخضع سابقاً لاي سلطان، وانه لم يدفع الجزية لاحد من الملوك. الا ان الملك (ساردور) تمكن من اجباره على دفع الجزية<sup>(٥٧)</sup>.

ومن خلال المعلومات والنصوص الكتابية لهذه الدول، فان السمة الغالبة عليها انها ومهما بلغت من قوة، فان القوة للدولة صاحبة الارض، ومهما كان وصفها، فانها بالنتيجة تعود الغلبة لها، وهذا ما حصل للدولة الاورارتية فقد كانت نهايتها على يد الملوك الاشوريين الذين تمكنوا من اعادة تأسيس الامبراطورية الاشورية الحديثة، وكان ذلك على عهد الملك الاشوري تجلات - بليرز الثالث ٧٤٤-٧٢٧ ق.م والملك سرجون الثاني ٧٢١-٧٠٥ ق.م.

### الميديون:

يبدو ومن خلال النصوص التاريخية، ان هؤلاء جاءوا من نفس المنطقة التي جاءت منها الاقوام السابقة وهم - السوثيون - اللولوبيون - الكوتيون - الخوريون - الميتانيون، وذلك خلال فترة القرن التاسع قبل الميلاد. وهذا يعني انهم جميعاً من اصل واحد. ولكن هؤلاء لم ينتشروا بنفس المناطق التي سكنتها تلك الاقوام، بل اتجهوا

كان يمتلكه من قوة فقد قرر الهجوم على العاصمة الاشورية نينوى.

لكن تلك الظاهرة باعت بالفشل، وذلك لان الاشوريون سبق وان تحالفوا مع احد العشائر الايرانية، وهي قبيلة الاسكيثين، وهذه قد هاجمته من الخلف مما ادى اندحاره في المعركة ومن ثم موته عام ٦٥٣ ق.م وكان من نتيجة ذلك ان دخلت المملكة الميديّة تحت سيطرة هذه القبيلة لمدة من الزمن.

وعلى الرغم من تلك الحالة التي وصلت اليها الدولة الميديّة، فان احد ابناء (فراورطيس) المدعو (كي اخسار) تمكن من التخلص من تبعية الاسكيثين، ومن ثم فرض سيطرته على بلاد فارس، وبعدها عمل على اعادة تنظيم جيشه وجعل من العاصمة (اكبتانا) عاصمة دائمة للدولة الميديّة.

وبعد ان ثبت اركان دولته بدأ بالتفكير بغزو الدولة الاشورية وقد مهد لذلك بان تحالف مع (نبوبلصر) الذي كان حاكماً على بلاد بابل من قبل الملك الاشوري (اشوربانيبال) ومن نتيجة هذا التحالف ان تمكن (نبوبلصر) من الانسلاخ عن تبعية الدولة الاشورية<sup>(١٢)</sup>.

لقد نفذ (كي اخسار) فكرته وقام بهجوم على بلاد اشور عام ٦١٥ ق.م متجهاً نحو العاصمة (نينوى)، لكن واجه مقاومة عنيفة، اتجه على اثرها نحو العاصمة القديمة (اشور) فتمكن من فتحها. وبعد هذا الحدث التقى (نبوبلصر) مع (كي اخسار) وتحالفا من جديد. ولتقوية ذلك الحلف مابين (بابل وميديا) ثم تزويج (نبوخذنصر) ابن (نبوبلصر) من حفيدة الملك الميدي (كي اخسار) المسماة (اميتس). وفي عام ٦١٢ ق.م تمكن الملك الميدي من احتلال واسقاط العاصمة نينوى، واجبر آخر ملوك الدولة الاشورية (اشور - اورلظ) الى الانسحاب الى مدينة (حران)، وفي عام ٦١٠ ق.م تم القضاء على آخر ملك اشوري وانتهت بهذا اعظم امبراطورية عرفها العالم القديم.

قبل الميلاد، قد شهد ظهور شخصية قوية تمكن من فرض سيطرته على تلك المناطق. وكان يطلق عليه اسم (دايكو DAIKKU). ويبدوانه نفس الشخص الذي ذكره تاريخ (هيرودوتس) باسم (ديوكس DIOCES) والذي اعتبره مؤسس الدولة الميديّة<sup>(١٠)</sup>.

ومن اهم اعمال هذا الملك، وفي بداية حكمه، هو تحالفه مع دولة اورارتو ضد الدولة الاشورية، وذلك زمن الملك الاشوري سرجون الثاني ٧٢١-٧٠٥ حيث تمكن الاخير من تجهيز حملة عسكرية قوية ضد مملكة اورارتو زمن ملكها (روساس) وحليفه الملك الميدي (دايكو)، استطاع بها من تحطيم ذلك التحالف ومن ابعاد الاخير وعائلته الى مدينة حماه في سوريا.

وتشير المعلومات التاريخية ان الملك (دايكو) ورد اسمه في المدونات الاشورية بكثرة، وان بداية حكمه كانت سنة ٧٠٨ ق.م، حتى ان الاشوريين اطلقوا على عاصمة المملكة الميديّة (اكبتانا) همدان الحالية اسم (بيت دايكو)، ثم تولى المملكة بعده ابنه الذي ذكره في تاريخ هيرودوتس باسم (فراورطيس) (PHRAORTES) ٦٥٥-٦٣٦ ق.م، ولكن يعتقد ان اسمه الصحيح كان (خشاثريثا KHSATHRITA). ومن اهم اعماله هي تمكنه من توحيد معظم القبائل الميديّة تحت حكمه، وذلك زمن الملك الاشوري اسرجدون ٦٨٠-٦٦٩ ق.م والذي استطاع ان يدخل مع هذا الاخير في تحالف مع الاشوريين والذي مكن الملك اسرجدون من اخذ ولاية العهد لابنه (اشور بانيبال ٦٦٨-٦٢٧ ق.م) نتيجة لذلك التحالف<sup>(١١)</sup>.

لقد بلغ الملك الميدي فراورطيس من القوة بدرجة ان الملك الاشوري اسرجدون ارسل له رسل صداقة، ونتيجة لقوة الملك الميدي هذا، فقد تمكن من ضم، اضافة الى القبائل الميديّة، قبائل ايرانية منها قبائل السميرون - الكيميريون - الاسكيثيون. ومما



## الهوامش:

- (1) Reperoire , GeoGraphiQue Des. Text es Cuneiformes, Band 2, wiesbaden-1974,P.91-92
- (٢) اي انا تم (Eanna tmm) حاكم لحيش وهو أبن آكور الذي خلف مؤسس سلالة لكبش اورنانشة اتخذ لقب ملك كيش ويرجح أنه مد نفوذه الى بلاد آشور والى جهات الفرات الاعلى وسيطر على مدينة ماري وتل الحريري على الحدود العراقية السورية. كما استولى على بلاد عيلام.
- عبد الواحد، فاضل، سليمان عامر، تاريخ العراق القديم، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٠، ص ١٣١.
- (3) D.O.EdzaRd, ArchHiv Fu. Orient for schung 19,22. mit Anm P. 56.
- (٤) فوزي رشيد، ترجمات لنصوص سومرية ملكية، ص ٧١.
- (٥) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد ١٩٧٣، ص ٧٧.
- (6) Fischer, Weltg Schichte, Band 2 , Die Altorientali , Schen Reiche P. 103
- (٧) بوترو، جين وآخرون، الشرق الادنى والحضارات المبكرة، ترجمة عامر سليمان، ١٩٦٧، ص ١٩١.
- (٨) نفس المصدر، ص ١٩٦.
- (٩) مردوك ابلا: ويطلق عليه ايضاً مردوك بلادان ويعني باللغة البابلية ((مردوك اعطاني وريثاً ابناً بكرًا)) وقد ورد اسم هذا الملك لأول مرة زمن الملك تجلات بلصر الثالث ٧٢٨ ق.م وحكم لمدة ١٢ سنة خلال الفترة ٧٢١-٧١٠ ق.م وفي عام ٧٢٢ ق.م جهز حملة على بابل.
- النجفي، حسن، معجم المصطلحات والاعلام في العراق القديم، الدار العربية

وبعد القضاء على الدولة الاشورية اصبحت الدولة الميديّة في عهد الملك (كي اخسار) امبراطورية كبيرة واقتسمت مع الدولة البابلية املك الاشوريين. فاصبحت الدولة الميديّة تشمل بلاد (ميديا - فارس - اشور - حتى حدود اسيا الصغرى).

ولكن، كلما اتسعت الدولة كلما ازدادت عوامل ضعفها خاصة اذا حكمها ملوك ضعاف، حيث لم تدم طويلاً بعد آخر ملك قوي. وهذا ماحدث للدولة الميديّة بعد (كي اخسار) والتي حكمها الملك الضعيف (استياجز) الذي تشير المعلومات انه انغمس بحياة الترف، مما فسخ المجال الى ابن بنته المدعو (كورش الاول) من انتزاع السلطة منه، ومن تأسيس دولة جديدة عرفت بالدولة الاخمينيّة<sup>(٦٣)</sup>.

ومن نتيجة توسع الدولة الميديّة، فقد وجدت بعض الكهوف في منطقة السليمانية قبوراً يرجح انها تعود الى الميديين، ومن بينها قبر ملكي قرب قرية شرناخ. كما ويعتقد ان قبر الملك (فراورطيس) يقع بالقرب من (سربول) في السفوح الغربية من جبال زاكروس وواجهته مزينة بالنحت البارز. وقد صورت المشاهد النحتية والتي تزين قبور الميديين، الفرد الميدي بلحية وشوارب ولباس من جلد الحيوان ويرتدي حذاء عالياً وطرفه الامامي معقوف الى الاعلى.



- للطباعة، ط١، بغداد، ١٩٨٢، ص ١٣٢.
- (١٠) رشيد، المصدر السابق، ص ٧١.
- (١١) سليمان، عامر، تاريخ العراق القديم، بغداد، ١٩٩٢، ص ٩٤.
- (12) D.O.Edzard, Die Zweite Zwischenzeit Babyioniens Wiesbaden , 1957, P.50.
- (13) Mitteilungen Des Instituts Fur Orient For Schung Band XI Heft3. 1966 H. Klengel, LULLUBUM.P.350
- (14) Gpettinato, The Archives of Ebla. An Empire Inscribed in clay. New York , 1981 , P.108.
- (15) Reallexikon , Der Assyriologie , III.P.70-71.
- (16) G.Pettinto OP.Cit, P73.
- (17) TH. Jacoben , The Sumerian King List. PP.77-99.
- (١٨) بوترو / المصدر السابق، ص ١١٤.
- (١٩) عبد الواحد، المصدر السابق، ص ١٤٩-١٥٠.
- (٢٠) مورتكات، أنطوان، الفن في العراق القديم، ترجمة عيسى سلمان، مطبعة الاديب البغدادية، بغداد، ١٩٦٩، ص ١٧٨-١٨٠.
- (21) E.Strommenger, Baghdader Mitteilungen 2, 1963. P.83-88.
- (22) H.Klengel, Lullbum. p.351.
- (23) Har Vard. Semitic Series 42.
- (٢٤) فوزي رشيد، مملكة خمازي، مجلة كاروان، العدد ٢٢٠ حزيران ١٩٨٤، ص ١٤٧.
- (25) Reallexikon Der. Assyriologie, III P.70-71.
- (26) D.O.Edzard, Die Zweite Zwischen it Babyioniens. Wiesbaden. 1957 , P.31.
- (27) W.Vonsoden, Akkadische Handwor Terbuch Lieferung 7, 1965, P. 552.
- (28) J. Simons. Hand Book For The Study of Egyptian Topographical Lists Relating to western Asin Cleiden

1937. N.2 209, IV
- (29) Fischer. weltges chte , Bands 2, Allorie Altorientali schen Reiche.P.125.
- (30) J. Gelb. Mad.I.Sargonic Texts From The Diyala Region 1952.P.112.
- (31) J. Laessoe, The Shemshara Tablets , p.77. FF.
- (٣٢) ساكر، هاري، ترجمة عامر سليمان، عظمة بابل (وموجز حضارة وادي دجلة والفرات القديمة)، ط١، لندن، ١٩٧٩، ص ٧١.
- (33) E.Weidner, Archir Eur orient for Schung. 18. P. 359. F.
- (٣٤) بوترو، المصدر السابق، ص ١٢٣-١٢٤.
- (٣٥) عبد الواحد، المصدر السابق، ص ١٥٤.
- (٣٦) ساكر، المصدر السابق، ص ٧٢.
- (37) Fischer Weitge Schichte , Band 2 , P. 97-98. 114-115.
- (٣٨) فوزي رشيد، قواعد اللغة السومرية، ص ٤٦-٤٧.
- (٣٩) طه باقر، المصدر السابق، ص ٧٨.
- (40) G.Wilhelm, Grundzuge Der Geschichte und Kultur Der Hurriter , Darmstadt , 1982 , P. 13.
- (41) G. Wil Helm. ibid, P14.
- (٤٢) تل عطشانة: وهي التسمية الحالية للمدينة القديمة (الالاخ) الواقعة في سهل انطاكية، كانت مركزاً لدولتين حكمتا شمال سوريا احدهما امورية معاصرة لحمو رابي والاخرى من تل العمارنة حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد.
- مورتكات، المصدر السابق ص ٢٥١. النجفي، المصدر السابق، ص ١٨.
- (43) E. Sollberger , Tow New Seal. Inscriptions Anatolian Studies , 30 , 63 , 65. PL.
- (٤٤) طه باقر، المصدر السابق، ص ٧٩.
- (٤٥) طه باقر، نفس المصدر، ص ٧٩.

## نشوء الدويلات الإقليمية في أوائل الألفية الثانية ق.م النموض الاشوري في عهد شمسي - ادد الأول

أ.م. د. صلاح رشيد الصالح

جامعة بغداد / مركز إحياء التراث العلمي العربي

مع بداية الألفية الثانية ق.م حدث تنافس بين السلالات الحاكمة في منطقة الشرق الأدنى القديم، مما أدى الى بروز عدد من الحكام الذين عرفوا ببراعتهم السياسية ونشاطهم الحربي، فأنشؤوا دول إقليمية استمرت في الحكم ولفترات قصيرة من الزمن، وهؤلاء الحكام عرفوا بتوسعهم وفرض سيطرتهم على منطقة جغرافية عريضة على الرغم من ان دولهم لم تكن مختلفة بشكل جذري عن طبيعة تكوين الدول الاخرى، لكن في تلك الفترة الزمنية كانوا اكثر نجاحا في صراعهم ضد جيرانهم، واكثر قدرة عسكرية في فرض سيادتهم بل والحق اولئك الملوك الصغار بصفة تابعين لهم، ومع هذا فان ممالكهم القوية سرعان ما انتهت مباشرة بعد موت مؤسسها، والمقصود هنا ثلاث ملوك كان لهم شأن كبير اولهم شمسي - ادد (Shamshi-Adad) ملك شمال بلاد الرافدين، (العصر الاشوري القديم ٢٠٠٠-١٥٢١ ق.م)، ثم حمورابي ملك بابل (١٨٩٤-١٥٩٥ ق.م)، وثالثهما حاتوسيلي الاول (Hattusili) ملك بلاد حاتتي في وسط الاناضول (تركيا حاليا) (١٦٢٠ ق.م)، فعلى الرغم من سرعة اقامة دولهم الا انها في هيئتها واسمها استمرت فيما بعد لعدة قرون وعرفت بانها (الدول العظمى) ولها منزلة سياسية متساوية اكتسبت عبر الفترة الزمنية الطويلة منذ تشأتهم الاولى الى تحولهم امبراطوريات (الاشورية، والبابلية، والحثية) لها مكانتها الدولية انذاك.

- (46) G.Wilhelm. P.40.  
(47) ibid , P.37.  
(48) C.Kuhne, Die Chronologie Der Internationalen Korrespondenz Von EL. Amarna, Alter and Altes Testament. 17.  
(49) G.Wilhelm ,OP.Cit ,p54  
(50) G. Wilhelm. P.48.  
(٥١) مورتكات، المصدر السابق، ص ٣٢٧.  
(٥٢) المصدر السابق، ص ٣٢٩.  
(53) P.Vernus,, Les Hurrites Dans Les Sources Egyptiennes 1977. p.47-49.  
(٥٤) اورارتو: اسم قديم للمنطقة الجبلية التي تقع شمال وادي الرافدين تمثلها اليوم ارمينيا كان يحكمها الملك روساس الذي حاربه سرجون الاشوري ٧٢٤ ق.م وانتصر عليه. النجفي، المصدر السابق، ص ٢١.  
(55) Fischer,op.cit., P.107.  
(56) E.Strommenger,op.cit, P98.  
(57) J.Simons,op.cit, Vol.4,P.14.  
(٥٨) طه باقر، المصدر السابق، الجزء الثاني، ١٩٥٦، ص ٣٨٩.  
(٥٩) طه باقر، نفس المصدر، ص ٣٩١.  
(٦٠) جمال رشيد، دراسات كردية، في بلاد سوبارتو، بغداد، ١٩٨٤، ص ٨٥.  
(61) J. Gelb ,op.cit.,P.118.  
(٦٢) جمال رشيد، المصدر السابق، ص ٨٣.  
(63) W.Von. Soden ,op.cit, P.309.

ق.م)، ومن الواضح ان مدينة اشور في ذلك الوقت كانت عبارة عن مركز ديني تحتوي على عدة أبنية مشيدة بالآجر، وكان الدين يحتل مكانا مرموقا في البنية الاجتماعية والاقتصادية في المدينة، وليس من الضروري ان نستنتج والحالة هذه ان القوة الدينية كانت منفصلة عن القوة المدنية على ضوء الألقاب الدينية ووظائف الملوك الآشوريين الذين سنتطرق لهم بل كلنا القوتين كانتا متشابكتين<sup>(٤)</sup>.

هذا وان اللقى التي وجدت في المعبد القديم<sup>(٥)</sup> في اشور، لا تخبرنا الا القليل حول الحياة في الالف الثالثة ق.م، ومن بين تلك النماذج فخار للاستخدامات المنزلية، وقد تكون لتلك النماذج بعض الوظائف الدينية، اما نماذج المساكن فتظهر منزل ذو سقف منبسط مؤلف من طابقين في الامام وطابق واحد من الخلف<sup>(٦)</sup>، وهناك معلومة اخرى حول تسمية اشور، فبالإضافة الى الاسم المعتاد والمتعارف عليه اشور الا انه كان يشار لها باسم بالتيل (Baltil) وسابقا اعتقد ان الاسم ذو اصل سومري، لكن فيما بعد وبجهود علم اشتقاق اللغة الشعبي يعتقد انه لا ينتمي الى اللغة السومرية ولا الى السامية محتمل الاسم ينتمي الى لغة تابعة الى مجموعة قديمة من السكان كانت تستعمل حرفي (il) في نهاية بعض اسماء الاماكن مثل كلمة بابل (Babil) (باب الرب) أو اربيل (Erbil) أو كوربيل (Kurbail)، وقد فسرت (il) بشكل مغلوط بانها تشير الى اسم الاله باللغة السامية، ولكن هذا الاسم غير سومري وغير سامي بل وقبل استيطان السومري أو السامي الذين اصبحوا عرقا مسيطرًا على تلك المنطقة<sup>(٧)</sup>.

### قائمة ملوك اشور:

عثر على وثيقة في اشور تدعى قائمة ملوك اشور (وهي موجودة بعدة نسخ) وفيها ذكر أسماء حكام اعتبارا من الالف الثالثة وحتى القرن الثامن ق.م، وقد دونت في فترة متاخرة وكذلك في بعض نصوص الأدبية التذكارية إضافة الى ذلك، لدينا

ان مصادرنا التاريخية المتوفرة عن فترة نشوء مملكة شمال بلاد الرافدين (بلاد اشور)، وحتى بلاد بابل في الجنوب لم تاتي وثائقهم من العواصم بابل واشور! انما من المدن الاخرى التي خضعت لسيطرة حكام الدولتين، بالمقابل في حالة المملكة الحثية القديمة تأتي اكثر معلوماتنا تقريبا من حاتوشا (Hattusa) (العاصمة الحثية) وغالبية النصوص تؤرخ لقرون متاخرة (عهد الامبراطورية)، ولهذا يمكن ان نعتبرها نسخ عن الوثائق الملكية الاصلية، ولابد من دراستها بدقة عند توظيفها لوصف الاحداث.

لقد تناولت في هذا البحث مفردة سياسية واحدة تتمثل بالملك شمسي - ادد مؤسس مملكة اشور دون الملكين (حمورابي، وحاتوسيلي الاول)، لاتساع الموضوع من جهة والتأكيد على ان قوة اشور برزت بعد تأسيس شمسي - ادد لها، فقائمة ملوك اشور ما قبل التأسيس مشكوك فيها والاكثر دقة كما سنرى الفترة التي تلت موت شمسي ادد واستمرت حتى سقوط نينوى ٦١٢ ق.م.

### مملكة شمال بلاد الرافدين:

شهدت بلاد الرافدين هجرة الأقوام الامورية<sup>(١)</sup>، الذين أطلق عليهم أحيانا (الساميون الغربيون) بسبب لغتهم كما يصفهم البعض (بالكنعانيين) تقدموا أول الأمر في منطقة الفرات الأوسط ثم استوطنوا منطقتي الوسط والجنوب، وقد أصاب بلاد اشور نصيب من تلك الهجرات، وان لم تكن بالقدر الذي أصاب بلاد بابل<sup>(٢)</sup>، ومن الطبيعي اوجدت تلك الهجرات تغيرات في التركيب السكاني في المناطق الوسطى والشمالية من بلاد الرافدين، فحدثت زيادة في نسبة الاقوام السامية باضافة جماعات جديدة وكثيرة منهم الى السكان القدامى من الساميين الذين كانوا قد جاؤا في هجرات اقدم<sup>(٣)</sup>. ولابد ان اشير الى ان اغلب معلوماتنا عن العصر المبكر لأشور تاتي من معبد مكرس للآلهة عشتار، فقد ثبت صحة تلك المعلومات للفترة ما بعد (٢٨٠٠

وقد ذكر في نقوشه احتلاله اجزاء واسعة من بلاد بابل خاصة الاراضي الواقعة شرقي دجلة، وانه اعاد (الحرية) الى مدن هذه المقاطعات ؟ ترى الم يعني ذلك انه حررها من حكم العيلاميين والساميين الغربيين ؟ فمن الوجهة الوطنية فقد كان من حق امراء اشور ان يفكروا ويتصرفوا انطلاقا من هذا المبدأ، كذلك فانه من المحتمل ايضا انهم خططوا لانشاء امبراطورية عالمية ينطلقون بها من اشور، وقد يفسر هذا الصراع بين ملوك اشور في عهد المملكة القديمة وملوك بابل ما هو الا مجرد عملية انعقاد عن سلطة ملك الملوك في مملكتي ايسن ولارسه<sup>(١١)</sup>، اذ لابد ان يكونوا قد شعروا بانفسهم حملة لواء الحضارة السومرية - الاكدية العريقة، وتاكيدا لذلك فقد كانوا في عصرهم الملوك الوحيدين الذين لم تجري في عروقهم دم غريب عيلامي كان ذلك أم سامي غربي، فلقد كانت جميع اسماء ملوك هذه السلالة اكدية محضة حتى حفيد الملك اري-شوم كان يسمى شاروكين (سرجون) (Sargon) وهذا هو نفس اسم البطل مؤسس الامبراطورية الاكدية<sup>(١٢)</sup>.

أما اريشم الاول فقد حكم بين (١٩٤١-١٩٠٢ ق.م) وترتيبه في قائمة الملوك (٣٢) حيث عثر على بعض النقوش الملكية المدونة باللغة الاشورية وتعود الى القرن التاسع عشر ق.م، وتخص الملكين ايلو-شوما (١٩٦٢-١٩٤٢ ق.م) وولده اريشم الاول (Irišum)<sup>(١٣)</sup>، واغلب ما ورد في كتابات الملكين هي اخبار مدونة عن نشاطهما البنائي في مدينة اشور منها تشييد معابد مكرسة للالهة اشور وادد وعشتار<sup>(١٤)</sup>، وبذلك فالوضع السياسي قبل ان يتولى شمسي - ادد السلطة تمثلت بالغموض حول اسماء الملوك واعمالهم وما عدا الملك ايلو-شوما الذي كون قوة استطاع ان يصل بها في مناطق مدن بابل ويصطدم مع سومو-ابوم الملك البابلي، ربما للسيطرة على الطرق التجارية الموصلة الى بلاد عيلام والخليج العربي سالكا الطريق الواقع الى الشرق من نهر دجلة (ادكنا Idigna)، وادعى ايلو-شوما انه

بعض المعلومات المستقاة من النصوص المكتشفة في المستوطنة التجارية الاشورية في منطقة كبدوكيا في اسيا الصغرى<sup>(٨)</sup> وان اول ملك اشوري معروف من النقوش التي صنعها لنفسه هو شمسي - ادد، ولا يمكن معرفة تاريخه المبكر فهو مبهم بالنسبة لنا، فنحن لا نستطيع تحديد متى وكيف ارتقى العرش لكن على الاغلب حدث هذا حوالي (١٨١٣ ق.م) عندما استلم عرش ابية (ايلو-كبكي) (Ilu-Kabkabi)، ويلاحظ في قائمة ملوك اشور قبل شمسي-ادد يصل عددهم الى (٣٩) ملكا، ومن بينهم سبعة عشر ملكا كانوا يعيشون في الخيام، وان بعضهم ربما كانوا هم الحكام الحقيقيين القدماء الذين حكموا آشور، وهذه القائمة ذات ترتيب تاريخي صحيح، ونجد فيها الملكين الاخيرين اوشيبا (Ushipa) أو (Uspia)، والثاني ابيشال (Apiashal) أو ابيسال (Apisal) ذكروا في القائمة الاولى في مؤخرة الاسماء اما القائمة الثانية فقد جاؤا في الترتيب الاول، وبذلك فان ابيشال خدم كهزمة وصل بين القائمتين. ومع هذا من الصعب وضع تواريخ على أساس سنوات حكمهم، ولكن حتى الآن توصلنا إلى معرفة أول ملك لدينا اسمه (ايتيتي) (Ititi) وهو مذكور في نقوش مقتضبة على قطعة من الاباستر تعود إلى الفترة الاكدية القديمة (٢٤٠٠-٢٢٠٠ ق.م) ومفادها ما يلي: (أيتيتي الحاكم ابن اينين لبا قد كرس هذا النقش إلى الآلهة اينين من غنائم جاسور)<sup>(٩)</sup>، أما المجموعة الثانية من قائمة أسماء الملوك فقد كانوا أجدادا لشمسي-ادد وقد رتبت القائمة بشكل مختلف، وكان يتبع كل ملك اسم والده وبعد ذلك جده، وكمثال: (امينو (Aminu) ابن ايلو-كبكي (Ilu-Kapkapi) وايلو-كبكي ابن ازخور-ايلو (Iazkur-ilu)، وازخور-ايلو ابن ياكميني (Iakmeni) وهكذا...<sup>(١٠)</sup>، ومن خلال نصوص شلمانصر الأول فان الملك كيكيا شيد اسوار مدينة اشور، اما الملك بوزور-اشور (Puzur-Assur) فيعتقد بانه اعاد بناء اسوار المدينة، ومن ثم ورد اسم شالم-اخوم والملك ايلو-شوما والاخير حكم ما بين (١٩٦٢-١٩٤٢ ق.م)

بروح عسكرية وإدارية عظيمة مضافا اليهما حنكته السياسية<sup>(٢٤)</sup>، وقدرة على الحكم تفوق أخيه امينو<sup>(٢٥)</sup>.

وبذلك نستنتج بأن مراكز القوى في المنطقة لم تكن تجري ضمن حسابات الملك الشاب فقد غزا نرام- سين ملك اشنونا (Eshnunna) شمال بلاد الرافدين وفرض سيطرته على ايكالاتوم فهرب شمسي- ادد جنوبا كلاجيء إلى بابل<sup>(٢٦)</sup>، التي استقبلته في عهد ملكها سين- موباليط (معنى الاسم الإله سين حي) (١٨١٢- ١٧٩٣ ق.م) الذي كان معاصرا له، منتظرا الفرصة للعودة إلى عرش ايكالاتوم، وقد حالفه الحظ بعد سبعة سنوات عندما توفي نرام- سين فأصبح الطريق مفتوحا أمامه للعودة إلى مقر حكمه ومن المحتمل الفترة التي قضاها في بابل أوحث له بعدم القناعة، لذا نزاه وبعد ثلاث سنوات يغزو آشور ويزيح الأسرة الحاكمة وينصب نفسه ملكا وقدم قائمة بأسماء أسلافه للتأكيد بعمق صلاته وحقه في وراثة العرش<sup>(٢٧)</sup>، وهذه الأحداث بما فيها ارتقائه عرش آشور يمكن أن نضعها في عام ١٨٠٨ ق.م.

على الرغم من جلوسه على عرش آشور إلا أنه بقي حاكما لقوة بسيطة في المنطقة، لكن وكعادة ملوك بلاد الرافدين عبر تاريخهم الطويل يضعون في حساباتهم الاتجاه نحو الغرب وصولا إلى حوض البحر المتوسط، لذا وسع تأثيره العسكري نحو شمال سوريا، فاشتبك مع يحدون- ليم (Yahdun-Lim) ملك ماري (Mari)<sup>(٢٨)</sup> صحيح أنه فشل في احتلال ماري إلا أنه استطاع فرض سيطرته على شمال وادي الخابور، وضم ممالك صغيرة مثل ابوم (Apum) وعاصمتها شينخا (Shehna) وبديل اسمها إلى شويات - انليل (Shubat- Enlil) (يعتقد هي موقع شجر بازار حيث عثر على سجلات إدارية تعود إلى زمن حكمه)<sup>(٢٩)</sup>، وقد أصبحت مقر إقامته فيما بعد ربما لقربها للمواقع التي يسعى لفرض سيطرته عليها أو ابتعادا عن آشور التي ما زال حكمه جديدا عليها<sup>(٣٠)</sup>، خاصة وأن هناك مراكز قوة أمورية أخرى في

(حرر مدينتي اور ونفر) اللتين كانتا تقعان على الطريق التجاري إلى الخليج العربي<sup>(٣١)</sup>، وهذه الأحداث معاصرة لعهد ملك سلالة ايسن المدعو اشمي- دكان (١٩٥٣ - ١٩٣٥ ق.م) كذلك ولده اريشم الأول الذي ازدهرت في عهده المستعمرة الآشورية في بلاد الأناضول<sup>(٣٢)</sup>.

هذه الترتيبات الاصطناعية الغير طبيعية تثير الشك حول طبيعة قائمة ملوك الاشوريين بالنسبة للفترة الأولى التي تميزت بذكر أسماء فقط دون أعمال حربية أو عمرانية أو حتى وثائق تؤكد وجودهم الفعلي فالقائمة تبدأ باسم توديا (Tudia) أو توديجا والاسم أقرب إلى جودية أو (كودية) حاكم لجش<sup>(٣٣)</sup>، لكن لا وجود لأي دليل على وصول حكم الملك السومري إلى آشور، ولذا فهي قائمة لذكر الأسماء فقط ولا تعني أكثر من هذا، وحتى ما وصلنا عنهم من إشارات هي من نسيج خيال الحكام الآشوريين المتأخرين الذين حكموا في عهد الامبراطورية<sup>(٣٤)</sup>.

أما قائمة الملوك التي ذكرها شمسي - ادد الاموري الاصل<sup>(٣٥)</sup> فأنها تعطي تفاصيل خاصة وبشكل استثنائي عندما تصف الظروف التي ارتقى فيها السلطة، ربما الهدف منها تدعيم حقه في وراثة العرش فنقرأ عن نسبه في القائمة: (شمسي- ادد ابن ايلو- كبكي في زمن نرام- سين (احد ملوك آشور القدماء)<sup>(٣٦)</sup>، ذهب إلى كاردونياش (بمعنى بابل)، ثم رجع من كاردونياش، واستولى على بلدة ايكالاتوم، وبقي في ايكالاتوم مدة ثلاث سنوات، ثم خرج من ايكالاتوم وازال اريشوم ابن نرام - سين عن عرش آشور واستولى على العرش<sup>(٣٧)</sup>، لكن في نصوص أخرى يؤكد بأنه ورث العرش عن ابية ايلو- كبكي في مدينة ايكالاتوم (Ekallatum)<sup>(٣٨)</sup>، ومن هناك حكم حوالي عشرة سنوات، وعلى ما يبدو سابقا دخل في صراع مع أخية امينو (Aminu) ابن ايلو- كبكي والتي اشرت إليها سابقا، واستطاع إزاحته عن عرش ايكالاتوم<sup>(٣٩)</sup>، وإذا كان هذا صحيحا فنحن نفترض بأن شمسي - ادد المغتصب للعرش كان يتسم

تلك الانتصارات حفزته للتدخل في شؤون ممالك سوريا الداخلية، ففي نص له يشير الى استلامه جزية من الغرب: [في ذلك الوقت، استلمت في عاصمتي آشور جزية ملوك توكريش (Tukrish)، وملوك البلد الشمالي، ونصبت مسلة حجرية حفرت عليها اسمي العظيم، ووضعتها في بلاد لبنان (Lab'an) (la-ab-a-an<sup>KI</sup>) على ساحل البحر العظيم]<sup>(٣٦)</sup>، ان تحديد موقع توكريش فيه تضارب بالاراء يعتقد انها قريبة من كركميش (جربلس الحالية)، ولكن ما نعرفه ان نصوصه لم تشر الى حملات عسكرية آشورية توغلت في عمق الاراضي السورية، ولذا فهؤلاء الملوك اقرب الى رؤساء العشائر والقبائل المنتشرين في المناطق المحصورة بين نهر الفرات (Puratum) أو (بوراتو Puratu) وحتى كركميش وهي مناطق مرور السفن النهرية ومرور القوافل التجارية البرية. أما الجزية فهي وردت بالنص (mandattu ، biltu ، mihirtu) وهي اقرب الى الهدية (الهدية بالاكديّة سولمانو Sulmanu أو نمرتو Nimirtu)<sup>(٣٧)</sup> منها الى الجزية، لان ملوك آشور اعتادوا إطلاق تسمية الجزية على الهدايا التي تصلهم من الملوك<sup>(٣٨)</sup>، كذلك ينطبق هذا على ملوك البلد الشمالي وهو مصطلح قد يعني حوض البليخ والخابور، أما ادعائه بنصب مسلة حجرية في لبنان التي تقع على البحر العظيم، (ويقصد بالبحر العظيم البحر المتوسط وله اسماء اخرى بحر امورو و بحر غروب الشمس والبحر العلوي) ففيه شك ولا يعني وصول قواته الى البحر المتوسط<sup>(٣٩)</sup>، واذا كان شمسي - ادد يقود الحملات العسكرية الواحدة تلو الاخرى على طول وادي الزابين (الزاب الاعلى بالاكديّة زابو عيلو و الزاب الاسفل بصيغة زابو شبالو)<sup>(٤٠)</sup> وحول ارابخا (كركوك) فان ولده الاكبر اشمي - داجان المتحمس كان يحارب قبيلة توروكو (Turukkû) والحكام الصغار في اقدم جبال زاغروس.

## الشؤون الإدارية:

شمال سوريا غير موحدة ولا تخضع لسلطة مركزية وقد لخص الموقف في رسالة من هذه الحقبة تقول: [لا يوجد ملك هو الاقوى وحده، فهناك عشرة أو خمسة عشر ملكا يتبعون حمورابي من بابل. ونفس العدد يتبعون ريم - سين من لارسة، ونفس العدد يتبع ابال - بيل ملك اشنونا والعدد نفسه يتبعون اموت - بي - ايل من قطنة (في سوريا) وعشرون ملكا يتبعون ياريم - ليم من يمخد (في شمال سوريا)]<sup>(٣١)</sup>.

وهكذا اصبحت مملكة ماري جنوب عاصمته شوبات - انليل فريسة سهلة، وقد اتاحت الفرصة له عندما حدثت ثورة في بلاط ماري أدت إلى مقتل يخدون - ليم ابن يكد - ليم (Yaggid - Lim) من قبل خدم قصره حوالي عام ١٧٩٢ ق.م وليس هناك ما يدل على ان الثورة كانت من تخطيط شمسي - ادد غير انه طالما المستفيد من ذلك في النهاية فانه موضع شك قوي<sup>(٣٢)</sup>، واصبح من السهل احتلال ماري وضمها إلى مملكته التي أصبحت تمتد من آشور على نهر دجلة في الشرق الى توتول (Tuttul) على نهر البليخ في الغرب<sup>(٣٣)</sup> وبذلك دخلت ضمن مملكته بلاد تيركا (Terqa) شمال ماري، أما جنوبا فامتدت حدوده الى شمال بابل (شمال بغداد الحديثة)، وبذلك يمكن ان نطلق عليها (مملكة شمال بلاد الرافدين).

هذه الاحداث وردت في رسالة على لسان رسول الإله ادد اله حلب الرئيسي معنونة إلى زمري - ليم (Zimri- Lim) ملك ماري جاء فيها: [أنا، ادد، منحت البلاد بكاملها إلى أبنيك يخدون - ليم، لكنه تخلى عن عبادتي، ولهذا اعطيت البلاد الى شمسي - ادد ملك آشور.....]<sup>(٣٤)</sup> هذه الرسالة ذكرت في عدة مناسبات لغرض التذكير والعبرة، فبعد مقتل الملك يخدون - ليم هرب ولده زمري - ليم<sup>(٣٥)</sup> الى حلب كلاجيء في مملكة يمخد هربا من بطش شمسي - ادد، ومن هناك بدأ يعمل لاستعادة عرش ابيه على مملكة ماري المغتصبة.

المستوطنات التجارية الآشورية المنتشرة في بلاد الأناضول. ان هذا التوحيد في التاريخ جاء بناء على توحيد شمسي - ادد للمناطق، ففي ماري وتوتول وتيركا أصبح النظام الآشوري في تحديد السنوات (اللمو) النظام الرسمي في تلك الممالك المنضوية في مملكة شمال بلاد الرافدين، ولكن بعد تفكك دولته واستقلال ماري عاد النظام القديم في استخدام اسماء ملوك ماري القدماء كبداية لتاريخ الاحداث.

ومن اجل سلطة مركزية قوية وإدارة حازمة اتخذ شمسي- ادد من مدينة شوبات - انليل مقرا لحكمه، وعين ضباط الجيش كحكام أنيطت بهم مسؤولية إدارة المناطق جنوب مقر إقامته، وفي نص له يقول: [وأني عينت حكامي في كل مكان]<sup>(٤٤)</sup> كما وضع أبنائه في مواقع إستراتيجية، فالابن الأكبر اشمي- داجان (Ishme- Dagan) الذي جبل كمقاتل مثل أبيه وكان على استعداد للنزول إلى سوح المعارك ويبعث لأخيه بأبناء انتصاراته بفخر كبير يقول في نص له: [ حاربنا في (شوماخي) واحتللت البلد بكاملة فقر عينا]<sup>(٤٥)</sup>، وفي مناسبة أخرى ينتهز اشمي- داجان الفرصة لتباطيء أخيه فيكتب له: [لا تكتب إلى الملك (يقصد شمسي - ادد)، أن البلد الذي امكث فيه اقرب إلى المدينة - العاصمة، والأمور التي تريد الكتابة عنها إلى الملك ابعث بها إلي كي أقدم لك المشورة..<sup>(٤٦)</sup>، على أية حال انيطت بأشمي- داجان إدارة مدينة ايكلاتوم المقر الاساسي للأسرة الحاكمة سابقا، وتمتد سلطته جنوبا الى ارابخا (كركوك) وتكريت (تكريتا) (تك- ري- اي- تا) (قلعة برتو) والى جنوب سامراء (سموريم Summurim) أو (سرمانا Su-Ur-Ma-Ta) قريبا من شمال بابل بكلمة اخرى ما بين دجلة وجبال زاغروس، كما عين ولده الاصغر يسمح - ادد (Yasmah- Adad) فقد كان اميرا مطيعا رقيقا ولكنه كسول ومهمل وجبان ايضا، وقد نصب حاكما على ماري والى توتول وبذلك حكم مناطق تقع على نهر الفرات ورافدية البليخ (باليخو أو بليخو) والخابور (خابوراس و ابو راس)<sup>(٤٧)</sup>.

أتبع شمسي- ادد سياسة حازمة في إدارة مملكته وسياسة التسامح مع الولايات التي فتحها وضمها الى مملكته فاتخذ لقب (حاكم آشور)، وثبت في المدن حكامها السابقين مثل منطقة كتارا (Qattara)<sup>(٤٨)</sup>، كما فرض على الملوك التابعين شروط محددة منها فقدانهم حق قيادة جيوش، أو الاتصال بالقوى الأجنبية أو التعاون معها ومن هذه القوى ممالك اشنونا وبابل ويمخد، وبهذا العمل استمرت الإدارات المحلية بعملها على الرغم من اننا نلاحظ بان اولئك الحكام قد استعملوا الاختام الخاصة بهم في توثيق الألواح الادارية، الا انهم كانوا في خدمة شمسي - ادد، أما التغير الحاسم والدقيق فهو اتباعه اسلوب تأريخ الوثائق على اساس الاشارة الى سنوات الاحداث باسم فرد يتقلد منصب اداري على خلاف بلاد بابل حيث اشترت السنوات استنادا الى الاحداث المهمة مثل (الفيضان، أو بناء سور المدينة أو انشاء القنوات أو تشييد المعابد...)، بينما اوجد الآشوريون قوائم من نوع آخر حيث أنهم تحققوا من تثبيت سنوات حكم الملوك عن طريق المتابعة المتواصلة لأسماء كبار موظفي المملكة من الذين كانت لهم ألقابا أثناء خدمتهم، وتحتوي بعض تلك القوائم على إشارات موجزة لحملات عسكرية أو عن كوارث<sup>(٤٩)</sup>، في هذا النظام الجديد يذكر اسم شخص تقلد منصبا إداريا، وأعطى تعبير اكدي للإشارة إلى ذلك الشخص باسم اللمو (Limmu) ربما تعطي معنى (التناوب) وبالإغريقية تعطي معنى (eponym)، هذا النظام بدا في تطبيقه بأشور وبقي مستعملا رسميا حتى نهاية الإمبراطورية الآشورية في القرن السابع ق.م، مع تغير حدث في الألفية الأولى ق.م ثبت تناوب السنين باسم ضباط الجيش الآشوري برئاسة الملك، بينما في أوائل الألفية الثانية ق.م كانت وظيفة اللمو في آشور شخص على ما يبدو يعمل في النشاط التجاري وهذه الطريقة وجدت مستخدمه في المستوطنة التجارية الآشورية كاروم كانيش (Karum- Kanesh) (كول تبة Kultepe)<sup>(٥٠)</sup>، وبذلك انتشر استخدام نظام اللمو في

استغراب: [...] لم يضع اسما ثابتة لادارة ماري وتوتول، ويطلب الان ضم شويات-شمش...<sup>(٥٤)</sup>.

على ما يبدو توجيهات الاب لا تنتهي وتدخله في الشؤون المحلية والشخصية للاولاده مستمرة وهذه المره رتب زواج ذو هدف سياسي عندما اصر على زواج ولده يسمح- ادد من بليتوم (Beltum) أميرة مملكة قطنة (Qatna) (وتعرف اليوم بتل مشرفه قرب حمص)<sup>(٥٥)</sup>، من اجل ضمان استمرار حلفه ضد يمد، وقد اراد ملك قطنة ان تحتل ابنته المنزلة الاولى في قصر ماري ربما كان هدف ملك قطنة ان يتولى في المستقبل حفيده منصب ملك ماري وبذلك يضمها الى مملكته، أو هكذا نعتقد ان يكون تفكيره<sup>(٥٦)</sup>، ولكن سبق لسمح- ادد أن تزوج من ابنة يخدون - ليم التي تحتل منصب السيدة الاولى في قصرة ولها الكلمة العليا فهي ابنة مملكة ماري وابيها كان ملكا واخيها منفي الى حلب ينتهز الفرصة للعودة إلى عرش أبائه<sup>(٥٧)</sup>، ولذلك فضل الابن بقاء الأميرة بليتوم في موقع ثانوي (كزوجة ثانية) بين مجموعة نساء القصر الاقل شانا، ولكن موقف شمسي - ادد كان واضحا فقد وبخ ولده وبشدة واجبره على ابقائها الى جانبه في القصر كسيدة أولى<sup>(٥٨)</sup>، وهذا يدل على وجود علاقة وطيدة بين شمسي- ادد ومملكة قطنة وأيضاً كركميش، ونتيجة للمصاهرة أرسل يسمح- ادد جيشا لمساعدة قطنة ضد غريمها ملك حلب<sup>(٥٩)</sup>، وبالمقابل وضع حاكم قطنة مراعيه تحت تصرف رعاة يسمح- ادد واقترح عليه ان ياتي لزيارته. وعلى العكس كانت علاقته مع اشمي - داجان ليست على ما يرام فالصفقة التي عقدت بين الطرفين كانت مجحفة بحق ملك قطنة الذي عبر عن استيائه بقوله: [هذا الشيء لا يصح ذكره !ومع ذلك يجب ان اتكلم لكي اريح قلبي، اردت مني، حسب طلبك حصانين وارسلتهما اليك، وقد ارسلت لي ٢٠ منا من الرصاص.... سعر الحصان لدينا... (ست مئة) شيقل من الفضة، ولكنك ارسلت لي ٢٠ منا من

ان الامتداد الواسع لمملكة شمسي- ادد شكلت حدوده مع مملكة اشنونا والدويلات المتفرقة في تلال زاغروس ما بين السلیمانية (سابقا أطلق عليها الآشوريين بلاد زاموا Zamua) والى الدير (Dēr وتكتب بالاكديّة دور - ايل)) (بدره حاليا) وأيضاً بلاد بابل جنوباً، فقد عثر على عقد في سبار (Sippar) (تل ابو حبة)<sup>(٤٨)</sup> يعود تاريخه إلى عام ١٧٨٢ ق.م ويحتوي على قسم ورد فيه اسمي حمورابي وشمشي- ادد مما يدل على وجود سلطة مزدوجة ولكن لفترة قصيرة. والى الغرب تجاورها مملكة يمد (Yamkhad) وعاصمتها حلب والى جنوبها السهل السوري الذي تسيطر عليه مجموعات نصف بدوية.

عثر خلال التنقيبات الاثرية التي جرت في ماري وشوبات- انليل على مراسلات بين شمسي- ادد وأولاده<sup>(٤٩)</sup>، توضح طبيعة العلاقة بين الاب واولاده وكانه المربي لابنيه<sup>(٥٠)</sup>، ونستشف من تلك المراسلات ان اشمي - داجان اكثر سلطة وقوة شخصية من اخيه الاصغر يسمح - ادد الذي كثيرا ما يتعرض للتوبيخ من لدن ابيه الملك واخيه مما يدل بقاء السلطة العليا بيد الاب الذي لا يتوانى من توجيه اللوم الى ابنائه ففي احدى الرسائل الموجه الى ماري اتهم ولده يسمح - ادد بانه ضعيف وبطيء واعاد ذلك مرارا وتكرارا: [أنت لست برجل! هل أنت طفل؟ أليس لك لحيه على ذقنك! الى متى ستبقى غير قادر على ادارة مقاطعتك، الا ترى بان اخوك يقود الجيوش! انت ايضا عليك ان تتراس قصرك ومقاطعتك]<sup>(٥١)</sup>، ورسالة أخرى ورد فيها: [وبينما يقوم اخوك هنا (بقتل الداويدوم)<sup>(٥٢)</sup> تقبّع أنت هناك وسط النساء، انك الان ذاهب بجيشك الى (قناتوم) (يعتقد انها الرقه حاليا) فكن رجلا! فكما يقوم اخوك ببناء مجد عريض لنفسه، اجعل لنفسك ايضا، وفي بلدك اسما عظيما...]<sup>(٥٣)</sup> وفي رسالة أخرى يصر يسمح - ادد على ضم شوبات- شمش الى مقاطعته فكان الرد فيه



وكل شيخ لا يجتمع رجاله جميعا، يرتكب خطيئة بحق الملك حتى لو ترك رجلا وراءه) [٦٣].

من النص نستنتج ان الحانيين لم يشكلوا معضلة مستعصية للملك الآشوري، غير أن الأمر كان مختلفا مع قبائل مارويامينا أو بني أيامينا وهو اسم يعني (ابناء الجنوب) ويرتبط لغويا باسم بنيامين القبلي الذي ورد في العهد القديم<sup>(٦٤)</sup>، وأهم ما يميز قبيلة بني أيامينا كثرة عددهم وترحالهم المستمر على طول مسار نهر الخابور أو عبر الفرات، وكان هؤلاء على استعداد للغزو ورفض السيطرة المركزية الآشورية، وتفاؤوا الانخراط في الجيش الملكي النظامي، بل تحالفوا مع ملك اشنونا ضد الدولة الآشورية، ومع هذا اتبع يسمح- ادد سياسة لينه اتجاههم فاعطاهم الارض والمحارث في زمن المجاعة، واحتفظ معهم بعلاقات صداقة لا باس بها.

المجموعة الثالثة قبيلة السوتو (Şêtu أو Şîtu) وهم اكثر عددا من القبيلتين السابقتين ويبدون كعصابات عديدة تهاجم القوافل والمدن وتغتصب مقاطعات بأكملها بحيث أصبح استخدام القوة ضدهم أمرا ضروريا بشكل دائم تقريبا<sup>(٦٥)</sup>، وعلى ما يبدو ان السوتيين استمروا على طبيعة معيشتهم فهناك رساله من اشور اوبلط (العصر الآشوري الوسيط) وهي فترة متأخرة نسبيا عما نحن بصدد، ورد في رسالة (العمارة ١٦) التي ارسلت الى الفرعون اخناتون جاء فيها: [...] بالنسبة الى سفرائك تاخروا في الطريق، لان السوتيين اعتقلوهم وأرادوا قتلهم، فأرسلت قوة جعلت السوتيين يخافون ويسلمون انفسهم لي، بالتاكيد سفرائي لم يتاخروا في قدومهم لي... [٦٦].

### تشيد المعابد:

عثر على نصوص تاريخية للملك شمشي- ادد خاصة قائمة الملوك الآشوريين، ونصوص اخرى حمل فيها لقب (شمشي- ادد ملك الكون)<sup>(٦٧)</sup>، وفي بعض النصوص ذكر المنشآت العمارية خاصة المعابد التي انجزها الحكام السابقين واعاد بنائها بعد ان تهدمت بفعل عوادي الزمن، مدخلا اصلاحات فيها ولم ينسئ ذكر نوعية المواد التي استخدمها في البناء، ومثل هذه الاعمال تعطي شعبية في عيون

الرصا... [٦٠]، بما أن سعر الرصاص يعادل ١٤/١ من سعر الفضة فثمة اساس لشكوى ملك قطنة، وانه شعر بالغبن من قبل اشمي - داجان. وفي رسالة اخرى كتب يسمح - ادد الى حمورابي ملك بابل عن معضلة حلت باحدى قوافل التجارة من ماري، وهناك رسائل عديدة تدل على ان بلاط ملك ماري كان يضم موظفين ومستشارين مكلفين باجراء مفاوضات عن امور عدة ويتنقلون من بلاط الى اخر يحملون صفة سفراء ومصادرنا الوحيدة هي الوثائق المكتوبة التي ينقلها المبعوثون.

### الاجتماعات البدوية في عهد شمشي - ادد:

كان البدو متواجدون بكثافة عديدة كبيرة في منطقة ماري<sup>(٦١)</sup>، واعتبروا مصدر قلق دائم للحكام الثلاث (شمشي - ادد وولديه)، حيث امكن تميز ثلاث مجاميع قبلية كبيرة هم ألحانيون (Hanaeans) وبني أيامينا (Bene - Iamina) والسوتانيون (Sutaeans)، وقد استوطن الحانيون ضفاف الفرات منذ فترة طويلة، ويشكلون مع الاكديين اغلبيية السكان المحليين حيث استقروا في قرى أو مخيمات تحت امرة شيوخهم، واخضعوا بين اونة واخرى لعمليات التعداد السكاني، كما انخرط شبابهم في خدمة الجيش الملكي الآشوري واثبتوا قدرة قتالية في قهر الأعداء<sup>(٦٢)</sup>، ومع هذا فكثيرا ما خرقت النظام وسلبوا القصور التي تناط بهم حراستها. ولهذا يجب معاملتهم باحترام ودبلوماسية فائقة، وان كانوا احيانا يتم معاملتهم بنفاذ صبر من جانب حكام ماري، ففي رسالة من شمشي - ادد ملك بلاد اشور الى ابنه ونائبة في ادارة شؤون ماري يقول فيها: [ابلق يسمح- ادد، أن ابيك، شمشي- ادد، يبعث اليه الرسالة الاتية: لقد سألتني عن الغاء المطالب الادارية والقانونية كلها، المترتبة على القبائل الشمالية، ولكن من غير المناسب الغاء هذه المطالب، واذا فعلت ذلك، فان اقاربك قبائل رابابا الموجودين الان على الجانب الاخر من نهر الفرات في بلاد - يامهاد - سيسمعون بذلك، ويغضبون غضبا شديدا بحيث انهم لن يعودوا الى مناطقهم الاصلية، ولذا لا تلغ هذه المطالب المفروضة على القبائل الشمالية، بل العكس من ذلك، وبخها بشدة كما ياتي ((اذا شن الملك حملة عسكرية يجب ان يستعد الجميع حتى الاطفال فورا،

استيراده من تلك المناطق، أو السعي لفرض الحماية على لبنان ومناطق الساحل، وكان خشب الأرز ينقل بالزوارق الكبيرة إلى ميناء اوغاريت، ومن ثم برا إلى نهر الفرات عند كركميش ومنها إلى آشور<sup>(٧١)</sup>، وبذلك فهو نفس طريق القصدير الذي يربط بلاد الرافدين بالمواني السورية القديمة وصولاً إلى منطقة قيليقيا (في بلاد الأناضول)<sup>(٧٢)</sup>، وعبر هذا الطريق كان يتم تبادل السلع التجارية المختلفة ليس فقط القصدير الذي احتكر تجارته الآشوريين في العصر الآشوري القديم إنما الأخشاب أيضاً، وبالمناسبة في عهد الأسرة السرجونية فرض حظر على سكان سوريا بعدم السماح بتجارة الأخشاب مع مصر<sup>(٧٣)</sup>، وقد خلدت الإمبراطورية الآشورية في عهدها المتأخرة لوحات من النحت البارز تصور طريقة نقل الأخشاب إلى آشور كما ترجمت عدد من الرسائل فيها نقل ووصول الأخشاب من سوريا<sup>(٧٤)</sup>، كما أن تصميم معبد آشور الذي يعود لفترة حكم شمشي - ادد لا يختلف عن معابد بابل فكلهما له مداخل للمعبد من جهتين باب أمامي وآخر محوري جانبي وكلا المدخلين يؤديان إلى قاعة قدس الاقداس ولا زالت آثار المداخل والسلم في معبد آشور قائمة، وتلاحظ في بداية المداخل المعبد، وفعلًا كما قال في نصه (تصميم حكماء)<sup>(٧٥)</sup>، الحالة الثانية إقامة باب من خشب الارز مطعم بالفضة والذهب والاحتمال الكبير هي نفس الباب التي استولى عليها شاولشتار (Shaushtatar) (١٥٠٠ ق.م) الملك الميتاني عندما احتل العاصمة آشور وسلبها، ومنذ تلك الفترة دفعت آشور جزية سنوية إلى ميتاني، وذكر من جملة ما أخذه من اسلاب بابا من الذهب والفضة وضعها في قصرة بالعاصمة واشوكاني (Washshukkanni)<sup>(٧٦)</sup>، وقد عرفنا عن هذه الحملة الميتانية على آشور من نص المعاهدة الحثية - الميتانية التي عقدت بين سوبيلوليوما الاول ملك حاتتي ومتي - وازا (Mattiwazza) ملك ميتاني<sup>(٧٧)</sup>، لكن المصادر الآشورية لم تذكر هذا الحدث واعتقد ان الحملة الميتانية كانت في عهد (آشور - نادين - اخي الاول)

رعاياه، كما وصلتنا اختام طبعت على الاجر كتب عليها (شمسي - ادد ابن ايلو - كبكي) عثر عليها في قلعة شرقايط (مدينة آشور القديمة)، كذلك عثر على قطعة من العقيق دائرية الشكل تعود لفترة حكمه، وهي محفوظة في المتحف البريطاني تحت رقم (٨٩.٩٠٦)، وفي احدى نصوصه ذكر: [(العمود I) شمسي - ادد ملك الكون باني معبد آشور، والذي كرس كل طاقته لحكم البلاد ما بين دجلة والفرات، تحت قيادة الاله آشور الذي فضلني على الجميع، والآلهة آنو وانليل وضعوا اسمي على الاعمال العظيمة، وفضلوني على كل الملوك الذين سبقوني، ان معبد انليل الذي شيده الملك اريشيوم (Erishum) ابن ايلو - شوما (Ilu - shuma) الذي اصابه الخراب، (العمود II) معبد انليل، سيدي، الذي سبق وان صمم طبقاً لتصميم الحكماء في مدينتي آشور، أنا اقامت سقف المعبد (بخشب الارز)، وصنعت ابواب المدخل من خشب الارز، مغطاة بالفضة والذهب ووضعت في جدران المعبد الفضة والذهب واحجار اللازورد وحجر - Sandu مع زيت الارز، واخترت الزيت (عمود III) والعسل والزبد ونثرتهم على الجدران الطينية لمعبد انليل، سيدي، في مدينتي آشور....]<sup>(٧٨)</sup>.

من اولى الواجبات المهمة الملقاة على عاتق ملوك بلاد الرافدين الاهتمام بتشييد المعابد أو إعادة إصلاح ما دمر منها، وبذلك يكسبون حب الكهنة وتأييدهم في مشاريعهم الدنيوية ومن ثم اكتساب الشرعية في الحكم، وايضا افهام العامة مدى اهتمام الملوك بالجانب الديني فيحصلون على التأيد الشعبي لهم، وما يهمنا من نص شمسي - ادد ناحيتين، احدهما استيراده خشب الارز واقرب موقع لغابات الارز جبال الامانوس وسلسلة جبال لبنان الغربية<sup>(٧٩)</sup>، ومن المعروف أن الخشب سلعة مطلوبة وضرورية جدا ليس فقط في تشييد السقوف وابواب المعابد، انما حتى في نحت تماثيل المعبودات<sup>(٨٠)</sup>، وذكر خشب الأرز في نصوص شمسي - ادد يدل على حرصه على

تختلف عن ما ورد في (المادة ١) من قانون اشنونا التي نصت: (٦ منا من الصوف سعرها شيقل واحد من الفضة) بينما في آشور الوزن مختلف (١٥ منا) وبنفس السعر واحد شيقل من الفضة ربما بلاد آشور منطقة زراعية و رعوية وحتما الأسعار اخص فيها من منطقة دىالى مقر مملكة اشنونا، على كل حال كان الصوف من أهم صادرات آشور الى بلاد الاناضول في العصر الاشوري القديم، فالصناعات الصوفية سواء كانت بابلية أو آشورية<sup>(٨٥)</sup>، كانت على شكل قطع صوفية معلومة القياس تصل الى حوالي اربعة امتار مربعة، وتعتبر من النوعية الجيدة قياسا الى المنسوجات المحلية المصنوعة في الاناضول، وعلى الرغم من ازدهار صناعة المنسوجات والملابس في آشور والمدن التابعة لها مثل كارانا (تل رماح) فإن آشور كانت تستورد كميات كبيرة من المنسوجات والملابس من مراكز صناعتها الأخرى وبخاصة من سبار<sup>(٨٦)</sup>، ففي نص من التاجر بوزور - آشور (Puzur- Assur) يعيش في الاناضول في مستوطنة كاروم - كانيش الى امرأة اسمها واقارتوم (Waqartum) وهي تعمل حائكة وتعيش في مدينة آشور جاء في الرسالة: [.... المنسوجات الناعمة التي أنت ارسلتها لي، استمري في انتاج نفس المنسوجات وارسلها مع اشور- ادي.... دعيهم يمشطون بدقة جهة واحدة من النسيج، يجب عليهم ان لا يقصوه، وحياسة الخيوط يجب أن تكون قريبة قاربها بالمنسوجات السابقة...]<sup>(٨٧)</sup>، أما المادة الثالثة فهي: الزيت: وأسعاره مختلفة ويظهر بان الكمية (٢٠ قا) من الزيت بسعر شيقل واحد من الفضة في آشور لا يمكن مقارنتها (بالمادة ٢) من قانون اشنونا لان هذه المادة القانونية تعطي ثلاث أسعار لثلاث أنواع مختلفة من الزيت (زيت السمسم و شحم الخنزير و زيت النهر نوع نسخاتم (niskhatim))<sup>(٨٨)</sup> ويعتبر الزيت مادة غذائية والزيت النقي ذو النوعية الجيدة يستخدم لمسح الجسم او للاستحمام بعد ان يمزج مع رماد نباتات معينة لصناعة الصابون<sup>(٨٩)</sup>، وهذه المواد ذكرت في نهاية النص

(Assur-nadin-ahhe) الذي استبدل فيما بعد بالملك (انليل- ناصر الثاني) (Enlil- nasir) (1430-1425 ق.م)<sup>(٧٨)</sup>.

أما النص الثاني فقد تطرق فيه: [عندما شيدت معبد انليل، سيدي، كانت تعريفه الاسعار في مدينتي اشور كالتالي: واحد شيقل من الفضة ثمن كور (gur) من الحبوب، وواحد شيقل من الفضة ثمن خمسة عشر منا (minas) من الصوف (بالاشورية شباتو Shipatu)<sup>(٧٩)</sup>، وواحد شيقل من الفضة ثمن عشرون قا (qa) من الزيت، وهذه اسعار الشراء]<sup>(٨٠)</sup>.

جدول يوضح اسعار الشراء في عهد شمسي- ادد		
المادة	الوزن	شيقل
حبوب	١ كور (= ٢٥٢.٦ لتر)	١
صوف	١٥ منا (= ٧٥٧٥ غرام)	١
زيت	٢٠ قا (= ١٦.٨٤٠ لتر) <sup>(٨١)</sup>	١

لقد حكم شمسي- ادد فترة طويلة نسبيا، وعاصر الملكين سين- موباليط وولده حمورابي ملوك بابل، وتوفي قبيل صدور قانون حمورابي الذي عرف عنه بالشمولية والدقة من حيث المواد القانونية التي عالجها، وكانت علاقته مع مملكة اشنونا في منطقة دىالى متأرجحة بين الصداقة والعداء<sup>(٨٢)</sup> ومن خلال اتصالاتها معها عرف منهم قوانينها التي صدرت قبل قوانين حمورابي بخمسين عاما وفيها إشارة للأسعار التي وردت في (المواد ١- ٤، ٦- ١١، ١٤، ١٩)<sup>(٨٣)</sup>، وقد اختار تسعير ثلاث مواد هي: الحبوب: باعتبارها معيار دفع الاجور في الارياض ومصدر غذائي مهم سواء كان شعير وهو السائد آنذاك أو القمح الذي يعتبر أعلى من الشعير وجاءت تسعيرة الحبوب مطابقة إلى (المادة ١) من قانون اشنونا التي نصت: (كور شعير واحد (سعره) شيقل واحد من الفضة)<sup>(٨٤)</sup>، أما الصوف: فان تسعيرته في آشور

في ماري، فقاد جيشا بمساعدة أمير حلب فاستطاع إخراج يسمح- ادد من ماري، وترك نص يؤكد فيها احقيته بالعودة وعلى لسان الاله ادد: [...] أعطيت البلاد (بمعنى ماري) الى شمسي - ادد (ملك اشور)..... فيما بعد أنا، اعدتك الى عرش أبيك... وفي نص اخر [ألست أنا، ادد، سيد حلب، الذي رفعتك وحملتك قريبا الى صدري، واعدتك لعرش أبيك....][<sup>(٩١)</sup>].

لقد انتهت تبعية أهم إقليم في غرب آشور كان يتحكم في مساحة واسعة من الأراضي وذات الإمكانيات اقتصادية الواسعة، وليس لدينا نص حول مصير يسمح- ادد ولا موقف مملكة قطنة الحليف القوي ضد مملكة يمخد، لكن في مثل هذه الظروف النهائية تكون معروفة ؟، كذلك تعرض اشمي- داجان إلى ضغوط مملكة اشنونا التي هي الاخرى فرضت وجودها على مناطق ارباخا (كركوك) والمدن شمالها وجنوبها ولذا لم تبقى تحت سلطته غير ايكلاتوم ومدينة آشور، أما في شمال اودية الخابور والبليخ فقد تحولت الى ممالك صغيرة مستقلة، وقد حافظ أولئك الملوك بالنظام الاداري الذي ورثوه عن شمسي- ادد وتراسلوا فيما بينهم معتمدين على الثقافة بلاد الرافدين التي حصلوا عليها من تبعيتهم لاشور.

بعد السقوط السريع لمملكة شمال بلاد الرافدين، ظهرت تحالفات في المنطقة التي على ما يبدو اصبحت تعاني مما يعرف (فراغ القوة)، فتعرضت لهجمات تحالف شنونا وعيلام أو بابل وماري ضد الممالك المحلية الصغيرة على طول نهري دجلة والفرات، وقد اثبتت الاحداث بان زمري- ليم ملك ماري الحاكم الاقوى في المعادلة السياسية التي برزت بعد موت شمسي - ادد، فقد فرض وجوده وسلطته على أولئك الممالك ربما لتحالفة مع بابل مع بداية نهوض حمورابي بعد أن تخلص من أقوى

الذي يتحدث عن بناء معبد انليل فحتما كانت تلك المواد تدفع كأجور للعمال أو كسوة للعبيد.

وكما هو متعارف عليه في نصوص بلاد الرافدين منذ العصر السومري، أشار ملك آشور إلى اللعنات لمن يزيل او يضع اسمه على النصب التذكاري: [احفادي الملوك، الذين سيعيدون بناء المعبد، دعه يمسح اسطوانة حجر الأساس والنصب التذكاري بالزيت، ويسكب فوقهم الزيت ويعيدهم الى اماكنهم، ومن لا يمسح اسطوانة الاساس والنصب التذكاري بالزيت، او لم يغطيه بالتراب أو يرميه في الماء ذلك الملك..... لعل الالهة انليل وادد يسقطوا (ملكه) في البلاد، والملك خصمه لا تنهزم جيوشه في المعركة، لعل الاله نركال يدمر بلاده، لعل الالهة عشتار سيدة الحرب تحطم قواته واسلحته، لعل الاله سين يسلط عليه الشر.....][<sup>(٩٢)</sup>].

وهكذا دأب ملوك بلاد الرافدين في تحديد معالم وثائقهم بالمقدمة والمحتوى ثم أخيرا اللعنات أسوة بمسلة حمورابي والقوانين الأخرى التي سبقتها مما يدل على أن مدرسة الكتابة العراقية القديمة استمرت في توريث تقاليد الكتابة منذ العصور السومرية والى نهاية الالف الاولى ق.م.

### سقوط دولة شمال بلاد الرافدين:

اختفت الدولة التي أنشأها شمسي- ادد فجأة وتحت ظروف غير واضحة، فقد حكم فترة طويلة اتسمت بالاحداث الجسام، وفي اواخر ايامه هوجم بشكل سريع من قبل مملكتين شكلتا حلفا هما يمخد واشنونا وهؤلاء جيرانه الأساسيون الذين كانوا ينتهزون الفرص لتقويض مملكته، ومن المحتمل قتل في المعركة أو ربما موته كان لأسباب طبيعية لشيخوخته وذلك عام ١٧٧٦ ق.م، فنحن لا نملك نص تاريخي يوضح ماذا حدث!. ويرحيل الملك عاد حكام المقاطعات التابعة الى تأكيد استقلال ممالكهم الصغيرة وبسرعة فائقة، فالملك زمري- ليم العموري لم ينسى ملكه الضائع

## الهوامش:

(١) هاجمت القبائل الامورية مملكة اور في عهد (ابي-سين)، وقد اسسوا سلالات حاكمة جديدة ليس في مدن بلاد بابل وحسب، انما في مدن اشور وماري وقطنة وحلب، وكلمة اموري (اموروم باللغة الاكدية) مشتقة من كلمة (مارتو) السومرية التي تعني (الغرب) وبذلك فهو مصطلح جغرافي اشارة الى القبائل المختلفة التي يعود اصلها الى الصحراء الغربية والتي تظهر اسمائها اول مرة في وثائق من عصر سلالة أور الثالثة رغم المقاومة التي أبدتها قوات ملوك أور إذ شيدوا سورا لحماية المناطق المروية من هجماتهم، ولم يكن سكان المدن يحترمون أولئك البدو، وتصفهم احد نقوش شو- سين (الملك الرابع في سلالة اور الثالثة) (شعب مخرب متسم بالعنف... وشعب لا يعرف القمح..): جوان اوتس: (١٩٩٠)، ص ٨٢// هورست كلنغل: (١٩٨٧)، ص ٣٠

(٢) طه باقر: (١٩٧٣)، ص ٤٧٨

(٣) عبد الوهاب حميد رشيد: (٢٠٠٤)، ص ٦٢

(٤) هاري ساكر: (٢٠٠٣)، ص ٣٣

(٥) اقدم الاثار التي ظهرت تحت هيكل عشتار في مدينة اشور العاصمة الاولى للمملكة انما هي منحوتات مماثلة للمنحوتات السومرية، واختام تحمل نقوش وموضوعات أخذت من الفن السومري: دولابورت. ل: (١٩٧١)، ص ٢٥٨

(٦) هاري ساكر: (٢٠٠٣)، ص ٣٣

(٧) هاري ساكر: (٢٠٠٣)، ص ٣٤

(٨) عامر سليمان و (آخرون): (١٩٨٣)، ص ١٢٥

خصم له شمسي - ادد<sup>(٩٢)</sup>، كذلك حاكم مملكة اندريك (Andariq)<sup>(٩٣)</sup>، الذي مارس تأثير قوي على جيرانه المحليين<sup>(٩٤)</sup>.

مع سقوط دولة شمسي - ادد توقفت المصادر الآشورية عن ذكر الأحداث، لذا اعتمادنا على الوثائق المكتشفة في ماري وبابل عن تلك الفترة، كما ولاحظنا الكثير من المدن هجرت لأسباب يصعب تحديدها محتمل معارضة شعبية ضد هيمنة البلاط الملكي الآشوري رافقه فقدان الأمن بسبب ضعف الدولة الآشورية أو تغير أنماط سقوط الأمطار قاد المنطقة إلى جفاف وتحول السكان إلى نصف البداوة في القرى والسهول، وهذا مؤشر على نهاية القصور الضخمة التي ازدهرت في عصر شمسي- ادد، ومن الطبيعي اختفى معها التوثيق التاريخي<sup>(٩٥)</sup>.

(٩) كانت جاسور هي الاسم القديم لأحدى المدن عرفت فيما بعد باسم نوزي قرب كركوك الحالية، وهكذا النقش يخبرنا بأن منطقة كركوك لم تكن في ذلك الوقت جزءاً من مملكة آشور، بل كانت عبارة عن دولة مدينة منفصلة ومعادية، على الرغم من أن غالبية سكان جاسور ساميين مثل سكان آشور، كما لوحظ عند سقوط الإمبراطورية الآشورية على أثر غارات قامت بها شعوب أنت من جبال زاغروس تدعى جوتي (Guti) تأثرت آشور وعانت من هذا السقوط كما نعلم من خراب أبنيتها التي كشفت عنها أبحاث علم الآثار: هاري ساكز: (٢٠٠٣)، ص ٣٩-٤٠

Larsen, M.T: (1976). Pp. 236, 278

(١٠) راجع قائمة ملوك آشور: ليو أوينهايم: (١٩٨١)، ص ٤٦٧-٤٦٢  
Pritchard, J: (1969). Pp. 565-566  
(١١) تأسست سلالة ايسن (٢٠١٧ - ١٧٩٤ ق.م) في عهد ملكها اشبي-ايرا، بينما تأسست سلالة لارسة (٢٠٢٥ - ١٧٦٣ ق.م) في عهد ملكها نيلانم، وقد حدث صراع بين المملكتين تمكن آخر ملوك لارسة المسمى ريم-سين (١٧٩٤ ق.م) من القضاء على مملكة ايسن وضم أراضيها الى مملكته لكنه لم يهنأ طويلاً فسرعان ما دخل في نزاع حاد مع الملك حمورابي سادس ملوك سلالة بابل وتمكن من القضاء على سلالة لارسة عام (١٧٦٣ ق.م).

(١٢) انطوان مورتكات: (١٩٦٧)، ص ١٢٨-١٢٩

(١٣) فون زودن. ف: (٢٠٠٣)، ص ٥٨

(14) Luckenbill, D.D: (1926). Vol. I. Pp. 25-38

(١٥) عامر سليمان و (آخرون): (١٩٨٣)، ص ١٢٥

(١٦) صلاح رشيد الصالحي: (٢٠٠٧)، ص ٧٦

(١٧) حكم في مملكة لجش في فترة السيطرة الكوتية وفي عهده ازدهر الادب السومري ومشاريع الري والبناء: طه باقر: (١٩٧٣)، ص ٣٧٥  
(١٨) وردت بعض الاشارات عن اقامة المعابد في اشور أو تشيد اسوار المدينة تلك النصوص الى عهد شلمانصر الاول الذي حكم في القرن الثالث عشر ق.م (العهد الاشوري الوسيط) وهي فترة متاخرة نسبياً عن العهد الاشوري القديم، فقد ذكر بناء احد المعابد قائلاً بأن ذلك المعبد قد شيد على ايدي اوشيا واعد بناءؤه من قبل ايريشوم الاول واعد بناءؤه ثانية بعد ١٥٩ سنة من قبل شمسي - ادد ورمم من قبله أي شلمانصر الاول بعد ٥٨٠ سنة من بنائه الأول: فاروق ناصر الراوي و(آخرون): (١٩٨٤)، ص ٥٦٠.

(١٩) هاري ساكز: (٢٠٠٠)، ص ٣٧

(٢٠) الملك نرام - سين ابن بوزور - آشور وتسلسله في قائمة الملوك الاشوريين ٣٧ وقد ورث العرش من بعده ولدة اريشوم (Erišu) أو ارشوم (Erišum)، ولا نعرف فترة حكمه ولا اعماله، بالتأكيد ومن خلال القائمة يتضح ان شمسي - ادد مغتصب للعرش ولا علاقة قرابة تجمعته بنرام - سين.

(٢١) يعتقد الباحث (ساكز) بأن زعيم إحدى القبائل العمورية المدعو ايلو - كبكي (وقد ذكر اسمه في قائمة ملوك آشور) قام بإنشاء مملكة صغيرة لنفسه، وكان له أبن وهو شمسي ادد الذي قضى بعض الوقت في بابل، إذ من المحتمل انه قد أرسل إلى هناك ليكون تابعاً لملك آشور في ذلك الوقت ولمعالجة التهديدات ضد الأمن الآشوري، ولكن شمسي ادد عاد من بابل مملوءاً بالطموح: هاري ساكز: (٢٠٠٣)، ص ٤٩-٥٠

(٢٢) من الصعب تحديد موقع ايكالاتوم، لكن موقعها على مقربة من مدينة آشور بين الزاب الاعلى والاسفل وعلى الضفة اليمنى من نهر دجلة.

(٢٣) طه باقر: (١٩٧٣)، ص ٤٨٠  
(٢٤) كشفت الرسائل التي عثر عليها في القصر الملكي في ماري والتي بلغت ٣٠٠٠ وثيقة مسمارية البعض منها تعود لمراسلات شمسي- ادد مع ولديه وتعطي انطباع دقيق عن شخصيته القوية: عامر سليمان (وآخرون): (١٩٨٣)، ص ١٢٧

Dossin, G: (1938). p. 117  
وقد نشرت رسائل ماري ووثائقها بشكل رئيسي في سلسلة ( Archives Royales de Mari) التي صدر منها حتى الان ثلاثة وعشرون مجلداً، وكذلك في الحوليات الفرنسية (Revue d'Assyriologie, Syria. Mari).

(٢٥) جورج رو: (١٩٨٤)، ص ٢٥٨  
(٢٦) ينتمي ريم - سين (١٨٢٢-١٧٦٣ ق.م) الى قبيلة ياموتال (Yamutal أو Emulbal) وتقع الى الشرق من نهر دجلة، استلم السلطة بعد وفاة اخيه واراد- سين (Warad - Sin)، وقد حكم ريم - سين لارسة طوال ستة عقود: هورست كلنغل: (١٩٨٧)، ص ٣٥-٣٦

Landsberger, B: (1954). p. 345

(٢٧) هاري ساكز: (٢٠٠٣)، ص ٣٧  
(٢٨) تقع مملكة ماري (تل الحريري الان قرب البوكمال) على نهر الفرات الاوسط جنوب رافد الخابور ضمن الاراضي السورية وبدا ازدهار هذه المملكة بعد ١٩٠٠ ق.م وامتد سلطانها الى عانه (خانه القديمة).

(٢٩) يرى الباحث هورست كلنغل بان شويات- انليل هي موقع (تل لبان) في أعالي الرافدين وبذلك فرض سيطرته على كامل القسم الشمالي للهلال الخصيب: هورست كلنغل: (١٩٨٧) ص ٣٧

Laessoe, J: (1963). Pp. 44-53// Iraq: 7. (1940). Pp. 22- 61

(30) De Mieroop, Marc ,Van: (2007). p.107

(٣١) هاري ساكز: (٢٠٠٠)، ص ٣٨ // هاري ساكز: (١٩٧٩)، ص ٨٤  
(٣٢) هاري ساكز: (١٩٧٩)، ص ٨٧  
(٣٣) موقع توتول غير متفق عليه من قبل الباحثين احيانا يجعلونها بعيدة عن نهر الفرات واقرب إلى مملكة ماري، والبعض الاخر يجعلها عند التقاء رافد البليخ بنهر الفرات.

(٣٤) في النصوص القديمة تنسب الكوارث والماسي إلى غضب الآلهة وجحود البشر وليس لاختائهم الشخصية وبذلك اثبت الدين وجوده في كل الحوادث التاريخية القديمة: Roth, M.T: (1997). p.5

(٣٥) لا يوجد اتفاق على سنوات حكم زمري- ليم، ولكن الاقرب ( 1695- 1716 ق.م)، وكذلك هناك تضارب في شخصيته التي وصفت في احدى اللوح بعلاقته بالنساء في بلاطه الملكي: فون، زودن، ف: (٢٠٠٣)، ص ٦١ // عامر سليمان واحمد مالك الفتیان: محاضرات في التاريخ القديم...، ص ١٤٩  
(36) Pritchard, J: (1969). p. 274

(٣٧) استخدمت كلمة الهدية (Sulmanu) في مراسلات تل العمارنة بين ملك آشور (اشور- اوبل) وأخناتون فرعون مصر: صلاح رشيد الصالح: (٢٠٠٨)، ص ٣٨١ // دياكونوف و(آخرون): (١٩٨٦)، ص ٣٤٠

Moran, W.L: (1992). (EA 15), (EA 16). Pp. 38-40  
(38) Martin, W.J: (1936). Pp. 20 ff

(٣٩) جورج رو: (١٩٨٤)، ص ٢٥٨  
(٤٠) طه باقر: (١٩٨٠)، ص ١٦٨  
(٤١) تقع كتارا (Qattara) شمال آشور وعلى الضفة اليسرى من نهر دجلة.  
(٤٢) ليو اوينهايم: (١٩٨١)، ص ١٧٩

(٤٣) موقع كاروم كانيش (حاليا كول تبة) في بلاد الاناضول وهي مستوطنة اشورية عثر فيها على اللوح طينية تضم معاملات تجارية وعقود زواج وقروض... الخ وقد سيطرت على شؤون التجارة في الموقع تجار كبار ويعهدتهم مجموعة من التجار الصغار والعاملين في نقل البضائع...

(٤٤) هاري ساكز: (٢٠٠٣)، ص ٥١

(45) ARM, I, p. 124

(46) ARM: IV, p. 70

(٤٧) طه باقر: (١٩٨٠)، ص ١٦٢

(٤٨) موقع ابر حبة قريب من بغداد بالقرب من اليوسفية وتعود النصوص المكتشفة في الموقع إلى العصور البابلية القديمة والحديثة، وكانت سبار مركز تجاري وقد التجأ إليها الناس بعضهم متجول والبعض الآخر شبه متجول وكان التجاءهم بحماية اله الشمس (شمش).

(٤٩) جورج رو: (١٩٨٤)، ص ٢٥٩

(٥٠) كان يستعمل في مراسلاته اسلوب التوجيه والتوبيخ والنصائح والمقارنه بين ولديه: فون زودن. ف: (٢٠٠٣)، ص ٦١

(51) Jean-Marie Durand: (1997). p. 138 // De Mieroop, marc, Van: (2007). p. 109

(٥٢) لعل معنى عبارة يقتل الداويدوم (dâwidum) اي (ينتصر):

Kupper, J.R: (1957).Pp. 60-62

(53) ARM, I, p. 69

(٥٤) هاري ساكز: (١٩٧٩)، ص ٨٨

(٥٥) موقع مملكة قطنة قرب حمص في سوريا، وحدودها ملاصقة لمملكة يمد وهي

بذلك الحليف القوي لشمشي - ادد: هورست كلنغل: (١٩٨٧)، ص ٣٧

(٥٦) قد تكون شخصية يسمح - ادد ضعيفة أو لا تسير ضمن رغبات أبيه ومع ذلك كانت المراسلات بينه وبين ممالك شمال سوريا مستمرة وتخاطب وده ربما لان قوته تستمد من سلطة أبيه شمسي - ادد فنحن نقرا في رسالة من ملك (ابلاخاندا) (كركميش) (جربلس الحالية) بان ملك ابلاخاندا بعث خمرامتا وأطعمة وحلي وملابس جميلة إلى يسمح - ادد، وأيضا منحه احتكار مناجم النحاس التابعة له، وعرض عليه إعطاءه كل ما يرغب:

ARM. V. p.6

(٥٧) عامر سليمان و احمد مالك الفتان: محاضرات في التاريخ القديم... ص ١٤٩

(58) De Mieroop, Marc, Van: (2007). p.109

(59) Dossin, G: (1939). Pp. 46-54

(٦٠) هاري ساكز: (٢٠٠٠)، ص ٦٨

(61) Kupper, J.R: (1957). p. 63

(62) ARM, II. p. 118

(٦٣) جوان اوتس: (١٩٩٠)، ص ٨٦

(٦٤) هذا نفس الاسم لقبيلة يهودية تدعى بنيامين، لكن لا يوجد ما يثبت أن هناك علاقة ما بينهما: Dossin, G: (1939). Pp. 981-996

(٦٥) جورج رو: (١٩٨٤)، ص ٢٦٠ - ٢٦١

(٦٦) في تلك الفترة احتلت تلك القبائل البدوية مناطق الصحراء ما بين بلاد الرافدين وسوريا وفلسطين من فترة حكم شمسي - ادد وإلى القرن الثالث عشر ق.م لكنها مع زحف الاراميين تم إزاحتهم من مناطق عديدة: نيكولاس بوستغيت: (١٩٩١)، ص ١٤١ // صلاح رشيد الصالح: (٢٠٠٨)، ص ٣٨١ هامش ٤٢

(67) Luckenbill, D.D: (1926). Vol. I. p. 15

(68) Ibid: p. 16



- (69) Saggs, H.W.F: (1955). p. 150  
(٧٠) نصوص جوديا (كوديا) حاكم لجش (القرن الثاني والعشرين) تذكر استيراد أخشاب الأرز من لبنان وأنهم كانوا يقطعونها ألواحاً وينقلونها إلى ضفاف الفرات فيعملون منها اكلاكا (كلكو Kalakku) يدعونها تطفو في نهر الفرات وتصل مع الماء إلى المدن في العراق القديم: رضا جواد الهاشمي و(آخرون): (١٩٨٤)، ص ٥١٦ // صلاح رشيد الصالح: (١٩٩٨)، ص ١٥  
(71) Saggs, H.W. F: (1967).Pp. 113-114  
(٧٢) قيليقياً أو كيليكيا تغير اسمها عبر العصور القديمة ففي عهد الإمبراطورية الحثية أطلق عليها (تارخونتاششا)، وفي عهد الآشوري دعت هلاكو (Hilakku) أو كوي (Que)، ومع سقوط نينوى ٦١٢ ق.م أصبحت من ممتلكات بابل فيما بعد: صلاح رشيد الصالح: (٢٠٠٧)، ص ٥٧٨ - ٥٨١  
(٧٣) رضا جواد الهاشمي و(آخرون): (١٩٨٤)، ص ٥١٩ // صلاح رشيد الصالح: (١٩٩٨)، ص ١٥ هامش ٢  
(٧٤) أرسل عراد - خيشو (Arada - heshu) رسالة إلى آشورانيبال يعلمه بوصول (١٣٨) قطعة خشب أرز وصلت هذه السنة من الغابة إلى مدينة كركميش ومعها ٣٠ قطعة خشب الأرز أخرى كبيرة.... :  
Waterman, L: (1930). P. 83// Harden, D: (1971). Pl. 49, 50, 51  
(٧٥) أفضل مثل لهذا الطراز في بناء المعابد، نجده في معبد عشتار - كيتيتوم (Istar- Kititum) في اشخالي (Ishchali) مملكة اشنونا وعاصمتها نوقع تل اسمر شرق نهر دياالى:  
Frankfort, H: (1963). p. 54. pl. 55  
(٧٦) أنطوان مورتكات: (١٩٦٧)، ص ٢٠٤  
(٧٧) جرنى، أ. ر: (١٩٦٣)، ص ٥٢ // جورج رو: (١٩٨٤)، ص ٣٤٩ // هاري ساكز: (١٩٧٩)، ص ٩٧  
Beckman, G: (1999). p. 49

- (٧٨) صلاح رشيد الصالح: (٢٠٠٨) الدبلوماسية الآشورية...، ص ٣٩٤  
(٧٩) دخلت زراعة شجرة القطن في عهد سنحاريب (٧٠٥ ق.م) وأطلق عليها تسمية (الشجرة التي تحمل الصوف) (Is nish Shipati) وكان ذلك لأول مره في تاريخ العراق. طه باقر: (١٩٨٠)، ص ١١٤  
(80) Luckenbill, D.D: (1926). Vol. I. p. 16  
(٨١) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، ص ٤٠  
(٨٢) عامر سليمان و احمد مالك الفتان: محاضرات في التاريخ القديم...، ص ١٤٩  
(٨٣) المصدر نفسه: ص ٨٥-٨٩  
(٨٤) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، ص ٨٥  
(٨٥) صلاح رشيد الصالح: (٢٠٠٧)، ص ٨٢  
(٨٦) رضا جواد الهاشمي و(آخرون): (١٩٨٤)، ص ٥٢٠  
(٨٧) سامي سعيد الأحمد: (١٩٧٧)، ص ٧٩  
Veenhof, K.P: (1972). p. 104  
(٨٨) معنى نسخاتم هي الضريبة التي تفرض على السلع، وفي النصوص هي ضريبة القصر (Nishat ekallim)، اما معنى زيت النهر فليس هناك تفسير محدد وواضح: فوزي رشيد: (١٩٨٧)، ص ٨٦  
(٨٩) هارس ساكز: (٢٠٠٠)، ص ٢٠٢  
(90) Luckenbill, D.D: (1926). Vol. I. Pp. 16-17  
(91) Otten, H: (1951). Pp. 47-71  
(٩٢) هورست كلنغل: (١٩٨٧)، ص ٤٠  
Ascalone, E: (2005). Pp.42-43  
(٩٣) موقع اندريك غير متفق عليه لكن يعتقد على رافد الخابور في سوريا. وكانت تضم منطقة سنجار والى وادي الخابور.  
(94) De Mieroop, marc ,Van: (2007). p.109  
(95) Douglas, R. Frayne: (1990). p. 341

### المصادر العربية:

- ١- أنطوان مورتكات: تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة توفيق سليمان، دمشق، ١٩٦٧
- ٢- جرنى. أ. ر: الحثيون، ترجمة محمد عبد القادر، القاهرة، ١٩٦٣
- ٣- جوان اوتس: بابل تاريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلي، بغداد، ١٩٩٠
- ٤- جورج رو: العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، بغداد، ١٩٨٤
- ٥- دولابورت. ل: بلاد ما بين النهرين - حضارة بابل وآشور، ترجمة مارون الخوري، بيروت، ١٩٧١
- ٦- دياكونوف و (آخرون): الأوضاع الزراعية في العصر الآشوري الوسيط، العراق القديم، علماء الآثار السوفيت، بغداد، ١٩٨٦
- ٧- رضا جواد الهاشمي و (آخرون): التجارة، حضارة العراق، الجزء الأول، بغداد، ١٩٨٤
- ٨- سامي سعيد الأحمد: المستعمرات الآشورية في آسيا الصغرى، سومر، مجلد ٣١، بغداد ١٩٧٧
- ٩- صلاح رشيد الصالحي: الإستراتيجية العسكرية للدولة الآشورية ٧٢٢-٦٢٦ ق.م - أطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد، ١٩٩٨
- ١٠- صلاح رشيد الصالحي: المملكة الحثية، بغداد، ٢٠٠٧
- ١١- صلاح رشيد الصالحي: الدبلوماسية الآشورية في عصر العمارنة - العلاقات الدولية في القرن الرابع عشر ق.م، مجلة كلية الآداب، العدد ٨٧، بغداد، ٢٠٠٨
- ١٢- طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات، الجزء الأول، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٧٣

- ١٣- طه باقر: من تراثنا اللغوي القديم، بغداد، ١٩٨٠
- ١٤- عامر سليمان و (آخرون): العصر الآشوري، العراق في التاريخ، بغداد، ١٩٨٣
- ١٥- عامر سليمان واحمد مالك الفتان: محاضرات في التاريخ القديم، الموصل، بلا
- ١٦- عبد الوهاب حميد رشيد: حضارة وادي الرافدين - ميزوبوتاميا، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠٠٤
- ١٧- فاروق ناصر الراوي و (آخرون): العلوم والمعارف، حضارة العراق، الجزء الأول، بغداد، ١٩٨٤
- ١٨- فوزي رشيد: الشرائع العراقية القديمة، الطبعة الثالثة، بغداد، ١٩٨٧
- ١٩- فون زودن. ف: مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ترجمة فاروق إسماعيل، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠٠٣
- ٢٠- ليو اوينهايم: بلاد ما بين النهرين، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد، ١٩٨١
- ٢١- نيكولاس بوستغيت: حضارة العراق واثارة - تاريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلي، بغداد، ١٩٩١
- ٢٢- هاري ساكز: عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، بغداد، ١٩٧٩
- ٢٣- هاري ساكز: الحياة اليومية في العراق القديم - بلاد بابل وآشور، ترجمة كاظم سعد الدين، الطبعة الأولى، بغداد، ٢٠٠٠
- ٢٤- هاري ساكز: عظمة آشور، ترجمة خالد اسعد عيسى واحمد غسان سباتو، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠٠٣
- ٢٥- هورست كلنغل: حمورابي - ملك بابل وعصره، ترجمة غازي شريف، بغداد، ١٩٨٧

## References

- 1- **ARM**, Archives Royales de Mari
- 2- **Ascalone, E.**, Mesopotamia-Assyrians, Sumerians, Babylonians, London, 2005
- 3- **Beckman, G.**, Hittite Diplomatic Texts, Second Edition, Atlanta, 1999
- 4- **De Mierop, Marc. Van**, A History of the Ancient Near East ca. 3000- 323 B.C, Second Edition, Australia ,2007
- 5- **Dossin, G.**, Les archives épistolaires du Palais de Mari, Syria 19, 1938
- 6- **Dossin, G.**, Iamhad and Qatanum, RA 36, 1939
- 7- **Douglas, R.**, Old Babylonian Period (2003-1595 B.C,(The Royal Inscriptions of Mesopotamia, Early Periods, Vol. 4), (Toronto: University of Toronto Press) ,1990
- 8- **Frankfort, H.**, The Art and Architecture of the Ancient Orient, London ,1963
- 9- **Harden, D.**, The Phoenicians, London, 1971
- 10- **Jean-Morie. Durand**, “ Documents épistolaires du palais de Mari “ Vol. I: Paris, 1997
- 11- **Laessoe, J.**, People of Ancient Assyria, London, 1963
- 12- **Larsen, M.T.**: The Old Assyria city-state and its colonies, Akademisk Forlag, Copenhagen, 1976
- 13- **Landsberger, B.**, Assyrische Königliste und dunkles Zeitalter, JCS 8. 1954
- 14- **Luckenbill, D.D.**, Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol. I, Chicago,1926
- 15- **Kupper, J.R.**, Les Nomades en Mesopotamia au temps des rois- de Mari, Paris, 1957

- 16- **Mirtin, W.J.**, Tribut und Tributleistungen beiden Assyren, Studia Orientalia 8, 1936
- 17- **Moran, W.L.**, The Amarna letters, Baltimore ,1992
- 18- **Otten, H.**, Die hethitischen “Königslisten, und die altorientalische Chronologie, *MDOG* 83, 1951
- 19- **Pritchard, J.**, Ancient Near Eastern Texts – Relating to the Old Testament, Third Edition with Supplement, New Jersey, 1969
- 20- **Roth, M.T.**, Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor, Second edition, Atlanta ,1997
- 21- **Saggs, H.W.F.**, The Nimrud letters Relations with the West, part II, IRAQ 17, 1955
- 22- **Saggs, H.W.F.**, Everyday life in Babylonia and Assyria, London, 1967
- 23- **Veenhof, K.P.**, Aspects of old Assyrian Trade and its Terminology, Leiden, 1972
- 24- **Waterman, L.**, Royal Correspondence of Assyrian empire, part I, USA, 1930

## القدس الشريف

### في كتابات الرحالة العرب والأجانب

#### في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي

د. أحمد حسين عبد الجبوري

جامعة تكريت/ كلية التربية/ قسم التاريخ

#### مُكَلِّمَةٌ

استهوت مدينة القدس الشريف عدداً غير يسير من الرحالة العرب والأجانب خلال العصر الحديث وذلك لعدة أسباب أهمها مكانتها الدينية والاقتصادية وكانت رغبات الرحالة متباينة فمنهم الحاج والزائر والتاجر والدبلوماسي والمبعوث، ومنهم من كانت العاطفة الدينية تدفعه لزيارة ورؤية الأماكن المقدسة ومنهم من كانت الرغبة تحدوه في استجلاء غموض الشرق وسحره، فقام هؤلاء بتدوين مشاهداتهم وملاحظاتهم ومذكراتهم عن بيت المقدس، وقد ترك لنا هؤلاء الرحالة كما هائلاً من مشاهداتهم وانطباعاتهم عن هذه المنطقة واستوفت بمعلوماتها حقاً تاريخية مختلفة، وتعتبر في الوقت نفسه معلومات نادرة قد لا ترد في غيرها من المصادر.

وإذا ما تناولنا هذه الرحلات حسب تسلسلها الزمني خرجنا بمحصلة غنية جداً بالمعلومات الحية التي تستوفي النواحي التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والسكانية ولاسيما إذا ما علمنا إن الرحالة كانوا شهود عيان لما شاهدوه ودونوه. فمن خلالها نستطيع إن نرسم صورة نابضة بالحياة لمدينة القدس الشريف طوال فترات التاريخ المختلفة.

شهدت القدس الشريف في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي زيارة عدد من الرحالة لها، نقلوا لنا صورة حية للمدينة، فوصفوا معالمها المختلفة. أسوارها، وبواباتها، ومساجدها، ومدارسها، حاراتها، شوارعها، أزقتها، أسواقها، حماماتها، قلاعها وطرز بناائها وصناعاتها المحلية وحامياتها، وتناول بعضهم التركيبية الاجتماعية لسكان المدينة فذكروا طوائف السكان وذكر بعضهم عدد كل طائفة، والحرف التي ينتقونها، وجلب انتباه بعضهم طراز المعمار الفريد، فطافوا في الأماكن المقدسة وتأملوا هندسة بناائها، فبهرتهم دقتها وجمالها مما دعا بعضهم إلى رسم مخططاتها، وكذلك وصفوا الطرق والمسالك التي سلكوها والعناصر المحلية التي استعانوا بها للتغلب على مخاطرها.

ويمتزج عند الزائر المسلم للقدس الشريف الشعور الديني الغامر بالمتعة الحضرية الساحرة في الآثار المعمارية الزاخرة بالفنون التشكيلية المختلفة الإشكال المتنوعة الألوان والتي تبلغ قمته في معجزة العمارة البشرية في مختلف الحضارات (قبة الصخرة) المعظمة، التي يتفنن كل واحد في إبداء إعجابه بما اشتملت عليه من زخرفة وإبداع فني رائع ثم يختم أي رحلة قوله إن التعابير مهما بلغت من الدقة والإتقان لاتستطيع التعبير عن حقيقة ماهي عليه في الواقع من جمال وإبداع.

خلاصة القول إننا نعتبر مشاهد هؤلاء الرحالة ودونوه جزءاً مهماً من تاريخ المنطقة لايمكن إغفاله أو تجاهله ومما يزيد في قيمة المعلومات اللوحات والرسومات والمخططات والخرائط التي ضمنوها كتب رحلاتهم وعلينا إن نشير إلى إن هذه الرحلات على كثرتها لاتعني التكرار بقدر ماتعني التكامل في المعلومات.

يجب علينا إن نشير إلى عدم التسليم بكل مايرد في الرحلات من معلومات بل يجب إخضاعها للنقد والتمحيص والمقارنة مع بعضها ومع غيرها من المصادر سواء أكانت مصادر تاريخية مكتوبة او وثائق كالوثائق العثمانية وسجلات المحاكم

الصديقي ترميم وأعمار ما يدعى بالخلوة التحتانية (مكان خلوة الصوفية) في القدس لإقامة الأذكار والأوراد، إذ كان أصدقي من إتباع الطريقة الخلوتية<sup>(٤)</sup>. والتي هي إحدى الطرق الصوفية المعروفة بالقدس<sup>(٥)</sup>.

لقد قام أصدقي برحلات وزيارات عديدة إلى القدس الشريف بعد هذه المرات الثلاثة، ففي سنة ١١٣١هـ / ١٧١٩م، ذهب إلى القدس، وتزوج هناك واستقر فيها لفترة من الزمن، وفي سنة ١١٣٣هـ / ١٧٢١م، سافر من القدس إلى مصر مع رجب باشا أمير لواء القدس الشريف، ثم رجع إلى القدس بحراً ثم براً، وبقي فيها حتى بداية سنة ١١٣٣هـ / ١٧٢٣م، وفي أواخر سنة ١١٣٩هـ / ١٧٢٧م، ذهب إلى القدس وقام فيها حتى بداية سنة ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م، ثم توجه إلى الحج وعاد إلى القدس وبقي فيها (٤٠) يوماً، وفي سنة ١١٤٨هـ / ١٧٣٥م، دخل القدس في رمضان، ثم في سنة ١١٥٢هـ / ١٧٣٩م، زار القدس وبقي فيها ثماني سنوات حتى سنة ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م<sup>(٦)</sup>.

بقى الصديقي في القدس الشريف إثناء رحلته الأولى سبعة أشهر ورافقه في رحلته هذه خاله، وبيّن البكري الصديقي أنه طلب الإذن من المسؤولين في المدينة لدخولها، وكان واقفاً عند باب العمود، ((كما هو المطلوب من كل داخل وخارج))<sup>(٧)</sup>، وبعد حصوله عليه دخلها ونزل في دار أحد معارف خاله، وبدأ زيارة الحرم القدسي الشريف ومسجديه ومقاماته، فضلاً عن مقامات الأنبياء والأولياء في القدس وخارجها، وحضر الصديقي موسم النبي موسى (عليه السلام) الذي يمثل احتفال ديني يقيمه المسلمون في القدس، في مقام النبي موسى (عليه السلام)، قرب مدينة القدس الشريف، إذ تبين الوثائق العثمانية أن آلاف الأشخاص كانوا يحضرون ويشاركون فيه سنوياً مع قيام القوات العسكرية المحلية بمرافقة الزوار من أجل حمايتهم أيضاً، ويمكنهم معهم ثمانية أيام كل عام في المقام، وقد تعدت شهرة موسم النبي موسى بلاد فلسطين والمدن

الشرعية وغيرها من المصادر خاصة وإن هؤلاء الرحالة من مناطق مختلفة وقد دفعت العاطفة الدينية المتطرفة الكثير منهم للقدوم إلى هذه البلاد ويدينون أيضاً لبلدانهم بالولاء مذهباً وعرقاً.

قام العديد من الرحالة العرب والأجانب في التوافد على مدينة القدس الشريف في القرن ١٢هـ / ١٨م وزيارة معالمها التاريخية والدينية لإغراض الدراسة وزيارة الحرم القدسي الشريف بالنسبة للمسلمين، ولإغراض الحج بالنسبة للنصارى ومن هؤلاء القس الروسي يوان لوكيانوف (Ewan Lukyanoof) الذي زار المدينة في سنة ١١١٥هـ / ١٧٠٣م، إذ دخل إلى المدينة بصحبة قافلة كانت قادمة من مدينة يافا جاءت عبر البحر المتوسط، وضمت إلها وخمسمائة شخص أغلبهم جاءوا لأداء الحج وزيارة كنيسة الصريح المقدس إما وصفه لمدينة القدس الشريف والأماكن الأخرى من فلسطين، فقد كتب بروح الحبيج اللاهوتية، واستمر في رحلته بزيارة المدن الفلسطينية حتى سنة ١١١٨هـ / ١٧٠٦م، إذ عاد إلى روسيا بعد زيارته لمدينة القدس الشريف<sup>(٨)</sup>.

من الرحالة العرب الذين زاروا القدس وترددوا عليها أكثر من مرة الرحالة الشامي مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي، ولد في دمشق ودرس فيها، ووضع الكثير من المؤلفات والرسائل، كان رحالة لا يستقر له قرار، قام بثلاث رحلات إلى القدس وهي<sup>(٩)</sup>، الرحلة الأولى (الخمرة المحسية في الرحلة القدسية)، وقد زار فيها القدس الشريف سنة ١١٢٢هـ / ١٧١٠م، وكان عمره (٢٣) سنة ورحلته الثانية (الخطرة الثانية الإنسية للروضة الدانية القدسية) سجل في هذه الرحلة وقائع زيارته الثانية إلى القدس سنة ١١٢٦هـ / ١٧١٤م، إما رحلته الثالثة فكانت (الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية) وتاريخها سنة ١١٢٨هـ / ١٧١٦م، والتي زار فيها عدة مدن عربية وختمها بزيارة القدس الشريف سنة ١١٢٩هـ / ١٧١٧م<sup>(١٠)</sup>، وفي هذه الرحلة أعاد البكري

أسهب زفار كثيراً في وصف طوائف النصارى وأديرتهم وكنائسهم والأقسام المخصصة للارثوذكس والأقسام المخصصة للكاتوليك والأرمن وغيرها من الطوائف الأخرى، وهذا حال جميع الرحالة الأجانب عند زيارتهم للقدس، ويشير إلى وجود العديد من الصرافين إمام باب كنيسة القيامة، في القدس لتبديل وتحويل العملات للزوار الأجانب بمختلف أنواعها، كذلك أشار إلى كثرة النشالين واللصوص، خاصة وسط ازدحام النصارى في تجمعاتهم وأعيادهم أذ يقول ((أحذر من النشالين فهم لا يترددون حتى عن سرقة بؤبؤ عينك))<sup>(١٢)</sup>. وفي هذا الكلام تعدي على أهل القدس، فهو يشير إلى وجود الصرافين مما يعني وفرة مالية، أما هذه الحشود من النصارى فهم زوار جاؤا من خارج القدس لزيارتها. إذن من يسرقه هم أبناء جلدته الذين جاؤا معه.

زار زفار جبل صهيون في القدس، واصفاً بوابة يافا في سور القدس، كما زار بركة مأمن الله (ماملا) ومقبرتها وزار بيت لحم وكنيسة المهد فيها، وأريحا ترافقه وجماعته قوة الحماية العثمانية من قطاع الطرق واللصوص الذين هاجموا قافلته وأطلقوا عليها النار، لكن القوة العثمانية المحلية تمكنت من إلقاء القبض عليهم ووضعهم في سجن القلعة، وبعد هذه الرحلة الشاقة خارج القدس عاد زفار إلى المدينة، وذهب إلى حمام السيدة مريم<sup>(١٣)</sup>، واستحم فيه<sup>(١٤)</sup>، ليريح جسمه من تعب الرحلة وهو حمام خاص بالنصارى في القدس، مما يعني توفير السلطات العثمانية لكافة سبل الراحة لزوار القدس وتوفير الحماية لهم في تنقلهم وتقديم الخدمات لراحتهم.

كما قام الرحالة الروسي بارسكي (Barski) بزيارة مدينة القدس سنة ١١٣٦ هـ/ ١٧٢٣م، وكان اهتمامه منصباً على معرفة تفاصيل الحياة اليومية في البلاد، إذ يقدم ملاحظات دقيقة عن عادات أهل القدس الشريف وملابسهم ومأكولاتهم، خاصة البدو منهم، إذ يقول ((ليست لهم منازلهم الخاصة في المدن وفي القرى، وإنما يعيشون

المجاورة فاصبح الزوار يفدون لزيارة المقام في موسمه من سائر البلاد العثمانية<sup>(١٥)</sup>، لذ اهتمت السلطات العثمانية بتعميره وحماية زواره لأهميته الدينية.

خرج الصديقي مع مجموعة من علماء القدس الشريف إلى مقام النبي موسى (عليه السلام)، ف قضى هناك عدة ايام، تكون خلالها لديه انطباع كامل عن هذا المقام والموسم الذي يقام فيه كل عام، اذ يقول ((في ساحة المقام بئر ماء معدة لجمع مياه الامطار يستقي منها الزوار، وماء تلك الابار يحرق الطعام وينفع الجرب والحكة لان ارضه كبريتية الاجرام، وبذا احجارها توقد ويجعل منها تتوراً فيتاجج ويتوقد، ان كل مايقع في الموسم من دق ولعب مباح لا يؤاخذ به أهل الموسم، ويقع لهم بذلك السماح الا اذا وقع فساد، في تلك الاغوار والانجاد، فانها تثير عجاجة تقلع الخيام وترمي القدور وتريق الطعام، حتى ان أهل الموسم لما تكرر هذا الامر تينقوه حتماً، فتتصارخ الناس بالدعاء على الفاعل ويشفون غيظهم شتماً، وجبئ بالخيام في بعض السنين عند هذه الفعلة المقبحة تقبيحاً من قرية بعيدة عن المقام نحو ساعتين يقال لها اريحا، ولم تقع في السنة التي كنا بحمد الله تعالى فيها، كذلك اخبرني بعض التقاة الاخيار انه بعد مضي الزوار من تلك الساحة الانسية والبقع المباركة النفيسة تاتي طيور بيض بمناقير طوال يقال لها الرخم يأخذون بها القاذورات ويرفعونها من تلك المحال ويعقبه لامحالة غمامة هطالة تغسل تلك الارض بالطول والعرض))<sup>(١٦)</sup>، ثم عاد الى القدس واكمل زيارته ودروسه في المدينة، حتى قرر العودة الى دمشق في شهر شعبان سنة ١١٢٢ هـ / ١٧١٠م<sup>(١٧)</sup>.

في عام ١١٣٤ هـ / ١٧٢١م قام زفار جيجرا (zvar jiyerji) وهو قسيس ارمني بزيارة القدس وخلال فترة مكوثه التي استغرقت تسعة أشهر، قام بوصف الكثير من تفاصيل حياة الحجاج النصارى والظروف المحلية التي تعيشها المدينة والحياة الاقتصادية في القدس<sup>(١٨)</sup>.

فزار عين سلوان ثم دعاه شيخ القدس وعالمها الشيخ محمد الخليلي مفتي الشافعية إلى وليمة في قصره الشهير خارج القدس ثم توجه إلى زيارة مدينة الخليل والمزارات الواقعة على الطريق إليها، كما حضر موسم النبي موسى (عليه السلام) في مقامه على الطريق بين القدس والخليل وعاد إلى القدس وبقي فيها حتى نهاية شهر محرم من سنة ١١٤٤هـ/ ١٧٣١م، فساقه الحنين إلى الديار بالعودة إلى مصر، فغادر القدس بعد رحلة استغرقت أكثر من ستة أشهر<sup>(٢١)</sup>.

ممن قصد القدس الشريف أيضاً العلامة المصري الشهير الشيخ عبد الرحمن الجبرتي سنة ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م، لزيارة أستاذه وشيخه البكري الصديقي، والأخذ عنه، فدخل المدينة من الباب الذي دخل منه شيخه وهو باب العمود واستقر في بيته، فاستقبله بالرحب والسعة وافرد له مكاناً ثم اخذ في المجاهدة في الصلاة والصوم والذكر والعزلة والخلوة، وبقي على هذا الحال عند شيخه مدة أربعة أشهر، فنال بذلك القبول والتحصيل وعاد إلى مصر بالخير الكثير<sup>(٢٢)</sup>.

في سنة ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م، قام الزيارهون (Elzar Horn) وهو راهب فرنسيسكاني ألماني، عاش في القدس طوال الفترة (١١٣٧-١١٥٧هـ/ ١٧٢٤-١٧٤٤م) بوصف قلعة القدس حيث كانت تعرف حينذاك بقلعة بيسان، فقال عنها ((للقدس حصن قديم حيث ارتبط وإلى يومنا هذا بأسم بيسان على أساس إن بنائها كان قوياً جداً لغرض التحصين واستحكامات المدينة يمكن القيام بها على جميع الجوانب، بدون الحاجة إلى استخدام المدافع، ويتم تعيين قائد خاص لها حيث يسكن فيها مع قوات النكشارية<sup>(٢٣)</sup>، وبدون الحصول على تصريح منه لا احد يمكنه الدخول إليها، وتحتوي على مساكن مريحة، وفيها العديد من المدافع بارزة من الجدران، وهي كذلك محاطة بالخنادق الخالية من الماء<sup>(٢٤)</sup>، لقد أعجب هورن بحصانة القلعة وقوة بنائها واستحكاماتها الدفاعية التي تمكنها من الدفاع عن المدينة ضد الإخطار وهو

في السهول والجبال يحطون الرجال في الخيام في موسم الرحلات، إما ألبستهم فهي رداء واحد ويرتدون الصنادل في أرجلهم لتحميمهم من وعورة الأرض الصخرية، ويحمل الرجال السكاكين الكبيرة، ويرتدون جلابيب زاهية، إما طعامهم فهو الخبز وزيت الزيتون، إما الخمر فلا يشربونها أبداً وإنما يشربون الماء فقط<sup>(٢٥)</sup>، إن بارسكي لا يعلم إن الإسلام قد حرم على المسلمين شرب الخمر تحريماً قطعياً لذلك فهم لا يتعاطونه ولا يصنعونه ولا يبيعونه، وهذا يدل على جهل بارسكي بالدين الإسلامي وتعاليمه.

من الرحالة والعلماء المتصوفة العرب المشهورين الذين زاروا القدس الشريف، أكثر من مرة وسكنوا فيها لفترات طويلة الرحالة المصري مصطفى اسعد بن احمد اللقيمي الدمياطي، الذي يرجع بنسبه إلى القدس<sup>(٢٦)</sup>، واشتهر اللقيمي بثلاث مؤلفات عن القدس الشريف هي (لطائف انس الجليل في تحائف القدس والخليل)، وهو مصنف كبير من كتب فضائل بيت المقدس<sup>(٢٧)</sup>، و(الحلة المعلمة البهية بالرحلة القدسية المهيبة)، تتحدث عن البهجة والسرور في زيارة القدس وحرمها القدسي الشريف<sup>(٢٨)</sup>، وأكثرها شهرة رحلته إلى القدس المعروفة ب(موانح الأنس في رحلتي لودي القدس) والتي قام بها سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م<sup>(٢٩)</sup>، والتي سوف يتم الحديث عنها.

وصل اللقيمي إلى القدس قبيل العصر، فأستأذن في الدخول إلى المدينة كالعادة، وأعجب بسور المدينة وبواباتها قائلاً عنها ((للمدينة سور محكم البنيان، بديع الشكل في الصناعة والبنيان والاتقان، له ستة أبواب منيعة غريبة في الوضع بديعة وهي باب الأسباط وباب الساهرة وباب العمود وباب الخليل وباب داود وباب المغاربة، ثم دخلنا من باب الخليل<sup>(٣٠)</sup>))، فزل في دار الشيخ مصطفى البكري الصديقي، وبدأ زيارته للحرم القدسي ومقاماته ومزاراته فدعاه خطيب المسجد الأقصى الشيخ محمد بن جماعة المقدسي إلى بستان بيته البديع العامر ثم توجه لزيارة المقامات خارج المدينة،

مبرهنة على ما يستطيع الفكر فعله إذا ماسيطر عليه شاعر ماهر أوجأته فرص طيبة<sup>(٢٦)</sup>، يبدو إن فولني كان متحاملاً على العثمانيين حتى خرج بهذا التصور عن القدس التي أسوارها شامخة حتى يومنا هذا، هذه المدينة التي هي مركز جذب لجميع البشر من مختلف الأعراق والأديان وعلى مر العصور والتي عاشت عصرها الذهبي في العهد العثماني.

ارتبط تاريخ المغاربة بالقدس الشريف منذ الأيام الأولى لاعتناقهم الاسلام، ولهذا فقد شذت بهم إليها نفس الاواصر التي شذتهم الى كل من مكة والمدينة، اذ كان معظم حجاجهم يمرون بفلسطين عند عودتهم من الحج لينعموا برؤية مسرى الرسول (ﷺ)، ويحققوا الاجر في الرحلة الى ثالث الحرمين، وفد محمد بن عثمان الكناسي إلى المشرق العربي في مهمة رسمية في سفارة من لدن سلطان المغرب محمد بن عبد الله العلوي (الملك محمد الثالث) في سنة ١٢٠٠هـ / ١٧٨٥ م، وكان ابن عثمان كاتباً (وزيراً) له ومن خاصته المقربين وجهه السلطان في سفارة إلى استانبول والحجاز لتسليم الهدايا التي يرسلها سنوياً إلى الحرمين الشريفين والقدس الشريف، دامت رحلته إلى المشرق سنتين وسبعة أشهر للفترة ١٢٠٠-١٢٠٢هـ / ١٧٨٥-١٧٨٨م، وقد دون رحلته هذه في كتاب (أحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب)<sup>(٢٧)</sup>.

إذ يقول فيها ((للقدس السور الحصين مبني بالحجارة في غاية الكمال والاتقان والأبواب الحصينة الغلق وهي ستة الأول ومنه دخلنا باب العمود والثاني باب الساهرة، والثالث باب الأسباط والرابع باب المغاربة، والخامس باب النبي داود والسادس باب الخليل، فدخلنا إليه ونزلنا ببيت يقال له بيت الشيخ أبي مدين الغوث فدين تلمسان وعليه وكيل وله أوقاف)<sup>(٢٨)</sup>.

جزء من الاهتمام العثماني باستحكامات المدينة ووسائل الدفاع عنها ضد أي خطر يمكن ان يهددها.

كما قدم الى مدينة القدس الشريف الياس غضبان الحلبي من وجهاء طائفة الروم الكاثوليك في مدينة حلب وكان من الشخصيات المرموقة بين اهل عقيدته فيها سنة ١١٦٨هـ / ١٧٥٥م، في رحلة للحج بصحبة راهبين من طائفته في الثالث عشر من شهر نيسان واستمرت لغاية السابع والعشرين من شهر ايار من ذلك العام، أي ان رحلته استغرقت حوالي شهر ونصف، ويبدو ان اقامته في القدس الشريف لم تتجاوز الاسبوع او نحو ذلك، وعلى الرغم من ذلك فأن وصفه لها في كتاب رحلته (رحلة الياس غضبان الحلبي الى زيارة الاماكن المقدسة)، يحفظ مقداراً من المعلومات القيمة في مجالي التاريخ والجغرافية، اذ تنقسم الرحلة الى قسمين يعالج الاول منهما الكلام عن الرحلة نفها بينما يصف الثاني الاماكن المقدسة<sup>(٢٩)</sup>.

زار الرحالة الفرنسي فولني (volney) مدينة القدس سنة ١١٩٩هـ / ١٧٨٤ م، وقدم لنا تصوراً مخالفاً لجميع مآذكره الرحالة والمؤرخين الذين زاروا المدينة أو كتبوا عنها إذ يقول ((بعد مسير يومين من نابلس جنوباً في وسط جبال تزداد على التوالي وعورة يصل المرء إلى مدينة تعد شاهداً ناطقاً لتقلبات الزمان وغوائل الحدثان، فإذا رأينا أسوارها المهذومة وخنادقها المردومة والأنقاض المكتظ بها محيطها، صعب علينا إن نصدق أنها هي (أورشليم) القدس، تلك العاصمة الشديدة إلياس التي قاومت في غابر الزمان جيوش أعظم الممالك. وهاهي ذي الآن بمفعول تعاقب الحوادث وتبدل الأحوال تحاط بشتى ضروب الإكرام والإجلال، ومما يحمل على العجب من الحظ العظيم الذي تتمتع به كونها قائمة على بقعة وعرة مألحة قاحلة لا ماء فيها ولا كلاً، تحيط بها الأودية والمنخفضات والهضاب، ونظراً إلى بعدها عن الطريق الكبرى، كانت تلوح أنها لن تصير مدينة ذات شأن غير أنها انتصرت على جميع العوائق



ان الرحالة المغربي وسائر زملائه من الذين سبقوه انما يتحدثون عن الحضور الاسلامي الى جانب الحضور المسيحي طبعاً، وهكذا فانه لم يرد عند ابن عثمان ذكر لليهود في بيت المقدس الا من خلال ذكره لمقبرتهم<sup>(٣٢)</sup>.

يشير ابن عثمان الى مدى اهتمام الدولة العثمانية بالحرم القدسي الشريف وتعميره اذ يقول ((لهذه الدولة العثمانية في هذا الحرم الشريف بل وكذا حرم مكة والمدينة اعتناء عظيم واثر جسيم، فمهما سقط شيء منه الا اعادوه وما تلاشى جددوه، صانهم الله تعالى وابقاهم واسماهم في معارج المآثر الحميدة وارقاهم، ولهم هنا لك زيادة على اصلاح ما في الحرم من البناء، الصدقة الجارية على من في بيت القدس من الالاء والابناء، وعينوا هنالك زاوية تظل على طول الاناء اعشارها تقور، وانيتها بالطعام تدور، في العشي والبكور، ومن انجاز له من هذه الصدقة حظ او نصيب، صار ملكاً له يورث عنه بالفرض والتعصيب، فأن اراد بيعه في حياته فهو كبعض شيئاته، وهذه الحسنة جارية قد مضت عليها من الدهر احقاب، ينبع اثرها منهم صالح الاعقاب، وكل من أتى من ملكوهم عن هذا النهج لا يحيد ولا ينقص بل يزيد، ادام الله تعالى ايامهم ونصر جيوشهم وأعلامهم))<sup>(٣٣)</sup>.

يتحدث ابن عثمان عن المصاعب التي كان يعيشها العرب من اهالي قرى القدس فيذ كر انهم لم يكونوا يرضون بولاتهم الذين اكلوا من فرض الضرائب والرسوم عليهم والتي اثقلت كاهلهم حتى انهم سألوه عن أنواع الضرائب المفروضة عليه في بلاده، كما اشار الى ان الولاة الاتراك عينوا موظفين نصارى لجمع هذه الضرائب من اهل القرى وهذا يعتبر اهانة للمسلمين في تلك القرى، فضلاً عن شكواه من سيطرة النصارى على مفاتيح جميع المقامات العائدة لهم وعدم تمكنه من دخولها بسببهم<sup>(٣٤)</sup>. وختم ابن عثمان حديثه الطويل عن بيت المقدس بقوله ((لأهل بيت المقدس بشاشة وطلاقة وأخلاق حسنة، وميل إلى مؤانسة الغريب ومسامرته والمحادثة معه،

أكثر ابن عثمان من وصف الحرم القدسي الشريف بمسجديه مسجد قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك، وأبهرته عمارته، فزار جميع المقامات والمزارات التي فيه من قباب ومحاريب وأبواب وطريقة بنائها، فزار مهد عيسى (عليه السلام) في المسجد الأقصى، كما زار مقام نبي الله داود (عليه السلام) ومقامات الأنبياء والأولياء خارج سور المدينة على الطريق إلى مدينة الخليل<sup>(٣٥)</sup>.

في معرض حديثه عن مقام النبي موسى (عليه السلام) وإعراجه عن الرغبة في زيارته، اخبره مرافقوه من أهل البلد إن الطريق إليه غير آمنة، وقد لاحظنا إن ابن عثمان أكثر من مرة لايتحرك من مرحلة إلى أخرى في رحلته حول القدس الا وهو مصحوب بالوزير والباشا والجنود، كذلك بعد إن تسبقه طلائع الجنود لتهيئ المكان من خيام وضمان وجود الماء والطعام، وشيء آخر أكثر لفتاً للنظر، القلق من البدو المتمردين الذين كانوا يتربصون للجنود العثمانيين<sup>(٣٦)</sup>، فكيف لا تهتم الدولة العثمانية بسفير دولة المغرب اليها ويحضر معه الوزير في زيارته للقدس الشريف وترافقه قوة عسكرية كبيرة حفاظاً على حياته من قطاع الطرق.

أشار ابن عثمان عندما دخل القدس الشريف إلى حارة المغاربة فيها وإلى باب المغاربة وسمي بذلك لمجاورته لجامع المغاربة في حارتهم في القدس، فضلاً عن الأوقاف الكثيرة التي أوقفها المغاربة في القدس من أروقة وزوايا وبساتين ودور أوقفت لخدمة المغاربة في القدس<sup>(٣٧)</sup>، من هنا لا نستغرب الحديث عن الحضور المغربي بكثافة في القدس الشريف منذ تاريخ مبكر، فلقد تنبه المغاربة الى ما يهدد بيت المقدس من غزو، وبهذا نفسر وجود عدد كبير من العقارات في مدينة القدس وخارجها أصبحت منذ العصور الاولى ملكاً للمغاربة.

من خلال افادات ابن عثمان نقف على حقيقة تاريخية تهمننا في هذا الموضوع، تلك هي خريطة الطوائف الدينية لسكان القدس، ففيما يتعلق باليهود نلاحظ

مدينة القدس الشريف سنة ١٢٠٩هـ / ١٧٩٥م، ودخلها من باب العمود، فتحدث عن سور المدينة وبواباتها، كما تحدث بإسهاب عن الحرم القدسي الشريف وأبوابه، وكان مما قاله ((وأبوابه خمسون باباً يطوف به سور سعته ثلاث خطوات وقد أسس بالحجارة العظيمة وألواحها الكبار المنحوتة الهائلة، والمفتوح الآن من أبوابه اثنا عشر باباً كل باب منها له الوجه المنقش وفيها باب الرحمة وباب التوبة، من باب الأسباط إلى محراب داود (عليه السلام) وسوق المعرفة هو مكان مسقف بين محراب داود والمحل الذي فيه محراب مريم ومهد عيسى (عليه السلام) والمفتوح من أبوابه احد عشر باباً أولهما متحdan في السور الشرقي وهذان هما بابا الرحمة والتوبة والثالث باب الأسباط والرابع يسمى باب حطة وهو إلى الشمال والخامس باب شرف الأنبياء وهو في جهة الشمال ايضاً والسادس باب المغاربة والسابع باب الغوانمة والثامن باب الحديد والتاسع باب القطانين والعاشر والحادي عشر باب السلسلة وباب السكينة))<sup>(٣٨)</sup>.

ذكر الزباني ان الصخرة الشريفة في مسجد قبة الصخرة كان يتفت منها التراب لطول المدة فيأخذه فيجمعه الموكلون بها كل جمعة ويعطوه للأعيان والزوار ليحملوه تبركاً به ثم ينشرونه عليهم<sup>(٣٩)</sup>.

ويعبر وصف ج. براون (w.G.Browne) الرحالة الانكليزي الذي زار القدس سنة ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م، عن تدهور وضع المدينة، إذ شاهد فيها الكثير من الشحاذين (المتسولين) ولم ير من الصناعات إلا صناعة الأدوات التذكارية، ولمس فيها خللاً كبيراً في الأمن بسبب ضعف الحامية العسكرية العثمانية الصغيرة في المدينة والموضوعة تحت تصرف متسلم القدس (نائب امير لواء القدس) الذي ماكان بإمكانه السيطرة على تمرد البدو وبهذه القوة الضئيلة، كما إن جميع إطراف القدس تحت سيطرة البدو، وإنشغال السلطات العثمانية المحلية فقط بجمع الضرائب من السكان واضطهادهم<sup>(٤٠)</sup>.

ولاسيما إن كان هذا من الجنس العلمي، فلهم اعتناء به كثير حياهم الله وبياهم وأدام سقياهم ورياهم والى مكارم الأخلاق يسرهم وهياهم<sup>(٣٥)</sup>.

يقول الرحالة البحري الايطالي جيوفاني ماريتي (Giovanni Mariti) الذي زار القدس سنة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١م، عن تردي الأوضاع الأمنية خارج أسوار القدس، بان باشا القدس يقوم مع حراسه العديدين بمصاحبة الزوار النصارى إلى نهر الأردن، بعد دفعه لمبالغ مالية إلى البدو وبدونها ليس باستطاعته مصاحبته، وانه غير قادر على بسط سيطرته إلى ماوراء أسوار المدينة<sup>(٣٦)</sup>، مما يشير إلى زيادة نشاط قطاع الطرق وتمرد البدو على السلطات العثمانية المحلية التي بدت من الضعف إذ لم تستطع فرض سيطرتها عليهم حتى بدأت تدفع الأموال لأسترضائهم ولتأمين على رعاياها من تعدياتهم.

زار الراهب الروسي ميليتي (Mility) في سنة ١٢٠٩هـ / ١٧٩٤ م، مدينة القدس في موسم حج النصارى، وقد اهتم بوصف العلاقات بين القوميات في القدس وهي كثيرة ومتنوعة، وكذلك النزاع بين الشخصيات الدينية المنتمية إلى المذاهب النصرانية المختلفة، اذ كان هناك في مدينة القدس مع ميليتي عدد كبير من الحجيج الارثوذكس بلغ عددهم خمسة آلاف شخص، والشيء المهم الذي لفت انتباهه في القدس أساليب توزيع المياه في المدينة، إذ قال عنها ((تجمع المياه في أشهر الشتاء في القدس من الإمطار في مجمع تحت الأرض بين الأحجار كأ حياطي للصيف، إما مياه الإمطار على سطح الأرض فتكون سواقي صغيرة وهي سريعة الجريان، ويتم جمع هذه المياه ايضاً، ولايوجد حول مدينة القدس أي نهر او ساقية))<sup>(٣٧)</sup>. لقد كتبت هذه الرحلة بروح الحجيج النصارى.

كذلك قام الرحالة والسفير المغربي أبو القاسم الزباني الذي عمل وزيراً للسلطان المغربي محمد بن عبدالله، اذ أرسله بسفارة الى السلطان سليم الثالث بزيارة

يبدو إن هذه هي الحالة التي ألت إليها مدينة القدس الشريف، في نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن الميلادي، مع مبالغة الرحالة براون في بعض الجوانب محاولاً إظهار الدولة العثمانية بأنها غير مهتمة ببيت المقدس، وانشغالها بجمع الضرائب فقط من السكان دون النظر إلى أوضاعهم الاقتصادية ومحاولة تحسينها وحماية المدينة من هجمات البدو المتكررة وتحسينها ضدهم بالعدة والعتاد. وإهمال براون الرقي والنشاط العلمي والثقافي الذي كان يدور في معاهدها ومدارسها، وتوحد أهلها وتكاتفهم والذي تمثل في أروع صوره في التصدي للغزو الفرنسي ومواجهته والذي حدث بعد سنة من وصفه هذا عن تدهور أوضاع بيت المقدس.

## الخاتمة:

اختلفت آراء وانطباعات الرحالة الذين زاروا القدس الشريف في القرن الثامن عشر الميلادي في مواضع عدة وتباينت في أخرى حسب رؤى كل واحد منهم، إذ جاء وصف الرحالة الروسي لوكيا نوف لمدينة القدس الشريف ومعالمها المقدسة بأسلوب وروح الحبيج اللاهوتية، فقد جاء ضمن قافلة للحجاج النصارى فضلاً عن كونه قساً، لذلك جاء وصفه مقتصرًا على الأماكن المقدسة النصرانية.

أن أسلوب مصطفى البكري الصديقي الشامي يعكس النمط السائد في ذلك العصر، لأن السجع فيه كان من مستلزمات التعبير الأدبي، وكثيراً ما شكل ذلك عبئاً كبيراً على المعاني. مع ذلك فقد أورد الصديقي معلومات كثيرة عن نشاطاته في القدس وأقامته وزواجه فيها، وحضوره الأحتفال السنوي بموسم النبي موسى (عليه السلام)، وتقديمه معلومات دقيقة عن تفاصيل مراسيم الأحتفال بهذا الموسم.

قام زفارا لارمني بوصف الكثير من تفاصيل حياة الحجاج النصارى والظروف المحلية التي تعيشها المدينة، وتطرقه الى تقسيمات الطوائف النصرانية في القدس، وقد تعدى كثيراً على أهالي القدس بآتهامهم بالسرقة واللصوصية، فهم أهل الكرم والحمية، وهذه الصفات لا تمت لهم بصلة. أما الرحالة الروسي بارسكي، فقد قدم معلومات دقيقة عن عادات أهل القدس الشريف وملابسهم ومأكولاتهم وخاصة البدو منهم، إذ كان أهتمامه كبيراً بتفاصيل الحياة اليومية في البلاد.

أكثر اللقيمي المصري من الحديث عن التفاصيل العمرانية للمدينة المقدسة وبتفاصيلها الدقيقة ولقائه بعلمائها الأعلام وحضوره لموسم النبي موسى (عليه السلام)، وكذلك أقتصرت زيارة الجبرتي المصري للقدس على اللقاء بعلمائها والأنصراف الى العبادة والذكر طيلة مدة أقامته في القدس، أما الزيارهورن الالمانى فأنصب أهتمامه على وصف قلعة القدس وأقسامها وأركانها وأدارتها وتحسيناتها.

قدم لنا الياس غضبان الحلبي مقداراً من المعلومات القيمة عن القدس الشريف في مجالي التاريخ والجغرافية، مع وصفه للأماكن المقدسة رغم قصر مدة أقامته في القدس الشريف، أما فولني الفرنسي فقد وقع في مغالطات تاريخية كبيرة، ويبدو أنه

كان متحاملاً على العثمانيين، حتى خرج بهذا التصور الخاطئ عن القدس الشريف والمغايير لجميع ما ذكره الرحالة سواء الذين جاؤا قبله أو بعده.

يعتبر أبْن عثمان الكناسي المغربي من الوجوه البارزة في الحياة الأدبية وفي التاريخ الدبلوماسي للمغرب وخاصة فيما يتصل بالعلاقات مع الأمبراطورية العثمانية، أذ تعتبر شخصية الكناسي فعلاً من الجسور الهامة التي ربطت المغرب بالشرق وخاصة ببيت المقدس، كان سفيراً معروفاً بتجربته الحقيقية والمصادقية، ورحلته هذه قام بها في رعاية الدولة العثمانية التي كانت تحكم المنطقة. وهي تصادف تاريخاً هاماً لما كان ينتظر المنطقة من تحولات ستؤدي الى شدة التنافس بين الدول الأوروبية على المنطقة، أي أنها تعطي فكرة عن نسبة الوجود الإسلامي والمسيحي واليهودي في تلك البقاع.

كذلك بين مدى اهتمام الدولة العثمانية بتعمير وترميم المنشآت العمرانية في القدس وتطوير الخدمات التي تقدمها، وأشار عند دخوله مدينة القدس الى أوقات المغاربة بالقدس وحددها وعينها مشيراً الى الثقل المغربي في القدس الشريف، ومدى اهتمام أهل المغرب بها وترميم منشآتها العمرانية وزيارتها والسكن فيها، ثم نراه يتحدث عن مفاتيح المعابد التي كانت توجد بيد أهلها لا يدخلها غيرهم، والحالة أنها أي تلك المتعبدات توجد ضمن أراضي المسلمين.

تحدث الرحالة الايطالي ماريتي عن تردي الاوضاع الأمنية خارج أسوار القدس الشريف، مبيناً دور أمير اللواء وقواته في توفير الأمن لأهل المدينة وزوارها ومحاربة قطاع الطرق والمتمردين، بينما أهتم ميليتي الروسي بوصف العلاقات بين الطوائف والقوميات في القدس، مؤكداً على كيفية جمع وتوزيع المياه في المدينة.

كان الزباني المغربي وزيراً وسفيراً للسلطان المغربي محمد بن عبدالله الى السلطان العثماني سليم الثالث في استانبول وخلالها زار القدس الشريف، فأكثر من وصف الحرم القدسي الشريف ومسجديه، وعدد أبوابه وأهم المزارات فيه، أما الرحالة براون الانكليزي فقد بالغ في اظهار بعض الجوانب بشكل سيئ محاولاً اظهار الدولة العثمانية بأنها غير مهتمة بالقدس الشريف. بينما كان النشاط العمراني والثقافي العلمي قائماً على قدم وساق فيها في القرن الثامن عشر الميلادي.

## الهوامش:

- (١) ب. م. داننسيغ، الرحالة الروس في الشرق الأوسط، ترجمة: معروف خزنة دار، ط٢، (بغداد، ١٩٨١)، ص ٨٦-٨٧.
- (٢) محمد خليل المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ج٤، (بغداد، د.ت)، ص ١٩٠-٢٠٠؛ عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والاخبار، تحقيق: حسن محمد جوهر وآخرون، ط١، ج١، (القاهرة، ١٩٥٨)، ص ١٦٥-١٧١؛ يوسف آليان سركييس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، ط١، (القاهرة، ١٩٢٨)، ص ٥٨٢-٥٨٣.
- (٣) خير الدين الزر كلي، الإعلام، ط٣، ج٨، (بيروت، ١٩٦٩)، ص ١٤١؛ كامل جميل العسلي، بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين، (عمان، ١٩٩٢)، ص ١٠٩؛ الجبرتي، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٥.
- (٤) الطريقة الخلوتية: اشتقت التسمية من الخلوة، وهي احد فروع الابهريّة الزيدية، ومؤسسها الشيخ محمد بور البيلسي، وقد انتشرت الطريقة على يد الشيخ عمر الخلوتي (ت ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) في بلاد الاناضول ثم دخلت مصر وبلاد الشام قبل الفتح العثماني، واستمرت في القدس الى القرن (١٢هـ / ١٨م)، ولم يكن لأتباعها راية أو زي يميزهم سوى لبسهم الناج وقيامهم بعقد حلقات الذكر (الحضرة) وهي قول (لا إله الا الله). ينظر: أبو الوفا الغنيمي التفتازي، مدخل الى التصوف الأسلامي، (القاهرة، ١٩٧٦)، ص ٢٩٠؛ أكمل الدين أحسان أوغلي وآخرون، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، ط١، م٢، (استانبول، ١٩٩٩)، ص ١٨٤-١٨٦.
- (٥) المرادي، المصدر السابق، ج٤، ص ١٩١؛ احمد سامح الخالدي، رحلات في ديارالشام، ط١، (بافا، ١٩٤٦)، ص ٤٩ - ٧٣؛ كامل جميل العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، ط١، (عمان، ١٩٨١)، ص ٣٤٥.

- (٦) الجبرتي، المصدر السابق، ج١، ص١٧١؛ المرادي، المصدر السابق، ج٤، ص١٩١-٢٠٠؛ العسلي، بيت المقدس...، ص١٠٩، ٢٩٩.
- (٧) سوف يقتصر حديثنا عن هذه الرحلة فقط. ينظر: الخالدي، المصدر السابق، ص ٥٦؛ العسلي، بيت المقدس...، ص ٢٩١.
- (٨) سجلات محكمة القدس الشرعية المحفوظة في مكتبة الجامعة الاردنية، سجل (٢٠٢)، حجة رقم (١)، بتاريخ ١١١٥هـ/ ١٧٠٤ م، ص٦٦. سنشير لها لاحقاً بـ(س،ح)؛ شمس الدين محمد بن شرف الدين الخليلي، تاريخ القدس والخليل، مخطوط محفوظ في مكتبة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الاردنية، شريط مايكرو فيلم، رقم (٥٦٠)، ص ٣٦ أ - ٣٧؛
- James parkes, Apelican Original, whose Land ahistory of the peoples of Palestine ,(newyork, 1970),p.123 .
- (٩) للتفاصيل ينظر: كامل جميل العسلي، موسم النبي موسى في فلسطين، ط١، (عمان، ١٩٩٠)، ص ١٦٦ - ١٧٠؛ الخليلي، المصدر السابق، ص ٣٦ أ - ٣٧؛ الخالدي، المصدر السابق، ص ٥٨ - ٥٩.
- (10) SyLvvia Auld and Ropbert Hillenbrand , Ottoman Jerusalem the Living City 1517 -1917, vol2, (London, 2000), p.968;
- الخالدي، المصدر السابق، ص ٥٦ - ٧٥.
- (11) George Hintlian , " Mappin apilgrimage "
- بحث في كتاب مدينة الحجاج والأعيان والمحاشي، دراسات في تاريخ مدينة القدس الاجتماعي والثقافي، تحرير: سليم تماري وعصام نصار، ط١، (القدس، ٢٠٠٥)، ص ٢٨.
- (12) Hintlian , Op-Cit, pp. 29 -31.

- (١٣) حمام السيدة مريم: يسمى حمام الاسباط، وهو يقع في حارة باب حطة من حارات القدس، في اول طريق برج اللقلق الذي يتجه شمالا بمحاذاة سور المدينة من الداخل، ويستمد هذا الحمام مياهه من البركة المسماة بأسمه، ويبدو أنه كان مشتركاً للرجال والنساء، وهذا الحمام من أوقاف السلطان صلاح الدين الايوبي على المدرسة الصلاحية في القدس الشريف. للتفاصيل. ينظر: س ٥٤، ح ٣، ٩٧٨ هـ / ١٥٧٠ م، ص ٥٣؛ س ٦٨، ح ٤، ٩٩٧ هـ / ١٥٨٨ م، ص ١٦؛ كامل جميل العسلي، من أثارنا في بيت المقدس، (عمان، ١٩٨٢)، ص ٢٠١ - ٢٠٥؛ محمد عيسى صالحية، سجل أراضي لواء القدس حسب الدفتر ٣٤٢، تاريخه ٩٧٠ هـ / ١٥٦٢ م، المحفوظ في أرشيف رئاسة الوزراء في أستانبول، (عمان، ٢٠٠٢)، ص ٨٤.
- (14) Hintlian , Op-Cit, pp. 32-36 .
- (١٥) دانتسغ، المصدر السابق، ص ١٠٦ - ١٠٧.
- (١٦) محمد أمين بن فضل الله المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ط٢، ج٣، (بيروت، ١٩٦٦) ص ١٦٦؛ الجبرتي، المصدر السابق، ج١، ص ٢٢١، ٢٤٣؛ إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين. أسماء المؤلفين واثار المصنفين، ط٣، م ٢، (طهران، ١٩٦٧)، ص ٢٨٠.
- (١٧) مصطفى اسعد اللقيمي، لطائف أنس الجليل في تحائف القدس والخليل، تحقيق: خالد عبد الكريم، ط١، (عكا، ٢٠٠١)، ص ١٥٤ - ٢١٤؛ المرادي، المصدر السابق، ج٤، ص ١٥٥؛ الزر كلي، المصدر السابق، ج٨، ص ١٣٠.
- (١٨) البغدادي، المصدر السابق، م ٢، ص ٢٨١؛ الجبرتي، المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٢؛ الزر كلي، المصدر السابق، ج٨، ص ١٣٠؛ أغناطيوس يوليانونفث كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، ق٢، (القاهرة، ١٩٦٥)، ص ٧٥٥.

- (١٩) مصطفى اسعد اللقيمي، موانح الأتس في رحلتي لودي المقدس، تحقيق: مرواني القدومي وآخرون، ط١، (المغرب، ٢٠٠٤)، ص ٨٥ - ٢٠٠؛ الخالدي، المصدر السابق، ص ٩٣؛ العسلي، موسم النبي...، ص ١٧٠ - ١٧٢؛ المرادي، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٥؛ كراتشكوفسكي، المصدر السابق، ق ٢، ص ٧٥٤.
- (٢٠) اللقيمي، موانح الأتس...، ص ٨٥ - ٨٦؛ محمد هاشم موسى غوشة، بوابات القدس، ط١، (عمان، ١٩٩٢)، ص ١٣؛ الخالدي، المصدر السابق، ص ١٠٠ - ١٠١.
- (٢١) العسلي، بيت المقدس...، ص ١١٧ - ١١٨؛ اللقيمي، موانح الأتس...، ص ٨٧ - ١٩٨؛ العسلي، موسم النبي...، ص ١٧١ - ١٧٢؛ شمعون لندمان، إحياء أعيان القدس خارج أسوارها في القرن التاسع عشر، (تل أبيب، ١٩٨٤)، ص ٩؛ كراتشكوفسكي، المصدر السابق، ق ٢، ص ٧٥٤.
- (٢٢) الجبرتي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥١ - ٣٥٢.
- (٢٣) الانكشارية: كلمة تركية اصلها (بني جري) ومعناها الجيش الجديد، اطلقت على صفوة الجنود المشاة في الدولة العثمانية، والتي نظمت كجيش محترف في القرن الرابع عشر الميلادي، وكانوا يختارون من الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية وخصوصاً من العائلات النصرانية، اذ كان لها نفوذ كبير في الدولة، وقد تمردوا في القرنين السابع عشر والثامن عشر وقتلوا اثنين من السلاطين. وفي سنة ١٨٢٦م قام السلطان محمود الثاني بتصفيتهم. ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي، ط ٣، ج ٣، (بيروت، ١٩٦١)، ص ٦ - ١٠؛

Stanford J.Shaw , History of Ottoman Empiri and Modren Turkey ,vol .1, (London , 1977) ,pp .133-114 .

- (٢٤) لم نستطع الحصول على معلومات مفصلة عن هذه الرحلة لقلّة المعلومات الواردة في المصادر عنها. ينظر: كراتشكوفسكي، المصدر السابق، ق ٢، ص ٧٦٣؛ العسلي، بيت المقدس...، ١١٩.
- (25) Auld and Hillinbrand, Op-Cit, vol.1,p.499; F.E.Petr, JerusaLem HoLy City in the eyes of chroniclers , visitors, pilgrims and prophets from the days of Abraham to the beginning of modern times,(London, 1985) , pp. 481-482
- (26) M.C.F.VoLney ,Travels through Syria and Egypt in the Years 1783-1785,voL.2, (London, 1988) , p.303; peters, Op.Cit p.548 ;
- حبيب السيوفي، سوريا ولبنان وفلسطين في القرن الثامن عشر كما وصفها احد مشاهير الغربيين، ج ٢، (صيدا ١٩٩٤)، ص ٦٥ - ٦٦؛ مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ط ١، ج ١٠، (بيروت، ١٩٧٦)، ق ٢، ص ٦٦.
- (٢٧) محمد بن عبد الوهاب المكناسي، رحلة المكناسي إحرار المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب، تحقيق: محمد بو كبوط، ط ١، (بيروت، ٢٠٠٣)، ص ٢٩٠ - ٣١٨؛ عبد الهادي التازي، "اهتمام الملك محمد الثالث بالقدس من خلال علاقات المغرب بالعثمانيين ١١٧١-١٢٠٤ هـ / ١٧٥٧ - ١٧٩٠"، بحث غير منشور، (الرباط، ٢٠٠٠)، ص ٩؛ العسلي، بيت المقدس...، ص ١١٩ - ١٢٠.
- (٢٨) عبد الهادي التازي، القدس والخليل في الرحلات المغربية، رحلة ابن عثمان نموذجاً، (الرباط، ١٩٩٧)، ص ٥٩؛ محمد إبراهيم الكتاني، "القدس الشريف وفلسطين في كتب الرحالين المغاربة"، مجلة دعوة الحق، ع (٥)، السنة (٢٢)، (المغرب، ١٩٨١)، ص ٦٥.
- (٢٩) المكناسي، المصدر السابق، ص ٢٩٣ - ٢٩٨؛ التازي، القدس والخليل...، ص ٦٠ - ٦٤.
- (٣٠) التازي، اهتمام الملك...، ص ١٢ - ١٣؛ الكتاني، المصدر السابق، ص ٦٧.

## انتشار الإسلام في جنوب آسيا وجنوب شرقها

د. علاوي مزهر مزعل المسعودي

جامعة أهل البيت (عليه السلام) / كلية الشريعة الإسلامية

مُتَكَلِّمًا

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله وصحبه

أجمعين إلى يوم الدين.

تناولنا في صفحات هذا البحث موضوع انتشار الإسلام في مناطق جنوب آسيا وجنوب شرقها، وكان الدافع لاختيار هذا الموضوع هو التعرف على طريقة وصول الإسلام إلى هذه المناطق البعيدة عن شبه الجزيرة العربية رحم إلام الذي ولد فيه الدين الإسلامي الحنيف كذلك مدى تأثير هذا الدين على سكان المناطق الذي وصل إليها وثباته فيها وتمسك أهلها به، إذ انطلقت دعوة الإسلام من أرض العرب في كل الاتجاهات، حتى وصل الإسلام إلى أقاصي شرق المعمورة على مراحل فوصل أواسط آسيا، وشبه الجزيرة الهندية حتى شارف على بلاد الصين ووصل جنوب شرق آسيا. وجزر المحيط الهندي والجزر الاندونيسية بواسطة التجار المسلمين الذين حملوا دعوة الحق في صدورهم وعقولهم قبل سفنهم، وجاء بخير دعوة ومنهج وبخير أخلاق ومثل فأعتنق أهل تلك البلاد عقيدة الإسلام، وأصبحو أهلها وحمايتها، حتى إن أكبر بلد مسلم الآن هو إندونيسيا التي تضم بين جوانحها أكثر من مائتي مليون مسلم يوحدون الله تعالى، كما أن الدعوة وصلت للجزر في أقاصي شرق

- (٣١) الكتاني، المصدر السابق، ص ٦٦؛ التازي، القدس والخليل...، ص ٣٤.  
(٣٢) التازي، القدس والخليل...، ص ٤٣؛ التازي، أهتمام الملك...، ص ١٢.  
(٣٣) المكناسي، المصدر السابق، ص ٣١٤؛ التازي، القدس والخليل...، ص ٧٧.  
(٣٤) التازي، أهتمام الملك...، ص ١٢؛ المكناسي، المصدر السابق، ص ٢١٨-٢١٩.

(٣٥) تعتبر هذه الشخصية من الجسور الهامة التي ربطت المغرب بالشرق وخاصة بيت المقدس. للتفاصيل. ينظر: المكناسي، المصدر السابق، ص ٣١٨؛ التازي، القدس والخليل...، ص ٨٠؛ الكتاني، المصدر السابق، ص ٦٩.

(36) S.D.Goiten,(AL-Kuds) in the EncycLopaedia OF Islam,vol. v,(London, 1980), p.334;Amnon Cohen, Polestine in the 18 th century Patterns of government and administration (Jerusalem ,1973) ,pp.160-171

؛ سيار كوكب الجميل، " تباينات مجتمع مدينة القدس في المركز والمحيط ابان العهد العثماني "، من بحوث ندوة القدس (٥٠٠٠) عام من الحقوق العربية، الندوة الثالثة، جامعة اليرموك، (ايرد، ١٩٩٧)، ص ٣٥.

(٣٧) دانتسيغ، المصدر السابق، ص ١٣٦-١٣٨.

(٣٨) غوشة، المصدر السابق، ص ٧٤-٧٥؛ التازي، أهتمام الملك...، ص ٩، ١١؛ الكتاني، المصدر السابق، ص ٦٩.

(٣٩) العسلي، بيت المقدس...، ص ١٢١-١٢٢؛ الكتاني، المصدر السابق، ص ٦٩؛ كراتشكوفسكي، المصدر السابق، ق ٢، ٧٧٠.

(٤٠) شمس الدين الكيلاني ومحمد جمال باروت، الطريق إلى القدس، ط ١، (ابوظبي، د. ت)، ص ٣٥٨؛ سيار كوكب الجميل، " تباينات مجتمع القدس في المركز والمحيط أبان العهد العثماني " مجلة الندوة، م (٩)، ع (١)، (عمان، ١٩٩٨)، ص ٧٥؛

Goitein , Op . Cit , vol. v,p.334 .

## المبحث الأول

### (لمحة عن تاريخ وجغرافية وواقع دول جنوب آسيا وجنوب شرقها)

#### الهند:

الهند شبه جزيرة واسعة تمتد في جنوبي قارة آسيا، تزيد مساحتها على ٤.٣٦٠.٠٠٠ كم<sup>٢</sup> وتمتد سواحلها على طول ٤٥٠٠ كم. كانت الهند مقر الديانة البراهمية التي تنتسب إلى (براهما) كما تسمى (الهندوكية) نسبة إلى الهند<sup>(١)</sup>.

بدأت الفتوحات الإسلامية تصل إلى الشواطئ الشمالية الغربية للهند وذلك منذ أيام الخلفاء الراشدين وخاصة أيام عثمان بن عفان (رضي الله عنه).

وسار المهلب بن أبي صفرة على رأس جيش كبير عام ٤٤ هـ أيام معاوية فغزا منطقة السند وحقق انتصارات باهرة. وفي أيام عبد الملك بن مروان تولى أمر السند محمد بن القاسم الثقفي وفي أيام الدولة العباسية انتشرت الشيعة في الهند. وخاصة أيام المنصور حيث كان واليها عمر بن حفص وبعدها توقفت الفتوحات وانصرف الناس إلى التجارة في كل جهة. وبعد قيام الدولة الغزنوية في أرض أفغانستان اليوم، وحكم محمود الغزنوي الدولة عام ٣٨٨ هـ، فتقدم إلى الهند عن طريق ممر خيبر<sup>(٢)</sup>.

ووصل المغول إلى الهند بقيادة تيمورلنك عام ٨٠١ هـ، فانتشرت الفوضى وأستقر لهم الأمر، وكانوا حديثي العهد بالإسلام فكان منهم المصلحون، ومنهم المفسدون<sup>(٣)</sup>.

تبلغ نسبة المسلمين اليوم في الهند حوالي ١٤% ولما كان عدد سكان الهند ٥٨٥ مليوناً نسمة لذا فإن عدد المسلمين اليوم يقدر بحوالي ٨٠ مليوناً وإن كانت حكومة الهند تعطيهم عدداً أقل وتختلف نسبة المسلمين بين منطقة وأخرى في الهند حسب انتشار الإسلام وتجمع المسلمين، فقد رأينا أن الإسلام قد أنتشر في الشمال

المعمورة فوصلت الفلبين بجزرها العديدة، واليابان ببحورها وامتدادها وحتى الجزيرة الكورية.

وقد قسمت بحثي هذا إلى أربعة مباحث، تناولت في المبحث الأول منه لمحة عن تاريخ وجغرافية وواقع دول جنوب آسيا وجنوب شرقها اليوم وفي المبحث الثاني تناولت الإسلام في جنوب آسيا وجنوب شرقها وفي المبحث الثالث دور التجار والدعاة في نشر الإسلام والمبحث الرابع تناولت فيه تأثير الإسلام في المنطقة.

وقد اعتمدت على عدد من المصادر التاريخية والجغرافية في كتابة وإعداد هذا البحث كان أهمها كتاب تاريخ اليعقوبي لأبن واضح اليعقوبي (ت: ٢٨٤ هـ) وكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي (ت: ٣٤٦ هـ) وكتاب الكامل في التاريخ لأبن الأثير (ت: ٦٣٠ هـ) ومن الكتب الجغرافية كتاب أحسن التقاسيم للمقدسي (٣٨٧ هـ) وكتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت: ٦٢٦ هـ) ومن المراجع الحديثة كتاب محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية لإسماعيل باغي وكتاب سكان العالم الإسلامي لمحمد فؤاد شكري وكتاب العلاقات العربية الهندية لأحمد مقبول.

وختاماً أرجو أن أكون قد وفقت في دراسة هذا الموضوع وفي إعطاء صورة واضحة للإسلام والمسلمين في دول جنوب آسيا وجنوب شرقها وأخيراً أسأل الله تعالى التوفيق والنجاح إنه سميع عليم مجيب الدعاء.

الباحث



## إتحاد ماليزيا:

وتشمل شبه جزيرة الملايو، وشمال جزيرة بورينو، وتبلغ مساحتها ٣٣٢,٦٣٣ كم<sup>٢</sup> وتتألف من ثلاث عشرة ولاية. إحدى عشرة منها في جزيرة الملايو واثنان في شمال بورينو.

وإتحاد ماليزيا مملكة، ينتخب الملك لمدة خمس سنوات عن طريق مؤتمر الحكام الذي يتألف من رؤساء الولايات. ولهذا المؤتمر سلطة استشارية<sup>(٩)</sup>.

أنتشر الإسلام في ماليزيا عن طريق التجارة، وفي عام ٦٧٥ هـ، أسلم ملك مالاقا وتسمى باسم سلطان محمد شاه وتبعه رعاياه، وخلفه بالحكم أبنه مظفر شاه. ومن مالاقا أنتشر الإسلام إلى باقي الجهات<sup>(١٠)</sup>. ويبلغ عدد المسلمين اليوم في إتحاد ماليزيا أكثر من ٢٢ مليون نسمة.

## سري لانكا:

سري لانكا جزيرة تقع جنوب الهند، ويبلغ عدد سكانها نحو أربعة عشر مليون نسمة منهم حوالي مليونين من المسلمين. وتختلف المصادر التاريخية حول الزمن الذي دخل فيه الإسلام سري لانكا، ومن الأرجح إن القرن الأول الهجري هو الوقت الذي بدأ الإسلام يدخل هذه الجزيرة نظراً لوقوعها بالقرب من بلاد الهند والسند التي أنتشر فيها الإسلام في الفترة ذاتها<sup>(١١)</sup>.

## بورما:

هي جزء من شبه جزيرة الصين الهندية، وتقع الصين الشعبية شرقها في حين تقع بنغلادش والهند غربها، وفي جنوبها الشرقي تقع تايلند، وتطل بورما بساحل طويل في جنوبها وغربها على خليج البنغال. ومعظم سكان بورما ينتمون إلى المغول ويبلغ عدد سكانها ٢٤ مليون نسمة، ٨٥% منهم بوذيون و ٤% مسيحيين و ١١% مسلمين<sup>(١٢)</sup>.

نتيجة الفتح الذي كان طريقه من بحر العرب إلى خليج البنغال، وأنه قد أنتشر في السواحل بجهود الدعاة والتجارة، وتعمق في الداخل أثناء حكم المسلمين للهند وانتقال الدعاة في مناطقها المختلفة<sup>(٤)</sup>.

## باكستان:

تقع الباكستان في شبه القارة الهندية، وتشكل قسماً صغيراً بالنسبة إلى مساحة ذلك الجزء الواسع، يبلغ عدد المسلمين فيها ١٤٧ مليوناً وتبلغ مساحتها ٨٠٠.٠٠٠ كم<sup>٢</sup><sup>(٥)</sup>، وصل الإسلام إلى هذه البلاد قبل الفتوح الإسلامية عن طريق التجار العرب الذين كانوا يتوافدون على سواحل الهند الغربية منذ أقدم العصور، ثم وصل الإسلام إليها. عن طريق الفتح وعن طريق الدعاة المسلمين، وأخيراً عن طريق الممرات الجبلية التي سلكها المسلمون إلى حوض نهر السند شيئاً فشيئاً<sup>(٦)</sup>.

## بنغلادش:

يحدها من الشرق بورما والهند، ومن الغرب والشمال الهند أيضاً، ومن الجنوب البنغال ويبلغ عدد سكانها ١٣٣ مليون نسمة منهم ٨٥% مسلمون، فيكون عددهم حوالي ١١٠ مليون نسمة، وهناك أقل من ١٥% من الهندوكيين، ومليون بوذي، وقلة قليلة من النصاري، واللغة الرسمية في بنغلادش هي البنغالية<sup>(٧)</sup>.

كان هذا الإقليم في العصور القديمة بمثابة ملجأ ومأوى للفارين، وخاصة البوذيين الذين كانوا يفرون من اضطهاد الهناكة، وفي عام ١٨٥٧م قام حزب الرابطة الإسلامية بكفاح مسلح من أجل التحرير، ونادى هذا الحزب بتكوين حكومات إسلامية في المناطق التي يعد فيها المسلمون أغلبية، لكن قادة المسلمين غيروا هذا الرأي واتفقوا على إقامة دولة موحدة تظم الشطرين، وفي عام ١٩٤٧م أنشئت دولة باكستان بشرطها الغربي والشرقي ثم أنفصل الشطر الشرقي وعرف باسم بنغلادش عام ١٩٧١م<sup>(٨)</sup>.

الإسلامية من حيث عدد السكان في التاريخ المعاصر وعاصمتها جاكارتا. عدد المسلمين فيها حوالي ١٣٨ مليون نسمة ونسبتهم ٦٠% من مجموع السكان الكلي. أنتقل الإسلام إلى اندونيسيا من خلال التجار العرب، الذين زاد نشاطهم وخاصة تجار عمان وحضر موت، واليمن وبعث الإسلام روحاً جديدة وحضارة راقية لدى سكان هذه الجزر<sup>(١٦)</sup>.

ونظراً لوضوح العقيدة الإسلامية في الأمور الدينية والأخلاقية والاجتماعية بالإضافة إلى بساطة تعاليم الإسلام في المساواة والعدل بين الأخوة المسلمين فقد زاد ذلك في اعتناق الكثيرين للإسلام عن قناعة وإيمان وعقيدة وحدث تزاوج بين العرب والنساء الإندونيسيات مع أن اندونيسيا ليست من البلاد التي تعرضت للفتوحات الإسلامية، إلا أن اندونيسيا تعد أكبر الدول الإسلامية إذ يبلغ عدد المسلمين ما يقرب ١٤٠ مليوناً من مجموع السكان البالغ ١٥٥ مليون نسمة<sup>(١٧)</sup>.

### الفلبين:

الفلبين مجموعة من الجزر تقع في جنوب شرق آسيا، وتقع الصين شمال الفلبين واندونيسيا في الجنوب، والمحيط الباسفيكي في الشرق. والهند في الغرب واليابان في الشمال الشرقي، وهونج كونج في الشمال الغربي ويبلغ عدد السكان نحو ٤٣ مليون نسمة، منهم أكثر من ستة ملايين مسلم، وكانت الوثنية هي الديانة القديمة لمعظم سكان الفلبين في حين أصبح معظم سكانها يدينون بالمسيحية في الوقت الحاضر<sup>(١٨)</sup>.

### اليابان:

تقع اليابان في شرق آسيا ويبلغ عدد سكانها حوالي ١٢٠ مليون نسمة، ويصل عدد المسلمين إلى مائة ألف نسمة، وربما يفسر قلة عدد المسلمين هناك تأخر وصول الإسلام إليها، في حين وصل الإسلام إلى الصين - المجاورة لليابان - في زمن مبكر. وقد اتصل اليابانيون بالمسلمين من خلال النشاط التجاري الياباني وافتتاحه على الدول الإسلامية المجاورة مثل اندونيسيا وغيرها من دول الهند الصينية التي تعيش فيها الأقليات المسلمة<sup>(١٩)</sup>.

### مالديف:

هي سلسلة من الجزر المرجانية الواقعة في المحيط الهندي وتقع جنوب غرب كل من الهند وسريلانكا حيث تشمل أكثر من ألف جزيرة. وينتمي شعبها إلى الجنس الآري، حيث نزحت جماعات منه من شمال الهند وسريلانكا وقد أختلط المالديفيون بالعنصر الأفريقي الشرقي والعنصر العربي وسكانها حوالي ربع مليون نسمة هم جميعاً مسلمون<sup>(١٣)</sup>.

### هونج كونج:

تتكون هونج كونج من مجموعة من الجزر الصغيرة التي تقع على الساحل الجنوبي للصين الشعبية، وسكانها خليط بشري معظمهم من الصين الشعبية، ومنهم الهنود والباكستانيون والماليزيين والديانات هناك مختلفة بين البوذية والكونفوشية ثم المسيحية، أما الأقلية المسلمة فتبلغ نحو عشرين ألف مسلم من مجموع السكان البالغ حوالي مليونين ونصف مليون نسمة<sup>(١٤)</sup>.

### تايوان:

تقع في جنوب شرقي آسيا، في المحيط الهادي، ويفصلها عن الصين الشعبية مضيق فور موزا ويصل عدد سكانها إلى نحو ثمانية عشر مليون نسمة، وعدد المسلمين فيها حوالي عشرون ألف هاجروا إليها من الصين الشيوعية سنة ١٩٤٩م بعد أن سيطر الشيوعيين على مقاليد الأمور، ثم ازداد عدد مسلمي تايوان ليصبح خمسين ألف مسلم في الفترة الأخيرة<sup>(١٥)</sup>.

### اندونيسيا:

تقع اندونيسيا في الجنوب الشرقي من قارة آسيا، وتتكون من مجموعة كبيرة جداً من الجزر وعدد سكانها نحو ٢٣١ مليون نسمة، وهي تعتبر من أكبر الدول

## المبحث الثاني

### (الإسلام في جنوب آسيا وجنوب شرقها)

تعد قارة آسيا هي مركز ثقل العالم الإسلامي، ففي هذه القارة تتركز النسبة العالية من المسلمين في العالم، فهي تضم وحدها ما يقرب من ٥/٢ من المسلمين أو حوالي ٦١٥ مليون مسلم، ويطلق بعض الكتاب على هذه القارة (آسيا) اسم (بيت الإسلام الحقيقي) ففيها الجزيرة العربية التي قامت على أرضها الدعوة الإسلامية، كما إنها مركز انطلاق الدعوة إلى الدنيا بأسرها<sup>(٢٠)</sup>، وأياً كان الأمر فعلى الرغم من الكثرة العددية للمسلمين في آسيا إلا أنها لا تمثل في الحقيقة سوى ٢٩ % فقط من عدد سكانها الذين يبلغون ما يزيد على (٢٥٠٠٠ ألف) مليون نسمة<sup>(٢١)</sup>.

إن طبيعة المنطقة في جنوب آسيا وجنوب شرقها التي تبدأ بالهند وتنتهي بجزر الفلبين تمتاز بعدم الاتصال والتقطع بين أجزائها ولعل أهم نقطة تجمع فيها تقع في مجموعة الجزر الاندونيسية<sup>(٢٢)</sup>.

إن هذه المنطقة كلها بعيدة عن مهد الإسلام وعن قلبه العربي، وكان طبيعياً أن يكون لهذا البعد أثره في ضعف وصول التيارات الإسلامية عبر المسافات السحيقة إلى هذا القطاع وإلا لارتفعت نسبة المسلمين فيه ورغم هذا فإن عدد المسلمين فيه يصل إلى ٣٥٠ مليون، ويمثلون حوالي ٥/٢ من عدد سكان المسلمين في العالم، وتوجد فيه اندونيسيا أكبر دول العالم الإسلامي<sup>(٢٣)</sup>.

إن هذه المنطقة تشمل أيضاً أقليات إسلامية تعيش وسط دول إسلامية كالهند مثلاً حيث يبلغ عدد الأقلية الإسلامية فيها ما يزيد على عشر عدد السكان، ويبلغ عددهم حوالي ٨٠ مليون مسلم، وعددهم يفوق تقريباً العدد الموجود في أية دولة إسلامية في القطاع الغربي باستثناء نيجيريا<sup>(٢٤)</sup>، ويتراوح عدد المسلمين في الصين ما بين ٩٠ - ١٠٠ مليون وفي بنغلادش يبلغ عددهم حوالي ٩٠ مليون مسلم، ويصل عدد المسلمين كذلك في الملايو إلى ما يزيد على نصف عدد السكان البالغ عددهم

(١٤) مليون نسمة، وتعد الملايو بؤرة توزيع الإسلام في جنوب شرقي آسيا<sup>(٢٥)</sup>، ومما بجدر ذكره إن الإسلام قد جاء إلى هذه المناطق عبر الطريق البحري وذلك لأن العوامل الجغرافية الطبيعية (كجبال الهملايا الشاهقة) قد حالت دون انتشاره بالطريق البري، وكانت حضرموت محور الطريق البحري ومركز إرسال الدعوة الإسلامية والمسلمين إلى جنوب شرقي آسيا كما كانت شبه جزيرة الملايو تمثل مركز الاستقبال لهذه الدعوة<sup>(٢٦)</sup>، وفي هذه المنطقة تقع الجزر الاندونيسية التي تعد طليعة التجمع الإسلامي في العالم. إذ يمثل المسلمون نحو ٩٢ % من السكان البالغ عددهم ١٤٥ مليون نسمة، وتقع جزر الفلبين كذلك في شرقي آسيا وسماها الجغرافيون (أرض الله المشرقة) في العالم الإسلامي، وفيها يستقر عدد كبير من المسلمين يعرفون باسم (المورو) وهي تسمية أطلقها عليهم المستعمرون الأسبان على نحو ما عرف به المسلمين في إسبانيا والمغرب وجزيرة مدغشقر وسيلان<sup>(٢٧)</sup>.

## المبحث الثالث

### ١ - دور الدعاة في انتشار الإسلام:

ركب التجار المسلمون البحر وحملوا معهم بضائعهم، ورحلوا والأمل يحدوهم بالنجاح في مهمتهم لنشر الإسلام. وتتطلق السفن، ويتوكل ركابها على الله يبعثون تجارة لن تبور، وتصل الفلك إلى المحطات ويترجل منها التجار، ويتلقاهم نظراؤهم من أهل البلاد يبتاعون منهم ويبيعون فيجدون فيهم الصدق، ويرون فيهم الاستقامة ويعرفون فيهم الأمانة ويعلمون إن هذا كله من أثر العقيدة التي يحملونها، فيحبيب الإسلام إلى نفوسهم ويدعونهم، ويلتقون معهم فيحسون منهم الكرامة والعفة<sup>(٢٨)</sup>، وينظرون إلى عبادتهم وعلمهم وسلوكهم فيسرون مما يرون، ويصبح الإسلام قريباً من نفوسهم وأهله مقربين إلى قلوبهم وبعد رحلات ولقاءات لا يجد التجار من أهل البلاد أنفسهم إلا وقد دانوا بالإسلام وأصبحوا من أبناءه<sup>(٢٩)</sup>.

هكذا حتى العصر الحديث حيث أتجه بعض المسلمين إليها وتشكلت نواة منهم هناك تنمو بشكل طيب<sup>(٣٢)</sup>، ووصلت السفن إلى سواحل الصين، وتوقفت في مرفأ (كانتون) وربما وصلت إلى هذا المرفأ سفن قادمة مباشرة من بلاد العرب حيث كان قد أنتشر الإسلام هناك في وقت مبكر وقد يكون قبل وصول الإسلام إلى أندونيسيا<sup>(٣٣)</sup>، أما السواحل التي قبل ماليزيا، واندونيسيا والتي كانت تمر منها السفن الإسلامية فقد أنتشر فيها الإسلام بنسب متفاوتة حسب الميناء من حيث موقعه، ومدة الإقامة فيه، والمنتجات في ظهيرة والبضائع التي تستهلك في المنطقة. لقد أنتشر الإسلام على سواحل الهند الغربية في جزر (لاكاديف) بنسبة كبيرة حيث كانت محطة طبيعية، كما أنتشر على سواحل منطقة (بومباي) نتيجة كثرة الاستهلاك وشراء البضائع المحمولة إليها، وإن لم تكن محطة أساسية إلا أن السفن المنطلقة إليها تكون خاصة بها، ولم تطل مدة إقامة التجار فيها لسرعة عمليات المبادلة التجارية، لذا لم تزد نسبة المسلمين فيها على ٩%، أما السفن المتجهة إلى الجنوب الشرقي من آسيا فإنها تنطلق إلى جزر (لاكاديف) لذا فقد انتشر الإسلام فيها، وبلغت نسبة أتباعه فيها ٩٤% ثم تتحرك السفن إلى جنوب الهند حيث تضطر إلى التوقف للتزود باحتياجاتها ، وأخذ بعض الراحة، وربما قامت فيها بعض الأعمال التجارية، وقد وصلت نسبة المسلمين هناك إلى ٢٠% وتوجه السفن بعدها إلى السواحل الشرقية للهند ولكن لا تسير موازية لها مسافة طويلة بل تتركها متجهة إلى الشرق مبتعدة عن تقعر خليج البنغال<sup>(٣٤)</sup>، وربما توقفت بعضها في (مدارس) إن كانت هناك حاجة للتزود باحتياجاتها من جنوبي الهند، وتنطلق إلى (مدارس) لتوجيه خط سيرها، وهي ليست بحاجة إلى التزود من جديد لذا كانت نسبة المسلمين قليلة في (مدارس) ولا تزيد عن ٥% من مجموع السكان<sup>(٣٥)</sup>، وبعد أن تلتف السفن حول شبه جزيرة ماليزيا، تعود نسبة المسلمين قليلة للسبب نفسه إذ تتقعر سواحل (تايلند) و(كمبوديا) بنقدم مياه خليج

وتنطلق السفن إلى محطات أخرى وتتم المقايضات والمبايعات واللقاءات كما حدث في المحطة الأولى، وهكذا كانت المحطات التجارية مراكز لانطلاق الإسلام وكلما كانت المحطات أكثر اتساعاً وأكثر بضائع كان الإسلام أكثر انتشاراً لذا فإننا نلاحظ أن السواحل التي كانت طريقاً للسفن التجارية قد أنتشر فيها الإسلام وهي عادة الشواطئ المحدبة والتي تصلح لإقامة الموانئ سواء لحمايتها من الرياح أو لسواحلها التي تساعد على إقامة المرافئ إذ لا تصل إليها مجروفات الأنهار، أما السواحل المقعرة فلا تمر منها عادة السفن لكثرة المجروفات وعدم إقامة الموانئ وطول الطريق حيث تتعدها السفن عادة إلى السواحل المحدبة الأخرى التي تليها وكلما كانت إقامة التجار المسلمين في محطات الموانئ أكثر كان الإسلام أكثر ازدياداً<sup>(٣٦)</sup>.

فإذا ما وصلت السفن إلى آخر المحطات كانت هناك الإقامة الأكثر طولاً حتى تنفذ البضائع إذ لا توجد بعدها محطات فلا تفكير لبيعها في مكان ثان، وحتى يشتري التجار بضائع جديدة حيث لا توجد بعدها مواقف لأخذ البضاعة منها والحاجات، ثم إن هذه المحطة هي المقصودة بالذات وهذه البلدان هي المعنية بالسفر إليها، وبضائعها ومنتجاتها هي المرغوب فيها لهذا كله تطول الإقامة وتزداد الصلة مع السكان وبالتالي ينتشر الإسلام. ولما كانت أندونيسيا من المواضع التي تشد إليها الرحال للتجارة لذا فقد أنتشر فيها الإسلام كثيراً حتى عم، وأصبحت أحد الأمصار الإسلامية وكانت ماليزيا ترتحل إليها السفن بدرجة أقل، لذا فقد أنتشر فيها الإسلام بدرجة أقل وكانت مصراً إسلامياً غير أن نسبة المسلمين فيها ليست مرتفعة<sup>(٣٧)</sup>، ومن أندونيسيا قد تنطلق سفن تجارية ويرتحل الدعاة أو يسيروا منفردين إلى السواحل القريبة منها أو الجزر الدانية فانتشر الإسلام في الجزر التي عرفت باسم الفلبين حتى حكم المسلمون تلك الجزر. أما جزر اليابان فلم يصل إليها الإسلام لبعدها عن مواطن المسلمين الأولى وعن مراكزهم الجديدة في أندونيسيا وماليزيا، وبقي الوضع

المسلمين إليها عند فتحها<sup>(٤٠)</sup>، وهكذا فإن مناطق جنوب آسيا وجنوب شرقها أنتشر فيها الإسلام بعد القرن الثالث الهجري بقي المسلمون فيها أقليات باستثناء منطقة البنغال التي فتحها الغور يون في القرن السادس الهجري واندونيسيا وماليزيا اللتين كانتا آخر المحطات التجارة البحرية وقامت فيهما إمارات مسلمة، وجزر المالديف التي عمها الإسلام بالدعوة التي كانت عن طريق الدعاة الذين وصلوا إليها مع التجار<sup>(٤١)</sup>. عن طريق البحر وخبرة البحارة العرب في ركوب البحر ساعد على سرعة وصول الإسلام إلى هذه المناطق<sup>(٤٢)</sup>

## المبحث الرابع

### تأثير الإسلام في منطقة جنوب آسيا وجنوب شرقها

كان للإسلام التأثير الكبير في عادات وتقاليد وعقائد بلدان شرق وجنوب آسيا وذلك لما يحمله من تعاليم سمحة وتأثير بالغ في النفوس لأنه الدين الذي أرسله الله إلى البشر أجمعين.

وكان للمساجد الأثر الكبير في نشر العلوم الإسلامية والدعوة إلى الإسلام في تلك البلدان ولاشك في أن المساجد في العصر الأموي كانت تعد من أكبر معاهد الدرس والتعليم لا في البلاد المفتوحة فحسب بل حتى في البلاد العربية ودار الخلافة نفسها<sup>(٤٣)</sup>.

وكان الأئمة والعلماء يشرفون على أداء الفرائض الدينية في تلك المساجد ويقوموا بتدريس أولاد المسلمين ونشر العلوم الإسلامية بين أهالي البلدان المفتوحة في شرق آسيا وجنوبها. وكان هناك بعض العلماء العرب قد تولوا مناصب القضاء والتبليغ. وكانوا يبذلون جهوداً من أجل نشر العلوم الإسلامية من ناحية، والدعوة إلى الإسلام من ناحية أخرى<sup>(٤٤)</sup>.

وفي العصر العباسي أخذت العلوم الدينية والعقلية عند العرب تتسع وتزداد انتشاراً في تلك البلدان، فقد عد هذا العصر ذهباً للتبادل الثقافي. ففي هذه الفترة

(سيام) في داخل اليابس، هذا إلى جانب ما تلقىه الأنهار الموسمية الغزيرة من مجرفات في مياه البحر، ونصل بعدها إلى سواحل (فيتنام) وتكون سواحلها الشمالية مقعرة حيث يقع خليج (طونكين) فلا تمر السفن عليه، ولا تقف في محطات هناك، هذا ما حال دون انتشار الإسلام بتلك الجهات، وبعدها تبدأ سواحل الصين<sup>(٣٦)</sup>، وهكذا وجدت أقليات مسلمة نتيجة التجارة البحرية والدعوة على طول سواحل قارة آسيا الجنوبية، والجنوبية الشرقية، ولم يعم الإسلام سوى الأجزاء التي كانت آخر المحطات التجارية، أو تقصدها البواخر وتكون هدفاً لها ولمنتجاتها، وهي (اندونيسيا) و(ماليزيا).

### ٢- دور التجار في انتشار الإسلام:

أما في الداخل فقد أنتشر الإسلام فيه وخاصة في البلدان الشاسعة كالصين والهند عن طريق التجارة البرية والدعاة، وربما أسهمت الحكومات في العمل لدعم ذلك الانتشار فيما إذا كانت بأيدي المسلمين سواء أرغب أصحابها في ذلك أم لا لأن للحكومات هيمنة تشجع على الإقبال على عقيدة من بيدهم السلطة<sup>(٣٧)</sup>.

أنتشر الإسلام في الصين ببطء، ونلاحظ إن النسبة العامة للأقلية المسلمة تقل كلما تعمقنا في داخل الصين مبتعدين عن حدود أمصار العالم الإسلامي إلا أن وجود دعاة في المنطقة استطاعوا بذل الجهد ووقفوا في العمل فعندها ترتفع نسبة المسلمين قليلاً كما هي حال ولاية (بوتان) التي تزيد نسبة المسلمين على ٣٠% من مجموع السكان في حين إن نسبة المسلمين في الصين عامة لا تزيد على ١٠% من مجموع السكان ولقد نشط المسلمون في العهد المغولي الذي أمتد من ٦٨٥ - ٧٦٩ هـ حيث انتقلت مجموعات من المسلمين من تركستان وكانت بينهم أعداد من الدعاة إلى الصين إذ كان المغول يسيطرون على المنطقتين<sup>(٣٨)</sup>، وفي الهند أنتشر الإسلام في الشمال بين السند والبنغال نتيجة سير الفتوح، وتوزع المسلمون في أرجاء الهند كلها عندما آل إليهم حكمها فقل الفرق بين النسب المتباينة، وتصل نسبة المسلمين عامة في الهند إلى ١٤%<sup>(٣٩)</sup>، وأنتشر الإسلام في داخل بورما بوصول بعض

يشوق وصبر ومازالوا حتى ملكوا عنانها، واتخذوها أداة طيبة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم<sup>(٤٩)</sup>.

بالإضافة إلى الاهتمامات الخاصة من جانب بعض المفكرين العرب بنشر اللغة العربية التي تعتمد عليها العلوم الإسلامية في انتشارها في تلك البلاد، فقد كانت مجالس علمية لتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية<sup>(٥٠)</sup>.

وفي القرن الثالث والرابع الهجري/ التاسع والعاشر الميلاديين حيث نشطت حركة التدوين والتأليف عند المؤرخين والجغرافيين العرب في العصر العباسي، بدأ هؤلاء يحضرون بأنفسهم إلى بلدان شرق آسيا وجنوبها لجمع أخبارها عن طريق الاتصال بالعلماء، وقد سجلوا في مؤلفاتهم تلك الأخبار وما يتعلق بانتشار اللغة العربية في تلك البلاد، فهذا المؤرخ الكبير المسعودي الذي زار بلاد السند سنة (٣٠٣هـ/ ٩١٥م) يشير إلى وجود كثير من العلماء العرب الذين يبذلون الجهود لخدمة اللغة العربية ونشرها، وأن الناس في هذه البلاد يقدسون تلك اللغة وكثير منهم يتحدثون بها ولاسيما الطبقة الحاكمة<sup>(٥١)</sup>.

### علم الحديث:

علم الحديث هو العلم الذي يختص بدراسة الحديث النبوي الشريف من حيث صحته أو وضعه أو وصفه بطرق مختلفة مع إعطاء شرح واف له، وكان لهذا العلم انتشار في البلدان الآسيوية التي وصل إليها الإسلام ومما ساعد على ظهوره وفود الصحابة والتابعين إلى هذه البلدان، وإقامتهم فيها وتقجيرهم بنبائع هذا العلم كما صنعوا من قبل في البلاد العربية<sup>(٥٢)</sup>.

إن وصول الصحابة والتابعين إلى بلدان شرق آسيا وجنوبها أشاع روحاً جديدة في علم الحديث هناك، فخلال هذه المرحلة تطور علم الحديث تطوراً كبيراً، فقد قامت بلاد السند مثلاً مراكز لتعليم الحديث أنجبت عدداً من المحدثين النبهين<sup>(٥٣)</sup>.

أصبحت العلاقات الثقافية مباشرة بين العرب وبلدان شرق آسيا وجنوبها وذلك لما أسست بغداد وأصبحت عاصمة للدولة العباسية في أواسط القرن الثاني الهجري/ السابع الميلادي، وقد افتتحت هذه الحقبة عهداً طويلاً من الاتصال الثقافي دام بضعة قرون، ولعله لم تكن ثمة فترة في تاريخ العرب وبلدان شرق آسيا وجنوبها في العصور القديمة أو الوسطى كانت فيها العلاقات أكبر ارتباطاً بين البلدين مما كانت هذه الفترة<sup>(٤٥)</sup>. وكان لتطور الجغرافية والفلك وعمل الاصططلاب وترجمة بعض الكتب الأثر الواضح في تطور الرصد البحري وبالتالي تطور العلاقات بين العرب المسلمين وبلدان عبر البحار<sup>(٤٦)</sup> ويمكننا أن نلمس طبيعة العلاقات الثقافية بين دول جنوب آسيا وجنوب شرقها والعالم العربي من خلال انتشار ورواج العلوم العربية والإسلامية سواء كانت دينية أم عقلية وأثر ذلك الانتشار على ثقافة هذه الشعوب والرواج على ثقافة هذه الشعوب، فلو نأتي إلى طبيعة العلوم العربية (الدينية والعقلية) المنتشرة في بلدان جنوب آسيا وشرقها نجد إن من بين هذه العلوم:

### اللغة العربية:

إن سر القوة في اللغة العربية يرجع إلى كونها لغة القرآن الكريم الذي هو دستور المسلمين فهذه القوة في التغلب والتأثير والانتشار هي في الحقيقة قوة إلهية وضعها الله في اللغة العربية المباركة<sup>(٤٧)</sup>.

وهناك عوامل أخرى تعود إلى خصائص اللغة العربية التي ما دخلت بيئة من البيئات إلا اجتذبت إليها اهتمام الناس وخاصة الموهوبين منهم فكانوا يقبلون على تعلمها فلا تكاد تلامس شغاف قلوبهم حتى يعلنوا إيمانهم بعظمة هذه اللغة المقدسة ويسجدوا أمام محرابها الأزلي<sup>(٤٨)</sup>.

إن اللغة العربية بحلاوتها ومرونتها، وكثرة أتساعها في شرح العلوم وتفسيرها وبجمالها المتمثل في إعرابها وتعبيرها وإعجازها وإيجازها ومترادفاتها وأمثالها وكثرة معانيها، قد اجتذبت إليها جماعة من العلماء الذين عكفوا على أسرارها ودراستها

### علم الفقه والمذاهب الإسلامية:

علم الفقه هو العلم الذي يقوم باستنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الأصلية المتمثلة بالكتاب (القرآن الكريم) والسنة النبوية، وقد ارتبط ظهور هذا العلم بظهور المذاهب الإسلامية<sup>(٥٤)</sup>.

كانت الوفود العربية تتوافد إلى بلدان شرق آسيا وجنوبها من بغداد، باعتبارها جزء من العالم الإسلامي، حاملة المذاهب الفقهية، وكانت بلدان جنوب آسيا وجنوب شرقها على صلة وثيقة ببلاد العرب عن طريق موانئها وتجارتها مع العرب، وقد حمل إليها التجار العرب إسلامهم ومذاهبهم الفقهية مثل المذهب المالكي والشافعي، فقد دخل مذهب مالك في هذه المنطقة على يد الشيخ أبي البركات البربري المالكي ونشر فيها الإسلام<sup>(٥٥)</sup>. أما المذهب الشافعي فقد دخل بفضل التجار العرب الذين كانوا يفدون إلى هذه البلدان ولأجل ذلك مازال المذهب الشافعي المذهب السائد في هذه البلاد.

وقد كان للفرق الإسلامية نصيباً من الحضور في بلاد الهند، فقد وصلت إلى بلاد الهند فرقاً هامة لعبت دوراً في المجالين السياسي والديني وكانت فرقة الخوارج أهم هذه الفرق حيث كانوا يفرون من البلاد العربية وغيرها يأتون إلى بلاد الهند ويتخذونها ملجأ لهم<sup>(٥٦)</sup>.

### الفلسفة والعقائد:

كانت الفلسفات البوذية والهندوسية في أبعادها ومنطلقاتها بعيدة عن المنهج العلمي وممتزجة امتزاجاً شعرياً بالدين فقد كانوا معتقدين بأن العالم مشتق من شيء واحد أزلي لا يقبل التغير وذهابهم في هذا التحليل إلى وراء الطبيعة من الخيال والوجدان لا العقل ولا العلم<sup>(٥٧)</sup> بينما كانت الفلسفة الإسلامية وتأثير القرآن الكريم قد اتجهت اتجاهها عقلياً، وكانت ترى أن العقل والمروءة يجب أن تكون من أهم صفات

الإنسان وبذلك بدأوا يطبقونها في تعاملهم اليومي مع المجتمع من خلال المرشد والقول وغيرهم من الصوفية<sup>(٥٨)</sup> كما كانوا في سلوكهم الفلسفي يذهبون إلى التفكير والتأمل في ظواهر الكون وتحليلها ثم إعطاء الرأي والاستنتاج دون تحجر عقلي ولذلك فقد كانوا واقعيين وجمعوا بين الشريعة الدينية وبين الفلسفة، وصولاً إلى المعرفة والفناء والبقاء بينما الفلسفة الهندوسية ترى ذوبان المطلق<sup>(٥٩)</sup>. وبذلك فقد وقفت الصوفية بين متطلبات الإنسان وأبعاده وبين المستوى الاجتماعي لتلك البلدان لنشر الإسلام بينهم ببساطة دون أن يتأثروا بجوهر الفلسفة الهندوسية أو البوذية<sup>(٦٠)</sup>.

## الهوامش:

- (١) الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ) تاريخ الأمم والملوك، تحقيق نواف الجراح، ط٢ دار صادر (بيروت - ٢٠٠٣م) ٩٤٨/٣؛ حمدان، جمال، العالم الإسلامي المعاصر، ط١ (بيروت - ٢٠٠٠م) ص٤٢.
- (٢) الحموي ياقوت بن عبد الله (ت - ٦٢٦هـ) معجم البلدان، ط١ (بغداد-لا.ت)، ٤٠٨/٥؛ حمدان، العالم الإسلامي، ص٩٢.
- (٣) حمدان ، العالم الإسلامي، ص ٩٢.
- (٤) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ) اليعقوبي، ط١ (النجف - ١٩٧٤) ٢٣٩/١ ؛ الحموي، معجم البلدان، ٥ / ٤١٠ - ٤١١
- (٥) رمضان، عبد العظيم محمد، القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية (مصر - ١٩٦٣م) ص٦٦.
- (٦) م. ن، ص٦٨.
- (٧) باغي، إسماعيل أحمد، محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية، مكتبة المعارف (مصر - ١٩٨٦) ص٧٧.
- (٨) باغي، محاضرات، ص٧٨.
- (٩) م. ن، ص٨٢.
- (١٠) م. ن، ص٨٣.
- (١١) أبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ) تاريخ ابن خلدون، تحقيق تركي فرحان (بيروت - ٢٠٠٦م) ٤ / ٣٢٦؛ باغي، محاضرات، ص ٨٥
- (١٢) رمضان، القاموس الإسلامي، ص٧٢.

## الخاتمة:

بدأ الإسلام بالانتشار في أوائل القرن السابع الميلادي، وأنطلق بدعوته النقية الصافية التي تتسجم والفترة البشرية، ولا غرابة في ذلك فالبشر خلق الله والإسلام منهج الله، وطبيعي إن يكون المنهج متنسفاً مع من وضع له، واعتمدت الدعوة الإسلامية على تثبيت العقيدة وأرجاء الأمر كله لله مع العمل وفق ذلك، وبما يتطلب من المخلوق إن يقوم به، كما اعتمدت المساواة بين بني البشر ، ومحاربة الظلم أينما وجد فأقبل الناس أفواجا يدخلون في دين الله.

كما وكان للتجار العرب وبحارتهم صلات قوية بحكم عملهم وعلاقاتهم بأهالي المدن الساحلية في جنوب آسيا وجنوب شرقها تمتد إلى فترات زمنية ساحقة، بل كانوا يذهبون إلى وراء ذلك في خليج البنغال وبلاد الملايو (ماليزيا، وأندونيسيا) فقد كانوا بذلك سادة البحار، وقد كونوا لهم هناك جاليات كثيرة في معظم المدن الساحلية، وكان ملوك وأهل تلك البلاد يحترمونهم ويقدرهم فضلهم الاقتصادي (التجاري) على البلاد، وكانوا لا يجدون في وجودهم خطراً يهدد كيانهم.

كما ركز المسلمون في البلدان التي دخلوها، حيث أقبل السكان على الإسلام أفواجاً لأنه دين الفترة، وفي مبادئه ما يحلمون به من مساواة وحرية وعدالة وأمن ولم يمض إلا وقت قصير حتى أعتقت الكثير هذا الدين العظيم.

هذه العوامل كلها ساهمت في نشر الإسلام في دول جنوب آسيا وجنوب شرقها وقد تبين من خلال البحث والنقصي إن للتجار والمهاجرين العرب الفضل الكبير في انتشار الإسلام في مناطق واسعة من العالم ولاسيما المناطق المذكورة في طيات هذا البحث، وقد كان وجود الإسلام في هذه المناطق أكثر ارتكازاً وثباتاً من غيرها، لأنه وصل إليها عن طريق السلم والتفاهم لا عن طريق السيف والقوة، وهم (أهالي البلاد الأصليين) بهذا أحبوا الناس الذي أوصلوا الإسلام إليهم.

ولهذا نجد أن الإسلام في هذه المناطق لا يزال موجوداً بل أزداد عدد المسلمين زيادة لم يسبق لغيره من الديانات السماوية إن توسع بهذا الشكل، في حين نجده قد ضعف بل يمكن القول انه تلاشى في مناطق أخرى مثل بلاد الأندلس (اسبانيا - البرتغال) حالياً رغم حكمهم من قبل العرب لقرون عديدة إلا إن وصول الإسلام إليهم عن طريق السيف والقوة لم يرسخ الإسلام في قلوبهم بشكل حقيقي.

نسأل الله التوفيق والعفو.



- (١٣) م. ن، ص ٧٣.
- (١٤) باغي، محاضرات، ص ٨٥.
- (١٥) رمضان، القاموس الإسلامي، ص ٧٦.
- (١٦) حمدان، العالم الإسلامي المعاصر، ص ٢١١.
- (١٧) م. ن، ص ٢١٢.
- (١٨) باغي، محاضرات، ص ٨٨.
- (١٩) باغي، محاضرات، ص ٩٠.
- (٢٠) الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) عيون الأخبار، تحقيق يوسف الطويل ط ٣ (بيروت ٢٠٠٣م) ٢ / ٢٧٤؛ الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، دار العلم للملايين (بيروت - ١٩٨٦م) ص ٣٢١.
- (٢١) رمضان، القاموس الإسلامي، ص ٢٢٤.
- (٢٢) م. ن، ص ٢٢٥.
- (٢٣) شكري، د. محمد فؤاد، سكان العالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة، ط ٢ (بيروت - ١٩٨١م) ص ١٢١.
- (٢٤) م. ن، ص ١٦٦.
- (٢٥) م. ن، ص ١٦٨.
- (٢٦) الساداتي، أحمد، تاريخ الدول الإسلامية في آسيا (القاهرة - ١٩٧٧)، ص ٣٢١.
- (٢٧) الساداتي، تاريخ الدول الإسلامية، ص ٣٢٢.
- (٢٨) شبلي، د. أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي (القاهرة - ١٩٧٧) ص ٨٣.
- (٢٩) الدينوري، عيون الأخبار، ٢ / ٢٧٧؛ شبلي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص ٨٦.

- (٣٠) شاكر، محمود، البلدان الإسلامية والأقليات المعاصرة (الرياض - ١٩٨٠)، ص ١١١.
- (٣١) شاكر، البلدان الإسلامية، ص ١١٢.
- (٣٢) م. ن، ص ١١٥.
- (٣٣) أرنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط ٣ (القاهرة - ١٩٧٠م) ص ٢٣١.
- (٣٤) أرنولد، والدعوة إلى الإسلام، ص ٢٣٢.
- (٣٥) م. ن، ص ٢٣٦.
- (٣٦) شاكر، البلدان الإسلامية، ص ١٢٦.
- (٣٧) شبلي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص ١٠٠.
- (٣٨) شكري، سكان العالم الإسلامي، ص ١٤٩.
- (٣٩) م. ن، ص ١٥٢.
- (٤٠) م. ن، ص ١٥٢ - ١٥٣.
- (٤١) م. ن، ص ١٥٦.
- (٤٢) المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت: ٣٨٧هـ) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نشره ديغويه، ط ١ (لندن - ١٩٠٦م) ص ١٠١.
- (٤٣) معروف، ناجي، أصالة الحضارة العربية، ط ٣، مطبعة دار الثقافة (بيروت - ١٩٧٥) ص ٤١٢.
- (٤٤) الطرازي، عبد الله مبشر، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلدان شرق آسيا، ط ١، عالم المعرفة (جدة - ١٩٨٣) ص ٧٤.
- (٤٥) م. ن، ص ٧٥.

- (٤٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٩٩ ؛ خسرو، أبو معين ناصر (ت: ٤٣٨هـ) سفرنامه، نقله يحيى الخشاب ط١ (بيروت - ١٩٧٠م) ص ١٥١
- (٤٧) الطرازي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص ٨٢.
- (٤٨) ألعبادي، عبد الحميد وآخرون، الدولة الإسلامية وتأريخها وحضارتها، دار النهضة المصرية (القاهرة - ١٩٧٥) ص ١١٦.
- (٤٩) الطرازي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص ٨٣.
- (٥٠) م. ن ، ص ٨٤.
- (٥١) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة - ١٩٨٥) ٢٤٦/١.
- (٥٢) معروف، أصالة الحضارة العربية، ص ٤٢١.
- (٥٣) ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد بن أبي الكرم، (ت: ٦٣٠ هـ) الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية (بيروت - ٢٠٠٤م) ١٢٣/٣.
- (٥٤) الطرازي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ص ٨٩.
- (٥٥) م. ن، ص ٩٢.
- (٥٦) أحمد، مقبول، العلاقات العربية الهندية، ترجمة: نقولا زيادة، ط ٢ (بيروت - ١٩٧٤) ص ١٨٦.
- (٥٧) م. ن، ص ١٨٨.
- (٥٨) أحمد، العلاقات العربية الهندية، ص ١٨٨.
- (٥٩) م. ن، ص ١٨٨ - ١٨٩.
- (٦٠) معروف، أصالة الحضارة العربية، ص ١٥٢.

## قائمة المصادر والمراجع:

- ١- ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ) الكامل في التاريخ ، ط١ (بيروت - ٢٠٠٤ م).
- ٢- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ) تاريخ ابن خلدون، تحقيق تركي فرحان (بيروت - ٢٠٠٦م)
- ٣- خسرو، أبو معين ناصر (ت: ٤٣٨هـ) سفرنامه، نقله يحيى الخشاب ط١ (بيروت - ١٩٧٠م)
- ٤- الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت - ٦٢٦هـ) معجم البلدان، ط١ (بغداد - لا.ت)
- ٥- الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) عيون الأخبار، تحقيق يوسف الطويل ط٣ (بيروت ٢٠٠٣م)
- ٦- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ) تاريخ الأمم والملوك، تحقيق نواف الجراح، ط ٢ (بيروت - ٢٠٠٣م)
- ٧- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة - ١٩٨٥)
- ٨- المقدسي، شمس الدين محمد بن احمد (ت: ٣٨٧هـ) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نشره ديغويه، ط١ (لندن - ١٩٠٦م)
- ٩- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ) تاريخ اليعقوبي، ط ١ (النجف - ١٩٧٤م)

## قائمة المراجع:

## ”النصوص المسمارية ومصادقيتها“

م.م. عبد الله علي محمد التميم

جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم التاريخ

### ملخص البحث

تمثل النصوص المسمارية أروع ما تركه العراقيون القدماء (عن غير قصد) من ظواهر حضارية نقلت إلينا معلومات كثيرة، ومتنوعة عن أسلوب الحياة آنذاك بمختلف مجالاتها. إذ استطاع الباحثون من خلالها التعرف على النظم القانونية، والأعراف، والتقاليد السائدة آنذاك، وعلاقة الناس بالسلطة الحاكمة، وكيفية تعامل القوم فيما بينهم اجتماعياً، واقتصادياً وعلى مختلف المستويات إلى جانب ما تركه القوم من آثار صماء تمثلت في الآلات، والأدوات التي استخدمها الإنسان في مختلف مجالات حياته. وكذلك النقوش والمنحوتات، والمسلات التي أفادت كثيراً في فهم مجالات الحياة المتنوعة إلا إن المآخذ التي تؤخذ على النصوص المكتوبة، والآثار الصماء على حد سواء، أنها قد تكون غير دقيقة أو غير صادقة في كل ما دُوِّن بالنسبة للنصوص، ونُقش أو صُوِّر بالنسبة للمنحوتات. وفي هذا البحث محاولة لتسليط الضوء على مدى مصداقية مضامين النصوص المسمارية، ومعرفة حجم دقة ما ورد فيها من معلومات، ودعوة للباحثين العراقيين من أجل إعادة النظر في فحوى تلك النصوص بما يتلاءم ونظرتنا كمسلمين عراقيين، وضرورة إتباع الأسلوب الذي يضمن لنا تأسيس مدرسة عراقية متخصصة بالآثار والدراسات المسمارية من منطلق أننا أحق بدراسة تاريخنا ووضع الحقائق في نصابها وتقدير كل معلومة غير دقيقة وضعها الباحثون الغربيون الذين دفعتهم دوافع دينية وعرقية لإثبات ما ورد ذكره في كتاب العهد القديم.

نسأل الله أن يكون هذا الجهد خطوة في طريق إنشاء مدرسة عراقية متخصصة في

الآثار والدراسات المسمارية.

- ١٠- أحمد، مقبول، العلاقات العربية الهندية، ترجمة نقولا زيادة، الدار المتحدة للنشر (بيروت - ١٩٧٤م).
- ١١- رنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط١ (القاهرة - ١٩٧٠ م).
- ١٢- الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، دار العلم للملايين (بيروت - ١٩٨٦ م).
- ١٣- باغي، إسماعيل أحمد، محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية، مكتبة المعارف (مصر - ١٩٨٦ م).
- ١٤- حمدان، د. جمال، العالم الإسلامي المعاصر، دار الكتب العلمية (بيروت - ٢٠٠٠ م).
- ١٥- رمضان، عبد العظيم محمد، القاموس الإسلامي المعاصر، مكتبة النهضة المصرية (مصر - ١٩٦٣ م).
- ١٦- الساداتي، أحمد، تاريخ الدول الإسلامية في آسيا (القاهرة - ١٩٧٧ م).
- ١٧- شاكر، محمود، البلدان الإسلامية والأقليات الإسلامية المعاصرة (الرياض - ١٩٨٠ م).
- ١٨- شكري، د. محمد فؤاد، سكان العالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة (بيروت - ١٩٨١ م).
- ١٩- شبلي، د. أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي (القاهرة - ١٩٧٧ م).
- ٢٠- الطرازي، عبد الله مبشر، موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية لبلدان شرق آسيا (جدة - ١٩٨٣ م).
- ٢١- العبادي، عبد الحميد وآخرون، الدولة الإسلامية وتاريخها وحضارتها (القاهرة - ١٩٧٥ م).
- ٢٢- معروف، ناجي، أصالة الحضارة العربية، ط٣، مطبعة دار الثقافة (بيروت - ١٩٧٥ م).

## ماهية مضامين النصوص المسمارية:

قبل بدء الحديث عن مصداقية مضامين النصوص المسمارية لابد من التعرف على طبيعة تلك النصوص وماهية مضامينها.

أن أقدم النصوص المسمارية مفهومة اللغة أشارت إلى إن الدوافع الأساسية لابتكار الكتابة كانت اقتصادية بحتة لتدوين واردات المعابد<sup>(١)</sup>. وهو شيء واضح إذ ضمت تلك النصوص علامات صورية تشير إلى مواد مختلفة وإلى جانب كل علامة من تلك العلامات إشارات بسيطة على شكل دوائر أو خطوط تعبر عن الأرقام<sup>(٢)</sup>. وبعد أن تطور استخدام الكتابة وزادت الحاجة إلى إيصال الأفكار إلى الغير، وتدوين التراتيل الدينية، والأدعية والصلوات، ومنذ بداية الألف الثاني ق.م أصبحت الكتابة وسيلة لتدوين مختلف المعارف فزاد بذلك عدد النصوص المسمارية وتعددت مضامينها وتنوعت. إذ تناولت مختلف نواحي الحياة فاشتملت على القانون، والسياسة، والإدارة، والدين، والعلوم، والآداب، والتراثيل الدينية، والحياة الاجتماعية وغيرها<sup>(٣)</sup>.

ويمكننا تقسيم النصوص المسمارية (آخذين بنظر الاعتبار موضوع بحثنا في مضامين النصوص المسمارية ومصادقيتها) إلى قسمين أو نوعين هما:.

- النوع الأول:.. وهي تلك النصوص المتعلقة بالسلطة الحاكمة سواء كانت دينية ممثلة بـ(الكهنة، والمعابد) أو دنيوية ممثلة بـ(الملوك، والحكام، والمتنفذون).
- النوع الثاني:.. وهي تلك النصوص المتعلقة بالحياة العامة للناس العاديين، والنصوص ذات المضامين العلمية، والتاريخية، والجغرافية.

لقد جرى اختيار هذا التقسيم من أجل نقد مضامين نصوص النوعين كل على حدة مع مراعاة ما يمكن أن يعتري النوع الأول من تزوير متعمد للحقائق لغايات إعلامية تتفق ومصالح السلطة الحاكمة. واعتبار النصوص من النوع الثاني أكثر احتمالاً للمصداقية نظراً لأنها تحتوي على مواضيع علمية بحتة، أو تاريخية، أو

## مُتَكَلِّمًا

تمثل النصوص المسمارية أروع ما تركه العراقيون القدماء (عن غير قصد) من مظاهر حضارية زودتنا بمعلومات كثيرة، ومتنوعة عن أسلوب الحياة آنذاك بمختلف مجالاتها. إذ استطاع الباحثون من خلالها التعرف على النظم القانونية، والأعراف، والتقاليد السائدة آنذاك، وعلاقة الناس بالسلطة الحاكمة، وكيفية تعامل القوم فيما بينهم اجتماعياً، واقتصادياً وعلى مختلف المستويات إلى جانب ما تركه القوم من آثار صماء تمثلت في الآلات، والأدوات التي استخدمها الإنسان في مختلف مجالات حياته. وكذلك النقوش والمنحوتات، والمسلات التي أفادت كثيراً في فهم مجالات الحياة المتنوعة إلا إن المآخذ التي تؤخذ على النصوص المكتوبة، والآثار الصماء على حد سواء، أنها قد تكون غير دقيقة أو غير صادقة في كل ما دُوِّنَ بالنسبة للنصوص، ونُقشَ أو صُوِّرَ بالنسبة للمنحوتات. وفي هذا البحث محاولة لتسليط الضوء على مدى مصداقية مضامين النصوص المسمارية، ومعرفة حجم دقة ما ورد فيها من معلومات، ودعوة للباحثين العراقيين من أجل إعادة النظر في فحوى تلك النصوص بما يتلاءم ونظرتنا كمسلمين عراقيين، وضرورة إتباع الأسلوب الذي يضمن لنا تأسيس مدرسة عراقية متخصصة بالآثار والدراسات المسمارية من منطلق أننا أحق بدراسة تاريخنا ووضع الحقائق في نصابها وتفنيد كل معلومة غير دقيقة وضعها الباحثون الغربيون الذين دفعتهم دوافع دينية وعرقية لإثبات ما ورد ذكره في كتاب العهد القديم.

نسأل الله أن يكون هذا الجهد خطوة في الطريق لإنشاء المدرسة العراقية المتخصصة في الآثار والدراسات المسمارية.

لارسا<sup>(٨)</sup>. في بلاد بابل ووضع بدلاً عنه نص مزور عن الحادثة ادعى فيه الانتصار<sup>(٩)</sup>. إلا إن هذه الحادثة لاتعني عدم مصداقية جميع النصوص الملكية أو أية أية نصوص أخرى صادرة من قبل السلطة الحاكمة، والطبقة المتفدّة؛ فهناك الكثير من النصوص الملكية تتحدث عن فتوحات كثيرة للملوك الآشوريين في المناطق الشرقية والشمالية الشرقية المجاورة لبلاد آشور، وكذلك في المناطق الجنوبية أي بلاد بابل، ومناطق من الخليج العربي، بالإضافة إلى مصر؛ ويظهر ما يؤيد ذلك في المسلات والمنحوتات التي تُصوّر الجيوش في المناطق الجبلية، كما تظهر في تلك المنحوتات أشجار النخيل والأرز؛ ولو لم يكن الآشوريون قد وصلوا فعلاً إلى تلك المناطق لما كانوا تعرفوا على أشجار النخيل التي توجد في جنوب بلاد وادي الرافدين، والخليج العربي؛ أو أشجار الأرز التي تكثر في مناطق لبنان وبلاد الشام<sup>(١٠)</sup> وكذلك فإن وجود الأختام المصرية في بلاد وادي الرافدين<sup>(١١)</sup>. دليل على أن الآشوريين وصلوا إلى تلك البلاد؛ وإلا كيف يمكن أن نفسر وجود تلك الأختام والطريقة التي وصلت بها، وهذه الأدلة مستندة إلى الآثار الصماء؛ وهي كما نعرف دليلاً أكثر صدقاً نسبياً من النصوص المكتوبة؛ وكذلك الألقاب التي تلقب بها بعض ملوك العراق القديم كـ(ملك ملوك مصر باترسي وكوش) الذي نسبه الملك الآشوري آشور-أخي-ادن (اسر حدون ٦٨٠-٦٦٩ ق.م) إلى نفسه وهو لقب يشير بصراحة إلى سيطرة هذا الملك على بلاد وادي النيل<sup>(١٢)</sup>. كما تذكر النصوص المسمارية (الرسائل الملكية) إن الملك الآشوري آشور-بان-ابلو (آشور بانيبال ٦٦٨-٦٢٦ ق.م) قد أوعز إلى حكامه في الولايات بضرورة جمع النصوص المسمارية القديمة وجلبها إلى نينوى<sup>(١٣)</sup> لغرض إنشاء مكتبة ملكية؛ وقد أثبتت صحة ذلك التنقيبات الأثرية؛ إذ تم العثور فعلاً على تلك المكتبة التي احتوت على أكثر من (٢٥) ألف رقيم طيني<sup>(١٤)</sup>؛ وهو دليل واضح وأكد على مصداقية ما ورد في تلك الرسائل بين الملك الآشوري وولاته في الأقاليم التابعة لحكمه. وأما النصوص الدينية فإن فيها الكثير من الأخبار والروايات التي تتحدث عن أصل الخليفة، وقصة الطوفان وغيرها<sup>(١٥)</sup>. وقد ورد ذكر مثل تلك القصص في كتاب التوراة (العهد القديم)؛ وفيما يتعلق بمصداقية مضامينها فالأفضل

اجتماعية، أو اقتصادية وهي في جميع الأحوال لا تتعارض ومصالح السلطة الحاكمة، لذا فإن إمكانية وجود التزوير المتعمد فيها تكون قليلة جداً. لكن هذا لا يعني أن نصوص النوع الأول تفتقر إلى الدقة والمصداقية في كل ما تحويه من موضوعات كما انه لا يعني بالضرورة أن تكون نصوص النوع الثاني ذات دقة مطلقة. وسنأخذ النوعين بالتحليل والنقد كلّ على انفراد لنبين قدر الإمكان مدى الدقة في مضامينهما.

• النوع الأول (النصوص المتعلقة بالسلطة الحاكمة):

وهي تلك النصوص التي تشتمل على مجموعة القوانين، والمراسيم الملكية، والإصلاحات، والمعاهدات، والرسائل الملكية، إضافة لما يتعلق بالكهنة، والمعتقدات الدينية؛ قصّة الخليقة، والتراتيل الدينية وغيرها. وهذه نصوص يجب على الباحث التأنّي في دراستها، وعدم التسرع في تصديق جميع المعلومات الواردة فيها، وأخذها على إنها صحيحة ودقيقة في جميع الأحوال؛ فالنصوص الملكية مثلاً نجد فيها كثيراً من المبالغة في إظهار قوة وعظمة الملوك، والانتصارات التي حققوها على الأعداء؛ وهي من جانب آخر تغفل أو تتجنب ذكر الحقائق المتعلقة بالخسارة في المعارك؛ ذلك لأن الغاية منها كانت إعلامية؛ لبث الرعب في نفوس الأعداء، وشحذ الهمم في نفوس أبناء الشعب<sup>(٤)</sup>. ومن الأمثلة التي تبين التلاعب أو التزوير المتعمد في النصوص الملكية ما ورد ذكره في أخبار حروب الملك الآشوري شرو-كين (سرجون الثاني) ٧٢١-٧٠٥ ق.م؛ ضد الثائر البابلي (مردوخ-إيلا-أدينا)<sup>(٥)</sup> الذي التجأ إلى بلاد عيلام<sup>(٦)</sup> فصمم شرو-كين على غزوها في العام ٧٢١ ق.م، وجرت معركة بين الطرفين عند الحدود العيلامية العراقية ولم تكن نتيجة المعركة لصالح الآشوريين؛ رغم ادعاء المصادر الآشورية خلاف ذلك. أما الرواية البابلية لنفس الحادثة فكانت مناقضة تماماً لما ورد في المصادر الآشورية عن تلك المعركة؛ وأن تناقض الرواية البابلية الواردة في نص يعود إلى (مردوخ - إيلا-أدينا) مع الادعاء الآشوري يوضح السبب؛ فقد وُجد النص البابلي في مدينة النمرود الآشورية<sup>(٧)</sup>. وسبب وجوده هناك هو إن الملك الآشوري شرو-كين (سرجون الثاني) كان قد أمر بنقل النص من مدينة

صرف (كالنصوص الفلكية والرياضية والكيميائية)؛ وهي بالتالي لا تؤثر بأي شكل من الأشكال على مصالح السلطة الحاكمة؛ ولهذا السبب نرجح أنها اقل عرضة للتحريف، والتزوير المتعمد، والإعلام، والادعاءات غير الصحيحة ومن ذلك مثلاً النصوص الرياضية التي عثر عليها في تل حرم (٢٠)؛ والمتعلقة بقياس مساحة المثلث متساوي الساقين قائم الزاوية؛ والتي عرفت فيما بعد بـ (نظرية فيثاغورس) (٢١)؛ وهي مسألة تم إثباتها بالطرق العلمية ولمجال للشك فيها (٢٢). ومن الأمثلة الأخرى على مصداقية مضامين نصوص النوع الثاني ومنها تحديداً النصوص التاريخية؛ فقد اعتاد العراقيون القدماء وتحديد الآشوريين؛ عندما أرخوا السنين إستادا إلى طريقة (اللمو) (٢٣) أن يذكروا أحياناً أهم حدث وقع في كل سنة من السنين، وقد ذكر في تسمية السنة الثالثة من حكم الملك الآشوري (آشور دان الثالث) (٢٤) حادثة كسوف الشمس؛ وقد عكف علماء الفلك في العصر الحديث على دراسة تلك الحادثة لمعرفة وقت حدوث تلك الظاهرة بصورة دقيقة؛ وتمكنوا فعلاً من تحديد ذلك باليوم الخامس عشر من شهر حزيران عام ٧٦٣ ق.م؛ وقد أفادت تلك الحادثة في معرفة مدة حكم كل ملك من الملوك؛ وتحديد ذلك بنقطة ثابتة بالنسبة لتاريخنا الميلادي وهي العام ٧٦٣ ق.م؛ وذلك بالاستعانة بجداول الملوك (٢٥)، وقوائم (اللمو) وذلك بإضافة أو طرح سنوات حكم كل ملك؛ وإستادا إلى تلك النقطة الثابتة التي أمكن تحديدها عن طريق ما أثبتته العلم الحديث عن صحة ما ورد في النص المسماري حول حادثة الكسوف (٢٦). ومن خلال ما تقدم يتبين لنا إن النصوص المسمارية ذكرت معلومات دقيقة نسبياً فيما يتعلق بالنواحي التي لا تتعارض ومصالح السلطة الحاكمة. وهذا الشيء غير مطلق ولا ينطبق على جميع النصوص من هذا القبيل. أما القسم الآخر من النصوص فكانت تميل إلى عدم الدقة، والتعمد في البعد عن ذكر الحقائق؛ وذلك لأسباب معينة منها غايات إعلامية كما أسلفنا أو إن تلك الحقائق تتعارض مع مصالح النظام السياسي القائم آنذاك. ويبقى هنا مهماً دور الباحث في نقد تلك النصوص، ومقارنة محتواها بالآثار الصماء الموجودة كالمحوتات، والنقوش والمسلات، والآلات والأدوات التي صنعها الإنسان حيث تعتبر تلك الآثار أقرب إلى

دراستها من وجهة نظر خاصة ولدينا الدليل القاطع الذي ليس فيه أدنى مجال للشك؛ وهو الرجوع إلى ما ورد في القرآن الكريم عنها، والأخذ بما اتفق معه منها وترك ما سوى ذلك من الشرك وتعدد الآلهة وبعض التفاصيل غير الدقيقة (٢٧) ونأخذ مثلاً على ذلك؛ إذ نجد إن قصة الخليفة التي تبدأ بـ (حينما في العلا لم يُنبأ عن السماء " لم تُسم باسم" وفي الدنيا "الأسفل" لم تذكر الأرض باسم...) (٢٨) ويذكر القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ ذُنُورُهُ﴾ (٢٩) ومن خلال عقد مقارنة بين النموذجين نستطيع إن نقول إن النص المسماري صادق فيما يخص الفكرة الأساسية في الموضوع؛ وهي إن كل شيء كان في علم الغيب؛ بينما لم يكن النص دقيقاً فيما تعارض منه مع الحقائق التي جاء بها القرآن الكريم؛ حيث تذهب مثل هذه القصة إلى تفاصيل كثيرة وتذكر أسماء آلهة لا وجود لها؛ إذ نجد أن من ابرز سمات المعتقدات الدينية في العراق القديم هي الشرك، وتعدد الآلهة؛ فقد كانت مكانة ومركز أي اله منها تتغير تبعاً للتغيرات السياسية في هذه المنطقة أو تلك؛ فيرتفع مثلاً مركز الآلهة آشور في فترة السيطرة الآشورية؛ وبالعكس في فترة سيطرة البابليين على زمام الأمور السياسية حيث يقل شأن الآلهة آشور، ويرتفع مركز الآلهة مردوخ اله البابليين القومي (٣٠). ونقول هنا إن كل ما يتم إثباته بدليل قرآني، وعلمي قاطع من مضامين النصوص المسمارية فهو صحيح؛ وإن كل ما يتعارض منها مع ما ورد في القرآن الكريم، والعلم الحديث فهو غير دقيق، ويجب إعادة النظر فيه؛ وفق منهج الباحث المسلم العربي العراقي.

#### • النوع الثاني (النصوص المتعلقة بالحياة العامة، والنصوص العلمية، والتاريخية، والجغرافية)

وهي تلك النصوص ذات المضامين التاريخية، والجغرافية، والعلمية؛ وهذه النصوص تكون احتمالية مصداقيتها أكثر من نصوص النوع الأول؛ فهي تمثل مرآة عاكسة تبين الكثير من جوانب الحياة العامة بعيداً عن سيطرة السلطة الحاكمة والطبقة المتنفذة ولو بشكل جزئي؛ وتتناسب دقتها مع دقة الكاتب الذي دونها وبالأخص (النصوص ذات المضامين الجغرافية)؛ كما إن قسماً من تلك النصوص يكون علمي

### الاستنتاجات:

من خلال البحث في دقة مضامين النصوص المسمارية تبين التالي:.

- ١- لا يمكن إعطاء رأي حاسم أو جازم بان النصوص المسمارية المتعلقة بالسلطة الحاكمة هي غير دقيقة بشكل مطلق؛ كما انه لا يمكن الجزم بان النصوص المتعلقة بالحياة العامة والنواحي العلمية البحتة هي دقيقة في مضامينها بشكل مطلق، بل ان دقتها تتلاءم ودقة الكاتب الذي دونها.
- ٢- إن البقايا الأثرية التي يستخدمها الباحثون كدليل لإثبات ما تحويه النصوص المسمارية يمكن استخدامها كدليل يؤيد أو يفند تلك المضامين أي إنها لا تختلف عن النصوص المسمارية في عدم وجود شيء مطلق يؤيد مصداقية ما ورد فيها أو ينقضه.
- ٣- إن النصوص التي تتعلق بالحياة العامة، والنواحي العلمية، والتاريخية، والجغرافية تكون أقل عرضة للتزوير المتعمد منها في النصوص المتعلقة بالسلطة الحاكمة، وذلك لان مضامينها لا تتعارض مع مصالح النظام الحاكم آنذاك؛ وهو استنتاج طبيعي اذا ما قورن مع الأنظمة السياسية القائمة في الوقت الحاضر.
- ٤- يجب إعادة النظر في محتوى النصوص المسمارية ابتداءً من ابسط الأمور، والعودة إلى أسماء الأعلام كأسماء المدن والملوك ومحاولة قراءتها وطرحها للقراء بصيغها الأصلية كما وردت في النصوص المسمارية وليس كما وردت في التوراة(العهد القديم) أو كما قرأها الباحثون الغربيون الذين أرادوا وبأي شكل من الأشكال أن يثبتوا صحة جميع ما ورد ذكره في العهد القديم من أخبار وروايات تتفق مع مصالحهم السياسية، والدينية، والعرقية.
- ٥- إن الإنسان العراقي المعاصر هو حفيد الإنسان العراقي القديم، وعاش في ذات الظروف البيئية والتغيرات السياسية؛ لذا فهو أجدر من غيره في تحليل ما ورد في النصوص المسمارية من معلومات، وهو قادر على تمحيص وتدقيق جميع المعلومات التي تضمنتها النصوص المسمارية ووضع الأمور في نصابها الصحيح.

الهوامش:

الحقيقة في توضيح ما كان يدور في المجتمعات القديمة آنذاك؛ وهو شيء نسبي كذلك لان المشاهد المنحوتة قد توهم الباحث، وتدفعه إلى استنتاجات غير صحيحة؛ كما حدث للباحثين الغربيين عندما وصفوا الملوك الآشوريين بالقسوة والتلذذ في تعذيب الأعداء، وغير ذلك من الصفات البغيضة التي لا تعبر عن حقيقة الآشوريين كما أثبتتها الدراسات العلمية الانثروبولوجية؛ وذلك باعتمادهم على ظاهر ما عكسته وسائلهم الإعلامية ولا سيما المشاهد المنحوتة<sup>(٢٧)</sup>. نخلص مما تقدم إن عدداً من النصوص المسمارية قد لا تكون ذات مضامين دقيقة وتتناسب مصداقيتها مع دقة الكاتب الذي دونها. وبهذا يكون لزماً على الباحث ان يدقق النظر في فحواها وان يحصها ويأخذ بالحسبان أهمية الاطلاع على النصوص المقابلة لها والتي دونت من وجهات نظر مغايرة لها؛ ومن الضروري إعادة النظر في دراسة مضامين النصوص المدروسة والعمل على نشر الأدلة العلمية التي تنفي ما ورد في تلك النصوص من معلومات قد تتعارض مع ما ورد في القران الكريم، وما أثبتته العلم الحديث، ويجب أن تكون تلك الدراسات من وجهة نظر باحث مسلم عربي عراقي يعتز كل الاعتزاز بدينه، وقوميته، وانتمائه الوطني.

- (١) توبياز، دانزح، العدد لغة العلم، ترجمة احمد ابو العباس، مصر، ١٩٥٤، ص ٢٣.
- (2) Nissen, H.J., Damerow, P., Englund, R.k., Archaic Bookkeeping, Translated by paul Larsen, Chicago, 1993, P21ff.
- (٣) سليمان، عامر، الكتابة المسمارية، الموصل، ٢٠٠٠، ص ١١٣. وكذلك سليمان، عامر، اللغة الاكديّة البابليّة الاشورية تاريخها و تدوينها وقواعدها، الموصل، ١٩٩١، ص ١٧٧-١٧٨.
- (٤) سليمان، عامر، الكتابة المسمارية والحرف العربي، الموصل، ١٩٨٢، ص ٤٣ وما بعدها.
- (٥) (مردوخ-إيلا-إدينا): هو زعيم قبيلة بيت ياكيني إحدى القبائل الارامية التي نزحت الى القسم الجنوبي من بلاد بابل والتي حصلت على دعم من بلاد عيلام العدو التقليدي لبلاد اشور وبدأت بالتمرد على السيادة الاشورية للمنطقة. للمزيد. ينظر: المصدر نفسه. ص ٥٥.
- (٦) (بلاد عيلام): ويطلق عليها اليوم اسم خوزستان وتقع جنوب غرب ايران على الحدود مع العراق وعاصمتها سوسة وقد لعبت دوراً كبيراً في العلاقات السياسية مع بلاد وادي الرافدين.
- ينظر: دانيال، كلين، موسوعة علم الآثار، ج ٢، ترجمة ليون يوسف، بغداد ١٩٩١، ص ٤١٠.
- (٧) (النمرود): تقع بقاياها حالياً على مساحة ٣٥ كم جنوب شق الموصل واسمها رالقديم (كلخو) واطلق على بقاياها اسم نمرود الذي ربما كان تصحيحاً للفظ ننورتا اله الحرب الاشوري.
- ينظر: سليمان، عامر، والفتيان، احمد مالك، محاضرات في التاريخ القديم، الموصل، ١٩٧٨، ص ١٩٣.
- (٨) (لارسا): وهي من المدن المهمة في جنوب وادي الرافدين؛ كانت مركزاً لسلالة امورية خلال الربع الاول من الالف الثاني ق.م.

- ينظر: دانيال، كلين، المصدر السابق، ص ٤٩١.
- (٩) باقر، طه، وحيد، عبدالعزيز، طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار، ط ١، الموصل، ١٩٨٠، ص ١٠٣.
- (١٠) تمثل المنحوتات مصدراً مهماً من مصادر معلوماتنا عن تاريخ العراق القديم وعلى كافة الاصعدة. ينظر جزء من تلك المنحوتات على سبيل المثال وليس الحصر في: ساكر، هاري، عظمة بابل، ط ٢، لندن، ١٩٦٦، ترجمة عامر سليمان، بغداد، ١٩٧٩، ص ٣٧٢ وما بعدها.
- (١١) ينظر على سبيل المثال نموذج ٢٦ ج في: المصدر نفسه، ص ٢٤٧.
- (١٢) سليمان، عامر، الكتابة المسمارية والحرف العربي، المصدر السابق، ص ٤٥.
- (١٣) (نينوى): وهي اشهر المدن الاشورية قاطبة وثالث العواصم الاشورية من حيث التسلسل الزمني وتقع على الجانب الشرقي من نهر دجلة وتتكون اطلالها من ثل النبي يونس وثل قوينجق.
- للمزيد. ينظر: سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم، ج ٢، الموصل، ١٩٩٣، ص ٣٧١-٣٧٢.
- (١٤) لوكاس، كرستوفر، حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم، ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة، بغداد، ١٩٨٠، ص ٧٤-٧٥.
- (١٥) للمزيد حول تلك القصص والاساطير. ينظر: باقر، طه، مقدمة في ادب العراق القديم، بغداد، ١٩٧٦، ص ٧٤ وما بعدها.
- (١٦) حول تفصيل ذلك ينظر: سليمان، عامر، "من القرآن الكريم الى النصوص المسمارية قصة الطوفان"، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٤٥، ج ١، بغداد، ١٩٩٨، ص ٣٦-٦٠.
- (١٧) باقر، طه، المصدر السابق، بغداد، ١٩٧٦، ص ٧٤.
- (١٨) سورة البقرة: الايتان: ٣١، ٣٢.



(١٩) ينظر: سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم، المصدر السابق، ص ١١٥ وما بعدها.

(٢٠) (تل حرمل): هو موقع في ضواحي بغداد تمثل بقاياها احد المدن التي نشأت في بداية العصر البابلي القديم اجريت في الموقع تنقيبات قامت بها دائرة الآثار والتراث العراقية بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٩ وعثرت على الكثير من النصوص المسمارية.

ينظر: دانيال، كلين المصدر السابق، ص ٢٠٧.

(٢١) الطيار، هاشم احمد، وسعيد، يحيى عبد، موجز تاريخ الرياضيات، بغداد، ١٩٧٧، ص ٧٤.

(٢٢) سليمان، عامر، المصدر السابق، ص ٣٠٢.

(٢٣) (اللمو): هي وظيفة دورية يتناوب عليها كبار موظفي الدولة من قادة وحكام مقاطعات وكبار موظفي القصر حسب تسلسلهم الوظيفي؛ وتعنى هذه الوظيفة بالاحتفالات الدينية الرسمية في مدينة اشور.

ينظر: سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم، ج ١، الموصل، ١٩٩٢، ص ٦٠.

(٢٤) (أشور دان الثالث): هو احد ملوك بلاد اشور في العصر الاشوري الحديث حكم للمدة ٧٧١-٧٥٣ ق.م.

ينظر: المصدر نفسه، ص ٦١.

(٢٥) (جداول الملوك): هي عبارة عن قوائم باسماء الملوك والسلالات الذين تعاقبوا على الحكم في منطقة معينة مع مدد حكم كل ملك او سلالة اخرى عاصرتها في الزمان وخالفها في المكان.

ينظر: المصدر نفسه، ص ٤٣.

(٢٦) سليمان، عامر، المصدر نفسه، ص ٨٠-٨١.

(٢٧) سليمان عامر، "مصادر معلوماتنا عن تاريخ العراق القديم وتقويمها"، مجلة اداب الرافدين، ع ٣٧، ٢٠٠٣ ص ١-١٦.

### المصادر والمراجع:

١- باقر، طه، مقدمة في ادب العراق القديم، بغداد، ١٩٧٦.

٢- باقر، طه، وحديد، عبدالعزيز، طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار، ط ١، الموصل، ١٩٨٠.

٣- تويياز، دانزح، العدد لغة العلم، ترجمة احمد ابو العباس، مصر، ١٩٥٤.

٤- دانيال، كلين، موسوعة علم الآثار، ج ٢، ترجمة ليون يوسف، بغداد، ١٩٩١.

٥- ساكز، هاري، عظمة بابل، ط ٢، لندن، ١٩٦٦، ترجمة عامر سليمان، بغداد، ١٩٧٩.

٦- سليمان، عامر، والفتيان، احمد مالك، محاضرات في التاريخ القديم، الموصل، ١٩٧٨.

٧- سليمان، عامر، الكتابة المسمارية والحرف العربي، الموصل، ١٩٨٢.

٨- سليمان، عامر، اللغة الاكدية البابلية الاشورية تاريخها و تدوينها وقواعدها، الموصل، ١٩٩١.

٩- سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم، ج ١، الموصل، ١٩٩٢.

١٠- سليمان، عامر، العراق في التاريخ القديم، ج ٢، الموصل، ١٩٩٣.

١١- سليمان، عامر، "من القرآن الكريم الى النصوص المسمارية قصة الطوفان"، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٤٥، ج ١، بغداد، ١٩٩٨.

١٢- سليمان، عامر، الكتابة المسمارية، الموصل، ٢٠٠٠.

١٣- سليمان، عامر، "مصادر معلوماتنا عن تاريخ العراق القديم وتقويمها"، مجلة اداب الرافدين، ع ٣٧، ٢٠٠٣.

١٤- الطيار، هاشم احمد، وسعيد، يحيى عبد، موجز تاريخ الرياضيات، بغداد، ١٩٧٧.

١٥- لو كاس، كرستوفر، حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم، ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة، بغداد، ١٩٨٠.

16- Nissen, H.J., Dame row, P., Englund, R.K., Archaic, Bookkeeping, Translated by Paul Larsen, Chicago, 1993, p.21ff.

### Abstract

Cuneiform texts are the finest ancient Iraqis left (unintentionally) of the phenomena of cultural information transmitted to us many and diverse lifestyle at that time in different fields. The researchers were able to identify which legal systems, customs, and traditions at that time, and the relationship of people with ruling power, and how to deal with, including folk socially, economically and at different levels ,also what they left from machinery, and tools used in various areas of human life. as well as the inscriptions and sculptures, obelisks, which benefited greatly in understanding the different life fields but the taken point on written texts, and solid effects on both, they may not be accurate or honest in everything below for the text, pattern or pictures for the sculptures. In this research tries to shed light on the authenticity of the content of cuneiform texts, and assess the accuracy of their content information, and an invitation to Iraqi researchers to reconsider the substance of such texts to suit our perspective as Muslims and Iraqis, and the need to follow the method that we guarantee the establishment of an Iraqi school special effects and out of Cuneiform Studies, we examine our history and deserving of Setting the record straight and refute all information is accurate, and decline researchers of Westerners who were driven by motives of religious and ethnic lines to prove what was mentioned in the Old Testament. We ask God to make this research a step through the establishment of an Iraqi school specializing in antiquities and Cuneiform Studies.

## التدخين مشكلة تهدد الفرد والمجتمع

م.م. محمد عبد الله محمد المقرجي

جامعة كركوك/كلية التربية/وحدة العلوم التربوية والنفسية

### الملخص

تتناول البحث مشكلة التدخين التي تهدد المجتمع وأفراده بشكل متزايد من خلال ما يتم اكتشافه من أمراض جسدية ونفسية واجتماعية يكون التدخين سببا رئيسا فيها، وتكمن أهمية هذا البحث في الوقوف على أهم الأسباب التي تدفع بالإنسان إلى التدخين، والآثار التي يتركها التدخين عليه في الجوانب العضوية والنفسية والاجتماعية، ويهدف البحث إلى دراسة هذه المشكلة وأسبابها ومعرفة الحلول التي يمكن أن تقضي عليها أو الحد منها.

وقد تطرق البحث إلى نبذة تاريخية عن التدخين وأسبابه، وتناول آراء علماء ورجال الدين حول تحليله وتحريم، وتأثيره على المرأة وجنينها خلال فترة الحمل، بالإضافة إلى آثاره على الفرد من الناحية العضوية والأمراض التي يسببها له، وكذلك الآثار النفسية والاجتماعية.

وتوصل الباحث إلى عدة نتائج من الآثار السلبية التي يسببها التدخين عضويا، ونفسيا واجتماعيا على الرجل والمرأة، وكذلك يؤثر التدخين على المجتمع من خلال المشكلات الأسرية والاقتصادية التي يكون لهذه الآفة الدور الكبير فيها. وتأثير التدخين على المجتمع بشكل كامل من خلال الأموال الطائلة التي تصرف

## الفصل الأول

### منهجية البحث ومفاهيمه

#### أولاً: مشكلة البحث:-

لقد أصبح التدخين مشكلة يعاني منها الإنسان في كافة المجتمعات كما انه يعاني منها الكبار والصغار، الرجال والنساء على حد سواء وقد ازداد عدد المدخنين نتيجة تغير المجتمع وبالتالي ازداد الاعتياد على التدخين وزادت معه المشاكل المترتبة عليه، فالتدخين مشكلة يصعب علاجها من قبل المختصين لاختلاف وجهات النظر بين الأطباء والمختصين في علم النفس والاجتماع فالأطباء ينظرون على التدخين نظرة تغلب عليها الصفة الحاوية ويهتمون بمعالجة الأعراض وليس الأسباب بينما المختصين في علم النفس تغلب عليهم النظرة النفسية التي تؤثر في الكيان العضوي ويستخدمون أساليب نفسية مستمدة من علم النفس ونظرياته لان المدخنين غالباً ما يعانون من مشكلات نفسية. بينما ينظر علماء الاجتماع نظرة نابعة من البيئة الاجتماعية وطبيعة القيم والعادات التي تشجع أو تحد من هذه الظاهرة السلبية ودور المشكلات والصعاب في ارتفاع معدلات التدخين عند الأفراد من جهة أخرى.

#### ثانياً: أهمية البحث والحاجة إليه:-

تكمن أهمية هذا البحث في الوقوف على أهم الأسباب التي تدفع الفرد إلى التدخين. والظروف التي تساعد على ذلك وكذلك الآثار التي يتركها التدخين عليه في الجوانب العضوية والنفسية والاجتماعية والعمل على إيجاد العلاج المناسب لهذه المشكلة وتقديم مجموعة من التوصيات والمقترحات التي تساعد في الحد من هذه المشكلة.

#### ثالثاً: هدف البحث:-

على علاج المرضى والأدوية وإنتاج وتوزيع السكائر والمتاجرة بها واستغلال مساحات واسعة من الأراضي الخصبة لزراعتها بدلاً من زراعة محاصيل يكون المجتمع بحاجة فعلية لها بدلاً من هذه السموم. ودور الإعلام في انتشار هذه المشكلة من خلال الدعاية والإعلانات والمسلسلات والأفلام التي تغري الفرد وتجذبه لتعلم التدخين.

وقدم الباحث عدة توصيات منها منع التدخين في المستشفيات والعيادات والمعاهد الطبية وجميع المؤسسات الحكومية في كافة أنحاء القطر. كذلك منع المدرسين والأساتذة في جميع المدارس والمعاهد والجامعات العراقية من التدخين خلال أوقات الدوام الرسمي أمام الطلبة. ومنع ظاهرة التدخين في التمثيليات التلفزيونية والأفلام السينمائية المنتجة محلياً وعدم استيراد الأفلام التي تشجع على انتشار التدخين.

## نبذة تاريخية عن التدخين وأنواع التبغ

ترجع عادة التدخين إلى عهد غابر فالمدخنين الغابرين كانوا يحرقون أعشاباً معينة ومن ثم يستنشقون دخاناً حتى إنهم توصلوا في ذلك الحين إلى استعمال المشارب المختلفة لهذا الغرض.

ولم تدخل عادة التدخين أوربا إلا في نهاية القرن الخامس عشر حيث عرفها سكان هذه القارة عن طريق سيجارة المستكشف كريستوف كولومبس وقد حدث هذا عام ١٤٩٢ فقد لفت أنظار البحارة إن سكان هذه الجزر المكتشفة كانوا يستنشقون بشغف دخان أوراقاً مشتعلة ملفوفة على شكل قصبه يسمونه "الببتون"، ورغم منع الراهب الديني الذي سحب سفن كولومبس للبحارة من استنشاق الدخان الصادر من أوراق الببتون إلا أن بعضهم استطاع أن يخفي كمية منها وحملوها معهم إلى اسبانيا حيث أخذوا يدخنونها أمام الأعين المدهشة لأقاربهم وأصدقائهم تلك هي بداية التدخين في أوربا ولحد ذلك فان "الببتون" كان معروفاً فقط لدى بعض القبائل الهندية في أمريكا حيث كان أفراد هذه القبائل يلفون أوراقه اليابسة يطلقون عليها "تاباكو" على شكل قصبات صغيرة ثم يبدؤون بتدخينها شاعرين بلذة وانتعاش. ومن هنا تحولت تسمية "تاباكو" وأصبحت التسمية المعروفة "التبغ" ويروي بعضهم إنها مشتقة من تسمية مقاطعة تاباكو في ساحة دومينغو في اسبانيا، حيث انتشرت هناك بذور التبغ ويرى آخرون إنها مشتقة من الكلمة الاسبانية "تاباكوس" والتي تعني أوراق ملفوفة للتدخين.

إن وطن التدخين الأصلي هو أمريكا حيث لم يكن يزرع فقط بل كان ينمو النبات طبيعياً وكان التدخين وسط قبائل الهنود الحمر مرتبطاً بشعائر دينية مختلفة حتى أن بعض القبائل تعتبر التبغ نباتاً مقدس في أواسط أمريكا كان كهنة قبائل أل-ماي يدخنون هذا منهم لشعائرتهم الدينية وبالأخص عند صلاتهم ودعواتهم لفات

يهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة من أكثر الظواهر انتشاراً في العالم وهي ظاهرة التدخين والتي تعتبر مشكلة اجتماعية على مستوى المجتمعات المحلية والعالم ودراسة الآثار المترتبة على هذه الظاهرة المرضية التي تؤثر على الصحة وتؤدي إلى تأخر الفرد والمجتمع.

## رابعاً: تحديد المفاهيم:-

### ١- التدخين Smoking:

هو حالة يكون فيها الفرد معتمداً عضوياً على النيكوتين وظهور أعراض جانبية تؤثر على قدرته الجسمية والذهنية. والتدخين هو عبارة عن مادة التبغ يتم حرقها وإدخال ضررها إلي جسم الإنسان<sup>(١)</sup>.

### ٢- المشكلة Problem:

حالة تجلب الانتباه من قبل اكبر عدد ممكن من الناس وتتطلب إيجاد حلول مناسبة لها<sup>(٢)</sup>. والمشكلة هي موقف غامض لا نجد له تفسيراً محدداً<sup>(٣)</sup>.

### ٣- المجتمع Society:

لغة: الْمُجْتَمَع مصدره (جَمَعَ، يَجْمَعُ جَمْعاً: ضَمَّ بعضه إلى بعض) وَتَجَمَّعَ يَتَجَمَّعُ تَجْمُعاً<sup>(٤)</sup>

ويعرف هوبهوس المجتمع بأنه مجموعة من الأفراد تقطن على بقعة جغرافية محددة من الناحية السياسية ومعترف بها ولها مجموعة من العادات والتقاليد والمقاييس والقيم والأحكام الاجتماعية والأهداف المشتركة المتبادلة التي أساسها الدين واللغة والتاريخ والعنصر<sup>(٥)</sup>.

## الفصل الثاني

## التدخين بين التحليل والتحريم

انتشر التدخين في العالم الإسلامي بشكل كبير وسريع مما أدى بعلماء ورجال الدين إلى إصدار فتاوى حول التدخين هل هو حرام أم حلال ومن هؤلاء العلماء الشيخ محمد إبراهيم مفتي السعودية في فتواه حول التدخين " انتشر التدخين في أرجاء الأرض وحاربه علماء الإسلام ولم تكن حينئذ مضاره الصحية معلومة كما هي اليوم واختلفوا فيه عندئذ هل هو مسكر أم لا؟ فمن رآه مسكراً" أو مقترأ" أفتى بحرمة ومن رآه غير ذلك أفتى بكراهيته وممن حرّمه من فقهاء الحنفية الشيخ محمد العيني الذي حرّمه من أربعة أوجه في رسالة " تحريم التدخين" كونه مضرًا للصحة حسب رأي الأطباء كونه من المخدرات المتفق عليها ورائحته كريهة تؤذي الذين لا يستعملونه خصوصاً في أماكن الصلاة والمساجد كما تؤذي الملائكة المكرمين، وكونه تبذيراً في الأموال ويقول الشيخ عبد الله بايظين " نرى فيه التحريم لعلتين أحدهما حصول الاسكار أو التغيير فيما إذا تركه شارب مدّة ثم شربه أو أكثر منه، والعلّة الثانية انه مشنت للفكر عند من لم يعتده وأصبح العلماء بقوله تعالى "ويحرم عليهم الخبائث" ومن فقهاء الشافعية والشيخ نجم الغزي الشافعي قال "التنن يدعي شارب انه لا يسكر وان سلم به فانه مقتر وهو حرام".

أما الشيخ خالد بن احمد من فقهاء المالكية فيقول " لا يجوز إمامة من يشرب التنباك ولا يجوز الاتجار بها ولا بما يسكر"<sup>(٩)</sup>.

وقد قام ملوك انكلترا بتحريم زراعة التبغ ومنعوا شعوبهم من ممارسة التدخين لأنه غير صالح ويصدر رائحة كريهة ينفر منها الإنسان. أما السلطان العثماني مراد الرابع فقد اصدر أمراً حرم فيه ممارسة التدخين تحريماً " شرعياً" مستنداً إلى الشريعة الإسلامية حيث اعتبر التبغ مماثلاً للخمور وقيس عليه أما في إيران فقد اصدر الشاه حكم الإعدام على المدخنين، وحرّمه البابا اوربان السابع عام (١٦٤٢م) وأضاف إلى

تبغ تسمى " السكائر". وان كثير من البحارة الأسبان الذين وصلوا شواطئ أمريكا كانوا قد جلبوا معهم من هناك بذور نبات التبغ وبعد ذلك نقلت هذه البذور إلى دول جديدة مثل انكلترا والبرتغال وفرنسا بعد أن كان هذا النبات محتكراً لزمان طويل من قبل اسبانيا فقط حيث كان يزرع في حدائق الأثرياء كنبات تجميلي<sup>(٦)</sup>. أما اكبر شهرة اكتسبها نبات التبغ آنذاك فقد كانت عام ١٥٦٠م وذلك عندما أرسله السفير الفرنسي في البرتغال "جان نيكوت" إلى ملكته في فرنسا لعلاج داء الشقيقة الذي كانت تعاني منه وشفيت منه مما دفع أوربا كلها إلى التحدث عن التبغ باعتباره "نبات الملكة" و"نبات السفير" ... وبعد أن كان يستعمل من قبل المرضى فقط أصبح يستعمل من قبل الناس الأصحاء أيضاً لإزالة التعب والإرهاق عنهم في هذا الوقت كان تدخين التبغ قد غزا القارة الأوروبية كلها ولم يكن يستطيع احد إيقاف انتشاره الواسع، والدليل على ما وصل إليه التبغ من مكانة بأنه لم يكن ممكناً الحصول عليه إلا بمقايضته بالذهب<sup>(٧)</sup>.

## أنواع التبغ

- ١- نيكو نباتا تاباكام:- وهو أكثر الأنواع انتشاراً واستعمالاً موطنه الأصلي في أمريكا الجنوبية، المكسيك، جزر الهند الغربية.
- ٢- نيكو نباتا مرستكا أو التبغ البري:- وموطنه تركيا والمناطق المجاورة وهو ذو تركيز عال من المواد المضرة ولا يعرف على انه وصل تركيا عن طريق أوروبا أم انه وجد أصلاً في تركيا.
- ٣- نيكو نباتا أنتبواتا:- وهو التبغ الخفيف<sup>(٨)</sup>.

للمدرسة تأثير لا يمكن تصوره، ففي المدرسة التي لا يدخن فيها إلا قلة من المدرسين فان عدد من يدخنون من الطلبة اقل بكثير من زملائهم الذين يدرسون لدى أساتذة مدخنين. ومما يؤكد التأثير الاجتماعي على نمط التدخين ما نجده في البلاد العربية التي ينظر فيها إلى تدخين المرأة بأنه عمل شائن فان عدد الفتيات اللاتي يقبلن على التدخين محدود جدا" بالمقارنة مع الفتيات غير المدخنات بينما نجد المجتمعات التي لا ترى غضاضة في تدخين الفتاة تزخر بالفتيات المدخنات. كما أن للصديق السيئ اثر كبير في تعليم الفرد في التدخين أو في عودة الشخص إلى التدخين بعد أن تركها فيستخدم الصديق الكلمات المغرية أو المخجلة إلى درجة تضعيف الشخص المقابل وتجعله يستسلم لهذا الطلب<sup>(١٣)</sup>.

### المرأة والتدخين

إن التدخين لم ينتشر بين النساء في كثير من مناطق العالم وبخاصة في البلاد العربية والإسلامية لان النظرة الاجتماعية إلى المرأة المدخنة نظرة ازدراء واستهجان الغريب إن هذه النظرة المستهجنة غير موجودة في بعض الأقطار العربية مثل اليمن، وكذلك قد تكون معدومة في بعض مدن الشام (سوريا ولبنان وفلسطين والأردن) وبعض مدن العراق وفي مكة المكرمة وجدة لذلك فان أضرار التدخين تكاد تكون مقصورة على الرجال في البلاد العربية والإسلامية كما يكثر السرطان (سرطان الرئة) بين النساء في مكة المكرمة بنسبة تماثل نسبة الرجال تقريبا"، كما أن حالات النزلات الشعبية أكثر انتشارا" بين النساء المدخنات عنها بين غير المدخنات ونظرة الاستهجان لتدخين المرأة قد تغيرت، فقد انتشر التدخين بين طالبات الجامعات المصرية بصورة مزعجة وملفتة للنظر، وإن النساء اللاتي يكثرن من السفر يقبلن على التدخين أيضا"<sup>(١٤)</sup>.

الوصايا العشر عبارة (لا تدخن)<sup>(١٥)</sup>، كما تصدى الأطباء للتدخين بإظهار مضاره للناس<sup>(١٦)</sup>.

وفيما يتعلق بمؤيدي التدخين فإنهم ينقسمون إلى مجموعتين: -

١- المجموعة الأولى:- وتضم أصحاب المصالح في استمرار الناس في ممارسة التدخين. وتضم مزارعي التبغ والعمال في مزارع التبغ والمعامل وتجار التبغ والعمال في الدعاية للتدخين ويصرفون ملايين الدولارات للدعاية لبضائعهم ولهم نفوذ بحيث يستطيعون الوقوف بوجه الحكومات التي تحاول مقاومة التدخين، ومن المؤيدين للتدخين المدخنين أنفسهم الذين يريدون ترك التدخين ولا يستطيعون ذلك.

٢- المجموعة الثانية:- وهي تمثل الأشخاص الذين ينظرون إلى التبغ على انه يحقق متعة ولذة وخلصا" لبعض الناس من مشاكلهم النفسية وتعقيدات العصر، فهؤلاء يرون إن التدخين سينقل الإنسان إلى وضع جديد من الانشراح ويحسن المزاج الأخلاقي ولا يؤثر على الوضع الاجتماعي ولا يلحق بالإنسان إي ضرر من أي نوع. فهؤلاء لم يقدموا أي دليل علمي ثابت أو إحصاء واضح مفسر لأي من أرائهم ووجهات نظرهم<sup>(١٧)</sup>.

### أسباب التدخين

إن للتدخين أسبابه التي دفعت الشخص إلى تعاطيه في المرة الأولى وتمكنت منه وأصبح أسيرا" له كلما زاد من تعاطيه.

فالمراهق يريد أن يشعر بأنه قد أصبح رجلا" ولذلك فهو يفقد الرجال ويحاكيهم وأول من يفقد والديه ومدرسيه وأبطال المسلسلات التلفزيونية والأفلام السينمائية وكما انه ينجرف مع رفاقه في المدرسة والشارع، ولقد جاءت الإحصائيات بان الطفل الذي لا يدخن والداه يكون اقل عرضة للتدخين من الذي يدخن والداه أو احدهما كما أن

ومن هناك فإنه يصل إلى المشيمة وإلى الجنين، ويعتبر النيكوتين أكثر ضرراً حيث أن ضرره لا يقل عند حد المرأة الحامل بل يتعداه إلى حملها<sup>(١٨)</sup>.

ولم تقف بعض الجهود العلمية عند هذا الحد فقد بينت الدراسات أن مادة النيكوتين تجتاز وتخترق المشيمة حيث تؤثر بشكل مباشر على الجنين وذلك عن طريق رفع دقات قلبه وتضعفه وانخفاض الأوعية الدموية الخاصة بالمشيمة مما يقلل نسبة الأوعية الواردة إليها، كما أن أول أوكسيد الكربون الذي يدخل الجسم مع دخان السيارة يخفف من قدرة الدم على حمل الأوكسجين مما يؤثر بشكل واضح على صحة الجنين<sup>(١٩)</sup>. فقد أجريت تجارب علمية طبية في مدينة (هامبورغ - ألمانيا) ظهر من خلالها إن الحوامل المدخنات يعانين من حالات القيء الحاد والتشنج الخطير جداً على حياة المرأة الحامل والجنين أكثر بكثير من الحوامل الغير مدخنات. كما ظهرت من التجارب ذاتها بأن الأطفال المولودون من أمهات مدخنات يقل وزنهم عن الأطفال المولودون من الأمهات غير المدخنات بمعدل ٢.٥ غرام، كما يقل طولهم بمعدل ٢ سنتيمتر، وإن مقدار النقص في النمو يتناسب طردياً مع عدد السكائر المدخنة يومياً من قبل الأم الحامل<sup>(٢٠)</sup>. وفي دراسات إحصائية قام بها مكتب الإحصاء الطبي الأمريكي على مواليد المدخنات تبين أن الأولاد الذين وضعوا من أمهات مدخنات كانوا دائماً في مستوى من الذكاء أدنى من مستوى زملائهم أبناء الأمهات الغير مدخنات<sup>(٢١)</sup>.

### الأسباب التي تدفع المرأة إلى التدخين:

هناك عدة أسباب تدفع المرأة إلى التدخين منها:

١- الاعتقادات الخاطئة عن التدخين، خاصة في فترة الإجازات حيث يكون اليوم طويل وتوزعه المرأة في النوم والأكل ومشاهدة التلفاز والباقي فراغ خلال هذا

والتدخين يؤثر على قدرة المرأة على الإنجاب وقابليتها الجنسية فالمرأة المدخنة أكثر عرضة للإصابة بالعقم من المرأة غير المدخنة وإذا استعملت حبوب منع الحمل مع التدخين فإن ذلك يزيد من احتمال الإصابة بأمراض القلب والشرابين والسكتة الدماغية، كما أن التدخين يؤثر على وظيفة المبيض ويقلل من قابلية اللولب على منع الحمل ويؤدي التدخين أيضاً إلى الإجهاض والولادة المبكرة ويزيد من احتمال وفاة الطفل عند الولادة وبعدها، كما أنه يؤدي إلى إقلال إنتاج الحليب عند الأم ويعرقل من النمو البدني والعقلي عند الطفل ويساعد على الإصابة بالالتهابات النفسية<sup>(١٥)</sup>.

ولقد سبق الرجل المرأة في التدخين بنحو عشرين عاماً وسبقها كذلك من ناحية الإصابة بالأمراض التي يسببها التدخين، فانتشر التدخين في النساء الأمريكيات وانتشرت كذلك الأمراض التي يسببها التدخين، فالتدخين الذي وجدت فيه المرأة الأمريكية دليلاً لتحررها الاجتماعي ما لبث أن أصبح نذيراً لتدهورها الصحي، فالتدخين يهدد النساء الحوامل، فالمدخنات من الحوامل غالباً قد يلدن قبل الأوان أو ينجبن مواليد بأوزان ناقصة، بالإضافة إلى المضاعفات التي يعانين منها أثناء الحمل<sup>(١٦)</sup>. وبالرغم من أن الأمراض بسبب التدخين لا تظهر بوادرها إلا بعد تقدم نسبي في العمر إلا أن تأثيره على المرأة الحامل وعلى الجنين يكون مباشراً وواضحاً فالمرأة الحامل عندما تدخن فقد لا تكون وحدها بل يدخن مع جنينها<sup>(١٧)</sup>.

### التدخين والحمل

اثبت العلم الحديث إن النساء المدخنات حملهن أصعب وإجهاضهن أيسر، وقد يلدن في وقت مبكر أطفالاً غير مكتملي النمو وإن بعض النساء الحوامل يجهضن من جراء تدخين سكائر معدودات وأحياناً من جراء تدخين سكاراة واحدة فقط. وهذا بالطبع يعود إلى أن النيكوتين ينتشر في دم المرأة الحامل عند التدخين

## الفصل الثالث

### آثار التدخين

#### المبحث الأول

#### الآثار العضوية

يؤثر التدخين على جسم الإنسان وأعضائه بشكل كامل فيسبب التدخين أمراضاً كثيرة للإنسان ويؤثر على أعضاء جسمه المتعددة ومنها الآتي:-

#### أولاً: التدخين وأمراض الجهاز التنفسي:-

يعتبر التدخين من أهم أسباب زيادة أمراض الجهاز التنفسي بأكمله فالسيكارة تحتوي على العديد من المواد المهيجة للأغشية المخاطية التي تبطن الجهاز التنفسي من البلعوم وحتى الشعب الهوائية الصغيرة كما أن دخان السكائر يحتوي على مواد تمنع حركة الشعيرات المخاطية للجهاز التنفسي من الأنف حتى الشعيرات الهوائية التي تقوم بحركة دائرية نشطة لطرد المواد الغريبة فتقاوم المواد السامة في الدخان حركة هذه الشعيرات فتترسب على جدران الشعب الهوائية دون أن تجد من يدفعها إلى الأعلى لطردها وأحياناً تجد الميكروبات البيئة المناسبة لها حيث أن المقاومة وأجهزة الدفع في اضعف حالاتها ولهذا تبدأ مرحلة الالتهابات الشعبية الحادة ثم تليها الالتهابات المزمنة، ويؤدي ذلك إلى فقدان الرئة لوظيفتها الأساسية وهي تبادل الغازات أي نقل الأوكسجين من الرئة إلى الدم ونقل ثاني اوكسيد الكاربون من الدم إلى الرئتين، ويؤدي ذلك إلى صعوبة في التنفس تزداد يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام حتى لا يستطيع المريض أن يستنشق الهواء في الشهيق ولا أن يدفعه في الزفير والتي تصبح هذه العملية بالغة الصعوبة ويصبح كل نفس يتنفسه المريض عملية تعذيب<sup>(٢٣)</sup>. ويؤدي تدخين السكائر إلى سرطان الرئة عن طريق القطران الموجود في

- الفراغ تبدأ في التفكير بأي شيء يزيل الملل ويملاً الفراغ باعتقاد خاطئ أن التدخين يملأ الفراغ ويهدي الأعصاب المتوترة فتبدأ بالتدخين.
- ٢- البعض يلجأ للتدخين بتأثير البيئة المحيطة، وتتأثر بما حولها من الأب أو الأم أو الأخوة إذا كانوا مدخنين وتشاهدتهم وهم يدخنون باسترخاء ومتعة وفي كل الظروف تعتقد أن الدخان ليس عيباً بدليل والدها أو والدتها يدخنان أو تعلقها بإخوانها وتأثرهم بها فتحاول تقليدهم. وفي النهاية تكون المأساة الإدمان على التدخين.
- ٣- التأثير بأصدقاء السوء فيبدأ التأثير والإيهام بأن الدخان يعطي السعادة والمرح وليس لديه أي مضاعفات صحية لنقص خبرتها وصغر سنها وعدم تجربتها فتصدق تلك الافتراءات وتكون الكارثة.
- ٤- تقليد المشاهير وبعض الشخصيات كالفنانين أو الممثلين أو المذيعين.
- ٥- حب الاستطلاع يقول بعض العلماء أن حب الاستطلاع و التجربة هما أكثر الدوافع التي تؤدي إلى التدخين.
- ٦- يعتبر التدخين عند بعض الشابات من علامات الرقي والحضارة.
- ٧- نتيجة دوامة الإعلانات التي تروجها شركات السجائر.
- ٨- جهل الآثار السلبية للتدخين.
- ٩- العوامل الاجتماعية فعندما لا ترسم المرأة مخططاً للتفعيل الدراسي تكون أكثر عرضة للتدخين وتتأثر بقلّة الثقافة لدى الأهل وانعدام الرقابة في البيت وعدم وجود تفاهم بين الوالدين<sup>(٢٢)</sup>.



بين البلعوم والمعدة وهناك عضلة عاصرة بين المعدة والمرئ تمنع رجوع إفرازات المعدة الهاضمة إلى المرئ وقد وجد إن التدخين يؤثر على هذه العضلة ويمنعها من أداء وظيفتها ولذلك فإن الإفرازات الهاضمة في المعدة تتساقط إلى المرئ وتسبب التهاباً شديداً<sup>(٢٨)</sup>. وكذلك قد يسبب قرحة المرئ والتهابات البنكرياس المتكررة وهي الأكثر انتشاراً بين المدخنين بالمقارنة مع غير المدخنين ومما لا شك فيه أن شرب الخمر يعتبر أكثر فاعلية في حدوث هذه الالتهابات البنكرياسية الحادة والمزمنة. وقد وجد أن التدخين ومضغ التبغ يؤدي إلى زيادة حدوث هذه الالتهابات حتى وإن لم يكن الشخص من الذين يتعاطون الخمر<sup>(٢٩)</sup>.

### ثالثاً: التدخين وأمراض الفم والأسنان:-

ترتبط أمراض الفم والأسنان بأمراض الجهاز الهضمي على أساس أنها جزء من الجهاز الهضمي وفضل الباحث فصلها عنه لأهميتها وخطورة والأمراض التي يتعرض لها الفم جراء التدخين ففي عملية التدخين تترسب مواد كيميائية على الغشاء المخاطي أو خلايا البطانة الداخلية للفم وكذلك بطانة جميع أجزاء تجويف الفم<sup>(٣٠)</sup>. ويؤثر التدخين على أجزاء عديدة من الفم ومنها الآتي:-

#### ١- الأسنان واللثة:-

يعتبر التدخين من أكبر أعداء الأسنان واللثة. فمدخنوا السكائر هم أكثر من غيرهم تعرضاً للبقع الداكنة التي تشبه منظر الأسنان، كما تؤثر المواد السامة الموجودة في التبغ على المادة الصلبة للأسنان والتي تسمى (مينا الأسنان) ونتيجة لتعرضها المستمر تدريجياً لتأثير هذه المواد السامة رغم أن مينا الأسنان تعتبر أصلب شيء في جسم الإنسان.

ورغم تلك الصلابة تتآكل تدريجياً وتحدث فيها الشقوق التي تسمح بدخول البكتيريا والفطريات إلى المنطقة التي تليها. هذا بالإضافة إلى انتشار الميكروبات

دخان السكائر لأنه يحتوي على كمية من المواد المسببة للسرطان كالمواد الامينية وأهمها النيزوباييرين، الذي يعتبر وجود جزء من البليون منها في الهواء خطراً على صحة الإنسان، علماً أن دخان السكائر يحتوي على تسعة آلاف جزء من البليون من هذه المادة وإن من يدخن السكائر يواجه خطر سرطان الرئة أضعاف الخطر الذي يتعرض له غير المدخن<sup>(٢٤)</sup>، كما أنه ينتج عن التدخين ما يعرف بسعال المدخن الصباحي الذي يحاول فيه جسم المريض أن يتخلص مما علق بالقصبات الهوائية بسبب تهيج الغشاء الداخلي للقصبات والحنجرة ويبرز التدخين كعامل أساسي في حالات الإصابة بمرض التهاب القصبات الهوائية المزمن ومرض انتفاخ الرئة<sup>(٢٥)</sup>.

### ثانياً: التدخين وأمراض الجهاز الهضمي:-

إن للتدخين تأثيرات ضارة على أعضاء الجهاز الهضمي، فالتدخين يزيد من الشعور بالجوع حيث يكثر في زيادة إفراز العصارات المعدية ونتيجة للخلل الحاصل في وظيفة أعضاء الجهاز الهضمي فإن الغذاء لا يهضم بشكل كاف ويبقى في الأمعاء. كما أن التدخين يسبب تقلص في جزء المعدة المتصل بالاثني عشري مما يسبب إعاقة مرور الطعام من المعدة إلى الاثني عشري ويؤدي بالتالي إلى شعور المريض بامتلاء معدته دون الحاجة إلى الطعام<sup>(٢٦)</sup>.

كما إن التدخين يكون سبباً في حدوث الإصابة بالتهابات المعدة المزمنة وبمرض القرحة، وهذا المرض قد يكون موجوداً أصلاً عند الشخص لكن التدخين يضخمها ويزيد من حدتها وإن الكثير من حالات الإصابة بالتهاب المعدة المزمن وقرحة المعدة أو قرحة الاثني عشري تنقش بسهولة عند ترك التدخين وإن حركات تقلص الأمعاء تزداد وتتهيج بعد تدخين سيكارة أو أكثر<sup>(٢٧)</sup>.

وقد يسبب التدخين كذلك اضطراب الوظيفة الإفرازية للغدة الهاضمة كما قد تضطرب إفرازاتها. وتظهر آثار التدخين أيضاً على المرئ، وهو الأنبوب الذي يوصل

التغيرات الجمالية هي اخف الأضرار وابسطها وان كانت لها قيمة خاصة عند النساء وخاصة الفتيات المراهقات والشابات<sup>(٣٤)</sup>.

## رابعاً: التدخين وأمراض القلب والشرابين:-

إن تأثير السكائر على القلب يرجع إلى مادتين خاصتين في السيكارة هما النيكوتين وغاز أول اوكسيد الكربون. فالنيكوتين يؤثر على القلب والأوعية الدموية وتركز هذه الآثار فيما يأتي:-

١- زيادة ضربات القلب وزيادة عمله وذلك لان النيكوتين يزيد من إفراز مادة الأدرينالين والنورادرينالين وهما المادتين المسؤولتين عن زيادة ضربات القلب وانقباض الأوعية الدموية وزيادة استهلاك الأوكسجين في القلب.

٢- انقباض الشرايين عموماً بما فيها شرايين القلب.

٣- زيادة التصاق الصفائح المسؤولة عن تكوين الجلطات القلبية.

وهكذا تتجمع الأسباب المؤدية إلى الجلطة القلبية بسبب انقباض الشرايين التاجية المغذية للقلب كما أن النيكوتين يؤثر على جميع شرايين الجسم وبشكل خاص شرايين المخ، فإذا ما انسدت إحدى هذه الشرايين فإنها تسبب شلل الجسم أو ذلك الجزء الذي تتحكم فيه المنطقة المخية المصابة.

أما عن تأثير غاز أول اوكسيد الكربون فيكون كما يأتي:-

إن أول اوكسيد الكربون غاز سام ينتج عن احتراق الفحم عندما تكون كمية الأوكسجين قليلة واحتراق السيكارة يؤدي إلى تكوين هذا الغاز والتي تكمن خطورته في انه غاز شديد القابلية للاتحاد بـ(الهيموكلوبين) (خضاب الدم) وبالمقارنة مع الأوكسجين الذي يحمله الدم فان غاز أول اوكسيد الكربون له قابلية الاتحاد مع الهيموكلوبين مائتي مرة ضعف قابلية الأوكسجين كما لهذا الغاز الأثر الكبير في

ودخولها إلى اللثة التي تتفرح نتيجة للاستعمال المستمر للتبغ والسكائر مما يؤدي إلى ضعفها<sup>(٣١)</sup>.

## ٢- أمراض اللسان:-

يحتوي اللسان على حليمات متعددة كثيرة وموزعة على كامل سطحه وصيوانيه، وبسبب التدخين تترسب الصبغة السوداء والفضلات الناتجة عنها على المسامات بين هذه الخلجات ويمرور الزمن تمتلئ المنطقة بالجراثيم، مما يؤدي إلى حدوث التهابات مزمنة ومؤلمة في اللسان وحدوث ضعف في قدرة الشخص على تذوق الأطعمة كذلك، كما انه يشعر برائحة كريهة وطعم غير مقبول ويسمى هذه المريض بـ (اللسان الأسود المشعر) لشبهه بالشعر الاجعد. وعندما تحدث الإصابة لا بد من المعالجة وقبل كل شيء أن يقلع عن التدخين نهائياً لإبعاد التهيج والتخرش<sup>(٣٢)</sup>.

كما إن لسان المدخن قد يصاب بالسرطان عادة نتيجة تدخين السكائر، وعادة ما يسبب ظهور السرطان بقع بيضاء اللون كثيفة تغطي بعض مناطق اللسان وتكون هذه البقع مؤلمة. ورغم أن سرطان اللسان يمكن تشخيصه مبكراً ورغم التقدم التقني والطبي في العلاج واستخدام الذرة والأشعة والعمليات الجراحية، فان نجاح هذه العلاجات لا يعدو إلا الثلث أما الثلثان الباقيان فتكون نتيجتهما فشل العلاج وانتشار السرطان مما يؤدي إلى القضاء على حياة المريض وبصاحب لسان المدخن كذلك بالقرحة عند الشق الأوسط للسان أو على احد جانبيه وتكون هذه القرحة مؤلمة جداً<sup>(٣٣)</sup>.

## ٣- الشفاء:-

أما بالنسبة لشفاء المدخنين وخاصة النساء فإنها تصطبغ بزرقة متميزة وذلك نتيجة لزيادة الدم الغير مؤكسد فيها، واللون الأزرق يذهب حمرة الشفاء ويهيجه وهذه

**ثانياً: الأعصاب اللاإرادية:-** وهي التي لا يكون للشخص إرادة في حركتها كالأعصاب التي تسيطر على نبض القلب والتنفس.

إن للتدخين اثر بالغ جدا" على الجهاز العصبي، فهو يؤثر على القسم المركزي مما يؤدي إلى الإصابة بالصداع والدوران وضعف الذاكرة، كما إن التدخين يؤدي إلى عدم المقدرة على التوازن خاصة عندما يفرط المدخن بالتدخين، ويتعرض إلى الأرق الطويل إذ يستمر مستيقظاً متوتر الأعصاب إلى الصباح ويؤثر التدخين كذلك على القسم المحيطي بشكل كبير فقد يصاب المدخن بمرض ضعف الأعصاب وربما يصاب بشلل الأعصاب الجزئي إذا كان من المفرطين بالتدخين وغالباً ما يكون المدخن المدمن عصبي المزاج يفقد سيطرته على نفسه عند أول إثارة يتعرض لها، كما انه قد يرتجف ولا يستطيع ضبط زمام نفسه في المواقف واللحظات الحرجة نتيجة للآثار السيئة التي يتركها التدخين في جسم المدخن<sup>(٣٨)</sup>.

إن تأثير التدخين على الجهاز العصبي يفوق تأثيره على الأجهزة الأخرى لما لهذا الجهاز من وظيفة مهمة، حيث يسميها بافلوف وظيفة إدارة وتنظيم جسم الإنسان بكامله فتأثير النيكوتين على دماغ الإنسان يعود أساساً إلى تأثيره على الأوعية الدموية الموجودة فيه وإذا ما تعرض للتلوث تدريجياً فتقل مطاطيتها ويضيق جوفها، مما يسبب الصداع والشعور بالدوران وضعف الذاكرة وضعف القابلية على العمل، ولكن هذه الأعراض تزول بالانقطاع عن التدخين.

ويؤثر التدخين كذلك على النخاع الشوكي والنيكوتين منه بشكل كبير على المراكز العصبية الهامة جداً والموجودة في النخاع الشوكي "العمود الفقري" كالمركز العصبي المنظم للجهاز التناسلي الذي يسبب العجز الجنسي عند الرجال والولادة المبكرة والإجهاض عند النساء.

زيادة حدوث الجلطات. فهو يساعد على ترسيب الكولسترول في جدران الأوعية الدموية مما يساعد على سرعة تصلب الشرايين<sup>(٣٥)</sup>.

ولقد أصبحت علاقة التدخين بأمراض القلب علاقة أكيدة وواضحة والقلب يزيد من عمله بمقدار خمسة عشر ضربة لدى تدخين سيجارة واحدة وثبت بالتجربة أيضاً إن تدخين عشرين سيجارة تتعب القلب بمقدار ما يسببه ركوب دراجة هوائية عادية مدة عشر ساعات متواصلة من التعب، وهذا دليل واضح على الإجهاد والإرهاق الذي يصيب القلب نتيجة الاستمرار في التدخين سنوات عديدة، ولكن هذا الأثر يختلف من شخص إلى آخر<sup>(٣٦)</sup>.

والتدخين يؤدي إلى إصابة القلب بالجلطة نتيجة تقلص الأوعية التي تغذيه مما يسمح بحدوث تخثر في الدم وحدوث انسداد في الأوعية التاجية نتيجة لذلك والذي يؤدي بالتالي إلى الموت المؤكد، وهذه النقطة هي السبب المباشر في الموت الفجائي عند المدخنين<sup>(٣٧)</sup>.

## المبحث الثاني

### الآثار النفسية

**إن الجهاز العصبي ينقسم إلى قسمين:-**

**أولاً: القسم المركزي:-** ويتألف من الدماغ في الرأس والنخاع الشوكي الموجود داخل سلسلة العمود الفقري.

**ثانياً: القسم المحيطي:-** ويتألف من مجموعة من الأعصاب الخارجية الصادرة والواردة إلى القسم المركزي والتي تصل بينه وبين جميع أجهزة وأعضاء الجسم.

**أما الأعصاب فإنها تنقسم إلى نوعين رئيسيين هما:-**

**أولاً: الأعصاب الإرادية:-** وهي التي تحرك جسدنا حسب رغبتنا كما يحدث عندما نريد حمل شيء ما بأيدينا مثلاً".

النيكوتين في الدم إلى النصف وهو يفسر رغبة المدخن في إشعال سيجارات أخرى بعد مدة مقربة من إطفاء السيجارة السابقة<sup>(٤٢)</sup>.

ويؤثر النيكوتين على المستقبلات العصبية أهمها المستقبلات الكيميائية التي لها تأثير على بعض الوظائف الاحشائية وعلى الشرايين الصغيرة، كما ان التدخين يؤدي إلى مرض الزايمر Alzheimer Disease (مرض الحزن المبكر) حيث يظهر هذا المرض على شكل خرف مبكر عند الكهول ومتوسطي العمر<sup>(٤٣)</sup>.

### المبحث الثالث

#### الآثار الاجتماعية

ان للتدخين أثراً اجتماعية متعددة تؤثر على الشخص المدخن وعلى حياته وأسرته والأشخاص المحيطين به، فالاستمرار في التدخين يزيد من معدلات المرضى ويترتب على ذلك الغياب وضياع ساعات العمل هباءً والإفراط في طلب الخدمات الطبية وتعد الخسائر المتمثلة للمجتمع في الوفاة قبل الأوان وتزداد الإصابة بالمرض وفقد الطاقة الإنتاجية<sup>(٤٤)</sup>. بالإضافة إلى هدر الأموال فمدخن التبغ ينفق أموالاً طائلة في التدخين قد يكون الحاجة إليها كونها ضرورة من ضرورات الحياة وهذا تبذير بكل المقاييس<sup>(٤٥)</sup>.

كما ان المدخن يكون له رائحة خاصة به والمميزة من جميع الروائح الأخرى ورائحة فمية كريهة تؤثر على العلاقات الاجتماعية للشخص المدخن وتعمل على نفور الناس منه والابتعاد عنه وتختلف هذه الرائحة باختلاف التبغ المستعمل شدةً وكلما كان نوع التبغ رديئاً وكلما زاد المدخن من كمية التبغ المستعمل أو أهمل نظافة فمه وأسنانه تصبح رائحته منفرة<sup>(٤٦)</sup>.

وقد يدفع التدخين بالشخص المدخن إلى الكذب بعيداً عن الاستقامة والفضيلة ويساعد ذلك في انحرافه من اجل الحصول على سيجارة واحدة وقد يستدين

كما إن للتدخين آثار كبيرة على الأعصاب الخارجية ويعمل على تسممها إذ انه قادر على إصابتها بالتهابات كبيرة يتبعها آلاماً حادة مستمرة تصيب المنطقة العصبية على امتدادها. كما أن النيكوتين يترك آثاراً سيئة على الأشخاص الذين كانوا قد أصيبوا في وقت ما برضوض في رأسهم أو أجهزة الدماغ إذ تظهر عندهم حالات صداع دائمة وشعور بالدوران وثقل في الرأس نتيجة الخلل في إيصال الدم إلى الدماغ<sup>(٣٩)</sup>.

كما أن النيكوتين يزيد من أعراض مرض النوروستانيا Neurasthenic (ضعف الأعصاب) ويدفع إلى ارتكاب الجرائم لمن كان عنده استعداد لارتكابها، والتشنج المستمر في شرايين الدماغ بتأثير التسمم المزمن بالنيكوتين ويسبب انفجارها إذا كانت مصابة بالتصلب أو ارتفاع ضغط الدم فيها مما يؤدي إلى الإصابة بالسكتة الدماغية.

والنيكوتين يؤثر على الأعصاب الحركية القادمة من الدماغ والذاهبة إليه، ويزيد من إثارة الأعصاب أو ينقصها<sup>(٤٠)</sup>. هذا بالإضافة إلى ان التدخين يسبب الدوار والاختناق والذبول الدماغي كما يؤثر على الخلايا العصبية كما انه يسبب التهاب العصب البصري، وان كثير من المثقفين والكتاب والعلماء يعتقدون انه لا يمكنهم متابعة جهد مهم إلا بعد الاستعانة بالسيجارة وهذا تفكير خاطئ فليس للسيجارة أي تأثير فيه على الأعصاب ولكنها مسألة اعتياد. وأثبتت التجارب ان التدخين له أضرار على الانتباه والذاكرة<sup>(٤١)</sup>.

فالنيكوتين يصل من الرئة إلى المخ خلال ٧.٥ ثانية بعد جذب أنفاس السيكارة، وهذا يفسر سرعة تأثير النيكوتين على المخ حيث تؤثر على بعض مراكزه كما يساعد على ارتخاء العضلات، وبعد ٢٠ دقيقة من إطفاء السيجارة ينخفض معدل

تبين من خلال بحثنا الموسوم " التدخين مشكلة تهدد الفرد والمجتمع " هذا إن التدخين يعمل على تحطيم المجتمع وأفراده، فالتدخين ظاهرة تؤثر عليهم من خلال عدة أسباب فيؤثر التدخين عضوياً ونفسياً واجتماعياً على الإنسان من الناحية العضوية، حيث يؤثر على صحة الأفراد وأعضائهم بما يسبب من أمراض أو يساعد في حدوثها، وتكون هذه الأمراض مستعصية وخطيرة مثل بعض أنواع السرطان والتي يمثل التدخين احد أسبابها الرئيسية، وليس هذا فقط بل ثبت أن تأثيره ليس على الشخص المدخن فقط بل على الأشخاص القريبين منه أو الذين يتعامل معهم من غير المدخنين خصوصاً أفراد أسرته.

كما أن التدخين يؤثر على المرأة بشكل يماثل الرجل، بل يفوق ذلك فله أثره على جمال المرأة وحيويتها وأوثنتها وعلى الجنين الذي تحمله هذا بالإضافة إلى اثر التدخين على نفسية المدخن وحالته العصبية فالمادة المخدرة (النيكوتين) التي تحتويها السيكارة تعود الأعصاب على حالة معينة من النشاط والعمل وإذا تخللت هذه المادة في الجسم فإنها تؤدي إلى اضطراب كل الأعصاب واختلالها. مما يؤدي إلى اختلال الحالة النفسية للمدخن، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يؤثر المدخن على نفسية الأشخاص الآخرين غير المدخنين لما يشعرون به من تقزز جراء تعرضهم للدخان المنبعث من المدخن، أما أثاره "الاجتماعية" فقد يؤدي التدخين إلى انحراف الأشخاص بسبب تعودهم على الكذب لإخفاء ما يقومون به وقد يقوم الشخص المدخن بالسرقة لكي يوفر ما يحتاجه من سكاثر، وتكون هذه العملية البذرة الأولى لاعتياده على الإجرام والسرقة، والأمراض التي يحدثها التدخين قد تعمل على إجبار الرجل لكي يترك عمله أو قد تساهم في موته مما يعمل على تأثر الأسرة من الناحية الاقتصادية وقد يؤدي إلى تفكك الأسرة بسبب موت الأب. كما يؤثر التدخين على المجتمع بشكل كامل من خلال الأموال الطائلة التي تصرف في العلاج والأدوية وإنتاج وتوزيع السكاثر والمتاجرة بها واستغلال مساحات واسعة من الأراضي الخصبة لزراعتها بدلاً من زراعة محاصيل يكون المجتمع بحاجة فعلية لها بدلاً من هذه السموم.

الأموال من أجل التدخين فتسوء حالته وحالة أسرته ويصبح بحاجة إلى الأموال. كما تصرف الدول أموالاً طائلة في استيراد هذه السموم وتعمل على مكافحة ما يترتب عنها من أمراض وتصرف ملايين الدولارات سنوياً في سبيل ذلك والتي بالإمكان استخدامها في تنمية المجتمع وتطويره نحو الأحسن، وقد يضطر المدخن إلى السرقة والقتل مقابل الحصول على سيجارة<sup>(٤٧)</sup>.

ويشكل التدخين عبئاً اقتصادياً على الأسرة بسبب إحراق هذه الأموال التي بالإمكان استخدامها في المأكّل أو التربية والتعليم، وكذلك ما يسببه من تلوث للبيئة والأماكن التي يتواجد فيها المدخنين وأثارها السلبية على أفراد المجتمع غير المدخنين (التدخين السلبي) في تلك الأماكن<sup>(٤٨)</sup>.

هذا بالإضافة إلى ان كفاءة المدخن تقل أثناء العمل لانشغاله بالتدخين كما ان التدخين يؤدي إلى زيادة كلفة العناية الطبية نتيجة للأمراض التي يسببها، وتشمل هذه الكلفة صرفيات الأدوية والفحوصات الطبية والرقود في المستشفى، ويؤدي التدخين أيضاً إلى حوادث كثيرة في العمل وحوادث السيارات وإلى حدوث الحرائق.. والتي تحدث عنها خسائر بشرية ومادية كبيرة جداً فيمكن تجنبها بترك التدخين وبالمقابل فإن هنالك مساحات واسعة من الأراضي الخصبة التي تستخدم في زراعة التبغ بقصد الربح المادي مما يؤدي إلى نقص في إنتاج الغذاء الذي تحتاجه الدول، وفي أفريقيا تزال مساحات شاسعة من المزارع وبزراع التبغ محلها والذي يزيد من التصحر ويعمق مشكلة الجوع الذي تعاني منه هذه القارة وذلك بسبب الربح المادي الذي تحققه زراعة التبغ<sup>(٤٩)</sup>.

## الفصل الرابع

### النتائج والتوصيات والمقترحات

#### أولاً: نتائج البحث:-

كما يساهم الإعلام في انتشار هذه المشكلة من خلال الدعاية والإعلانات والمسلسلات والأفلام وانتشار محلات بيع السكاثر في كافة مناطق القطر وكثرة المعروض منها في الأسواق المحلية وبإشكال وطرق تجذب الإنسان لها.

### ثانياً: التوصيات :-

- ١- منع التدخين في المستشفيات والعيادات والمعاهد الطبية وجميع المؤسسات الحكومية في كافة أنحاء القطر.
- ٢- منع المدرسين والأساتذة في جميع المدارس والمعاهد والجامعات العراقية من التدخين خلال أوقات الدوام الرسمي أمام الطلبة.
- ٣- منع بيع السكاثر في المدارس والجامعات.
- ٤- منع ظاهرة التدخين في التمثيليات التلفزيونية والأفلام السينمائية المنتجة محلياً وعدم استيراد الأفلام التي تشجع على انتشار التدخين.
- ٥- تقليص الأراضي التي يزرع فيها التبغ واستغلالها في زراعة محاصيل أخرى مفيدة ويكون البلد بحاجة إليها بدلاً من هذه السموم.
- ٦- إذاعة فقرات تحذيرية وبرامج حول مضار التدخين ضمن البرامج الإذاعية التلفزيونية والصحافة اليومية.

### ثالثاً: المقترحات :-

- ١- إنشاء قسم خاص بمكافحة التدخين والوقاية منه في كل مستشفى داخل العراق ويضم مختصين من الأطباء والأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين لمواجهة هذه المشكلة المجتمعية.
- ٢- القيام بدراسات ميدانية طبية واجتماعية ونفسية للوقوف على أسباب هذه المشكلة وإيجاد الحلول الكفيلة بمواجهتها.
- ٣- تفعيل دور الإعلام في الحد من هذه المشكلة بما يمتلكه من خبرات وإمكانيات.

### الهوامش:

- (١) الانترنت  
[http://seenjeem.maktoob.com/question?category\\_id=31&level=13&question\\_id\\_2987](http://seenjeem.maktoob.com/question?category_id=31&level=13&question_id_2987)
- (٢) بدوي، احمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧، ص ٣٢٧.
- (٣) الانترنت <http://educdz.com/montada/t23869>
- (٤) الانترنت <http://azba.2007.com/montada-f431topic-t1343.htm>
- (٥) ميشيل، دينكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠، ص ٣٣٠.
- (٦) الفحيلي، فاضل عباس، التدخين والقلب والجنس، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٦، ص ٩.
- (٧) الهواري، محمد محمود، المخدرات من القلق الى الاستعباد، ط١، بدون مطبعة، قطر، ١٩٨٧، ص ١١٣.
- (٨) الرضائي، أياد، وآخرون، وباء التدخين وآثاره على صحة الفرد والمجتمع، ط١، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٧، ص ١٣.
- (٩) الباز، محمد علي، التدخين وأثره على الصحة، ط٣، دار السعودية للطباعة، السعودية، ١٩٨٠، ص ١٧.
- (١٠) عرموش، هاني، التدخين بين المؤيدين والمعارضين، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٠١.
- (١١) أبو مغيب، عابد عبد الله، والدكتور فيصل محمد خير الزرار، الإدمان على الكحول والمخدرات والمؤثرات العقلية والتشخيص والعلاج، ط١، اليمامة للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠١، ص ٢٦٥.

- (١٢) عرموش، هاني، مصدر سابق، ص ١٠١.
- (١٣) الباز، محمد علي، مصدر سابق، ص ٤٢.
- (١٤) المصدر السابق نفسه، ص ١٠٩.
- (١٥) الرمضاني، أياد، وآخرون، مصدر سابق، ص ٥١.
- (١٦) مجلة العربي، العدد ٢٦١، آب ١٩٨٠، ص ١٠٠.
- (١٧) محمد، سمية، الأم والطفل، بدون ط، دار المحبة للطباعة، دمشق، ٢٠٠٨، ص ١١٧.
- (١٨) الفحيلي، فاضل عباس، مصدر سابق، ص ٩٩.
- (١٩) محمد، سمية، مصدر سابق، ص ١٢٧.
- (٢٠) الفحيلي، فاضل عباس، مصدر سابق، ص ١٠٣.
- (٢١) عرموش، هاني، مصدر سابق، ص ١٠٣.
- (٢٢) الانترنت
- <http://www.lahaonline.com/index-livedialounge.php?id=62>
- (٢٣) الباز، محمد علي، مصدر سابق، ص ٥٩.
- (٢٤) عرموش، هاني، مصدر سابق، ص ٢٩.
- (٢٥) الفكيكي، أديب توفيق، التدخين - آثاره الاجتماعية ومضاره الصحية، ط ٣، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٢، ص ٤٦.
- (٢٦) الفحيلي، فاضل عباس، مصدر سابق، ص ١٥٥.
- (٢٧) المصدر السابق نفسه، ص ١٥٩.
- (٢٨) الباز، محمد علي، مصدر سابق، ص ٧٩.
- (٢٩) المصدر السابق نفسه، ص ٨٣.
- (٣٠) المصدر السابق نفسه، ص ٥٩.

- (٣١) المصدر السابق نفسه، ص ٨٥.
- (٣٢) عرموش، هاني، مصدر سابق، ص ٥٩.
- (٣٣) الباز، محمد علي، مصدر سابق، ص ٨٩ - ٩٠.
- (٣٤) المصدر السابق نفسه، ص ٩٠.
- (٣٥) المصدر السابق نفسه، ص ٥٩.
- (٣٦) عرموش، هاني، مصدر سابق، ص ٤٦.
- (٣٧) المصدر السابق نفسه، ص ٥٢.
- (٣٨) المصدر السابق نفسه، ص ٣٩.
- (٣٩) الفحيلي، فاضل عباس، مصدر سابق، ص ٩٧٧.
- (٤٠) الانترنت
- <http://www.alshamsi.net/friends/b700th/health/smoking.html>
- (٤١) عاصي، حسين، كيف تبطل التدخين، ط ٦، دار الأندلس، بغداد، بدون سنة طبع، ص ٦٦.
- (٤٢) الهواري، محمد محمود، مصدر سابق، ص ١١٧.
- (٤٣) الرمضاني، أياد، وآخرون، مصدر سابق، ص ١٨.
- (٤٤) مجلة طبيبك، العدد ٢٧١، ١٩٨٠، ص ٤٧.
- (٤٥) قنديل، عبد المنعم، التداوي بالقران، ط ١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧، ص ٤٢.
- (٤٦) عرموش، هاني، مصدر سابق، ص ٥٩.
- (٤٧) إبراهيم، صالح عبد العزيز، الدخان في نظر الإسلام، بدون مطبعة، بدون سنة طبع، ص ٢٨.
- (٤٨) الانترنت
- <http://thawra.a/wehda.gov.sy/printview.asp?filename=4457578852006090322313>
- (٤٩) الرمضاني، أياد، وآخرون، مصدر سابق، ص ٦٣.

- ١- إبراهيم، صالح عبد العزيز، الدخان في نظر الإسلام، بدون مطبعة، بدون سنة طبع.
- ٢- أبو مغيب، عابد عبد الله، والدكتور فيصل محمد خير الزرار، الإدمان على الكحول والمخدرات والمؤثرات العقلية (التشخيص والعلاج)، ط١، اليمامة للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠١.
- ٣- الباز، محمد علي، التدخين وأثره على الصحة، ط٣، دار السعودية للطباعة، السعودية، ١٩٨٠.
- ٤- الرمضاني، أياد، وآخرون، وباء التدخين وآثاره على صحة الفرد والمجتمع، ط١، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٧.
- ٥- عرموش، هاني، التدخين بين المؤيدين والمعارضين، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٩.
- ٦- الفكيكي، أديب توفيق، التدخين - آثاره الاجتماعية ومضاره الصحية، ط٣، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٢.
- ٧- الفحيلي، فاضل عباس، التدخين والقلب والجنس، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٦.
- ٨- قنديل، عبد المنعم، التداوي بالقران، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧.
- ٩- محمد، سميرة، الأم والطفل، بدون ط، دار المحبة للطباعة، دمشق، ٢٠٠٨.
- ١٠- ميشيل، دينكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠.
- ١١- الهواري، محمد محمود، المخدرات من القلق الى الاستعباد، ط١، بدون مطبعة، قطر، ١٩٨٧.

- ١- الانترنت  
[http://seenjeem.maktoob.com/question?category\\_id=31&level=13&question\\_id\\_2987](http://seenjeem.maktoob.com/question?category_id=31&level=13&question_id_2987)
- ٢- الانترنت  
<http://educdz.com/montada/t23869>
- ٣- الانترنت  
<http://azba.2007.com/montada-f431topic-t1343.htm>
- ٤- الانترنت  
<http://www.alshamsi.net/friends/b700th/health/smoking.html>
- ٥- الانترنت  
<http://thawra.a/wehda.gov.sy/printview.asp?filename=4457578852006090322313>
- ٦- الانترنت  
<http://www.lahaonline.com/index-livedialouge.php?id=62>



## الفلسفة السياسية عند ابن رشد

د. سامي محمود إبراهيم

جامعة الموصل / كلية الآداب / قسم الفلسفة

### ملخص البحث

يهدف بحثنا " الفلسفة السياسية عند ابن رشد " إلى عرض وتحليل الفكر السياسي للفيلسوف ابن رشد. وقد قررت الكتابة فيه بعدما أنجزت بحثا في عرض وتحليل فلسفة ابن رشد العملية، فتبين لي أن رؤية ابن رشد السياسية تعتمد على الفلسفة في اغلب فروعها. فاقتنعت بأنه أصبح من الواجب القيام بدراسة شمولية لفلسفة ابن رشد السياسية، للكشف عن حقيقتها. فجاءت دراستنا هذه لتكشف عن ذلك. واختيار هذا الموضوع يخضع لاعتبارات عدة أهمها ما يشغله ابن رشد من موقع محوري ضمن الفكر الإسلامي العربي الوسيط علي النحو الذي يمكن معه أن نقيس به من سبقه ومن لحقه. إن دراسة مثل هذه تضعنا مباشرة أمام سيل من الأسئلة التي تتطلب الفحص وتلمس الأجوبة الممكنة بخصوصها، فقد تناول ابن رشد قضايا عديدة لا تزال تحتفظ من حيث طرحها، ومن بينها تدبير السياسة وتعدد أنظمة الحكم ثم التنظير لمدينة فاضلة وذلك باستقراء أنماط الحكم المتعددة. ويهمننا أن ننبه إلى أن ابن رشد قد تجاوز كل السلطات بما فيها السياسية والمعرفية تجاوزها بهدف تقديم نظام عقلائي شرعي تتأسس من خلاله المدينة المنشودة في حلم أفلاطون. وسنعمد

في عرضنا وتحليلنا لفكر ابن رشد السياسي على المنهج النقدي التحليلي، مع الالتزام بالموضوعية.

وفي هذا البحث حاولنا إبراز المشروع الرشدي للفلسفة السياسية من خلال رؤيته الفلسفية والتي تجاوز فيها نظرية أفلاطون المثالية، مبرهنا على إمكانية قيام مدينة فاضلة من خلال تتابع حكومات الأخيار في بلد من البلدان، تقيم العدل وتحافظ على الاستقرار وتواصل الإصلاح والتجديد.

وإذا كانت الفكرة الرئيسية للبحث هي الوقوف على الغاية النظرية والعملية التي استهدفها ابن رشد من البحث في مسائل السياسة بحثا فلسفيا، فقد قسمت البحث إلى أربعة مقاصد، ضمن المبحث الأول مقصدين:

أولاً: موضوع السياسة وصلته بغيره من العلوم.

ثانياً: مذهب ابن رشد في طبيعة العدل وبيان تعلقه بالدولة وشؤون الحكم.

وضمن المبحث الثاني مقصدين أيضاً:

الأول: بين سياسة المدن وأنواع الحكم

والثاني: التجسيد الواقعي لسياسة المدن في إطار فلسفة المدينة الفاضلة.

## الفلسفة السياسية عند ابن رشد

د. سامي محمود إبراهيم

جامعة الموصل / كلية الآداب / قسم الفلسفة

### مُتَكَلِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: خصصت بحثي هذا لعرض وتحليل الفلسفة السياسية للفيلسوف ابن رشد، وعنوانه الكامل: الفلسفة السياسية عند ابن رشد. وقد قررت الكتابة فيه بعدما أنجزت بحثاً في عرض وتحليل فلسفة ابن رشد العملية، فتبين لي أن الخلفية السياسية لابن رشد تعتمد على الفلسفة في أغلب فروعها. فاقتنعت بأنه أصبح من الواجب القيام بدراسة نوعية للجانب السياسي من فلسفته، للكشف عن حقيقتها. والتي ما زالت إلى حد كبير مجالا بكرا، وذلك إذا أدخلنا في اعتبارنا القسم العملي من كتابه "الضروري في السياسة" على وجه الخصوص، وهو أهم المصادر التي تتناول السياسة وقضاياها، والذي ما زالت بعض موضوعاته غير مدروسة دراسة علمية أكاديمية. فجاء بحثنا هذا ليوضح ذلك، ويضع فلسفته السياسية في إطار فلسفته العامة. هذا هو النهج الذي حاولنا إتباعه في معالجتنا لموضوع بحثنا هذا، حتى إننا لم نقتصر على تقرير فلسفته، بل تضمن بحثنا في فلسفته السياسية نظرتنا الخاصة وتأويلنا الذاتي لفلسفته السياسية وما تتضمن من طروحات عديدة، بحيث يمكن القول بأن بحثنا هذا هو أساسا تحليل نقدي لفلسفة ابن رشد السياسية.

ونود أن نشير إلى أن البحث المعاصر في التراث الفلسفي الإسلامي الوسيط، قد بين أهمية تناول الفلسفة السياسية كخطوة منهجية في قراءة ذلك التراث، خاصة عند ابن رشد. وذلك لأن تاريخ الفلسفة في الإسلام لا ينفصل عن السياسة. هذا بالإضافة إلى أن تفاعل الحقيقة الفلسفية والسلطة السياسة في فلسفة الإسلام قد سمح بنوع من التعددية الفكرية والصياغات النظرية.

إن اختيارنا لهذا الموضوع كان خاضع لاعتبارات عدة منها أهمية الفكر السياسي الرشدي وعقائنيته. ثم ان اختيار هذا الموضوع وضعنا أمام جملة من الأسئلة التي تتطلب الفحص والتحليل والنقد، فقد تناول ابن رشد قضايا سياسية عديدة لا تزال تحتفظ بمضامينها وأبعادها، ومن بينها عقلنة السياسة وصياغتها بقالب فلسفي ثم بيان أسباب تعدد السياسات والتنظير لإمكانية وجود مدينة (دولة) فاضلة وتحليل أوجه قيامها على الصعيد النظري.

وإذا كانت الفكرة الرئيسية للبحث هي الوقوف على الغاية النظرية والعملية التي استهدفها ابن رشد من البحث في مسائل السياسة بحثا فلسفيا، فقد قسمت البحث إلى أربعة مقاصد، ضمن المبحث الأول مقصدين:

أولاً: موضوع السياسة وصلته بغيره من العلوم.

ثانياً: مذهب ابن رشد في طبيعة العدل وبيان تعلقه بالدولة وشؤون الحكم.

وضمن المبحث الثاني مقصدين أيضاً:

الأول: بين سياسة المدن وأنواع الحكم

والثاني: التجسيد الواقعي لسياسة المدن في إطار فلسفة المدينة الفاضلة.

## المبحث الأول

### السياسة ومضامين العدالة

#### المقصد الأول

#### موضوع السياسة وصلته بغيره من العلوم

إن تقسيم العلوم وتصنيفها من الأمور المهمة التي لا يستغني عنها الفلاسفة والعلماء من أجل تنظيم بناهم الفكرية وآرائهم، مثلما يحتاج إليها كتاب الموسوعات لكي يدونوا العلوم ليستفيد منها الآخرون، وذلك لأن التنظيم والتقديم والتأخير وإعطاء الأولوية لبعض الأمور، بما في ذلك العلوم والمعارف البشرية، من الأمور المطلوبة والمنطقية.

لذلك حرص ابن رشد على تقسيم وتصنيف العلوم واهتم بتحديد موضوع السياسة والأسس التي يقوم عليها.

فهو يرى أن هناك اختلافا جوهريا بين العلوم العملية والعلوم النظرية، ذلك أن موضوع العلم العملي الذي يتضمن السياسة والأخلاق هو الأفعال الإرادية التي تصدر عن البشر ومبادئه التي تتمثل في الإرادة والاختيار، أما موضوع العلم النظري فيشتمل على علم التعاليم بأقسامه، كذلك يشمل الفلك وكل ما يتعلق بالأمور الطبيعية<sup>(١)</sup>. هذا يعني أن الاختلاف يشمل كل من الموضوع والمنهج. لذلك يوضح ابن رشد الحدود الفاصلة بين العلمين على مستوى المواضيع والمناهج. وأيضا هناك اختلاف في القواعد الموضوعية بين علم السياسة وسائر العلوم الأخرى النظرية والعملية. بعد ذلك يتناول الفرق بين العلمين على مستوى الغاية والهدف، فيرى أن غاية العلم النظري هي العلم لأجل العلم<sup>(٢)</sup>، والذي يحيط بهذا العلم غير مطالب بأن يمر به إلى مستوى ممارسته أما غاية العلم العملي فإنها تتمثل في العمل والممارسة.

ويذكر ابن رشد انقسام هذه العلم إلى قسمين: يفحص في الأول عن العادات والشيم المكتسبة والأفعال الإرادية بالجملة، وفيما يتعلق بعضها ببعض، وكيف يؤثر

وسنعمد في عرضنا وتحليلنا لفلسفة ابن رشد السياسية على المنهج النقدي التحليلي القائم على الاحتكام إلى العقل والعلم، مع الالتزام بالموضوعية، فلا نقوله ما لم يقله كما فعل المفكرون المعاصرون باسم التنوير والعقلانية وحقوق الإنسان والديمقراطية.

يضاف إلى هذا أن تفكير ابن رشد من ذلك النوع الذي يدفع إلى القول بتفسيرات شديدة الاختلاف فيما بينها حتى أصبح الوصول إلى الحق وسط هذه التفسيرات أمر في غاية الصعوبة. وهذا باعث يبرر دراسة هذا الموضوع علنا نستطيع الوصول إلى التفسير الذي يعد أقرب ما يكون إلى الصحة والذي يتعلق بفلسفة ابن رشد السياسية.

وأخيرا أرجو أن أوفق لإظهار حقيقة الفلسفة السياسية عند ابن رشد، ليكون عملي هذا خطوة مكملة لما بدأه أساتذتنا العرب في إطار العرض والتحليل والنقد من خلال تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي. كما أرجو أن أكون قد وفيت جزاء من واجبي نحو أحد أجدادنا العظام، وقدمت محاولة جادة وعلمية لتفسير وتحليل نظام فلسفته السياسية. وذلك حتى تدق أجراس الحقيقة في كل مكان معلنة للعالم كله دور فلاسفتنا وعلمائنا في تطور الفكر البشري. فأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، والإخلاص في القول والعمل، إنه تعالى سميع مجيب، وبالإجابة جدير، وعلى كل شيء قدير.

ومن الواضح أن الكثير من أفكار ابن رشد السياسية لا تزال محافظة على قيمتها كنقطة للجور والاستبداد، ودعوته إلى النظر في الشأن السياسي من منظور العقل<sup>(٧)</sup>. وعندما تلقى نظرة على ما يحدث اليوم في البلدان الإسلامية من انتشار التكفير وغياب التسامح وتقشي الطائفية، نستذكر واقعية الخطاب الرشدي الذي يتحرك ضمن دائرة التصور الغائي، فالغاية هي التي تحرك إلى الفعل. وبهذا فهو يفضل الوجود المعقول على المحسوس والنظر على العمل. ثم إن هذا التلازم بين الفلسفة والسلطة هو نتيجة التلازم في نفس ابن رشد بين المعرفة والفضيلة. فالأقدر على المعرفة هو في نظره الأقدر على الحكم؛ لأن المعرفة الحق تؤدي في نظره بالضرورة إلى العمل الحق والحكم الحق. وتفسر لنا هذه النظرة لماذا رفع ابن رشد علم السياسة لأعلى منزلة بين العلوم، فهو يتناول تدبير شؤون المجتمع الإنساني، وحكم الناس على وجه العموم. وهو جدير بأن يدعى العلم الملكي، أو الفن الملكي، لما ينطوي عليه من العناية بجميع الناس، ولما يتطلبه من المعرفة بسائر العلوم والفنون؛ التي يتولى رجل الدولة العناية بذويها. وهو لصعوبته لا يتأتى إلا لأقلية من الناس. بقيت الإشارة إلى أن إتباع الأخلاق للسياسة، كما يرى ابن رشد، يعود إلى أن السياسة لا تبحث فقط عن العلوم الضرورية لبقاء المدينة، بل هي التي تبين أيضا العلوم التي يجب على أهل المدينة أن يتعلموها. وعند بحثه في الكيفية التي يمكن أن يتأسس بها علم السياسة، يعتمد إلى تناول الأرضية التي يمكن أن يقوم عليها، ملاحظا أنها تتمثل في علم الأخلاق الذي يتأسس بدوره على علم النفس، مما يعني أن علم الأخلاق وعلم السياسة يجدان في علم النفس أساسهما المشترك باعتبارهما ينتميان إلى علم واحد هو العلم المدني، ولذلك فانه عندما يعرض للمدينة الفاضلة يشبها بجسم الإنسان تارة وينظام الكون تارة أخرى. وهذا ما سيتضح أكثر في الصفحات القادمة.

## المقصد الثاني

### مذهب ابن رشد في طبيعة العدل وبيان تعلقه بالدولة وشؤون الحكم

بعضها ببعض، وفي الثاني يتم الفحص عن كيفية غرس هذه العادات في النفوس، وأي منها هي الحاكمة، وأي الملكات تؤثر في غيرها، والقسم الثاني يفحص فيه عن الكيفية التي ترسخ بها هذه الملكات في النفوس، وأي منها هي الحاكمة. لكي يكون ناتج الفعل عن العادة المطلوبة في غاية التمام، وهذا الجزء ينظر لكي يكون ناتج الفعل عن العادة المطلوبة في غاية التمام، وأي العادات تعيق الأخرى. ويضيف ابن رشد أن هذا الجزء ينظر في الأشياء التي تقبل الإدراك، أن كانت قائمة على مبادئ عامة<sup>(٨)</sup>. ويرى ابن رشد أن الجزأين الأول والثاني يقفان فيما بينهما من علاقة على مستوى واحد، كما هو الحال في صلة كتاب الصحة والمرض بكتاب تدبير الصحة ودفع المضار في علم الطب. وعلى هذا الأساس يبني رأيه في خصوصية كل واحد من العلمين، فيرى أن الجزء الأول من علم السياسة متضمن في كتاب أرسطو "الأخلاق إلى نيقوماخوس"، بينما يتضمن الجزء الثاني منه كتاب السياسة لأرسطو. لكن ابن رشد يذكر بأن كتاب السياسة لأرسطو غير متوفر لديه لذلك يلجأ إلى تلخيص كتاب السياسة لأفلاطون<sup>(٩)</sup>. وهكذا نجد أن كلا العلمين الأخلاق لأرسطو والسياسة لأفلاطون إنما يشكلان جزأين مكملين لبعضهما البعض في العلم السياسي كما صرح بذلك ابن رشد نفسه.

وإذا كان أساس علم السياسة هو الأخلاق فإن ما يؤسس علم الأخلاق هو علم النفس، وهو جزء من العلم الطبيعي، لأن النفس لا تفعل ولا تتفعل إلا بالجسم<sup>(١٠)</sup>. مثال ذلك الفرح والحزن والغضب وغيرها من الأحوال النفسية المرتبطة بالجسم.

بعد ذلك يمهّد ابن رشد لموضوع "التدبير" فيرى أن الغرض من التدبير هو تدبير أهل المدينة من جهة أنهم نفوس تسعى إلى الحصول على الكمال<sup>(١١)</sup>. وإذا كان علم الأخلاق بهذا النحو هو علم تدبير نفس الفرد، فإن السياسة هي تدبير نفوس الجماعة. معنى هذا أن السياسة تستمد جوهرها من علم الأخلاق وغايتها هي دائما تأسيس مدينة فاضلة يكون على رأسها الفيلسوف، ولا ينبغي القول أنها تنطلق من الأخلاق إلى السياسة في ذاتها، ذلك أن ما يحرك السياسة ويخرجها من القوة إلى الفعل هو الأخلاق.

ويناقش ابن رشد موضوع العدل من منظور شرعي إسلامي فهو يرى " أن العدل معروف بنفسه أنه خير وأن الجور شر"<sup>(١١)</sup>، معتبرا الإنسان مسؤولا عن أفعاله، فأَنْ يكون عادلا أو جائرا فذلك من فعله ولا يجوز نسبته إلى الله وقضائه العادل. لهذا يستتكر الظلم الذي يتعرض له العلماء والمصلحون من قبل الحكام المستبدين، فهو يقول: " ومن الظلم أن يكون العادلون والصالحون يعذبون على فضائلهم ولذلك يكون الظلم الواقع بهؤلاء فخرا لهم وكرامة"<sup>(١٢)</sup>، ويقول في سياق آخر: " نرى كثيرا من ملوك الجور يقصدون اهانة العلماء بالضرب وغير ذلك من الشر"<sup>(١٣)</sup>.

وهكذا ينقد ابن رشد الظلم السياسي والاستبداد في الدول. ومن الملاحظ انه يحارب ولا ينتصر للعائلات الحاكمة المستأثرة بالأموال. فهو معجب بالقوة للدولة القوية ويحبذ الاستقرار السياسي ويرتاب من الظلم والتفتت، فهو داعية للعدل. ولذلك ينبه ابن رشد على وعي الشعب المضطهد واختلاف حاله، فهو يقول: " ولهذا يعظم هذا الفعل على الجماعة، وذلك أن الجماعة إنما فرت من الاستعباد بتسليمها الرئاسة إليه فإذا هي تقع في استعباد أكثر قسوة"<sup>(١٤)</sup>.

وفيما يتعلق بالرأي والرأي الآخر، نجد النزعة العادلة والمتسامحة في فكره، فهو يوجب الإصغاء لمن يخالفنا الرأي، وذلك وفقا لمبدأ العدالة، إذ " من العدل كما يقول الحكيم أن يأتي الرجل من الحجج لخصومه بمثل ما يأتي لنفسه، أعني أن يجهد نفسه في طلب الحجج لخصومه كما يجهد نفسه في طلب الحجج لمذهبه"<sup>(١٥)</sup>. وهذه دعوة إلى تأسيس السياسة على فعل أخلاقي عقلاني تواصلي في فضاء عمومي حيث تتخذ القرارات العامة من خلال حوار مبني على حجج عقلانية.

ولكي نفهم العدالة على نحو أفضل، يتوجب النظر إليها من داخل الدولة حيث تتبدى في صورتها الكبرى، معنى هذا أنها أكثر وضوحا في الدولة منها في الفرد وذلك لتحقيق صفة الاجتماع. من هنا يؤكد ابن رشد على ضرورة الاجتماع،

قضت الإرادة الإلهية أن لا تنتهي أوراق سجل التاريخ إلا بسطور العدالة. وجاء التأكيد الإلهي بأنه لو لم يبق من عمر الدنيا إلا يوما واحدا لطول الله ذلك اليوم حتى تتحقق العدالة في ربوع المجتمع الإنساني وتمتلئ الأرض قسطا وعدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا. وهذا المقصد يتناول مسألة العدالة عند ابن رشد، وبيان تعلقها بالمباحث الفلسفية التي تبحث في أمور السياسة. ولإعادة البحث في مفاهيمه ومضامينه طالما أن المجتمعات في حركة دائمة، تتطور أشكالها بتطور العلوم والتقنيات الإنسانية. وكيف انها تحقق التوازن النفسي والاجتماعي في المجتمعات. .. نبحت في هذا الموضوع علنا نجد مخرجا لازمة العصر التي أمسى فيها الظلم ممنطقا ومعقلنا، وفي وقت أصبحت فيه لغة الظلم هي السائدة بالمجتمعات البشرية، نجد أنفسنا مطالبين بالاستتارة المعرفية للإضفاء على الوجود معنى واستراتيجية فاعلة من أجل العدالة، ومع بروز مفهوم الدولة المدنية الحديثة والتضييق في الحريات والاستبداد، يبقى موضوع العدل لدى ابن رشد من المواضيع الأساسية المطروحة أمام مفكرينا وفلاسفتنا وحركاتنا الاجتماعية والسياسية على حد سواء.

وفي البداية يعرف ابن رشد العدل بأنه " يتمثل في قيام كل فرد من أفراد المدينة بالعمل المتناسب مع طبيعته"<sup>(٨)</sup> من هذا التعريف نقف على حقيقة ان العدالة تتمثل في احترام القوانين. وفيما يتعلق بعلاقة العدالة بالمدن يرى ابن رشد ان المدن توصف بالعدالة عندما يكون فيها أفراد عادلون لان العدالة موجودة في كل فرد من أفرادها. هذا النوع من العدالة يسميه ابن رشد " بالعدالة السياسية"<sup>(٩)</sup>، كما ينبه ابن رشد إلى ان انتفاء صفة العدالة سببه الظلم الذي يرتكبه الأفراد عندما ينخرطون في مباشرة أكثر من عمل أو حرفة. وهم بذلك لا يستقرون في طبقة اجتماعية معينة يعرفون بها<sup>(١٠)</sup>.

والجسدية والنفسية، فهي (أي العدالة) تتحقق على مستوى النفوس حيث يحدث انسجام بين القوى الشهوانية والعقلية لدى الإنسان فالضامن الوحيد لتحقيق الفضيلة والعدالة هو الدولة التي تملك سلطة القانون والحكمة وتبعا لذلك فإن الوظائف التي تستدعي قدرات عقلية وانسجام الغرائز مع العقل ستكون من نصيب الحكماء والفلاسفة لأنهم هم القادرون على تحقيق الحق والعدالة<sup>(٢٤)</sup>. وما التوافق والعدالة في نفس الفرد إلا ذاتهما التوافق والعدالة في المدينة. ويحصل التعدي والظلم عندما تنتفي هذه الصفات في المدينة فتتحول من فاضلة إلى جاهلة. ولهذا السبب يرى أن المدينة الفاضلة واحدة بينما المدن الجاهلة عديدة ومتنوعة. والمدن الفاضلة تقوم على نمطين من الحكم: ملكي ويقوم رجل واحد على رئاستها وراستقراطي ويقوم عليه أكثر من رئيس<sup>(٢٥)</sup>.

وهكذا يضع ابن رشد الملاحظات الخلفية نفسها على مسائل التشريعات والدساتير والقوانين ويبدو عليه التردد والحذر في أخذ أفكار أفلاطون إذ برأيه ليس من الصحيح تشريع الدساتير الجزئية في مثل هذه الحالات، كما لا يجب فعل ذلك. وإذا وضعت الدساتير العامة بصورة ثابتة فإن الأمر يعود إلى أهل المدينة لأن الإنسان ينجذب إلى ما تمليه عليه تربيته وتهذيبه وميوله الخاصة. ويجب على من يريد وضع هذه الدساتير الجزئية أن يستمر معظم حياته الدنيا في تحسين جوهر هؤلاء الناس. ويحبذ لتدارك الخلل أن توضع أولا الدساتير العامة وبعدها يتم استخلاص الدساتير الجزئية. ويحاول عندما يصل إلى مفهوم العدل في جمهورية أفلاطون شرح موقفه بإعادة تذكير القارئ بمجمل المواقف المتعلقة بالفضائل والشجاعة والحكمة والعلوم والدستور والمشورة والصناعات العملية كالزراعة والتجارة ومعرفة الغاية الإنسانية. فالمدينة يجب أن تملك العلوم النظرية والعملية معا والفئة التي تملك الحكمة تكون عادة قليلة العدد وأفرادها هم الفلاسفة وطباعتهم مختلفة عن طباع من يمتلك

فلا اجتماع ضروري والإنسان مدني بالطبع<sup>(٢٦)</sup>، وحتى يحصل الناس على حاجاتهم، يتطلب الأمر تقسيم العمل في ما بينهم، أما إذا لم يحترم كل صنف ما توجهه عليه نواميس الطبيعة، فإن الذي يسود هو الجور<sup>(٢٧)</sup>. لذلك يشير أفلاطون أن الظلم هو تنافر بين أجزاء الجسم الثلاثة<sup>(٢٨)</sup>.

وفي ظل هذه العدالة تزول القيود من الإنسان، ويعود الى الناس حقهم المسلوب. . تزول قيود العبودية الظاهرة والباطنة، وتحرر رقاب الناس، وتزول ارضية استغلال الانسان لاختيه الانسان تماما. يقاد عمال الظلم والجور الى التحقيق، ويعزل القضاة والحكام الظلمة عن مناصبهم، وتطهر الارض من اي نوع من انواع الخيانة. . يسحق المستكبرون، وينجح المحرومون والمستضعفون في استرجاع حقوقهم، وعندها لن تذرف دمه ولا تتعالى آهه، ولن يببب انسان جائعا، ولن يمضي اي محروم يومه قلقا خائفا<sup>(٢٩)</sup>.

على هذا النحو فان ابن رشد بموافقة أفلاطون يوافق أيضا أرسطو. وهذا التوافق بخصوص تحديد ماهية العدل وطبيعته، يوضح التأثير البالغ الذي مارسه أفلاطون وأرسطو في الفلسفة العربية الإسلامية<sup>(٣٠)</sup>. هذا بالإضافة إلى أن ذلك الالتقاء يفسر بأن آراء اليونان والإسلام من الناحية السياسية تستند جميعها إلى مبدأ العدل. وهنا يؤكد ان حاجتنا لمن تقدمنا من الأمم والأفراد هي حاجة متجذرة في طبيعتنا كبشر<sup>(٣١)</sup>. بعد ذلك يقارن ابن رشد بين العدالة وقوى النفس، فيرى أن الذات الإنسانية تنقسم إلى ثلاث قوى<sup>(٣٢)</sup>. أولها: القوة الغاذية، وفضيلتها العفة، أما القوة الثانية فهي الغضب، وفضيلتها الشجاعة. والقوة الثالثة هي القوة الناطقة، وفضيلتها الحكمة.

وإذا كانت العدالة هي نتاج العلاقة الجدلية بين هذه الفضائل<sup>(٣٣)</sup>، فإنها تتحدد باعتبارها فضيلة تتضاف إلى فضائل ثلاث هي: الاعتدال والشجاعة والحكمة، فالعدالة حسب هذا الأخير هي أن يؤدي كل فرد الوظيفة المناسبة لقواه العقلية

## المبحث الثاني

### أنواع الحكومات وخصائص أنظمتها بين المدينة الفاضلة والمدن الأخرى

#### المقصد الأول

#### بين سياسة المدن وأنواع الحكم

ربما كان الهدف البارز في الفلسفة السياسية عند ابن رشد هو الإحاطة بسياسة المدن وأنظمة الحكم فيها ومعرفة التحولات التي تلحق بها. ويبرز اهتمام ابن رشد بهذا الموضوع عندما ينتقل إلى تحليل أنظمة المدن وأنواع الحكم، وبيان تحولاتها، منبها إلى نماذج من الحضارة العربية الإسلامية ومن الأندلس بصفة خاصة<sup>(٢٧)</sup>.

وإذا كان ابن رشد قد اهتم بالتحولات التي تطرأ على المدن وسياساتها وطبيعة حكمها، فإنه في كل هذا يركز على المدن الجماعية وتقلباتها. ويؤكد أن السبب هو المبالغة في طلب الحرية، وهو ما يتعارض مع القانون الوسطي الذي تبناه ابن رشد بحيث لا يكون هناك إفراط ولا تفريط<sup>(٢٨)</sup>. ولذلك كانت المدن (أي الجماعية) تقوم على الحسب والنسب في معناها الكامل، على عكس ما عليه الحال في المدينة الفاضلة<sup>(٢٩)</sup>. من هذا المنطلق نجد أن "الاجتماعات القائمة في كثير من الممالك الإسلامية اليوم هي الاجتماعات القائمة حصرا على البيوتات (الأسر) ... ولهذا السبب فإن أهلها يضطرون إلى إخراج المال لغرض إنفاقه على من يقومون بحراستهم والقتال من أجلهم، ومن هنا جاء أصل الغرامات والمكوس.

وهذا يؤدي إلى أن الناس سوف ينقسمون إلى صنفين: الأول الجمهور والثاني هم السادة"<sup>(٣٠)</sup>.

وما يهمني هو تفصيله لطبيعة العلاقات التي تسود هذا النوع من الحكم، والتي يعتقد أفرادها ورؤساؤها باعتقادات فاسدة، منها خداع الناس والحصول على ولائهم

الصناعات العملية. ويخالف أفلاطون عندما يتحدث عن العفة والعدالة فيرأيه أن فضيلة العفة غير قاصرة على فئة واحدة من الناس بل هي عامة للجميع من حكام وجمهور. ويجب أن تكون ممتدة في المدينة أو الدولة كلها لأنها تبعث على الوفاق بين أهلها وتقضي ما هو مضاد لذلك<sup>(٢٦)</sup>.

بهذا اتضحت أهمية فلسفة ابن رشد السياسية في نقده الفكر الاستبدادي، فكانت فلسفته فلسفة واقعية نقدية، وهي تحفل باستجابة لمستوى الآفاق الموضوعية والذاتية لعوامل تقدم الدول والشعوب. حيث إن منهجية ابن رشد، هي امتداد لذلك النموذج الثقافي الأندلسي الذي كان يستند إلى وعي بضرورة التسامح وهي التي شكلت أخطر سؤال وجه إلى المشروع الموحي الذي بلغ في طور أزمته وتفككه ذروة التشدد بسبب نمو النزعة المتصلبة، وعلى المشروع الحضاري الغربي نفسه، وذلك تحت تأثير نمو حساسيات الذات والهوية، وما يرافقها من خطابات إيديولوجية مغلقة. وما يبنى عليها من جور وظلم. فالظاهر أننا جميعا نكابذ وضعنا سياسيا ونمطا ثقافيا من جنس تلك الأوضاع التي جابهها ابن رشد في محنته نتيجة لنمو روح التعصب والتشنج والقعود عن فتح باب النظر في مسائل السياسة.

أمرها على الشريعة الإسلامية، إلا أنه يرى أنها تحولت بعد فترة إلى مدينة الجاه والشرف ثم إلى مدينة الاستبداد.

أما أسباب اختلاف السياسات فمرده - كما يرى ابن رشد - إلى اختلاف أخلاق النفس وطبائعها، فالجزء الغضبي يطمح في الكرامة، ثم إذا زاد عن حده تحول إلى غلبة، والجزء الشهواني خاص للذة العيش وحب اللذات. ويتعبير ابن رشد " أن المدن قد تتحول بعضها إلى بعض مثل تحول المدينة الفاضلة إلى المدينة الكرامية، لأن أصحابها قد يفضلون الكرامة والقهر وحب السيادة أكثر من الفضائل التي التزموا بها من قبل<sup>(٣٥)</sup>. ومن ثم فإن هذا النوع من الحكم يتضاد مع الحكم الفاضل لأنه يتصف بالطغيان<sup>(٣٦)</sup>. ولذلك ينبغي لأصحاب السياسة أن يحذروا من أن يطرأ مثل هذا الصنف في المدن أكثر من حذر الطبيب من طريان الأخلط على الأجسام<sup>(٣٧)</sup>. وبذلك يكون ابن رشد قد نجح في إعلان مشروعه الإصلاحية في ما يتعلق بأنظمة الحكم، وأعلن بصراحة ووضوح تأسيس مدينة فاضلة مبنية على حكم وحكومة فاضلة تلتنقي فيها الفلسفة والسياسة والعقيدة. وهذا ما سنوضحه بالتفصيل في المقصد القادم.

## المقصد الثاني

### التجسيد الواقعي لسياسة المدن في إطار فلسفة المدينة الفاضلة

إن الحاجة إلى استلهاهم العبرة من تجربة ابن رشد السياسية هي حاجة تاريخية ملحة، إذ نواجه ظرفاً زمنياً ارتفعت فيه تحديات الهيمنة التي انحدرت إلينا من الشمال المركزي بطابعه الهرمي ونفاقه الميتافيزيقي والأخلاقي، ذلك أن النموذج الغربي يوجد حالياً في الطرف المقابل للروح الرشدية القائمة على التعددية والاعتراف بالآخر على قاعدة المساواة والعدل، فهو يتقدم على أنه الخطاب الاجتماعي الوحيد الممكن. ومن غير الممكن التعايش مع هذا النموذج، فهو لا يسمح إلا بالخضوع مستعينا بسلطته السياسية والمعرفية على حد سواء.

يشتمل الطرق والوسائل التي لا توصل إلى تحصيل السعادة. إذ لا يخفي ابن رشد تفضيله المدن الجماعية من بين تلك المدن غير الفاضلة، إذ إن إنشاء المدن الفاضلة ورئاسة الأفضل يكون من المدن الجماعية أمكن وأسهل، رغم أنه يصفها بأنها هي التي كل واحد من أهلها مطلق مخلى لنفسه، يعمل ما يشاء، وأنها تحوز على رئاسة جاهلية، وسياسة استبدادية. يقول ابن رشد " ولهذا سوف تتوفر في هذه المدينة الجماعية كل الأشياء، وبالتالي سيقوم فيها أناس يرغبون في المجد والشرف، وأناس يرغبون في التسلط والاستبداد، ولربما نجد فيهم من يمتلك سائر الفضائل<sup>(٣٨)</sup>.

لقد اتضح لنا أن تلك المدن مضادة للمدينة المستبدية (القائمة على الغلبة)، أما المدن المستبدية وفق المنظور الرشدي فإنها " تلك التي يقوم اجتماع أهلها على خدمة المستبد وتنفيذ رغباته، لذلك فإن أهلها أشبه بالعبيد، وإن اجتماع أهلها مضاد لاجتماع أهل المدينة الفاضلة<sup>(٣٩)</sup>. لهذا السبب يرى ابن رشد أن هناك تشابهاً بين المدن الامامية والمدن المستبدية<sup>(٤٠)</sup>، وهذه إشارة إلى دولة الموحدين والمرابطين.

وإذا كان هذا هو واقع مضادات أنظمة المدينة الفاضلة، فإن ابن رشد يقدم حلاً يكمن في إعداد جبل ينشأون ويتربون على مبادئ الناموس العام المشترك، وإلى جانب ذلك تكون شريعتهم الخاصة بهم غير مخالفة للشرائع الإنسانية<sup>(٤١)</sup>.

بهذا اتضح لنا أن ابن رشد يسهب ويستترسل في شرح أشكال النظم السياسية المضادة لأنظمة المدينة الفاضلة ويقدم حلولاً لعلاجها، كالنظام الاستبدادي أو النظام القائم على الجاه والشرف والمجد. وهو في كل هذا يبين أسباب سقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين، ويعزو ذلك إلى ابتعادها عن دولة الشريعة الإسلامية ونظام الشورى في الحكم، إذ تحولت بعد بضع سنين إلى مدينة المال، ثم بعد ذلك إلى مدينة الاستبداد، ويفسر أسباب فنائها بظهور دولة قائمة على الشريعة وهي دولة الموحدين. ثم يصف بعد ذلك ما جرى عند قيام دولة الموحدين وكيف أنها اعتمدت في أول



الأخرى، ولذلك فلا حاجة لهم إلى سن العقوبات درءاً للاستيلاء على الأموال، أو السرقة أو غير ذلك من هذه الأمور القائمة في هذه المدن. بل إن هؤلاء القوم هم في غاية السعادة<sup>(٣٩)</sup>.

وهو بهذا يتفق مع ابن باجة الذي يقول بخصوصها: "ان المدينة الفاضلة قد أعطي فيها كل إنسان أفضل ما هو معد نحوه، وأن آراءها كلها صادقة، وأن أعمالها هي الفاضلة بإطلاق"<sup>(٤٠)</sup>.

بعد ذلك يبين ابن رشد أهمية الحكمة ودورها في تأسيس المدينة الفاضلة، فالحكمة هي فضيلة المدينة الفاضلة، وهذا التدبير لا يكون إلا إذا كان رؤساء المدينة فلاسفة.

لذلك يذهب ابن رشد إلى ان سياسة المدينة الفاضلة لا تتحقق إلا بالتعاون ومداومة العمل، فصنف العامة كما يقول ابن رشد: "يخدم السادة بما تتم لهم به الغاية من الفلسفة، والسادة يخدمون العامة بما يوصلهم إلى سعادتهم"<sup>(٤١)</sup>. فهذه المدينة تكون فاضلة بالأفعال والآراء؛ الأعمال الصالحة والآراء الصحيحة. فالملوك المصلحون عند ابن رشد سبب في نشأة المدينة الفاضلة التي تتسم بالاجتماع الفاضل، فبهذا الاجتماع يصل كل فرد في المدينة إلى السعادة التي تسمح له بها قدراته، فنوايا أهل هذه المدينة نوايا خيرة إذ أن لكل صنف من أصناف هذه المدينة مقصدا واحدا هو السعادة، وأن أعظم خير يصيب المدينة هو وحدة أهلها<sup>(٤٢)</sup>.

بقي ان نشير إلى ان ابن رشد كان يرى أن المدينة الفاضلة وجدت في عهد الخلفاء الراشدين قبل أن تتحول إلى حكم قائم على الكرامة، كما عرفت المدينة الإسلامية في العصر الأموي والأندلس. ومن المؤكد ان ابن رشد بعودته للتاريخ الإسلامي وأنظمة الحكم فيه، كان ينوي ان يقارن بين المدينة الفاضلة والمدن

لقد قصدت إلى هذا التقديم لأبين كيف أننا لازلنا نواجه شيئا من مشروع ابن رشد السياسي الفلسفي الذي لازالت بعض طروحاته النقدية العقلانية تسعفنا في أفق هذا العالم، ولا شك أن توسيع أطر العقلانية ومساحات النقد والسؤال لا بد له من إحياء جوانب من هذا الإرث المنسي في أعماق الذات الحضارية العربية الإسلامية. فلننظر إذن في طبيعة ومكونات هذا النظر السياسي الفلسفي الرشدي، ولنبين كيفية تصويره لطبيعة النظام والدولة الفاضلة... وكيف أثر كل ذلك على النظر إلى تعامله وتعاطيه مع السياسة في عصره ومقارنتها بالسياسات والأنظمة السابقة. وهذا ما سيتضح في الصفحات القادمة إن شاء الله.

لقد وضحنا في المبحث السابق كيف تناول ابن رشد مجمل آراء أفلاطون بخصوص السياسة وفق أسلوب يعتمد تحليل القضايا واعتماد منطق الواقع، كما تحدثنا عن أسس ومقومات نشأة المدينة وأن ما يفرض تلك النشأة هو حاجة الإنسان إلى الاجتماع، إذ: " أن الإنسان يحتاج في حصوله على فضيلته إلى أناس غيره، ولذلك قيل بحق عن الإنسان انه مدني بطبعه "<sup>(٣٨)</sup>.

ولقد أكد ابن رشد ان هذا الاجتماع ينبغي أن يخضع إلى نظر عقلي كي ينظم على النحو الذي يضمن للإنسان حريته وكرامته، وإلا فإنه يكون ضالاً جاهلاً، تسلط خلاله على الناس شتى صنوف القهر. لهذا السبب فرق ابن رشد بين نوعين من السياسة: سياسة فاضلة وسياسة ضالة. فمن جهة هناك المدينة الفاضلة ومن جهة ثانية هناك المدن الأخرى التي تتصف بالضلال والفساد، فإذا كانت المدينة الفاضلة حكيمة، شجاعة، عفيفة، عادلة، فإن المدينة الضالة فاسدة، جاهلة، جائرة. فابن رشد يعطي صفات وخصائص المدينة الفاضلة، إذ يقول: "وبين أن هذه المدينة(المدينة الفاضلة) إذا كان حال أهلها هذه الحال، فإنها ستخلو من الحسد والبغضاء. وكذا من سوء الحال، وغير ذلك من الشرور القائمة في هذه المدن

من كل هذا يمكن أن نستنتج أن ابن رشد لم يقلد لا أفلاطون ولا أرسطو في مجال السياسة، بل وظف أقوالهما في هذا الميدان لتتناسب مع الشريعة الإسلامية وصاغ من كل ذلك موقفا شخصيا يختلف عن موقفي أستاذه اليونانيين.

حقا لقد تجاهل ابن رشد آراء أفلاطون التي تتنافر وسلوكيته الدينية والاجتماعية. ومنها إباحية الحكام ومشاعية النساء، والأولاد، والمرأة في عمل الرجل، واحتكار المال، وأجزاء الحب الأفلاطوني. وفي المقابل يعتمد على أفلاطون في وصف تحولات المدن إذ يرى أن المدينة الفاضلة يمكن أن تتحول إلى مدينة كرامية ثم تتحول المدينة الكرامية إلى مدينة الشهرة ثم إلى مدينة جماعية قبل أن تتحول أخير إلى أشر مدينة وهي مدينة وحدانية التسلط.

وإذا كان ابن رشد قد فسر تعدد السياسات بتعدد أجزاء النفس<sup>(٤٦)</sup>، فإنه يرى أن النظر في السياسات غير الفاضلة التي تتحول إليها المدينة الفاضلة ليس ضروريا للسياسي، إنما يكفيه أن يعرفها ويعرف الشرور التي تنتقل منها إلى المدينة الفاضلة<sup>(٤٧)</sup>.

ويستحضر ابن رشد صور المجتمع وتدرج مراتبه من نظريته الفلسفية في الوجود، الأمر الذي يعكس حقيقة الترابط بين الفلسفتين النظرية والعملية، أي بين الميتافيزيقا والاجتماع الإنساني في السياسة والأخلاق، فتصبح فلسفته الاجتماعية انعكاسا لفلسفته الميتافيزيقية تستقي منها نظامها وتسلسلها، ومن هنا تتجلى فكرة إيمانه بوحدة العقل ووحدة الفلسفة.

غرض ابن رشد من هذا الدمج محاولة بناء الموجودات في عالم ما بعد الطبيعة وعالم الطبيعة والإنسان، على أساس ابتناء أساس نظري للمدينة الفاضلة التي تقاوم تحولها إلى مدينة جاهلية. ولذلك عمل ابن رشد على تجاوز مثالية أفلاطون، وذلك من خلال النظر إلى المسألة السياسية، لا من زاوية تشييد النموذج المثالي بعيدا

الإسلامية. . بين رئيسها الفيلسوف كما هو الأمر عند أفلاطون، ورئيسها الأمير أو الخليفة أو النبي، كما هو في المدن الإسلامية.

وفي كل ذلك يبقى القرآن الكريم عند ابن رشد هو الأساس التشريعي للمدن الإسلامية، فهي مدن محكومة بالشريعة الإسلامية، والأمر فيها موكول "لما أمر به الله تعالى"<sup>(٤٣)</sup>. فإذا كانت الفلسفة هي التي تبني المدينة الفاضلة عند أفلاطون فإن الشريعة هي التي بنت المدينة الفاضلة في المجتمع لإسلامي، إذ أن ما تقصده الشريعة هو عين ما تقصده الفلسفة. بهذا نجد ان نزعة ابن رشد التوفيقية قد شملت السياسة وشؤون الحكم. فهو يوجب على الفلاسفة أن يتعلموا من الأنبياء وواضعي الشرائع مبادئ العقل والشرع.

من هذا المنطلق يقول ابن رشد "والممدوح من هذه المبادئ هو ما كان منها أحت للجمهور على الأعمال الفاضلة، حتى يكون الناشئون عليها أتم فضيلة من الناشئين على غيرها، مثل كون الصلوات عندنا. فإنه لا يشك في أن الصلوات تنهي عن الفحشاء والمنكر"<sup>(٤٤)</sup>. وإذا كانت الفضائل في المدينة الفاضلة تكون بالأقاويل الخلقية والإقناعية وقد تكون بالحرب كذلك، فإنها في المدينة الإسلامية تحقق عن طريق الموعظة لحمل الجمهور على الفضائل، وطريق الجهاد لإكراه الأمم الضالة التي لا تجري أفعالها على المجرى الإنساني<sup>(٤٥)</sup>.

يتضح مما تقدم أن ابن رشد لا يكتفي بشرح الفلاسفة اليونان، بل يتخذ من حين لآخر مبادرات تميزه عنهم. فبالرغم من انه يأخذ برأي أفلاطون في اعتبار المدينة محكومة من طرف الفلاسفة، فإن هؤلاء الفلاسفة عند ابن رشد غير ملحدين. فهم جميعا يؤمنون بالله وبنبوة محمد وإعجاز القرآن. أضف إلى ذلك أن ابن رشد يفترض أن الشريعة الإسلامية تتضمن تعاليم تتجاوز نواميس أفلاطون، لأن هذه الأخيرة مجرد تعاليم وضعية.

الكرامية)، إنها مدينة ترتبط بالخير الأسمى، تهتم بالارتقاء بالنفس وبالفضيلة بالعلم وبالعقل، إنها مدينة تقوم على سياسة يخضع لها جميع الناس، دون أن تترك الأفراد أسيري أهوائهم، يقولون ويفعلون ما يشاؤون (مثلاً هو الشأن في المدينة الجماعية)، لكن المدينة الفاضلة تتأسس أيضاً على قواعد شرعية، أخلاقية وعقلية، وعلى قوانين تلزم الناس باحترامها، دون إكراه ودون اللجوء إلى القوة والهيمنة (كما يفعل أهل مدينة التغلب)، دون استعمال أساليب التمويه والخداع والغرور (مثلاً هو عليه الأمر في المدينة الضالة)، إلا أن بلوغ المدينة الفاضلة، يقتضي الجمع بين القول والفعل، فلا يكفي معرفة الخير الأسمى والسعادة الحقّة والكمال الإنساني، بل ما يهم هو ممارستها، وإذا ما انفصلت معرفة الفضيلة عن ممارستها (نكون أمام مدينة فاسقة)، كما يجب أن تضل المدينة الفاضلة حلماً أبدياً، يجب أن يبقى الوعي حرساً حتى لا يحيد الناس عن الفضيلة، وإلا فقدت صفة الفضيلة وتبدلت أحوال المدينة (كما هو الشأن بالنسبة للمدينة المتبدلة).

وبناءً على ما تقدم يمكن القول إن فلسفة المدن الجاهلية فلسفة نقدية وبنائية في آن معاً، نقدية لأنها تنزع إلى تقديم نقد اجتماعي سجله ابن رشد من خلال فلسفته السياسية، وهو ينطبق كما يبدو على الفرق والطوائف المختلفة، وأشكال الولاءات التي عرفها المجتمع الإسلامي في عصره. أما أنها بنائية فلأن ابن رشد قدم نموذج المدينة الفاضلة لتكون بمثابة البديل عن المدن الجاهلية، لكونها تشكل المعادل الموضوعي للسعادة الحقيقية، التي ربما كانت تنشدها القوى الاجتماعية الصاعدة في تلك الظروف، وينشدها المفكرون والأفاضل من أهل المدن الجاهلية التي يعج بها العصر آنذاك.

عن معطيات الواقع، بل من زاوية النظر إلى الممكن الواقعي وبناء الإصلاح على أساسه، وصولاً بالتدريج إلى تحول الممكن الذهني إلى واقع فعلي<sup>(٤٨)</sup>. سيكون على ابن رشد إذن أن يبين كيفية إعادة بناء العقل الكوني والنظر البرهاني، وإعادة بناء لحمة المجتمع ووحده، فكأنه أراد ابتداء المشروع الفلسفي الذي من شأنه أن يعيد توحيد السلطة ولم الشتات لإصلاح الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية، وتجاوز الملة الجاهلية، عن طريق الفلسفة التي تعطي براهين ما تحتوي عليه الملة الفاضلة، وتخلصها من الأمراض التي تصيب المدن الفاضلة، من الأفعال والملكات التي في المدن غير الفاضلة، وإعادة تأسيس المكانة العقلية في الفلسفة.

من هنا، يبدو أن الكيفية التي تصور بها مهمة العقل البشري ضمن صيغة العلاقة بينه وبين العقل الفعال، وصيغة العلاقة بين النفس والجسم، هي التي يتوقف عليها مصير المجتمع المدني، وبنيتّه وتديبره والعلاقة بين فئاته. ولم يكن بالتالي انصرافه إلى الفلسفة السياسية من جهة، وإلى الأخلاق العملية من جهة أخرى، إلا تنويعاً لصورة انعكاس الواقع الاجتماعي والسياسي في عقله، فأراد أن يعيد تأسيسها على نحو جديد. من هنا نفهم معاني مدينته الفاضلة التي أسس لها، ومضاداتها من المدن غير الفاضلة، عبر بحثه في الأسباب والجهات التي لا يؤمن معها أن تستحيل الرياسات الفاضلة وسنن المدن الفاضلة إلى السنن والملكات الجاهلية، والتدابير التي يجب اتخاذها في حالة لم تعد المدن الفاضلة فاضلة، أي تحولت إلى مدينة جاهلية من أجل عودتها إلى حالة الفضيلة، وذلك من خلال العلوم النظرية والعملية والقوة الحاصلة عن التجربة.

وعلى كل فإن المدينة الفاضلة إذا ما تحققت يكون أهلها غير مرتبطين بما هو ضروري للحفاظ على البقاء، من تلبية للحاجات الضرورية، ولا تبالغ في الملذات، ولا تكتفي باليسار والثروة، ولا تتجذب بمظاهر خادعة كالمجد والشهرة (كالمدينة

## الخاتمة:

ما هي القضايا الفلسفية الرئيسية في آراء ابن رشد السياسية، وما قيمتها وأصالتها؟ نحسب ان الإجابة عن هذين السؤالين وغيرهما من أسئلة تدور في هذا الفلك هي ما يجب ان نختم به بحثنا لهذا الموضوع.

في هذا البحث تمكنا من عرض وتحليل ونقد الفلسفة السياسية عند ابن رشد والتي تجاوز فيها نظرة أفلاطون المثالية، مبرهنا على إمكانية قيام مدينة فاضلة تقيم العدل وتعمل على نصرة المواطن وتتكفل بتوفير الأمن والاستقرار.

كما نود ان نشير إلى قضية مهمة نخرج بها من دراستنا لفلسفته السياسية. هذه القضية تتلخص في ان مساهمة ابن رشد في مجال الفلسفة السياسية قد أكدت على الارتقاء بالتعامل مع القضايا السياسية من مستوى التناول الجدلي والخطابي إلى مستوى التحليل البرهاني الفلسفي.

لقد بينت دراستنا للفلسفة السياسية عند ابن رشد حقائق كثيرة ومتنوعة، وتوصلت أيضا إلى نتائج مهمة كان أبرزها:

١- ان معالجة ابن رشد للمسألة السياسية تقع ضمن الموضوعات الفلسفية التي اعتادت الفلسفة الإسلامية تناولها، حيث ترتبط السياسة بالأخلاق وتطلب مقصدا

محددا هو سعادة المدينة.

٢- لم يكن ابن رشد مهتما بالتفكير في أمور السياسة من خلال المفاهيم العقلية المجردة فقط وإنما أيضا باستقراء تجارب تاريخ الحضارة الإسلامية.

٣- وجود أواصر قوية بين فكر ابن رشد الإسلامي والمصادر الفلسفية اليونانية التي أحال عليها في مناسبات عديدة.

٤- لقد تناول ابن رشد المسألة السياسية من زاوية برهانية لأجل ذلك فان تناوله يندرج ضمن مسعى تأصيل المسائل السياسية فلسفيا.

## الهوامش:

(١) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، نقله إلى العربية احمد شحلان، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٨، ص ٤١. نود الإشارة إلى أن أول ترجمة لاتينية لتلخيص " الجمهورية " لابن رشد ظهرت سنة ١٤٨٩. ثم تلتها ترجمة لاتينية أخرى ظهرت سنة ١٥٣٩م. أما الترجمة العربية، فقد ظهرت سنة ١٣٢١م ونشرت مع ترجمة انجليزية قدمها المستشرق الإنجليزي روزنتال سنة ١٩٥٦م. وظهرت ترجمة عربية للنسخة الانجليزية سنة ١٩٩٨م على يد الباحثين حسن مجيد العبيدي وفاطمة كاظم الذهبي (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان). وظهرت في سنة ١٩٩٨م أيضا أول ترجمة عربية للنص العبري أنجزها الأستاذ أحمد شحلان، تحت عنوان: الضروري في السياسة، مع مدخل ومقدمة تحليلية لمحمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

(٢) ينظر، ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ٦٤-٦٥. كذلك انظر: ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٨، ص ١٩٤. وللتفصيلات، انظر: تعليق الأستاذ أحمد شحلان على كتاب " الضروري في السياسة "، ص ٢٢١. ٢٢٢.

(٣) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، نقله إلى العربية حسن مجيد العبيدي وفاطمة كاظم الذهبي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٨، ص ٦٦. وقارن بهذا الخصوص: أرسطو، الأخلاق، ترجمة إسحاق بن حنين، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٩، ص ١٧٥. وللتفصيلات ينظر: ابن باجة، تدبير المتوحد، تحقيق ماجد فخري، بيروت، دار النهار للتوزيع والنشر، ١٩٦٨، ص ٣٩.

٥- هناك ارتقاء واضح في فكر ابن رشد لدى بلوغه بحث النظرية العامة للمدينة الفاضلة، حيث يبحث في مقومات الدولة وشروط بقاءها، وتلك أبعاد إستراتيجية يعد التطرق إليها فتحاً فلسفياً، في اختيار الشخصيات ذات الخبرة، وبحث أفضل السبل للدفاع عن الدولة (المدينة).

٦- اتضح لنا ان ابن رشد قد أعطى لافكاره السياسية طابعاً فلسفياً، حتى إنه ليتعذر فهم هذه السياسة دون دراستها على ضوء نزعتة الفلسفية الخاصة، لأن الغرض الذي يحرك آراءه السياسية كلها غرض فلسفي، ولا يمكن بالنتيجة فهم هذه الآراء ما لم ينظر إليها من الناحية الفلسفية.

- ص ٥٤. وللتفصيلات، انظر: ابن رشد، تلخيص الخطابة، (الكويت) وكالة المطبوعات، (لبنان) دار القلم، بدون تاريخ، ص ١١٥-١١٦.
- (١٠) انظر: ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ١٢٠. كذلك ينظر: ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ١١١.
- (١١) ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م، ص ١٨٩.
- (١٢) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ١١٩. كذلك انظر: فضيلة عباس، الخلفية الفلسفية قبل ابن رشد في الأندلس، ضمن (فلسفة ابن رشد بين التراث والمعاصرة)، ج ١، ص ١١٩.
- (١٣) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ١٢٠. انظر أيضا محمد عابد الجابري، نكبة ابن رشد في كتاب "المتفقون في الحضارة العربية"، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ١٩٩٥م، ص ٩٥.
- (١٤) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ١٨٨. كذلك ينظر: محمد عابد الجابري، ابن رشد (سيرة وفكر)، ص ٢٥٧.
- (١٥) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ١٩٥. كذلك انظر: محمد المصباحي "مرتبة الفحص الدلالي والفحص الجدلي الإشكالي من علم ما بعد الطبيعة عند ابن رشد" ضمن دلالات وإشكالات، الرباط، ١٩٨٨م، ص ١٥-٢٦.
- (١٦) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ٦٨. راجع بهذا الشأن: جان توشار وآخرون، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة علي مقلد، بيروت، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٣، ص ٥٥٤.
- (١٧) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ٩٨.

- (٤) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ٦٦. وقارن: أفلاطون، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م، ص ٣٧٩. وللتفصيلات ينظر: توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٦٠م، ص ٥٢-٥٣.
- (٥) ينظر، ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ٦٩. كذلك: ابن رشد، تلخيص كتاب النفس، تحقيق احمد فؤاد الاهواني، الطبعة الاولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٠، ص ١٢. وقارن: أفلاطون، الجمهورية، ترجمة حنا خباز، ط ٣، القاهرة، ١٩٢٩، ص ١٠٦. ومن الملاحظ إن الفضاء السياسي الأفلاطوني هو هنا أنسب فضاء لابن رشد فلعله وجد فيه مناسبة لمعالجة إشكال التدبير الذي أرقه: تدبير المدينة الفاضلة كما سنرى. وهو الأمر الذي يخلو منه كتاب السياسة لأرسطو الذي لا يناسب الحساسية الثقافية الرشدية في كثير من أموره. ينظر: محمد عابد الجابري، ابن رشد (سيرة وفكر)، ص ٢٤٢-٢٤٣.
- (٦) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ١٦٣.
- (٧) ينظر: المقدمة التحليلية التي قدمها حسن مجيد العبيدي في: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ٣٤-٣٧.
- (٨) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ٧١. وقارن: أفلاطون، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ص ١٠٨. كذلك انظر: ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ١٢٠.
- (٩) انظر: ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ١١٩. وقارن: أرسطو، الأخلاق، ترجمة إسحاق بن حنين، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٩م،

يتعامل معه كبديل لكتاب السياسة لأرسطو الذي لم يصل إليه. وينبغي ألا ننسى، كما يؤكد ذلك روزنتال أن ابن رشد مسلم يؤمن بالطابع الإلهي للشرعية الإسلامية، ولذلك قام بشرح أفلاطون بموجب مقتضياتها. المصدر نفسه، ص ٩٩.

(٢١) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ١٥٨. وبصدد هذا الموضوع انظر: ابن رشد، الضروري في السياسة، ص ٧٣.

(٢٢) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ١٦٢. وقارن: أفلاطون، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، ص ٧٨.

(٢٣) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ٩٣. ويلاحظ أن ابن رشد يتبنى فكرة الوسط الخلقي، وهي فكرة فلسفية مؤداها أن الوسط دائماً خير وفضيلة. فالفضيلة هي وسط بين رذيلتين. مثال ذلك الشجاعة وسط بين رذيلتين هما الجبن والتهور.

(٢٤) انظر: ابن رشد، تلخيص الخطابة، ص ١١٤. كذلك انظر: ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ١٧٥.

(٢٥) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ١٨٠.

(٢٦) ينظر: ابن رشد، تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ٢٢٠. كذلك ينظر: محمد عابد الجابري، ابن رشد "سيرة وفكر"، ص ٢٢٠. وبخصوص التضاد، ينظر: ابن رشد، تلخيص ما بعد الطبيعة، تحقيق

عثمان أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ١١٤-١١٥.

(٢٧) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ٦٨. وقارن: أفلاطون، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، ص ١٢٩.

(١٨) أفلاطون: الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، ص ٣٣٩. لقد أقام أفلاطون نظريته في العدل والسياسة على أساس أن العدالة صفة نفسية تمكن الناس من نبذ الرغبات غير الرشيدة وتدفعهم إلى تذوق كل لذة وإلى الحصول على الإشباع الأناني من كل شيء، وبهذا يهيئون أنفسهم إلى أداء وظيفة واحدة تخدم الصالح العام. وكذلك كان ينادي بفكرة عن السياسة تصاحب فكرته عن العدالة، وبمقتضاها لا تكون الدولة مرتعا يتمتع فيه الحاكم بإشباع لذاته، بل تصبح ذلك الجسم الذي هو جزء منه والكائن الذي يؤدي وظيفة معينة. ولن تظل الفردية بعد ذلك مصدر عدوى للدولة، بل على النقيض من ذلك يجب أن تسري الروح الجماعية في الفرد... ولا يمكن بعد ذلك أن يستغل الحاكم دولته لخدمة أغراضه الخاصة، بل يجب أن تتطلب الدولة من الحاكم أن يضحى أهدافه الخاصة في سبيل الصالح العام إذا فرضنا جدلاً أن له أغراضاً مختلفة عن أغراض الدولة. ارنست باركر: النظرية السياسية عند اليونان، ترجمة لويس اسكندر ومحمد سليم سالم، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٦، ص ٢٥٩.

(١٩) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ١٠٥. كذلك انظر: ارنست رينان، ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتير، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٧ م، ص ٩٥.

(٢٠) انظر: محمد عابد الجابري، ابن رشد (سيرة وفكر)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨، ص ٢٢٢. وقارن: أرفين روزنتال، آراء ابن رشد السياسية، مجلة البينة (الرباط)، السنة الأولى، العدد الأول، ١٩٧٢، ص ٩٧. ويجدر بنا أن نشير إلى أن ابن رشد في رأي روزنتال لم يكتف بشرح كتاب الجمهورية في ضوء الأخلاق النيقوماخية لأرسطو فحسب، بل نظر إلى الجمهورية ككتاب يصف أفضل نظام سياسي يصلح لتسيير شؤون المدينة، ولم

- (٣٥) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ١٩٣. وللتفصيلات بشأن أجزاء وقوى النفس، انظر: ابن رشد، تهافت التهافت، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م، ص ٢٨٠.
- (٣٦) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ١٩٥. كذلك ينظر: ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ١٧٢. وقارن: أفلاطون، الجمهورية، ص ٨٤.
- (٣٧) ينظر: ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ١٩٤ وقارن: أرسطو، في السياسة، نقله من الأصل اليوناني إلى العربية وقدم له وعلق عليه: ألآب أوغسطينس برياره البولسي، الطبعة الثانية، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، ١٩٨٠م، ص ٥٨.
- (٣٨) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ١٧٣. عندما نتناول المرحلة الأندلسية وتطور العلوم الفلسفية والسياسية في المقدمة منها، فإننا وكما أكدنا، أن ذلك لم يكن ليحدث لولا التطورات المهمة التي حصلت على صعيد الاجتماع الإنساني والذي كانت أبرز سماته: تطور علاقات الإنتاج وأساليب وأدوات الإنتاج، الذي قاد بالضرورة إلى أنماط اجتماعية معينة، وكان الفكر السياسي في غضون هذه العملية التاريخية يتأثر بالتصاعد حتماً، يبلور مفاهيم جديدة، وضرورات طرحت نفسها بوصفها بديهيات، وأولى تلك البديهيات على سبيل المثال: إن الإنسان هو حيوان اجتماعي بالطبع.
- (٣٩) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ٢٠٤. وللتفصيلات بشأن الموضوع ينظر: ابن رشد، الضروري في السياسة، ص ١٦٥. كذلك: محمد عابد الجابري، ابن رشد سيرة وفكر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠١، ص ٢٥٤.

- (٢٨) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ٢٠٩. وبهذا الخصوص انظر: ابن رشد، تفسير ما بعد الطبيعة، تحقيق مورييس بويج، ثلاثة أجزاء، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٧ م، ص ٣٤٢.
- (٢٩) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ٢١٩. كذلك ينظر: ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ٧٦.
- (٣٠) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ١٨٧. وقارن: أرسطو، الأخلاق، ص ٢٩٤. كذلك، ابن باجة، تدبير المتوحد، ص ٧٠.
- (٣١) ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ١٨٥. وهنا يخلط ابن رشد في كلامه رأيه بأفكار أفلاطون، فهو يقوم بدور عارض آراء غيره (يقول أفلاطون) ثم ينتقل إلى لعب دور الشارح ثم ينتقي في النهاية فكرته من دون توضيح ويكتفي أحياناً بمقابلة الآراء ولا يتوصل إلى خلاصة نقدية حاسمة تميز خطوط تفكيره عن مفاهيم غيره. فهو يتحدث مثلاً عن إمكان تحول المدينة الجماعية إلى فاضلة لكنه يعود لينفي ذلك. ونحن بدورنا يصعب علينا أن نميز بين آراءه وآراء أفلاطون. المصدر نفسه، ص ٢٠٣-٢٠٤.
- (٣٢) ينظر: مقدمة الدكتور حسن العبيدي لكتاب، تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ١٧. كذلك انظر: ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ١٧٨.
- (٣٣) ينظر، ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ١٩١.
- (٣٤) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ١٩٢\_١٩٣.



(٤٨) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ٧١. لهذه الإبعاد يلح البحث المعاصر في التراث الفكري على أهمية المسألة السياسية، كشرط منهجي في قراءة الفكر العربي الإسلامي. يقول، مثلاً، محمد عابد الجابري: " .. والواقع أن أي تحليل للفكر العربي الإسلامي، سواء كان من منظور بنيوي أو من منظور تاريخي، سيظل ناقصاً وستكون نتائجه مضللة إذا لم يأخذ في حسابه دور السياسة في توجيه هذا الفكر وتحديد مساره ومنعرجاته، ذلك لأن الإسلام، كان في آن واحد، ديناً ودولة. وبما أن الفكر الذي كان حاضراً في الصراع الإيديولوجي العام كان فكراً دينياً، أو على الأقل في علاقة مباشرة مع الدين، فإنه كان أيضاً ولهذا السبب في علاقة مباشرة مع السياسة..". انظر: تكوين العقل العربي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٤٦.

## المصادر والمراجع:

### ✿ ابن باجة:

- تدبير المتوحد، تحقيق ماجد فخري، بيروت، دار النهار للتوزيع والنشر، ١٩٦٨م.

### ✿ ابن رشد:

- تفسير ما بعد الطبيعة، تحقيق موريس بويج، ثلاثة أجزاء، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٧م.

(٤٠) ابن باجة: تدبير المتوحد، ص ٧٦. وقارن: ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ٦٥.

(٤١) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ١٩٤..

(٤٢) المصدر نفسه، ص ١٩٥-١٩٦. وقارن: العراقي، محمد عاطف، حقيقة مذهب ابن رشد من منظور الفلسفة العربية، بحث مقدم ضمن كتاب (ابن رشد وفلسفته بين التراث والمعاصرة)، ج ١، مراجعة وتقديم، عبد الأمير الاعسم، بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠٠م، ص ٢٤.

(٤٣) راجع، بالنسبة لهذه النصوص، ابن رشد، تهافت التهافت، القسم الثاني، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م، ص ٨٦٩-٨٧٢. كذلك ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ٢١٠. وللتفصيلات انظر: ميغيل كروز هيرنانديس: ابن رشد، المعرفة والوجود، ضمن (كتاب تاريخ الحضارة العربية الإسلامية)، بيروت، ١٩٩٨، ج ٢، ص ١١١٣.

(٤٤) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ٢١٢. وقارن: ابن باجة، تدبير المتوحد، ص ٧٤.

(٤٥) ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ٩٠.

(٤٦) ينظر، ابن رشد: تلخيص السياسة لأفلاطون، ص ٧٠. وللتفصيلات انظر: عبد السلام بنعبد العالي، الفكر الفلسفي في المغرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط الأولى، ١٩٨٣، ص ٣٤.

(٤٧) انظر: تقديم محمد عابد الجابري لكتاب ابن رشد، الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، ص ١٦.

- النظرية السياسية عند اليونان، ترجمة لويس اسكندر ومحمد سليم سالم، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٦م.
- ❁ ارنست رينان:
- ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٧م.
- ❁ أرفين روزنتال:
- آراء ابن رشد السياسية، مجلة البينة (الرباط)، السنة الأولى، العدد الأول، ١٩٧٢م.
- ❁ أفلاطون:
- الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
- الجمهورية، ترجمة حنا خباز، ط٣، القاهرة، ١٩٢٩م.
- ❁ الجابري، محمد عابد:
- ابن رشد (سيرة وفكر)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.
- تكوين العقل العربي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٤م.
- نكبة ابن رشد في كتاب " المتفقون في الحضارة العربية"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥م.
- ❁ توفيق الطويل:
- الفلسفة الخلقية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م.
- ❁ جان توشار وآخرون:
- تاريخ الفكر السياسي، ترجمة علي مقلد، بيروت، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٣م.
- ❁ عبد السلام بنعبد العالي:
- الفكر الفلسفي في المغرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

- تلخيص الخطابة، (الكويت) وكالة المطبوعات، (لبنان) دار القلم (بدون تاريخ).
- تلخيص ما بعد الطبيعة، تحقيق عثمان أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م.
- تلخيص كتاب النفس، تحقيق احمد فؤاد الاهواني، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م.
- تهافت التهافت، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨م.
- تلخيص السياسة لأفلاطون، نقله إلى العربية حسن مجيد العبيدي، وفاطمة الذهبي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٨م.
- الضروري في السياسة: مختصر كتاب السياسة لأفلاطون، نقله إلى العربية احمد شحلان، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م.
- فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال، تحقيق محمد عمارة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م.
- الكشف عن مناهج الأدلة، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م.
- ❁ أرسطو:
- الأخلاق، ترجمة إسحاق بن حنين، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٩م.
- الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩م.
- في السياسة، نقله من الأصل اليوناني إلى العربية وقدم له ألأب أوغسطين برباره البولسي، الطبعة الثانية، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، ١٩٨٠م.
- النفس، نقله إلى العربية احمد فؤاد الاهواني وراجعه الاب قنواطي، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٢م.
- ❁ ارنست باركر:

### العراقي، محمد عاطف:

- حقيقة مذهب ابن رشد من منظور الفلسفة العربية، بحث مقدم ضمن كتاب (ابن رشد وفلسفته بين التراث والمعاصرة)، ج ١، مراجعة وتقديم، عبد الأمير الاعسم، بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠٠م.

### فضيلة عباس:

- الخلفية الفلسفية قبل ابن رشد في الأندلس، ضمن (فلسفة ابن رشد بين التراث والمعاصرة)، ج ١، ١٩٩٩م.

### محمد المصباحي:

- مرتبة الفحص الدلالي والفحص الجدلي الإشكالي من علم ما بعد الطبيعة عند ابن رشد، الرياض، ١٩٨٨م.

### هيرنانديس، ميغيل كروز:

- ابن رشد، المعرفة والوجود، ضمن كتاب (تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس) ج ٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨م.

### Ibn rushed political philosophy

By: dr.sami mahmood ibraheem

University of mosul, college of arts, department of philosophy

### Abstract

This paper entitled " Ibn rushed political philosophy " aims at reviewing and analyzing Ibn rushed political thought which depends on philosophy in most of its aspects.

It involves a comprehensive study of his philosophy in this respects.

The choice of this topic is due to many considerations including the pivotal status of Ibn rushed in the Islamic thought as he talked many issues including managing politics and types of governments as well as theorizing for the virtuous city " utopia " In this respect, Ibn rushed has surpassed Plato's idealistic theory, proving the possibility of establishing a virtuous city thought the succession of governments involving virtuous people

in a given country that maintaing justice and stability as well as reformation and renewal.

This paper reveals many facts concerning this topic and ends up with important findings that are valuable for both readers and researchers.

Considering the various political views for the possibility of creating a good city " utopia " , and analyzing the factors of creating such utopia or a theoretical level.

And if the main concept of the research is to consider the theoretica and practical aim which Ibn rushed intended in his research in the field of politics as a philosophical research, I have divided my paper in to four parts. the first paper has tow aims:

a/the subject of politics and its relation with other science.

b/ the concept of Ibn rushed concerning justice and its connection with the state and ruling.

And the second paper has tow aims:

a/ between the policy of cities and types of rule.

b/ the application of the policy of cities within the philosophy of utopia.

## الشريف الادريسي وجهوده الجغرافية

### سيرته، خارطته، كتابه

أ.د. عباس فاضل السعدي

جامعة بغداد/ مركز احياء التراث العلمي العربي

### الخلاصة

الشريف الادريسي احد نوابغ الفكر الجغرافي العربي، وأحد الأشراف الذين ينتسبون الى ادارة المغرب. واكمل تعليمه الثانوي والعالي في جامعة قرطبة بالاندلس. ويعد أول جغرافي عربي تنقل على نطاق واسع في القارة الأوربية وسجل عنها معلومات جغرافية ثمينة قبل غيره من الجغرافيين. ووصل الى منابع نهر النيل واكتشف مصدر مياهها وهو البحيرات الاستوائية ورسم خارطة لها.

اعتمد منهجه العلمي الجغرافي على الدراسة الميدانية سواء كانت شخصية أو عن طريق ارساله الوفود الى المناطق النائية بعد تدريبها، يرافقهم رسامين لرسم مايشاهدونه ويقوم بغزيلة المعلومات التي تصله ويدققها.

وظل كتابه " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " وخرائطه معتمدة في الجامعات الاوربية الى مابعد القرن السادس عشر الميلادي. ووضع الادريسي أول كرة أرضية من الفضة ونقش عليها خارطة العالم بأقاليمه السبعة، وكانت أول خارطة مجسمة لكرة أرضية دقيقة في التاريخ. والعالم عنده مقسم الى سبعين قسماً، كل قسم به خارطة توضح ما فيه من مواقع.

خالف الادريسي الذين سبقوه حول خطوط الطول الذين تصوروا أنها مستقيمة و متوازية. وجعل المسافة بين كل خط طول وآخر ٧٥ ميلاً، وهي اقرب الى الواقع ممن سبقوه. كما اعتمد الخط المار بجزر الخالدات في بحر الظلمات بمثابة خط الطول الرئيس الذي أخذ كأساس لتقسيم الارض الى نصفين: شرقي وغربي ويبدأ منه القياس، وهو ما يطلق عليه (خط الصفر).

حاول تفسير طغيان مياه البحر المتوسط القديم(بحر تيثس) على المناطق المجاورة له في الأزمنة القديمة من خلال مرور مياه بحر الظلمات(المحيط الاطلسي) الى البحر الشامى أو الرومى (البحر المتوسط) عن طريق ممر هرقلس أو الزقاق(مضيق جبل طارق).

من خلال النتائج السابقة يقترح الباحث نشر كتابه " نزهة المشتاق " .. كاملاً وتحقيقه وشرحه وعمل خرائط له اعتماداً على المخطوطات الموجودة في بعض مكتبات العالم و التفتيش عن مخطوطات اخرى له لنشر بقية كتبه.

### مُتَكَلِّمًا

تدخل دراسة الشريف الادريسي ضمن حقل التراث الجغرافي العربي الاسلامي، وتهدف الى القاء الضوء على شخصية هذا الجغرافي الفذة والمميزة، وتتناول ميادين كتابه "تزهة المشتاق" وخارطته الادريسية ومراحل عملها ومكانتها العلمية.

ان دراسة الماضي يشير الى ان الحضارة العربية قد شغلت مكانة مرموقة في تاريخ البشرية، وهذا امر مسلم به من الجميع في عصرنا هذا. ووضح بجلاء منذ اواخر القرن التاسع عشر حتى اواسط القرن العشرين فضل العرب في تطوير جميع العلوم التي اشتقت لنفسها طرقا ومسالك جديدة في العصور الوسطى ولا زالت حية وتمثل جزءاً اساسياً من التراث العام للبشرية كما يقول كراتشكوفسكي.

وتعد الجغرافيا من بين العلوم المهمة التي غني بها العرب واولوها الشيء الكثير من اهتمامهم، فكثر مصنفاتهم وكتبهم فيها. ولا تزال هذه المصنفات وان بعد بها العهد تمثل مرحلة بارزة في تاريخ الفكر الجغرافي وتطوره. ولقد انبثقت عناية العرب بالجغرافيا من واقع بيئتهم، ذلك ان نشأتهم الاولى كانت في محيط حتم عليهم ان يلموا بالمعلومات الجغرافية المختلفة، اذ لم يكن في استطاعتهم اداء الطقوس الدينية وانجاز معاملات البيع والشراء وتسديد الديون الا اذا ضبطوا مواعيدها.

وفي القرن السابع الميلادي عُدَّ القرآن الكريم أقدم وثيقة اسلامية احتوت بعض المعلومات الجغرافية على الرغم من قلتها كما هي قليلة في الحديث الشريف. ومنذ ظهور الاسلام سار تطور الجغرافية العربية من غير توقف الى آخر القرون الوسطى. وقد تعاظمت التجارة في تلك المرحلة حيث كان التجار المسلمين ينهضون الى اطراف الارض، ينقلون البضائع ويشتررون السلع. وقد شملت تجارتهم رقعة الدولة الاسلامية برمتها من الاندلس غربا الى وادي السند وما وراء النهر شرقاً، برا وبحراً،

مما ساعد على اتساع المعلومات الجغرافية لدى العرب فشجعهم على تدوين اخبار اسفارهم وما شاهدوه في ترحالهم فوصفوا البلدان وحياة سكانها في المناطق التي مروا بها. ومن هنا ظهرت كتب الرحلات المعروفة مثل رحلة الادريسي وغيره من الجغرافيين العرب.

ولقد كانت مساهمة العرب - والمسلمون عموماً - على قدر عظيم من الاهمية في مجال علم الجغرافيا. ويبدو ان تلك المساهمات كانت ضخمة، وقد استحقوا، بناء على ما انجزوه، مكانتهم التي احتلوها عن جدارة في مجال العلم الكوني فقد امتازوا بدقتهم المتناهية وموهبتهم في تسجيل الملاحظة القائمة على اساس المشاهدة العيانية. بل ان المساهمات العربية في الدراسات الجغرافية كانت اكثر تنوعاً ومتانة وعمقاً، بما لا يرقى اليه قياس، من كتابات بطليموس وماركوبولو .

وعصر الادريسي يمثل التحدي العلمي، اذ ظهرت فيه مبتكرات علمية في مجال الجغرافيا والكارتوكرافيا والنبات والرياضيات والفلك والطب، كان لها تأثيرها الواضح في تراث الانسانية وبنيت اوربا نهضتها عليه.

ويمثل الشريف الادريسي خاتمة الجغرافيين العرب الرحالة ذوي الاصالة العلمية والتفهم الصحيح لعلم الجغرافيا. وهو اكثر الجغرافيين العرب والمسلمين معرفة بالاقطار الاوربية والافريقية. ويعد كتابه "تزهة المشتاق" من اهم المصادر العربية القديمة، وصنع اول كرة ارضية من الفضة. وتعد خارطته من افضل الخرائط القديمة في دقتها وشمولها وضاهت خارطة بطليموس بل فاقتها دقة، وفي هذا يقول العالم الفنلندي البارز في مجال الجغرافيا (يوحنا كاريسيكو) (حق لنا "ان نعد خارطة الادريسي خارطة عالمية بالمعنى الذي نعرفه اليوم".

وبسبب تلك الاهمية ولغرض القاء مزيدا من الضوء على هذا العلامة العربي الجغرافي وعلى كتابه المشار اليه وخارطته فقد تم تخصيص هذه الدراسة عنه.

### نسبه وحياته:

هو ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن احمد بن علي بن عبد الله بن عمرو بن ادريس بن عبد الله بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب (ع). وقد يرد ترتيب نسبه غير ذلك بين مخطوط وآخر<sup>(١)</sup>.

أُلقب بالحسني الطالبي الشريف، وهو جغرافي ومؤرخ ونباتي ورحالة واديب وشاعر<sup>(٢)</sup>. ولقبه ابن بشرون بالقرطبي لأنه أقام في قرطبة وأتم دراسته فيها ووصفها وصفا دقيقا في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الافاق" ولقب ايضا بالصفلي لأنه استقر زما في جزيرة صفلية<sup>(٣)</sup>.

ينتمي ابو عبد الله الى بيت الادارسة العلويين الذين طالبوا بالخلافة، لذلك اشتهر (بالشريف الادريسي). ويرجع لقبه نسبة الى جده الاعلى ادريس الاول بن عبد الله بن الحسن المثلث مؤسس دولة الادارسة في المغرب واليه نسبته<sup>(٤)</sup>. فهو حسني النسب وليس حسيني كما ذكر أحد الباحثين<sup>(٥)</sup>. كان مع ابن اخيه الحسين بن علي بن الحسن المثلث ايام ثورة الاخير بمكة (علي الهادي، الخليفة العباسي)<sup>(\*)</sup> في موقعة (الفخ) سنة ١٦٩هـ وقيل ١٧٠هـ / ٧٨٦م<sup>(٦)</sup>.

ولما قتل الحسين اختفى ادريس مدة من الزمن، ثم تمكن من الهرب الى مصر صحبة مولاة وامينه راشد ثم وصل مراكش ونزل بمدينة (وليلي) قرب مكناس، وهناك استقبله اسحاق بن محمد زعيم قبيلة (أوربة). وهي قبيلة من البربر، وتم انتخابه زعيما لها نزولاً عند رغبة اسحاق وتبعتها قبائل اخرى. وقام بدعوته وخلع طاعة بني العباس يوم الجمعة ٤ رمضان سنة ١٧٢هـ / ٧٨٩م<sup>(٧)</sup>. وأسس دولة الادارسة بنواحي سبته وبقي حتى وفاته عام ١٧٥هـ، فاقاموا الدعوة لأبنه ادريس الاصغر<sup>(٨)</sup>. واستمر

حكم الادارسة ٢٠٣ سنة وشهرين وامتد نفوذهم من السوس الى وهران، وقاعدة حكمهم كانت مدينة فاس<sup>(٩)</sup>.

ولقب الادريسي ايضا بـ(الحمودي) نسبة الى جده الاصغر (حمود) مؤسس الدولة الحمودية في جنوب الاندلس. وفي عهد المرابطين في بلاد المغرب (٤٨٠-٥٤٠هـ/١٠٨٧-١١٤٥م) غادر عبد الله بن ادريس الثاني الاندلس واستقر في سبته وعاش بها، وكان من نسله الجغرافي الادريسي<sup>(١٠)</sup>.

ولد الشريف الادريسي في سبته من ابوين عربيين اندلسيين عام ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩-١١٠٠م. وقيل انه ولد بتطوان. وذكر (غوستاف لوبون) ان ولادته كانت في الاندلس<sup>(١١)</sup>، وهناك تلقى علومه الاولى واحاط بالمعرفة العلمية، التي كانت في عصره، احاطة تامة.

تلقى في حياته التعليم على الطريقة الشائعة في عصره في المغرب وهو حفظ القرآن (عند الكتاب) والمتون واللغة والفقه واشهر القصائد. ودرس على علماء عصره هناك، وعرف القاضي عياض (قاضي سبته ومعلمها). وبذلك امضى طفولته في المغرب، ثم انتقل في صباه الى قرطبة بالاندلس لأتمام الدراسة الثانوية والعليا في جامعتها<sup>(١٢)</sup>، لأن الاندلس كانت من ممالك المغرب وان هناك بقايا الادارسة من اجداده، ممن أعانه على الدرس ووجهه. ويرى (ميللر) أن وصفه الدقيق لقرطبة يدل على أنها كانت مقر دراسته وموطن تخرجه<sup>(١٣)</sup>. وتمت دراسته العليا على اساتذه مشهورين حيث حصل على ثقافة عامة من علمائها وادبائها، وتخصص في الجغرافيا والطب. ويبدو عليه انه اتقن الحساب والهندسة والفلك ومعرفة احوال العالم السياسية<sup>(١٤)</sup>. كما نشأ محبا للطبيعة والازهار وكثيرا ما كان يتتبع الازهار والنباتات ومظاهر الطبيعة التي كانت تعجبه وتشغل باله<sup>(١٥)</sup>. ومعارفة تلك لا شك انها كانت حصيلة الدرس الطويل والسفر الكثير والملاحظة الدقيقة.

استولى المسلمون على جزيرة صقلية في عام ٢١٧هـ/٨٣١م وساعدهم في ذلك جماعة من اهل الاندلس المغامرين الذين نزلوا الى ارض الجزيرة قبل عام من استيلاء المسلمين عليها. ثم قضى النورمانديون على حكمهم في عام ٤٥٢هـ/١٠٦٠م في عهد الكونت روجر (رُجار) الاول<sup>(٢٥)</sup>. ويرى آخرون ان حكم العرب المسلمين للجزيرة دام ٢٦٦ عاما اي حتى عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م. وحكم روجر الثاني فيها مدة ٤٢ سنة، اتبع سياسة والده في تقريب المسلمين وعلمائهم واعتمد عليهم في ادارة شؤون الدولة. فقد عين على اسطوله البحري ادمرالا عربيا هو عبد الرحمن النصراني وهو اعلى مناصب الدولة، بالاضافة الى منصبه كبير القضاة<sup>(٢٦)</sup>.

وكانت اللغة العربية في عهد روجر الثاني احدى اللغات التي تضرب بها النقود واتخذ ديوانا عربيا للانشاء وكانت علامته التي يوقع بها "الحمد لله وشكراً لنعمه". بالاضافة الى تذوقه للشعر العربي وكافة الفنون والعلوم. ويصف الادريسي الملك روجر انه جمع "الى كرم الاخلاق طيب الاعراق والى جميل الافعال حسن الخلال، مع شجاعة النفس وصفاء الذهن، وغور العقل، ووفور الحلم، وسداد الرأي والتدبير..."<sup>(٢٧)</sup>. كما ان فردريك الذي خلف النورمانديين في حكم الجزيرة عني بتسمية التراث اعتمادا منه بعلوم العرب وعلوم اليونان<sup>(٢٨)</sup>. وبذلك عُدَّتْ صقلية من المعابر التي انتقلت عن طريقها الحضارة الاسلامية الى اوربا.

ووصف الادريسي بالرمو عاصمة الجزيرة الواقعة في الجانب الغربي من ساحلها البحري، أنها على قسمين: القصر والريض. يضم القصر منازل شامخة ومساجد وفنادق وحمامات وحوانيت التجار. أما الريض ففيه المدينة القديمة (الخالصة) التي كان السلطان يسكن فيها ايام حكم المسلمين، مشهورة بفواكهها ومتنزهاتها، وفي خارجها نهر عليه الارحاء الطاحنة<sup>(٢٩)</sup>.

بدأ الادريسي اسفاره منذ سن مبكرة، عندما كان عمره في السادسة عشرة، اي في حوالي ٥١٠هـ/١١١٦م. ومعرفته الواسعة باسبانيا ومراكش ليست امرا غريبا، وقد زار لشبونة وايطاليا وسواحل فرنسا وانكلترا<sup>(١٦)</sup>، وان تشكك البعض في زيارته للبلدين الاخيرين<sup>(١٧)</sup>. وتجول في بلدان البحر المتوسط ثم رجع الى شمال افريقيا وقصد مصر والشام حيث زار المدن والقرى واقام فيها مدة طويلة<sup>(١٨)</sup>.

وذكر الاستاذ (عبد الله كنون) ان اقامته بالشرق يظهر انها كانت طويلة، فقرأه في ابيات له من الشعر يشتكي عودته الى المغرب خائب الامل بما كان يرجوه في الشرق من التقدير اللائق به، بصفته احد النوابغ واحد الاشراف. ولا يستبعد انه كان ينوي الإقامة على الدوام باحد اقطار المشرق، بالشام مثلا او مصر<sup>(١٩)</sup>.

وزار الادريسي ايضا آسيا الصغرى والقسطنطينية واليونان ولم يكن عمره يتجاوز الثامنة عشر عاما<sup>(٢٠)</sup>. ووصل الى اماكن لم تطأها قدم سائح ولا مكتشف قبله، فقد وصل الى منابع النيل ووجد ان مصدر مياهه هو البحيرات التي تقع جنوب خط الاستواء، ورسم لها خارطة شهيرة توجد في احد المتاحف الفرنسية<sup>(٢١)</sup>. واثبتت هذه الخريطة ان معارف العرب في جغرافية افريقيا اعظم مما ظن زمانا طويلا<sup>(٢٢)</sup>. وبعد الادريسي اول جغرافي عربي تنقل على نطاق واسع في القارة الاوربية<sup>(٢٣)</sup>.

اما الاقطار البعيدة فان وصفه لها لم يكن نتيجة اسفاره ولكن نتيجة قراءاته للمراجع التي ذكر بعضها في مقدمة كتابه "نزهة المشتاق"، بالاضافة الى ما حصل عليه من معلومات من التجار والمسافرين والموفدين الذين ارسلهم الى اقاليم الشرق والغرب.

ويمثل كتابه المذكور "صدى لعصر الفرنجة"، وكان وضع هذا الجغرافي المسلم العظيم تحت كنف ملك صقلية النورماندي روجر الثاني وقضاء شطر من حياته في بلاطه، في بالرمو، اشارة كافية لوضع رحالة المسلمين آنئذ من مكانة<sup>(٢٤)</sup>.

### جزيرة صقلية ووصول الادريسي اليها:

وإذا اعتبرنا تاريخ استيلاء النورمان النهائي على جزيرة صقلية هو عام ١٠٩١م فيكون وصول الادريسي الى صقلية قد وقع بعد ما يقرب من نصف قرن من انتزاعها من يد العرب وسقوطها بيد النورمان.

ان خبرات الادريسي ومعلوماته التي اكتسبها من رحلاته وتشجيع المسلمين الذين اعتمد عليهم روجر، كان وراء استدعاء الشريف الادريسي الى جزيرة صقلية للاستفادة من علمه لا سيما في مجال الجغرافيا، مقلدا في ذلك الامراء المسلمين الذين كانوا يتقربون من العلماء والادباء ويكرمهم كرمز لعظمة الملك ومكانة السلطان. كل ذلك يشير الى تقدم العرب في مجال العلوم والآداب والفلسفة.

وقد اغراه الملك روجر الثاني للاقامة في بلاطه، ليشبع نهمه العلمي وحبّه للمعرفة الجغرافية. وان الاغداق السخي الذي انهال عليه في بالرمو قد حفزه الى اخراج انتاجه الجيد لكي يسجل التفوق في العرض والتصوير الجغرافي الوصفي اعتمادا على حسه الجغرافي الذكي الحاد<sup>(٣٤)</sup>.

وبعد قبول دعوة الملك، عبر الادريسي البحر الشامي في عام ٥٣٣هـ/١١٣٨م في ظروف يشوبها الغموض باتجاه جزيرة صقلية الى بلاط ملكها روجر الثاني<sup>(٣٥)</sup>. وبعد وصوله تعرف على ملكها الذي اكرمه واحترمه لعلمه، ثم دعاه للاقامة في جو اقل ما يقال فيه ان العلم والعلماء كانوا فيه موضع تقدير واحترام<sup>(٣٦)</sup>. واكد الصفدي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) ان روجر هو الذي استقدم الادريسي ليصنع له شيئا في شكل صورة العالم<sup>(٣٧)</sup>. فانصرف الى تأليف كتاب جغرافي يصف فيه مملكة روجر وسائر اصقاع العالم مع صنع خارطة لأقطار الارض.

وظل الادريسي وثيق الصلة بروجر الى وفاة الاخير في فبراير (شباط) من عام ٥٤٩هـ/١١٥٤م. ومرت عليه، وهو في صقلية، لحظات قلق في عهد خليفة روجر. ويرى كراتشكوفسكي ان الادريسي عاد الى مسقط رأسه (سبته) في شيخوخته

ولما اصبحت بالرمو عاصمة امراء العرب بعد عام ٨٣١م برزت الحضارة العربية وفنونها في الجزيرة. وكما يقول الاستاذ (احمد المدني) انهم بنوا فيها القرى والساكن والمدارس والمساجد وعمرو البساتين وأنشأوا الصناعات<sup>(٣٠)</sup>. ومنها صناعة الورق وكان اول ورق عرفته اوربا، بالاضافة الى انواع المحاصيل الزراعية التي ادخلها العرب الى الجزيرة.

وذكر (غوستاف لوبون) ان العرب في صقلية قد نظموا الامور الادارية والمالية وحفروا الترع والقنوات التي لا تزال باقية الى الان وأنشأوا المجاري المعقوفة فيها لأول مرة. كما استثمرت الثروات الطبيعية لا سيما معادنها وصنعوا الحرير وصبغوا المنسوجات فانتعشت التجارة<sup>(٣١)</sup>. وظهر في الجزيرة عدد كبير من العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والاطباء والفلاسفة.

اما كيفية وصول الادريسي وموعد وصوله الى جزيرة صقلية، فلا تتوفر معلومات مؤكدة حولها. كما لا يعرف على وجه الدقة مصير الادريسي بعد وفاة الملك روجر الثاني سنة ٥٤٨هـ/١١٥٤م، وهي السنة ذاتها التي انجز فيها الادريسي كتابه "نزهة المشتاق"، واهداه الى صديقه روجر الذي توفي بعد ذلك بشهر ونصف نتيجة مرض عضال.

وقد ذكر الادريسي في مقدمة كتابه المشار اليه انه قضى ١٥ عاما من العمل في صقلية من اجل اتمام مشروع كتابه المذكور الذي انجزه في شهر شوال من سنة ٥٤٨هـ المصادف ١٠ يناير (كانون الثاني) من سنة ١١٥٤م<sup>(٣٢)</sup>. مما يعني ان مجيئه الى الجزيرة قد تم في سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م وهو الموعد نفسه الذي حدده كراتشكو فسكي<sup>(٣٣)</sup>.



في ان رُجار استفاد سياسيا من ثناء الادريسي عليه في مقدمة كتابه ووصف اياه بالملك المعظم المعتز بالله المقتدر بقدرته<sup>(٤٧)</sup>.

ويستبعد الدكتور حسين مؤنس ان يكون الادريسي قد سعى بنفسه الى خدمة روجر الثاني او ان يكون روجر قد سمع بعلم الادريسي فاستدعاه. ويذكر ان بيتا حموديا كان موجودا في صقلية ومؤثرا في اهلها حين قدم روجر الاول على غزو الجزيرة سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م. حيث كان لهذا البيت تأثيرا كبيرا ودورا واسعا في تاريخ صقلية الاسلامية واستمر هذا الدور الى اواخر القرن السادس الهجري خصوصا في وسط الجزيرة. وينتسب الشريف الادريسي الى البيت الحمودي المذكور، ووصل خبره الى روجر الثاني عن طريق آل حمود لأن كلام الصفي يؤكد ان الملك روجر رغب الادريسي بالبقاء عنده بقوله: "انت من بيت الخلافة ومتى كنت بين المسلمين عمل ملوكهم على قتلك، ومتى كنت عندي امنت على نفسك"<sup>(٤٨)</sup>.

ويمكن الاستنتاج من هذا القول ان روجر قد قابل الادريسي قبل مباشرته العمل عنده وعلى هذا يرى الدكتور حسين مؤنس ان الادريسي قام بزيارتين الى صقلية تعرف في الاولى على روجر الثاني وفي الثانية استقر وشرع العمل فيها<sup>(٤٩)</sup>. مما يعني ان الملك روجر عرف الادريسي معرفة شخصية قبل ان يدعوه الى العمل معه<sup>(٥٠)</sup>.

ووصف الصفي في ترجمته القصيرة للادريسي انه كان اديبا ظريفا شاعرا مولع بعلم الجغرافيا، صنف لروجر كتاب "نزهة المشتاق" ويُسْتَشَف من بعض الاشعار نزعة اليأس بسبب تغربه عن وطنه منها<sup>(٥١)</sup>:

ليت شعري أين قبري ضاع في الغربة عمري

وفي هذا البيت اشارة واضحة الى عدم نسيان وطنه المغرب، رغم قربه من الملك وعيشه في بلاطه واغداق الملك السخي عليه.

وتوفي بها، وكذلك يرى عبد الله كنون وآخرون ومنهم الباحث، كاتب هذه السطور. اما الدكتور حسين مؤنس فيرى انه توفي في صقلية فليس هناك من دليل على مغادرته الجزيرة، ويؤيده في ذلك الحسن الوزان<sup>(٣٨)</sup>. وتوفي في سبته عام ٥٦٠هـ/١١٦٤م<sup>(٣٩)</sup> كما يرى اغلب الكتاب ومنهم الباحث. وليس عام ٥٥٩هـ/١١٦٦م<sup>(٤٠)</sup> او ٥٥١هـ/١١٥٦م<sup>(٤١)</sup>. ويرى المستشرق مينورسكي وفيليب حتي (وزميليه) ان وفاة الادريسي كانت سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م<sup>(٤٢)</sup>. كما ورد في دائرة معارف القرن العشرين ان وفاته كانت في عام ٥٦٩هـ<sup>(٤٣)</sup>.

وقد تمت دعوة روجر وقبولها في وقت عصيب من تاريخ الاسلام حيث كانت الحروب الصليبية مستعرة بين الافرنج والمسلمين في المشرق وكذلك في الاندلس بين الموحدين والنصارى، لذا يرى بعض الباحثين ان ذلك كان سببا في حق المسلمين على الادريسي فأهملوا علمه وذكره<sup>(٤٤)</sup>. لكن الادريسي بعلمه فرض نفسه، فاستفاد العلماء من كتبه في مختلف التخصصات الجغرافية والطبية والنباتية، واثنى عليه الصفي وابن ابي اصيبعة والفلقشندي وابن خلدون<sup>(٤٥)</sup>.

والملك روجر الثاني لم يدعُ الادريسي لوحده وانما دعا عدد اخر من العلماء والمؤرخين ولكنه كان يهتم بالادريسي ويحترمه ويقدره. فاذا دخل اليه يسرع لأستقباله عند الباب ويجلسه على سريره، واذا اراد الخروج ودعه بنفسه الى عتبة القصر. ويقول كريمز: "... ان وضع ثقة الملك رُجار في الادريسي لدليل واضح على مدى الاقرار بتفوق الثقافة الاسلامية آنذاك"<sup>(٤٦)</sup>.

ويؤكد الدكتور حسين مؤنس ما ذهب اليه كريمز بقوله: "وكانت الجزيرة عامرة بالمسلمين ومعالم الاسلام... فان وجود ذلك الشريف العلامة الى جانبه - جانب روجر - يعلي جاهه بين رعاياه من المسلمين ويؤيد سلطانه في نظرهم، ولا شك

### رأي العلماء في الادريسي:

من القدماء الذين ذكروا الادريسي (ابن ابي اصيبعة) الذي لقبه بالعالى بالله وكان "فاضلاً عالماً بقوى الادوية المفردة ومنافعها ومنابتها واعيانها"<sup>(٥٢)</sup>. ونقل عماد الدين الاصفهاني قولاً عن ابن بشرون الصقلي وهما معاصران للادريسي، ذكر فيه جماعة من شعراء الاندلس منهم محمد بن محمد الادريسي، ولقبه في قرطبة، ووصف ابن بشرون الادريسي بأنه حاذق زمانه وسابق ميدانه<sup>(٥٣)</sup>.

وذكر فيليب حتي وزميله ان الادريسي كان المع شخصية ازدان بها بلاط روجر الثاني، وكان اعظم علماء الجغرافيا ورأسمي الخرائط في العصور الوسطى<sup>(٥٤)</sup>. وبعد ايضاً اشهر جغرافي عرفته اوربا، وظل كتابه وخرائطه معتمدة في الدراسات الجغرافية بالجامعات الاوربية الى ما بعد القرن السادس عشر الميلادي.

وقد لقبه المستشرقون بـ(استرابون العرب) نسبة الى الجغرافي الاغريقي سترابو. وقال البارون دوسلان عن كتابه بأنه لا يوزن به اي كتاب جغرافي سابق له<sup>(٥٥)</sup>.

وبالاضافة إلى ما تقدم فإن العلامة الادريسي كان استاذ الجغرافيا لأوربا لا لبطليموس فقط وهاديا لها بسفره الذي لا يبارى. وفي ذلك يقول (جوتيه) ما نصه: ان "الشريف الادريسي الجغرافي كان استاذاً للجغرافيا في اوربا لا لبطليموس اذ لم يكن للعالم يوم ذاك مصور عن الارض الا ما رسمه الادريسي. وعلاوة على ذلك، فالادريسي حجة لم يقع في الاغلاط التي وقع بها سلفه بطليموس، وما الكشوف التي تمت على يد فاسكودي غاما وكولمبس الا نتاج علم العرب وعلى ايدي بحارة عرب تحت امرة النصارى<sup>(٥٦)</sup>.

ويقلل مينورسكي من شأن هذا الجغرافي المرموق ويجعل لغيره فضلاً كبيراً فيما وصل اليه الادريسي من معلومات. ويرى المستشرق المذكور ان الادريسي قد

أتاحت له فرصة سانحة لدراسة الاقطار المطللة على بحر الروم، واستفاد من خرائط العالم الاسلامي السابقة. وامكن نشر الفصول المتعلقة بالبحر المتوسط بصورة غاية في الاتقان بجهود ذوي الاختصاص من فرنسيين وطلينان والمان ومستشرقين من فنلندة وبولونيا. كما استطاع بفضل بحارة ومتخصصين ان يجمع معلومات جيدة عن انكلترا وفرنسا ودول البلطيق. ويرى مينورسكي ايضاً ان مصادر الادريسي عن البقاع الواقعة الى الشرق من المناطق السالفة الذكر كانت قاصرة، والخرائط المتعلقة بهذا الجزء من العالم تحمل اثار بطليموس ومعلومات قدامى الجغرافيين العرب، بالاضافة الى معلومات الادريسي التي حصل عليها. كما تقتقر المعلومات المتعلقة بالاقطار الاسلامية الشرقية للاتصال، وتتصف الفصول المتعلقة بآسيا الوسطى والهند بأشكال الغموض<sup>(٥٧)</sup>.

ومع ذلك وصف مينورسكي الادريسي بأنه اشهر جغرافي العرب، وقد تعلمت اوربا علم الجغرافيا في القرون الوسطى من كتبه التي ترجمت الى اللاتينية<sup>(٥٨)</sup>. وهكذا حدد الادريسي الجغرافيا وجعلها علماً مستقلاً مثل باقي العلوم واكد على خطوط الطول ودوائر العرض لتحديد المكان والمسافة واستخدمت مصوراته وخرائطه في سائر كشوف عصر النهضة الاوربية.

### مؤلفات الادريسي:

ألّف الادريسي كثيراً من الكتب والخرائط والكرات الارضية الفضية النفيسة ولكن معظمها لايزال خطياً في مكتبات ومتاحف فرنسا وبريطانيا. ومن أهم ما عُرِف للادريسي حتى الآن من الكتب هي:

اولاً: - "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" وورد في الطبعة المختصرة (مطبعة المديتشي medici في روما عام ١٥٩٢ بعنوان (نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق)<sup>(٥٩)</sup>. وهي من اقدم الطباعات بالحروف

٤- صفة مملكة ايطالية من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق للشريف الادريسي، تحقيق ميخائيل أماري واسكيا باريلي، روما، ١٨٧٨، وورد التاريخ بالقسم اللاتيني سنة ١٨٨٣ (يشتمل على النص العربي المحقق وترجمة ومقدمة باللاتيني).

٥- القسم الخاص بانكلترا من كتاب نزهة المشتاق للادريسي، تحقيق بيستون، (يشتمل على النص العربي المحقق مع ترجمة النص الى الانكليزية، ١٩٥٠.

٦- صفة المغرب واراض السودان ومصر والاندلس من كتاب نزهة المشتاق للشريف الادريسي، تحقيق دوزي ودي غويه، (يشتمل على النص العربي المحقق وترجمة ومقدمة بالفرنسية)، لندن، ١٨٦٦، طبع مجدداً بالأوفست في امستردام، ١٩٦٩.

٧- وصف افريقيا الشمالية والصحراوية مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق للشريف الادريسي، تصحيح ونشر هنري بيريس (جامعة الجزائر) معتمداً على الجزء السابق الذي حققه دوزي ودي غويه، مكتبة معهد الدروس العليا الاسلامية، الجزائر، ١٩٥٧.

٨- القسم الخاص بفنلندا وبقية بلدان البلطيق من كتاب "نزهة المشتاق" للادريسي، تحقيق تالغرين توليو و(أ. ام. تالغرين)، نشره في شباط، ١٩٣٠، ١٩٣١، ١٩٣٤ في هلسنكي.

٩- ذكر الشام من كتاب نزهة المشتاق للادريسي، تحقيق روزن مولر، لبيزك، ١٨٢٨ (يشتمل على النص العربي الخاص بسوريا وفلسطين مع ترجمة لاتينية).

١٠- وصف اسبانيا من كتاب نزهة المشتاق للادريسي، تحقيق جوزيف انتونيو كوند، (يشتمل على النص العربي المحقق مع ترجمة النص الى الاسبانية)، مدريد، ١٧٩٩.

العربية في اوربا. وعُرف الكتاب ايضاً باسم (كتاب رُجار) او (الكتاب الرُجاري)<sup>(٦٠)</sup>. أو (الرجاوي). والكتاب يمثل موسوعة جغرافية مصنفة على الاقاليم السبعة المعروفة يومذاك. كما ان الكتاب مزود بـ ٦٩ رسماً ومقطعاً<sup>(٦١)</sup>. بافتقاد احد خرائط الكتاب. وقيل ٧١ خريطة<sup>(٦٢)</sup> بعد اضافة الخارطة المدورة الموجودة في مقدمة الكتاب. لوجمعت لبعضها لظهرت على شكل مستطيل يمثل الاقاليم المعروفة في ذلك الوقت. كما توجد نسخة خطية من الكتاب في باريس ونسخة اخرى في اوكسفورد وثالثة في الاسنانه ورابعة في دار الكتب المصرية. كما توجد مخطوطة خامسة في جامع باشا في الموصل<sup>(٦٣)</sup>.

وعن طبعة روما القديمة تُرجم الكتاب الى الفرنسية من قبل (مسيو جويير) عام ١٨٤٠ في مجلدين مع خرائط، وفي هذه الطبعة أخطاء كثيرة. ثم طبع في لندن عام ١٨٦٦ الى مختلف اللغات العالمية من المانية وفرنسية وانكليزية واسبانية وايطالية<sup>(٦٤)</sup>.

وحققت وطبعت بعض أجزاء الكتاب عن بعض البلدان كما هو مذكور أدناه:

١- وصف الهند وماجاورها من البلاد للشريف الادريسي، جمع وتصحيح السيد مقبول احمد، منشورات القسم العربي بالجامعة الاسلامية، علي كرة، الهند، ١٩٥٤، ص ١-٨٤.

٢- الجزيرة والعراق من نزهة المشتاق في اختراق الافاق للشريف الادريسي، تحقيق أ.د. ابراهيم شوكة، مجلة الاستاذ (كلية التربية بجامعة بغداد)، المجلد ١١، سنة ١٩٦٢-١٩٦٣، ص ٢٣-٨٦.

٣- جزيرة العرب من نزهة المشتاق للشريف الادريسي، تحقيق أ.د. ابراهيم شوكة، مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٩٧١، ص ٣-٧٢.

اشتات النبات) واستفاد منه ابن البيطار العالم النباتي المعروف ولم يصل إلينا الكتاب.

### وصف الادريسي لبعض المناطق:

يصف الادريسي في كتابه " نزهة المشتاق " عدة مدن منها (صيدا) الواقعة في البلاد الشامية على ساحل البحر المالح. كما يصف مدينة (سبتة) مسقط رأسه وذكر انها مشهورة بصيد الحوت الذي يوجد منه نحو مئة نوع وكذلك صيد المرجان.

كما يصف (بيت لحم) قائلاً: سرتُ من بيت المقدس الى مدينة بيت لحم فوجدتُ على طريقي (عين سلوان)، وهي العين التي ابرأ فيها السيد المسيح، الضربير الاعمى، فأصبح يرى. وبقرها بيوت كثيرة ومنقورة في الصخر وفوقها رجال اعتكفوا عبادةً. أما (بيت لحم) وهو المكان الذي ولد فيه السيد المسيح، فبينه وبين المقدس ستة أميال. وفي وسط الطريق قبر راحيل أم يوسف ولد يعقوب، عليه قبة معقودة بالصخر. وفي بيت لحم كنيسة حسنة البناء، فسيحة ومزينة. وفي جهة الشمال المغارة التي ولد بها السيد المسيح، وفي شرق بيت لحم توجد كنيسة الملائكة<sup>(٦٩)</sup>.

كما وصف الادريسي (روما) وذكر انها تقع على جانبي نهر الصفر (التبر)، وهي مدينة مشهورة ومقر خليفة النصارى المسمى (البابا). وهي على جانبي خور البنادقة، لها سور مبني بالآجر، ولها واد يشق وسط المدينة، وعليه قناطر تربط الجهتين الشرقية بالغربية. ويبلغ امتداد كنيسة روما ٦٠٠ ذراع (٣٠٠ متر) في مثله. وهي مسقفة بالرصاص ومفروشة بالرخام ويوجد فيها حوض ماء للمعمودية. وفي صدر الكنيسة كرسي من ذهب يجلس عليه البابا. وفيها سرداب مدفون فيه بطرس، حوارى عيسى. كما ان لهذه المدينة كنيسة اخرى مدفون فيها (بولس)<sup>(٧٠)</sup>.

أما الهند وماجاورها من البلاد<sup>(٧١)</sup>، فقد بدأ الادريسي بوصف بلاد سفالة التي يوجد في جبالها معدن الحديد حيث يعرفه الهنود ويستخدموه في سبك السيوف.

وقد طبع طبعة جديدة بالمطبعة الملكية في مدريد في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣ على النسخة الاصلية المطبوعة سنة ١٧٩٩ بعنوان (ذكر الاندلس) descripcion De Espana.

١١- وصف المسجد الجامع بقرطبة من نزهة المشتاق للادريسي، تحقيق لمار (ويشتمل على النص العربي مع ترجمة ومقدمة بالفرنسية، الجزائر، ١٩٤٩.

كل ذلك يتطلب نشر كتاب الادريسي "نزهة المشتاق" كاملاً وتحقيقه وشرحه وعمل خرائط له اعتماداً على المخطوطات الموجودة في بعض المكتبات العالمية التي أشير إليها سابقاً، والكتاب بحق يعد أعظم مصنفات العصور الوسطى في الجغرافيا.

**ثانياً:-** كتاب في الجغرافيا بعنوان (روض الأئس ونزهة النفس) ألفه للملك غليالم أو غليوم الأول ابن روجر الثاني (١١٥٤-١١٦٦) ذكره عماد الدين الاصبهاني. ويعرف ايضاً (بالممالك والمسالك) وباسم (كتاب أنس المهج وروض الفرج)<sup>(٦٥)</sup>. لايعرف عن هذا الكتاب شيء سوى شذرات حفظها لنا ابو الفدا في القرن الرابع عشر. وفي هذا الكتاب يضيف الادريسي اقليماً ثامناً الى الأقاليم السبعة ويقع الى جنوب خط الاستواء<sup>(٦٦)</sup>.

ولايزال هذا الاثر النفيس مخطوطاً في نسخة واحدة، وهي وحيدته في العالم. وذكر (سيبولد) أنه لم يبق من هذا المصنف الا مختصر في مكتبة حكيم أوغلو علي باشا باستامبول (تحت رقم ٦٨٨) وكان أول من أشار اليه منذ سنوات هروفتتر<sup>(٦٧)</sup>.

**ثالثاً:** خارطة منابع النيل وبحيرات جنوبي خط الاستواء، لاتزال هذه الخارطة في متحف سان مرتين بفرنسا. وتحديد تلك المنابع يلغي نظرية بطليموس التي حددها بتلة في القمر<sup>(٦٨)</sup>.

**رابعاً :** كتاب الادوية المفردة، ذكره ابن ابي اصيبعة. وقيل أن له كتاب اسمه (جني الأزهار في الروض المعطار). وقد يكون هو نفسه كتاب (الجامع لصفات

٦- بحر بنطس وهو البحر الأسود.

٧- بحر جرجان والديلم وهو بحر الخزر (بحر قزوين).

ومما يلاحظ على الأدريسي أنه أشار الى دخول مياه البحر الأعظم (بحر الظلمات) وهو المحيط الاطلسي الى البحر الشامي عن طريق ممر هرقلس (مضيق جبل طارق)، مما ادى الى غرق بعض المدن<sup>(٧٣)</sup>. ولعله يريد أن يفسر فكرة طغيان مياه البحر المتوسط القديم (بحر تيثس) على المناطق المجاورة له خلال الأزمنة الموعلة في القدم.

### خارطة الأدريسي وكتابه "نزهة المشتاق":

#### مَهَيِّدٌ

في عاصمة صقلية (بالرمو) تقتزن ذكرى أنضر مرحلة في حياة الادريسي العلمية، وفيها ايضاً يقتزن كتابه الكبير (نزهة المشتاق). وقد انبعثت فكرة الكتاب في عصر ازدهار حضارة صقلية تحت حكم النورمان. ويرجع الفضل في ظهوره الى ملك صقلية روجر الثاني نفسه، لأنه هو الذي كلفه بتأليف كتابه ليصف فيه العالم بأقطاره وبلدانه ومافيه من العجائب وأحوال أهله وهيئاتهم ومذاهبهم وزيائهم ولغاتهم. فقام الأدريسي بانجاز تلك المهمة على اكمل وجه. والى تلك الموسوعة الجغرافية الهائلة التي سماها " نزهة المشتاق " في اختراق الآفاق". حيث قدم وصفاً موجزاً للارض التي تصورها على شكل كرة مع وصف قصير للقاليم والبحار والخلجان ثم انتقل الى وصف سطح الارض بالتفصيل.

وقد تم تأليف الكتاب في شهر شوال من عام ٥٤٨ هـ الموافق العاشر من يناير (كانون الثاني) من عام ١١٥٤م كما ذكر الادريسي في مقدمته<sup>(٧٤)</sup>. وإذا جاز القول ان المسودة الثانية للكتاب تم اعدادها بعد يوليو (تموز) من عام ١١٥٤م، يلاحظ وجود بعض الاختلاف بين مسودة وأخرى<sup>(٧٥)</sup>.

وتمشي نساء جزيرة الديبجات مكشوفات الرؤوس، وتتصل بتلك الجزيرة، جزيرة أخرى وهي القمر وجزيرة سرنديب وفيها جبل الرهون وعليه قدم آدم. وفي هذا الجبل أنواع المواقيت، وفي واديه الماس. ومن محاصيلها الزراعية: الرز وقصب السكر والنارجيل، وعلى سواحلها مغاص اللؤلؤ الثمين والجيد.

وملك هذه الجزيرة يسكن مدينة (أفنا) وله ١٦ وزيراً موزعون بالتساوي بين أهل ملقة والنصارى والمسلمون واليهود. وتتصل بجزيرة سرنديب جزيرة الرامي وهي الهند وتشتهر بحيوان الكركدن والذهب والكافور واللؤلؤ وعدة محاصيل زراعية، وفيها نبات (العنبا). وجميع أهل الهند والصين يقتلون السارق ويؤدون الأمانة. ويحدث في بحر عُمان وبحر فارس المد والجزر. وفي بحر الهند والصين حيوان بحري يسمى (البابة)، وقد تتعرض للمراكب فتكسرها، لذلك يرشقها الريانون بالسهام.

وأهل الهند سبعة أجناس اعلاها الأشراف وفيهم الحكم، يليهم البراهما وهم عباد الهند، ثم يليهم بقية الأجناس. ومذاهب أهل الهند ٤٢ ملة، لهم شتى الديانات الموحدة وغير الموحدة. وأهل الهند والصين لا ينكرون الخالق ولا يقولون بالرسول والكتب، ويحرق أهل الهند موتاهم.

وصنف الأدريسي في كتابه سبعة بحار عدا البحر المحيط (بحر الظلمات) الذي يحيط بالكرة الأرضية. وهذه البحار هي<sup>(٧٦)</sup>:

١- المحيط الهندي أو بحر الهند ويسميه الادريسي (بحر الصين والهند والسند واليمن).

٢- البحر الجنوبي والأبلة وهو الخليج العربي ويسميه الادريسي (الخليج الأخضر).

٣- خليج القزم وهو البحر الأحمر.

٤- البحر الثاني الكبير المعروف بالبحر الشامي أو الرومي (البحر المتوسط).

٥- خليج البنادقيين وهو بحر الادرياتيكي.

ويرى كراتشكوفسكي أنه من العسير الوصول الى رأي قاطع حول أصل خرائط الادريسي وصلتها ببطليموس. كما أنه من الصعوبة الجزم أن الكرة الفضية التي عملها الادريسي للملك روجر على هيئة خارطة مستديرة، هل هي للعالم أم للاقاليم؟ وفي جميع الأحوال يعد اطللس الادريسي أهم أثر للكاتوغرافيا العربية في العصور الوسطى<sup>(٨١)</sup>.

وبعد أن تم تجميع خرائط الادريسي ونشرها بفضل جهود عالم الخرائط الالماني (ميلر) الحاذقة، أصبحت هذه الخرائط مرئية فوق جدران أكثر المؤسسات التعليمية في العالم الغربي. مما هيأ ظهور دراسات لتلك الخرائط عن اقطار اوربا مثل ابحاث (تالغرين - توليو) عن وصف فنلندا لدى الادريسي، وكذلك أبحاثه عن الدول الاسكندنافية وشمال المانيا واستونيا وشبه جزيرة كولا وشمال روسيا ومناطق الدنيبر الأعلى، مما جعل أبحاثه وابحاث هنريخ عن المانيا تمثل خطوة جديدة في دراسة الادريسي<sup>(٨٢)</sup>.

وتوصل ميلر من الخرائط السبعين التي صنفها الادريسي لاجزاء العالم، بعد ان جمعها الواحدة الى جنب الاخرى، الى خارطة كبيرة موحدة للعالم بطول مترين وعرض متر، نشرها بالحروف اللاتينية، وطُبعت طبعة أنيقة بالألوان الأصلية في سنة ١٩٢٨<sup>(٨٣)</sup>. وقيل ١٩٣٨، كما طبعت في عام ١٩٥١ طبعة باللغة العربية<sup>(٨٤)</sup>.

ونظراً لأهمية هذه الخارطة قام المجمع العلمي العراقي بتحقيق الأسماء الواردة في تلك الخارطة ومقارنتها بخرائط الادريسي الملحقة بكتاب "نزهة المشتاق" وأخرج منها خارطة عربية بالحجم نفسه والألوان والعوارض التي وضعت في خارطة ميلر.

### منهجه العلمي:

من مصادر كتاب الادريسي الأساسية، مشاهداته الشخصية وما كتبه المتقدمون في علم الجغرافيا مثل المسعودي، الجيهاني، ابن خرداذبة، العذري، الحوقلي البغدادي، اليعقوبي، ابن الحسن المنجم، قدامة البصري، ابن خاقان الكيماكي، القردي، بطليموس الاقلودي، ارسيسوس الأنطاكي.

وبعض الباحثين عدّ تلك الموسوعة الادريسية من التراث العربي بأنها صرح منير للحضارة الانسانية، إذ أغنت المعرفة وسرّعت في حركة التطور والتقدم<sup>(٧٦)</sup>. ومنهم من أشار الى ان أبدع أقسام تلك الموسوعة هي الفصول المتعلقة بوصف الاندلس واسبانيا والمغرب وبحر الادرياتيك وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط وأفريقيا الشمالية. وهي البلاد التي تجول فيها الادريسي عن كتب واعتمدت على ملاحظاته الشخصية. ففي هذه الفصول كشف الادريسي عن رسوخ معلوماته وعمقها ودقة مشاهداته. بالاضافة الى ماذكره من معلومات واوصاف دقيقة عن بلاد اوربا الشمالية مثل المانيا والبلاد الاسكندنافية<sup>(٧٧)</sup>. ومعلوماته عن الروس اعتمدت، على روايات ابن حوقل والجيهاني، وقد قسمهم الى ثلاث قبائل. واعتقد (نايلنو) ان معلوماته عن بلاد آسيا وأفريقيا غير الإسلامية اعتمدت على بطليموس<sup>(٧٨)</sup>.

وبالاضافة الى كتاب نزهة المشتاق، فقد كلف الملك (روجر) الادريسي عمل خريطة للعالم، إذ لا تتوفر في ذلك الوقت سوى خريطتين قاصرتين: الاولى تعود الى عهد قياصرة الروم، وضعت عام ٣٦٥م وعُرفت باسم خريطة(بوتنجر) ولا تتعدى الطرق والأراضي الموجودة بالبحر المتوسط حتى ان اغلب المدن الموجودة التي تضمنتها تلك الخريطة قد تغيرت اسمائها أو زالت من الوجود. وهناك خريطة اخرى اكثر شهرة من الاولى هي خريطة بطليموس لكنها محدودة الفائدة ولا تتجاوز حدود العالم المعروف حينذاك<sup>(٧٩)</sup>.

وأُنجز الادريسي مهمته المكلف بها ورسم خريطته على تصور جديد لم يكن مألوفاً من قبل. فقد كان تصور القدماء عن الارض أنها مسطحة تعوم على سطح الماء. ولكن الادريسي صحح هذه الفكرة وقال انها بيضاوية الشكل محاطة بالماء من كل جانب وقسمها الى قسمين يفصلهما خط الاستواء. وقد رسمها بشكل مثير للدهشة لكنه لم يضع فيها قارتي امريكا واستراليا لانهما لم تكتشفا بعد<sup>(٨٠)</sup>.

كما اعتمد صاحب نزهة المشتاق على مارواه السياح من المعارف الكثيرة، وعلى عدة خرائط، وعلى ماكان يسجله من احاديث التجار والحجاج المسافرين والملاحين في السفن التي كانت ترسو في موانئ صقلية.

ويعد الادريسي أول من جمع معلومات عن مناطق اوربا الشمالية عن طريق ارسال أشخاص اليها والى اقاليم الشرق والغرب، اختارهم ممن اتصفوا بالذكاء والفتنة ودربهم على دقة المشاهدة وغزلة المعلومة، وسفر معهم مصورين ليصوروا مايشاهدونه عيناً برسومهم وأمرهم بالتقصي والاستيعاب لما لا بد من معرفته. وكان يدقق ما يأتي به هؤلاء من معلومات ويعيد صياغتها. وبعد أن يتأكد من صحتها يثبتها على خارطته، لأنه كان يتوخى الحصول على معلومات موثوقة من مصادرها الأصلية بالمعينة والمشاهدة والتدقيق الشخصي، كما أشار الى ذلك الصفي.

وبذلك تكمن اهمية الكتاب ليس فقط على ما ذكره الادريسي من معلومات الجغرافيين الذين سبقوه مثل بطليموس والمسعودي، بل على مشاهداته الشخصية. بالاضافة الى المعلومات المبنية في الأساس على تقارير مبتكرة حصل عليها عن طريق موفدين سبق وأن أرسلهم الادريسي - بمساعدة روجر - الى بلدان متفرقة لكي يأتيه بالمعلومات التي يتقحصها، ومن ثم يدونها. مما يدل على رجاحة عقل، وسعة صدر، وقدرة صبر، فضلاً عن ادراكه لكروية الأرض.

وهكذا فإن الادريسي لم يكتف بما عنده من معرفة مختزنة، وطرق اختبار، بل اتصل بكل من له علم فأخذ منهم ما عندهم، وقابل الأخبار والمعلومات والمعارف وقارن بينها وقبل منها ما ثبتت صحته بالمقارنة والتدليل وترك ماكثر حوله الاختلاف. وتمخض عن تلك الجهود خارطته للعالم وكتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" (٨٥)، وهو دليل على تفوق الحضارة العربية في ذلك العهد وعلى اعتراف الجميع بهذا التفوق (٨٦).

ومما يلفت النظر أن الادريسي ينسب كل ما بذله من جهد الى الملك روجر ويعده هو صاحب هذه الطريقة، ويميل كراتشكوفسكي الى هذا الرأي (٨٧). ولعل نسبة الادريسي لكتابه الى روجر هو من قبيل المجاملة والتواضع، حيث ان الملك كان منشغلاً بإدارة شؤون مملكته وحل مشاكلها تاركاً الجانب العلمي للشريف الادريسي. ويؤكد الاستاذ حسن السائح أن الادريسي هو الذي وضع منهج العمل لكتابه وهو الذي أرسل البعثات الاستكشافية الى مختلف الدول. كما كان يدرس خصائص البلد الذي يسافر اليه ووضعه الجغرافي والنحل والمعتقدات والمنتجات وكل ماله أهمية بالجغرافيا وعلم الاجتماع، وساعده في ذلك روجر الثاني (٨٨).

### مراحل اعمال الادريسي :

يرى كراتشكوفسكي ان العمل في كتاب " نزهة المشتاق " مرّ بثلاثة أدوار وخلف وراءه آثار : أولها انموذج فريد في نوعه للكرة السماوية، وهو عبارة عن قرص من الفضة مرسومة عليه صورة العالم، وثانيها خارطة مرسومة على الورق، وثالثها كتاب خاص مدون فيه الاسماء الجغرافية (٨٩).

وبفهم مما اورده الادريسي في مقدمة كتابه " نزهة المشتاق " ومن كلام الصفي ان الأعمال التي قام بها الادريسي مرّت بحسب المنهج المعد بأربع مراحل هي (٩٠):

### المرحلة الأولى (إعداد لوح الترسيم):

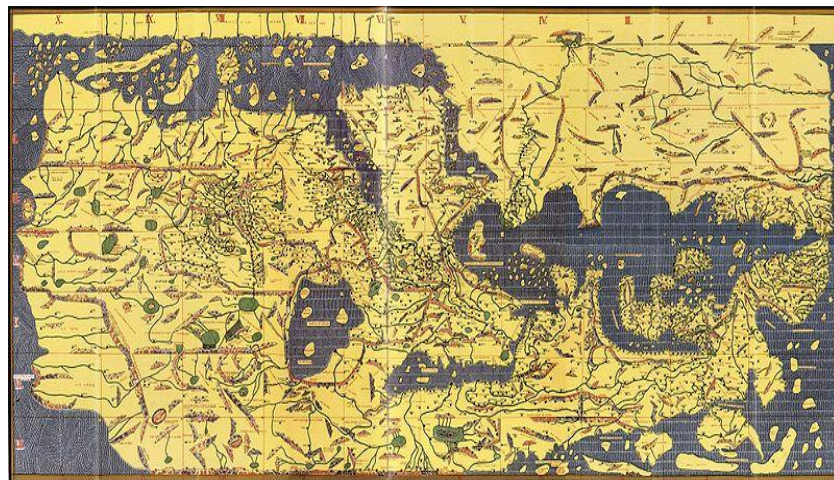
لوح الترسيم عبارة عن خارطة واسعة مسطحة رُسمت عليها خطوط الطول ودوائر العرض. وقد اتخذها الادريسي اساساً استند اليها في تثبيت المواقع حيث ثبت عليها مواقع البلدان والانهر والجبال والبحار والخلجان والبحيرات واحداً بعد الآخر بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض، وذلك باستعمال (فرجار). وهي الطريقة ذاتها المتبعة حالياً في تثبيت الاماكن على الخارطة وتعيين مسافاتهما بالنسبة الى المواقع الاخرى. وقد استند الادريسي الى الجداول التي نظمها الجغرافيون الاقدمون في تثبيت

المواقع واعتمد على الأصح منها. ثم عاد ونقل، بعد ذلك، من اللوح المذكور خارطاته التفصيلية المختلفة في كتابه "نزهة المشتاق" من غير أن يثبت عليها خطوط الطول ودوائر العرض.

### المرحلة الثانية (صنع كرة فضية للعالم):

في هذه المرحلة نقل الادريسي ماتجمع لديه على لوح الترسيم من معلومات على كرة أرضية فضية ونحت على هذه الكرة خارطة العالم المعمور، كما كانت على لوح الترسيم ولكن بحجم أصغر. وهي عملية معقدة، إذ لم يكن لديه من الأدوات سوى الفرجار والمسطرة والمثلث وما إليها. وكان عليه في كل حالة أن يحسب البعد الصحيح للموقع ثم نقله الى المقياس المطلوب في الخارطة الثانية.

وبعد ان انجز الادريسي كرتة الفضية تحطمت في زمن الملك (غليالم الأول) على أثر ثورة نشبت سنة ١١٦٠م. والمثير للدهشة أن تبقى خريطة الحائط السريعة التلف، وتضيع خريطة المعدن المجسمة. فقد كانت قيمتها المادية سبباً في تلفها وضياعتها بعد ان هجم الثوار على القصر الملكي وقاموا بنهشيمها قطعة قطعة، واقتسمها المهاجمون فيما بينهم، ثم ضاعت خريطة الحائط التي عملها الادريسي ولم يبق غير خريطة كتابه الشهير "نزهة المشتاق" (٩١).



### شكل (١) خارطة العالم للأدريسي كما وضعها ميللر بجمع أجزاء الخارطات المتفرقة الملحقة بكتاب "نزهة المشتاق"

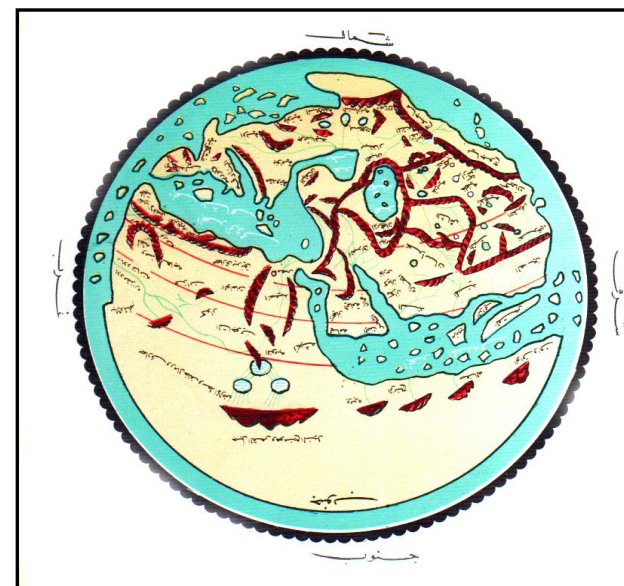
وبسبب فقدان تلك الكرة، اختلف الباحثون في تصور هذه الخارطة، فبعضهم عدّها دائرة مسطحة على شكل قرص، والبعض الآخر عدّها كرة مجسمة من الفضة منقوش عليها الأقاليم السبعة بأقطارها وطرقها ومظاهرها الطبيعية. والاكثريّة تميل الى الرأي الأول مثل (رينود) الذي ذكر ايضاً أن الادريسي صنع كرة سماوية، بالاضافة الى الخارطة المذكورة. وايد ميللر مذهب الـ(رينود) من ان الخارطة كانت صفيحة لا كرة وقدّر سمكها بنحو ٣ ملم وطولها ٣.٥ م وعرضها ١.٥ م. وكانت أول خريطة لكرة ارضية مجسمة في التاريخ على شكل مستطيل من الفضة وتكاد تكون اكبر الخرائط في العالم (٩٢).

أما الدكتور حسين مؤنس فمال الى الرأي الثاني حيث ان الادريسي وصف الخارطة بأنها " دائرة عظيمة الجرم، ضخمة الجسم" ولا يمكن أن تكون مجرد صفيحة منبسطة. واتجه الدكتور احمد سوسة الى الرأي الثاني ايضاً، يؤيده الباحث في ذلك، حيث ان الادريسي بنى جغرافيته على مبدأ كروية الارض وتقسيم الأقاليم المناخية عليها، وهي تتدرج من خط الاستواء الى القطب.

مما يعني ان الادريسي استند على مفاهيم علمية صحيحة، بالاضافة الى فهمه الواضح لخط الاستواء ومابنى عليه تقسيمه للارض الى اقاليم. واتخذ الخط المار بجزر الخالدات بمثابة خط الطول الرئيس الذي أُخذ كأساس لتقسيم الارض ويبدأ منه الحساب، وهو ما يطلق عليه خط الصفر. لذا فإن النتائج التي توصل اليها أفضل بكثير ممن سبقه، وهي سابقة للمفاهيم الجغرافية السائدة في عصره بمراحل (٩٣).



الطريقة التي اتبعها الخوارزمي في خريطته لأول مرة، ثم تبعه الفرغاني وسهراب والبيروني وغيرهم. إلا أن الادريسي أضاف اليها تصنيفاً جديداً، حيث قسم كل اقليم من تلك الأقاليم السبعة الى عشرة أقسام متساوية تبدأ من القطب الشمالي وتنتهي بالقطب الجنوبي، وجعل لكل قسم خارطة. وبذلك حصل على مستطيلات محددة من الارض ومايقع فيها من الأقطار والمعالم الجغرافية. وهو بذلك قد خالف ممن سبقه من الفلكيين الذين قسموا قبة الفلك فوق الارض الى ٣٦٠ درجة وذكروا مايقع مقابل كل خط من المدن وتصوروا أن خطوط الطول مستقيمة متوازية<sup>(٩٩)</sup>. إلا أن الادريسي عدّ طول الدرجة الواحدة (بين خط وآخر) ٧٥ ميلاً، اي أنها أطول مما هي عليه الآن بقليل. ولذلك فإن قياساته لم تكن دقيقة جداً ولكنها أقرب إلى الواقع من التقسيم الفلكي الذي كان سائداً قبله<sup>(١٠٠)</sup>. فاصبح العالم المعمور عند الادريسي مقسماً الى سبعين قسماً، كل قسم ملحق به خارطة توضح مافي داخله من مدن وجبال وبحار وجزر وأنهار وطرق وغيرها. ومن مجموع تلك الخرائط السبعين يفتقد منها عادةً في المخطوطات واحدة أو اثنتان<sup>(١٠١)</sup>.



وقد رسم الادريسي صورة الارض على شكل كرة في مقدمة كتابه المذكور، وهي مأخوذة من كرتة الفضية، حيث رسم دوائر العرض فيها على شكل أحزمة تحيط بالكرة الفضية بشكل دائري وليس على شكل خطوط مستقيمة، مما يشير الى أنها منقولة من كرة وليست دائرة مسطحة. والادريسي قام بصنع كرتة الفضية تقليداً لما كان شائعاً في عصره في صنع مثل هذه الكرات المعدنية<sup>(\*\*)</sup> والتي تقدم الى الملوك والأمراء.

وقدرت زنة الكرة الأرضية الفضية المذكورة (٢٠٠٠) أفة<sup>(٩٤)</sup>. وقدرها آخرون بنحو (٤٠) رطلاً من الفضة<sup>(٩٥)</sup>، وغيرهم بنحو (٤٠٠) رطل رومي<sup>(٩٦)</sup>. ونقش الادريسي عليها الأقاليم السبعة معتمداً في ذلك على حسه الجغرافي الحاد<sup>(٩٧)</sup>.

### المرحلة الثالثة (إعداد كتاب نزهة المشتاق):

بعد ان جمع الادريسي معلوماته، وبعد أن ثبتها في خارطته " تكامل له ما أراد وجعله مصنفاً وهو كتاب نزهة المشتاق الذي للشريف الادريسي" على حد قول الصفدي. وقد انفرد الكتاب عن غيره من المؤلفات الجغرافية العربية السابقة بمعلوماته عن منابع النيل وعن السودان الغربي ونهر النيجر بالاضافة الى معلوماته الغزيرة عن القارة الاوربية<sup>(٩٨)</sup>. ويمكن القول ان الكتاب ضم معلومات في الجغرافية الطبيعية والاقتصادية والبشرية وجغرافية الاجناس البشرية ولمحات عن التنظيم الاجتماعي عند مختلف الجماعات والاقوام<sup>(٩٨-١٠٠)</sup>.

### المرحلة الرابعة (إعداد الخرائط):

تمثل هذه المرحلة إعداد خرائط ملحقة بكتاب " نزهة المشتاق"، فقد بني الادريسي جغرافيته وسار بها على نهج الجغرافيين العرب الذين سبقوه والقائم على نظرية كروية الارض وثبوتها في جوف الفلك ودوران الأخير حول الارض ثم قسمة الارض المعمورة بخط الاستواء الى قسمين. وقسم العالم الى سبعة اقاليم، وهي

### شكل (٢) صورة الارض للشريف الأديسي

كما أضاف الأديسي خارطة جامعة للعالم رسمها على شكل دائرة في مطلع كتابه "نزهة المشتاق" نقلها عن كرتة الفضية تمثل التقليد الذي سار عليه الجغرافيون العرب في تصوير العالم على شكل دائرة تدور حول المحيطات من جميع أطرافها. وهذه الخارطة هي الوحيدة التي يمكن ربطها بمنهج (أطلس الاسلام) أو المدرسة الكلاسيكية.

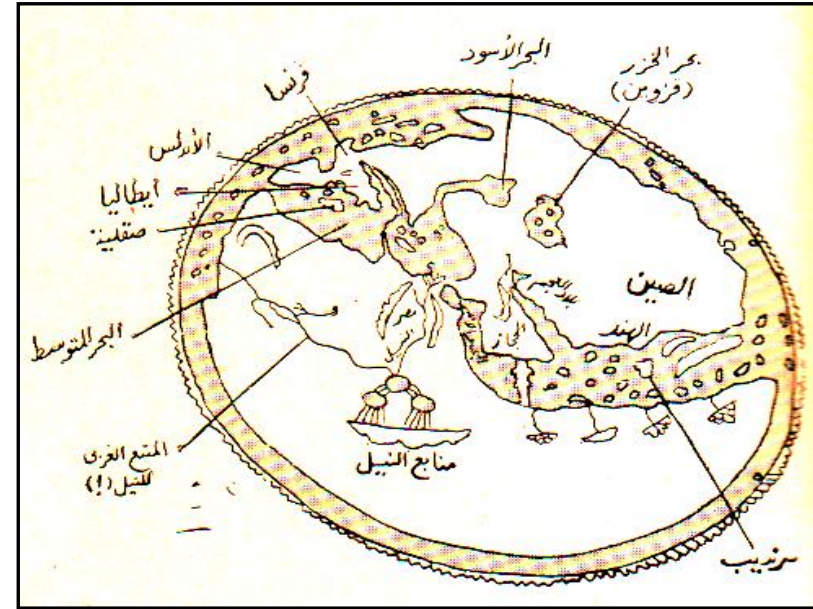
إن الفكرة الخاصة بهذا الأطلس والمتعلقة بوجود بحرين كبيرين تنعكس بوضوح في خارطة الأديسي المشار إليها. ولكن تحديد سواحل البحر المتوسط هو أقرب الى الواقع عند الأديسي. وهذا يوضح بأن خارطته تتميز بدقة الرسم والابتعاد عن منهج الخطوط المستقيمة والأشكال الهندسية<sup>(١٠٢)</sup>.

وفي الوقت الذي اعتمد الأديسي على الأقاليم العامة الشاملة للمعمور (أي للعالم)، يلاحظ أن أصحاب (أطلس الاسلام) قد اختاروا أقاليم جغرافية ممثلة في وحدات سياسية وإدارية متميزة عما حولها من أقاليم أخرى على أساس من الظروف الطبيعية والبشرية، وخاصة النواحي الثقافية والتكنولوجية والعرقية على نحو التفاصيل الموجودة عند المقدسي وابن حوقل والاصطخري. وهكذا أدخل أصحاب (أطلس الاسلام) تحسينات على طريقة المناطق القديمة القائمة على الأقاليم السبعة<sup>(١٠٣)</sup>.

وفي ضوء اختلاف الطريقتين أمكن تجميع أجزاء خريطة الأديسي في لوحة واحدة للعالم كما فعل ميللر. في حين يتعذر تجميع خرائط أطلس الاسلام في خريطة واحدة، ومنهم من أطلق على خرائط الأطلس المذكور بالمدرسة المجددة.

وبذلك يمثل الأديسي مدرسة جغرافية خاصة، وهي التي سماها ميللر (بالمدرسة العربية النورمانية) التي التقت فيها "ثقافة الشرق الاسلامي بالغرب المسيحي، كما تعرفت أوربا على بلاد المسلمين، وعرف المسلمون الشيء الكثير عن بلدان أوربا"<sup>(١٠٤)</sup>.

وكان بلاط روجر الثاني ملتقى الحضارتين وموئلاً للحرية العلمية في القرن الثاني عشر الميلادي. والخرائط التي رسمها الأديسي كانت ذات اثر كبير في تصوير الدنيا للأوربيين مدة طويلة بعد عصره<sup>(١٠٥)</sup>. واقتصر جهد الأوربيين مجرد على نسخ كتابه مدة زادت على ثلاثة قرون<sup>(١٠٦)</sup>.



شكل (٣) العالم كما صورته الأديسي: كرة يحيط بها البحر المحيط

### الخاتمة:

الشريف الادريسي احد نوابغ الفكر الجغرافي العربي، واحد الأشراف الذين ينتسبون الى أدراسة المغرب. اكمل تعليمه الثانوي والعالي في جامعة قرطبة بالاندلس، وساعده في ذلك بقايا الادارسة من اجداده الموجودين هناك. بدأت رحلاته الى مناطق عديدة في العالم منذ سن مبكرة. ويعد أول جغرافي عربي تنقل على نطاق واسع في القارة الأوروبية وسجل عنها معلومات جغرافية ثمينة قبل غيره من الجغرافيين. ووصل الى اماكن لم تطأها قدم سائح ولا مكتشف قبله، فقد وصل الى منابع نهر النيل واكتشف مصدر مياهها، وهو البحيرات الاستوائية، ورسم خارطة لها مازالت موجودة في احد متاحف فرنسا.

اعتمد منهجه العلمي الجغرافي على المشاهدة الشخصية (الدراسة الميدانية). أما المناطق البعيدة التي لم يتمكن من الوصول اليها فقد اعتمد على مصادر الجغرافيين الذين سبقوه. بالاضافة الى استعانتة بمعلومات التجار والحجاج والمسافرين وربانة السفن والموفدين الذين ارسلهم الى الاماكن النائية بعد تدريبهم ليحصلوا على المعلومات الدقيقة. وأرسل معهم رسامين لرسم مايشاهدونه، وكان يغزل المعلومات التي تصله ويدققها.

وظل كتابه "نزهة المشتاق" وخرائطه معتمدة في الجامعات الأوروبية الى مابعد القرن السادس عشر الميلادي. ولم يكن للعالم مصور عن الارض في تلك المرحلة إلا مارسمه الادريسي فكان حجة، ولم يقع في الأخطاء التي وقع فيها سلفه بطليموس. وقد تعلمت اوربا علم الجغرافيا في القرون الوسطى من كتبه التي ترجمت الى اللاتينية كما يقول (مينورسكي).

ووضع الادريسي اول كرة أرضية من الفضة ونقش عليها خارطة العالم بأقاليمه السبعة، وكانت أول خارطة مجسمة لكرة أرضية دقيقة في التاريخ. وقسم الأقاليم السبعة الى عشرة أقسام متساوية، وجعل لكل قسم خارطة خاصة به. وبذلك اصبح العالم عند الادريسي مقسماً الى سبعين قسماً، كل قسم ملحق به خارطة توضح

مافيه من مواقع. وامكن تجميع خرائط الادريسي المذكورة في لوحة واحدة للعالم، بعد وضعها واحدة الى جنب الأخرى. وبذلك يمثل الادريسي مدرسة خاصة به سماها (ميللر) بالمدرسة العربية النورمانية.

ورسم الادريسي خريطته على تصور جديد لم يكن مألوفاً من قبل، فقد كان تصور القدماء عن الارض انها مسطحة، وصحح الادريسي تصورهم وقال انها بيضاوية محاطة بالماء، وقسمها الى نصفين : شمالي وجنوبي يفصلهما خط الاستواء. ورسمها بشكل مثير للدهشة لكنه لم يضع فيها قارتي امريكا واستراليا لانهما لم تكتشفا بعد. وقد يكون عنده فكرة عن وجود أرض وراء بحر الظلمات.

وخالف الادريسي الذين سبقوه حول خطوط الطول الذين تصوروا أنها مستقيمة متوازية، وجعل المسافة بين كل خط وآخر ٧٥ ميلاً، وهي أقرب الى الواقع ممن سبقوه. كما اعتمد الخط المار بجزر الخالدات بمثابة خط الطول الرئيس الذي أخذ كأساس لتقسيم الارض الى نصفين : شرقي وغربي ويبدأ منه القياس وهو ما يطلق عليه خط الصفر. والنتائج التي توصل اليها هي سابقة للمفاهيم الجغرافية السائدة في عصر الادريسي. وفي ضوء ذلك اتخذ خط كرنج في العهود المعاصرة خطاً للقياس وحساب الوقت.

ويستفاد مما اشار اليه الادريسي من دخول مياه البحر المظلم (المحيط الاطلسي) الى البحر الشامي او الرومي (البحر المتوسط) عن طريق ممر هرقلس أو الزقاق (مضيق جبل طارق) وغرق مدن عديدة، انه يريد ان يفسر فكرة طغيان مياه البحر المتوسط القديم (بحر تيثس) على المناطق المجاورة له خلال الازمنة الموعلة في القدم.

ان النتائج العلمية التي توصل اليها الادريسي من خلال دراسته المذكورة تتطلب منا نشر كتابه "نزهة المشتاق" كاملاً وتحقيقه وشرحه وعمل خرائط له اعتماداً على المخطوطات الموجودة في بعض مكتبات العالم والتفتيش عن مخطوطات أخرى له لنشر بقية كتبه.

## الهوامش والمصادر:

- (١) احمد سوسة، الشريف الادريسي في الجغرافيا العربية، الباب الثاني، طبع مكتب صبري، نشر مؤسسة كولنكيان ونقابه المهندسين العراقية، بغداد، ١٩٧٤، ص ٢٧٣.
- (٢) محمد رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج ١١، مكتبة المثنى (لبنان) ودار احياء التراث العربي بيروت، ١٩٥٧، ص ٢٣٦.
- (٣) س.ف. سيبولد، " الادريسي"، دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الاول، دار الفكر، ١٩٣٣، ص ٥٤٧.
- (٤) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا (نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية)، ج ٥، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ص ١٨٠، خير الدين الزركلي، الاعلام، ط ٣، ج ١، ١٩٦٩، ص ٢٦٧.
- (٥) انترنت، ويكيبيديا، موقع منتدى جمعية هواة الفلك السورية .
- (\*) وقيل الرشيد (صبري محمد حسن، الجغرافيون العرب، ج ١، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٥٨، ص ١٧١-١٧٢.
- (٦) القلقشندي، ج ٥، ص ١٨٠.
- (٧) دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الاول، ص ٥٤٤، الزركلي، ج ١، ص ٢٦٧.
- (٨) القلقشندي، ج ٥، ص ١٨٠.
- (٩) عمر رضا كحالة، العالم الاسلامي: مختصر تاريخ الدول الاسلامية، ط ٢، ج ٢، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٥٨، ص ٨٣.
- (١٠) احمد سوسة، الباب الثاني، ص ٢٧٥.
- (١١) غوستاف لوبون، حضارة العرب، نقله الى العربية عادل زعيتر، ط ٢، مطبعة دار احياء الكتب العربية، ١٩٤٨، ص ٥٦٨.

- (١٢) شاكر خصباك، في الجغرافية العربية : دراسة في التراث الجغرافي العربي، ط ١، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٥، ص ٣٨٢.
- (١٣) احمد سوسة، الباب الثاني، ص ٢٧٥.
- (١٤) نقولا زيادة، الرحالة العرب، دار الهلال، سلسلة الالف كتاب (رقم ٩٧)، ١٩٥٦، ص ٥٦.
- (١٥) انترنت الموقع : [www.roro44.com](http://www.roro44.com)
- (١٦) كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، نقله الى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، القسم الاول، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٢٨٠.
- (١٧) انترنت، موقع المغرب تحت عنوان (الشريف الادريسي).
- (١٨) احمد سوسة، الباب الثاني، ص ٢٧٦.
- (١٩) نقولا زيادة، ص ٥٦.
- (٢٠) احمد سوسة، الباب الثاني، ص ٢٧٦.
- (٢١) صبري محمد حسن، ج ١، ص ١٧٣، وغوستاف لوبون، ص ٥٦٧.
- (٢٢) المصدر نفسه (غوستاف لوبون)، ص ٥٦٧.
- (٢٣) شاكر خصباك، ص ٣٨٣.
- (٢٤) م. ق. مينورسكي، الجغرافيون والرحالة المسلمون، ترجمة أ.د. عبد الرحمن حميدة، نشرة دورية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية (رقم ٧٣)، يناير ١٩٨٥، ص ١٩.
- (٢٥) بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، نقله الى العربية نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، ط ٨، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٤٩.
- (٢٦) احمد سوسة، الباب الثاني، ص ٢٩٨-٣٠٢.

- (٢٧) المصدر نفسه، ص ٣٠٠-٣٠٤.
- (٢٨) بركلمان، ص ٢٤٩.
- (٢٩) احمد سوسة، الباب الثاني، ص ٣٠٥.
- (٣٠) احمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا، المطبعة العربية، الجزائر، ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م)، ص ٢٣٦-٢٣٧.
- (٣١) احمد سوسة، الباب الثاني، ص ٢٩٥.
- (٣٢) المصدر نفسه، ص ٢٨٢.
- (٣٣) كراتشكوفسكي، القسم الاول، ص ٢٨٠.
- (٣٤) صلاح الدين على الشامي، الاسلام والفكر الجغرافي العربي، منشأة المعارف (سلسلة الكتب الجغرافية رقم ٤٠)، الاسكندرية، ١٩٧٨، ص ١٢٩.
- (٣٥) كراتشكوفسكي، القسم الاول، ص ٢٨٠.
- (٣٦) نقولا زيادة، ص ٥٦.
- (٣٧) كراتشكوفسكي، القسم الاول، ص ٢٨٢.
- (٣٨) عن: احمد سوسة، الباب الثاني، ص ٢٩٨-٣٠٢.
- (٣٩) كراتشكوفسكي، القسم الاول، ص ٢٨٠. وورد في كتابه سنة ٦٥٠ هـ وواضح انه خطأ مطبعي وصحيحه هو ٥٦٠ هـ. راجع ايضا نقولا زيادة ص ٥٧، الا ان الباحث صبري محمد حسن ذكر ان السنة الهجرية تلك تقابل ١١٧٣ م (ص ١٧١). اما دائرة المعارف الاسلامية فنذكرت انها مقابلة لعام ١١٦٦ م (٥٤٧/١).
- (٤٠) انترنت، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.
- (٤١) جي. ا.ج. كريمرز، "الجغرافية والتجارة"، ترجمة المحامي جرجيس فتح الله، تراث الاسلام، ج ١، ص ١٠٠-١٠٣.

- (٤٢) مينورسكي، ص ١٩ وفيليب حتي، ادور جرجي، جبرائيل جبور، تاريخ العرب مطول، ط ٤، ج ٢، مطابع الغندور، ١٩٦٥، ص ٧٢٢.
- (٤٣) محمد فريد وجدي، الادريسي، دائرة معارف القرن العشرين، ط ٣، المجلد الاول، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧١، ص ١٢٠.
- (٤٤) احمد سوسة، الباب الثاني، ص ٢٧٦.
- (٤٥) عبد الله كنون، ذكريات مشاهير المغرب، الشريف الادريسي، الحلقة ٢٤ تطوان، المغرب، بلا تاريخ، ص ٨، حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، ١٩٦٧، ص ١٨٢، ١٧٧، زكي محمد حسين، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص ٦٧ (عن احمد سوسة، ٢/٢٧٧).
- (٤٦) كريمرز، ج ١، ص ١٠٠-١٠٣.
- (٤٧) حسين مؤنس، ص ١٧٧، ١٨٢.
- (٤٨) الصفدي، الوافي بالوفيات، مادة رُجار، نشرها المستشرق الايطالي اماري في المكتبة الصقلية، ليبسك، ١٨٥٧، ص ٦٥٧-٦٥٨.
- (٤٩) حسين مؤنس، ص ١٨٣-١٩٠.
- (٥٠) مجلة المجمع العلمي العراقي، أدارسة صقلية، المجلد ١١، ١٩٦٤، ص ٩٥.
- (٥١) الصفدي، مادة رُجار، ص ٦٥٧-٦٥٨.
- (٥٢) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥، ص ٥٠١.
- (٥٣) عماد الدين الاصبهاني الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر، حققه محمد بهجة الاثري، بغداد، ١٩٧٣. انظر ايضا: احمد سوسة، ٢/٢٨٢.
- (٥٤) فيليب حتي وزميلييه، ج ٢، ص ٧٢٢.

- (٥٥) عن : شاكر خصباك، ص ٣٨٣.
- (٥٦) صبري محمد حسن، ج ١، ص ١٧٢-١٧٣.
- (٥٧) مينورسكي، ص ١٩.
- (٥٨) عن : غوستاف لوبون، ص ٥٦٧-٨.
- (٥٩) توجد نسخة من هذه الطبعة في مكتبة المتحف تحت رقم ٩١٠-٢٨٢.
- (٦٠) دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الاول، ص ٥٤٧.
- (٦١) صبري محمد حسن، ج ١، ص ١٧٣-٤.
- (٦٢) دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الاول، ص ٥٤٧.
- (٦٣) صبري محمد حسن، ج ١، ص ١٧٣-٤.
- (٦٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧٣-٤.
- (٦٥) محمد رضا كحالة، ج ١١، ص ٢٣٦.
- (٦٦) كراتشكوفسكي، القسم الاول، ص ٢٩٠.
- (٦٧) دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الاول، ص ٥٤٧.
- (٦٨) انترنت، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.
- (٦٩) احمد ابو سعد، ادب الرحلات وتطوره في الادب العربي : دراسة ومختارات، منشورات دار الشرق الجديد (سلسلة الفنون الادبية عند العرب رقم ١٠)، بيروت، ١٩٦١، ص ٩٧.
- (٧٠) المصدر نفسه، ص ١٠٨.
- (٧١) الشريف الادريسي، وصف الهند وما جاورها من البلاد، جمع وتصحيح السيد مقبول احمد، منشورات القسم العربي بالجامعة الاسلامية، علي كرة، الهند، ١٩٥٤، ص ٨٤-١.
- (٧٢) احمد سوسة، الباب الثاني، ص ٣٦٤-٣٦٦.

- (٧٣) الشريف الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، تصحيح ونشر هنري بيبريس، الجزائر، ١٩٥٧، ص ١٠٥-١٠٦.
- (٧٤) احمد سوسة، الباب الثاني، ص ٢٨٣.
- (٧٥) كراتشكوفسكي، القسم الاول، ص ٢٨٤-٥.
- (٧٦) احمد ابو سعد، ص ٩٦.
- (٧٧) محمد عبد الله عنان، " الشريف الادريسي عمدة الجغرافيين المسلمين"، مجلة العربي، الكويت، العدد ٢٩، نيسان ١٩٦١، ص ٩٢-٩٦.
- (٧٨) فيليب حتي وزميله ج ٢، ص ٧٢٢.
- (٧٩) انترنت، موقع المغرب، الشريف الادريسي.
- (٨٠) المصدر نفسه، (موقع المغرب ).
- (٨١) كراتشكوفسكي، القسم الاول، ص ٢٨٩-٢٩٠.
- (٨٢) المصدر نفسه، ص ٢٩٣-٤.
- (٨٣) احمد سوسة، الباب الثاني، ص ٣٦٦-٧.
- (٨٤) انترنت، الموقع : [www.roro44.com](http://www.roro44.com).
- (٨٥) نقولا زيادة، ص ٥٧.
- (٨٦) كراتشكوفسكي، القسم الاول، ص ٢٨٢-٣.
- (٨٧) المصدر نفسه، ص ٢٨٠-١.
- (٨٨) حسن السائح، "الادريسي"، مجلة البيئة المغربية، العدد ٣، السنة الاولى، ١٩٦٢، ص ٣٧.
- (٨٩) كراتشكوفسكي، القسم الاول، ص ٢٨٣.
- (٩٠) حول هذه المراحل انظر : احمد سوسة، الباب الثاني، ص ٣١٤-٣٦٠.
- (٩١) انترنت، موقع المغرب، الشريف الادريسي.
- (٩٢) المصدر نفسه، (موقع المغرب ).
- (٩٣) حسين مؤنس، ص ١٩٩-٢٠٦.

- (\*\*) نسب لبطليموس انه صنع كرة ارضية من النحاس وكذلك قيل ان البيروني هو  
الاخر قد صنع كرة ارضية، كما صنع كرة معدنية محمد بن المنجم الدمشقي.
- (٩٤) صبري محمد حسن، ج ١، ص ١٧٢.
- (٩٥) شاكر خصباك، ص ٣٨٢.
- (٩٦) انترنيت، موقع المغرب، الشريف الإدريسي.
- (٩٧) صلاح الدين علي الشامي، ص ١٢٩.
- (٩٨) شاكر خصباك، ص ٣٨٣-٤.
- (٩٨-أ) جمال الدين الرمادي، " الإدريسي"، دائرة معارف الشعب، المجلد الاول،  
مطابع الشعب، ١٩٥٩، ص ٣٠٠-٣٠٤.
- (٩٩) فلاح شاكر اسود، علم الخرائط : نشأته وتطوره ومبادئه، بيت الحكمة، جامعة  
بغداد، ١٩٨٩، ص ١٧٠.
- (١٠٠) حسين مؤنس، ص ٢٠٧-٢٠٨.
- (١٠١) كراتشكوفسكي، القسم الاول، ص ٢٨٩-٢٩٠.
- (١٠٢) فلاح شاكر اسود ص ١٦٩.
- (١٠٣) عبد العال عبد المنعم الشامي، جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط،  
نشرة دورية يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية  
(سلسلة ٣٦)، ديسمبر ١٩٨١، ص ٣٠.
- (١٠٤) احمد سوسة، " المكتبة الجغرافية"، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، بغداد،  
المجلد الاول، السنة الاولى، آب ١٩٦٢، ص ٢٤٦.
- (١٠٥) نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، مكتبة المدرسة ودار الكتاب  
اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ص ١٤.
- (١٠٦) غوستاف لوبون، ص ٥٦٧.

**Al Shaif Al- Idrisi and his Geographical Activites**

**Dr. Abbas Fadhil Al- Saadi(\*)**

**Baghdad University**

### **Abstract**

One of the most famous of Arabs geographers who was born in Ceuta(Morocco) in 493 A.H., and he was died in Ceuta in 560 A.H.

Al- Idrisi was registered very important of geography informations, about Europe before the others of geographers. He was reached to the springs of Nile River, and he drew a map to them. His geographical scientific method was depended on the field study. His book " Kitab Nuzhat Al- Mushtaq fi Ikhtiraq Al- Afaq" and his maps, was stayed very important to the European Universities even after the 16<sup>th</sup> century. He invented the first silver earth, and he was drew the world map and its seventh region. He divided the world in to 70 parts, and any part has a map.

He was considered the distance between any longitude and the other 75 miles, and that is nearly to the truth . He was considered the line which pass from Khalidat ilands is the Zero line which that divide the earth in to two parts: east and west.

The researcher suggests that to publish all the contents of his book " kitab Nuahat Al- Mushtaq" with its maps and search about new scripts to publish his other books.

(\*) Professor of geography – Center of Revival of Arabian Science Heritage – Baghdad University .

## مقارنة تغيرات المظهر الأرضي في سهل السندي بأستخدام التقنيات الجغرافية المعاصرة

د. رقية أحمد محمد أمين العاني أ.د. اسبابية يونس محسن

جامعة تكريت / كلية الآداب / جامعة الموصل / كلية التربية /  
قسم الجغرافية قسم الجغرافية

### مُتَكَلِّمَة

تعد تقنية الاستشعار عن بعد من التقنيات المتطورة والمستمدة في مراقبة ورصد التغيرات البيئية في كافة الاقاليم، لذا فقد استخدمت هذه التقنية كأداة فاعلة أسهمت في بناء قواعد متكاملة للبيئة وتفعيل نظم مراقبة المصادر الطبيعية، فضلا عن ان مراقبة التطور الحاصل في الغطاء الأرضي من المسائل المهمة التي تستخدم من اجلها البيانات الفضائية ومن خلال هذا البحث تم مقارنة التغيرات للغطاء الارضي للفترة من ١٩٧٣ - ٢٠٠٧ وذلك بتقسيم هذه المدة الى مدتين وكما سيرد في متن البحث، والتي من خلالها يتم تحديد الاختلافات لظاهرة ما من خلال ملاحظتها في اوقات مختلفة للمنطقة نفسها، وهي عملية مهمة في مراقبة المصادر الطبيعية وادارتها، والأنشطة البشرية يرافقها التحليل الكمي للتعرف على التوزيع المكاني للأنشطة البشرية<sup>(١)</sup>، كما تم الاعتماد على اخذ عينات ميدانية ومطابقتها مع هذه النتائج، وامكانية تطبيق التصنيف الايكولوجي على منطقة الدراسة، ويعد هذا التصنيف احد التصنيفات الشاملة في مجالات استخدامات الارض اذ يرتبط تطوره واستعماله بالبيانات المستحصلة من تقنيات الاستشعار عن بعد، ويتم تحديد مظاهر الكشف عن التغيرات بالأساليب الآتية:

- تمييز طبيعة التغير.
- القياس الموقعي (الحقيقي) لمدى التغير.
- تقييم النمط المكاني للتغير.

إن هذه الأساليب يتم التحقق منها للكشف عن التغير في المظاهر الأرضية وذلك من خلال اختلاف القيم الانعكاسية الرقمية للظواهر في البيانات الفضائية، وبذلك فان الطريقة التي استخدمت في البحث لأجل التحقق من صحة التغيرات الحاصلة هي عملية اخذ العينات الميدانية ومطابقتها مع البيانات الفضائية للمنطقة لغرض التعرف على نوع الظواهر من جهة وتطورها والتغير الحاصل فيها عبر المدة المدروسة من جهة أخرى، ويمكن أن يكون التغير في الغطاء الأرضي على نوعين هما:

- التعديل: وهو تغيير متعلق بالغطاء نفسه كإزالة غابة لزراعة أشجار أكثر فائدة.
- التحويل: وهو تغيير من نوع غطاء إلى آخر أكثر فائدة مثل إزالة أشجار في مناطق وتحويلها إلى أراضٍ زراعية<sup>(٢)</sup>.

وتم من خلال هذه التقنية دراسة السهول الجبلية والتي تعد من الدراسات الجيومورفولوجية التي حظيت باهتمام خاص من الجيومورفولوجيين؛ لأنها تمثل وحدة جيومورفولوجية وهيدرولوجية متكاملة، وتشكيل مجموعة من الوحدات الأرضية المرتبطة بها، وقسم البحث على مقدمة وثلاثة مباحث تلتها خاتمة البحث فضلا عن الاستنتاجات والتوصيات.

### موقع منطقة البحث:

يُعد سهل السندي احد ابرز السهول الواقعة ضمن الإقليم الجبلي من العراق، ينحصر فلكياً بين خطي طول (٥٠ ° ٤٢ - ٢٥ ° ٤٢) شرقاً ودائرتي عرض (١٠ ° ٣٧ - ٤٠ ° ٣٧) شمالاً الشكل (١)، وهو بذلك يقع مناخياً ضمن الإقليم شبه الرطب الى الرطب<sup>(٣)</sup>، يقع سهل السندي تبعا لتصنيف كوبن ضمن مناخ البحر المتوسط (Csa) تصل درجة الحرارة كمتعدل سنوي حوالي (١٩.٦) م°، والمتعدل السنوي لامطار المحطة (٦١٩.٦) ملم، وتبلغ مساحة السهل حوالي (٣٤٣.٣ كم<sup>٢</sup>)، اما موقعه المكاني فإنه يقع شمال مدينة الموصل بمسافة ١٢٠ كم تقريبا وتقع على اطرافه الجنوبية مدينة زاخو.



## هدف البحث:

يهدف البحث الى مراقبة التغيرات الحاصلة في الغطاء الأرضي واستخدامات الأرض من خلال تحليل المراثيات الفضائية وامكانية استخدام التقنيات المعاصرة في الكشف عن هذه التغيرات من خلال المعالجات الرقمية ومنها التصنيف الموجه والغير موجه لحساب المساحات ورسم خرائط بهذا التغير كما تم الاعتماد على اخذ عينات ميدانية ومطابقتها مع هذه النتائج، فضلا عن محاولة تفسير هذا التغير ومحاولة الوقوف على اسبابه.

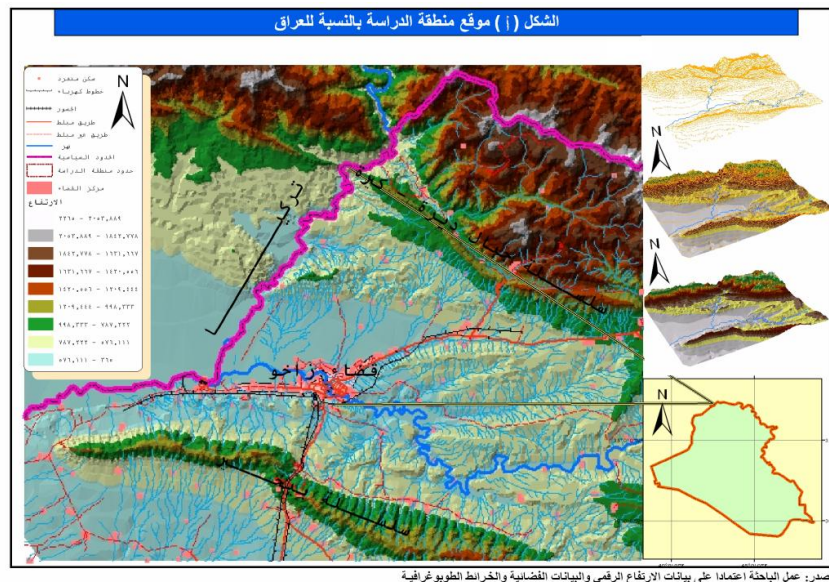
## وسائل البحث وعناصره:

- استعمال جهاز قياس الارتفاع وتحديد الموقع المكاني (GPS) لتحديد مواقع الدراسة الميدانية وارتفاعاتها وربط ذلك بما يوجد فيها من معالم أرضية.
- مراثيات فضائية للقمم الصناعي (Landsat TM7 لسنة ٢٠٠٧ و Landsat ETM+ لسنة ٢٠٠١ و Landsat TM5 لسنة ١٩٨٩) للتعرف على الوحدات الجيومورفولوجية ومراقبة التغيرات الحاصلة فيها ومقارنة الخرائط المشتقة من هذه البيانات للسنوات المذكورة مع مراثيات (Landsat mss الملتقطة في عام ١٩٧٣)
- بيانات الارتفاع الرقمية لسنة ٢٠٠٣ وبدقة (٣٠م) ومنها تم بناء خرائط طبوغرافية.
- برنامج ERDAS 9.1 لمعالجة المراثيات وتحليلها وتصنيفها.
- برنامج Arc GIS 9.1 لبناء الطبقات المعلوماتية وإجراء التحليل المكاني.
- برنامج Global Mapper لإجراء التصحيحات الهندسية على الخرائط الورقية وتوحيد المساقط.

## وقسم البحث الى المحاور الاتية:

- ١- المعالجات الاولى لاشتقاق التغيرات.
- ٢- التصنيف الأرضي لمنطقة الدراسة
- ٣- مراقبة التغيرات للمدة ١٩٧٣ - ٢٠٠٧

## ١- المعالجات الاولى لاشتقاق التغيرات:



يظهر السهل بشكل مثلث قاعدته عند نهر الهيزل غرباً، ويضيق نحو الشرق وبلغ متوسط عرض السهل مايقارب ٦كم، ويحده من الجنوب نهر الخابور وسلسلة جبال بيخير، اما من الشرق فتحده مدينة باطوفة مركز ناحية الكلي، ويعد نهر الهيزل الحدود الدولية بين العراق وتركيا.

تظهر في سهل السندي مجموعة من التكوينات الصخرية والرواسب سيتم ذكرها بحسب العمر الجيولوجي من الأقدم إلى الأحدث، الذي يبدأ من الأقدم الأيوسين الأسفل، حتى البلايوسين، فضلاً عن تنوع الرواسب العائدة للزمن الرابع المتمثلة برواسب البلايوسين والهولوسين<sup>(٤)</sup>، وتم اعتماد منهج المظهر الأرضي الذي يهتم بأبعاد الشكل الأرضي والتصنيف، فهو اقرب الى الجغرافية من حقول المعرفة الأخرى.

الشامل من ١٩٧٣ - ٢٠٠٧ كما ان معرفة هذه التغيرات وانماطها يكشف لنا الحالات الاتية:

- مقدار التغير بالكيلومتر المربع.
- نوعية التغير سلبا او ايجابا.
- المناطق الحدية والبيئية التي يمكن من خلال استثمارها تسبب مشاكل غير محسوبة، واتضح من الجدول مايتي:

جدول (١) يبين مساحة التغير ونمطه للمدة ١٩٧٣ - ٢٠٠٧

نمط التغير	مساحة التغير (كم <sup>٢</sup> ) للمدة ١٩٧٣-١٩٨٩	%	مساحة التغير (كم <sup>٢</sup> ) للمدة ١٩٨٩-٢٠٠٧	%	مساحة التغير (كم <sup>٢</sup> ) للمدة ١٩٧٣-٢٠٠٧	ملاحظات نوعية التغير
نقص Decrease	١٠٠٢	٠,٣	١٠٧	٠,٥	٦٠٥	١,٩
بعض النقص Some Decrease	-	-	١١,٢	٣,٣	-	-
لا Unchange	٣٢٦,٨٨	٩٥,٢	٢٤٥,٩	٧١,٦	٢٣٩,٧	٦٩,٨
بعض التغير Some Increase	-	-	٧٤,٨	٢١,٨	-	-
المناطق التي تغيرت تماما Increase	١٥,٤	٤,٥	٩,٧	٢,٨	٩٧,٢	٢٨,٣
المجموع	٣٤٣,٣	١٠٠	٣٤٣,٣	١٠٠	٣٤٣,٣	١٠٠

المصدر: بالاعتماد على البيانات الفضائية وبرامج ERDAS IMAGINE 8.4 و ArcMap 9.1

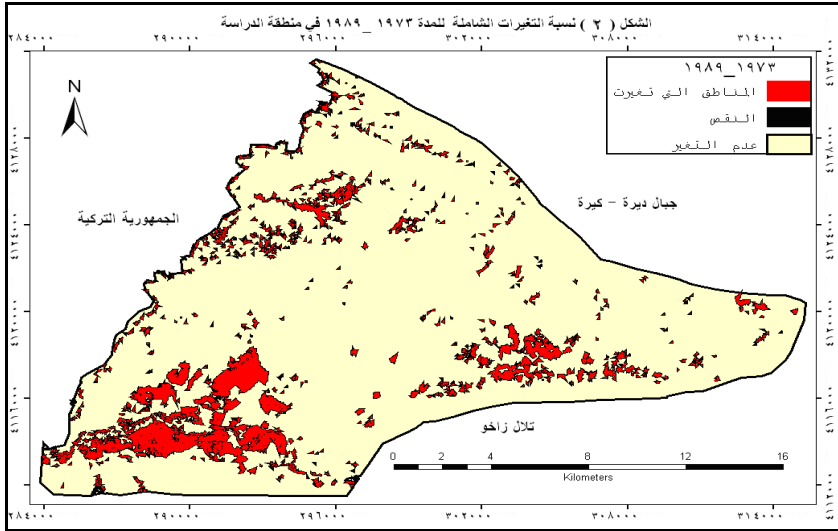
اعتمدت دراسة التغير على برنامج 9.1 ERDAS IMAGINE لثلاث فترات الاولى ١٩٧٣ والثانية لعام ١٩٨٩ والثالثة لعام ٢٠٠٧، والهدف هو الكشف عن المناطق التي تغيرت بالفعل والمناطق التي لم تتغير والتعرف على نوع التغير واثره في المنطقة سواء كان سلبا او ايجابا وما العوامل التي ادت الى هذا التغير؟، وذلك من خلال النظر الى قيم الخلايا (البكسلات) التي تغيرت والتي بقيت ثابتة ومن خلال هذا يمكن التعرف على التغيرات الكبيرة التي سنتناولها بالتفصيل.

وقد تم اختيار هذه المدد الثلاث لتوفر البيانات اولا وللظروف والتغيرات التي اثرت في منطقة الدراسة خلال هذه المدة سواء كانت طبيعية او بشرية، اجتماعية او سياسية ثانياً. وتعتمد العملية على اختبار قيمة الانعكاسية في الفترات المذكورة لاطهار القيم المتشابهة والقيم المختلفة التي تغيرت لذا فان النتيجة تظهر بشكل صورة نهائية بخمسة انماط هي:

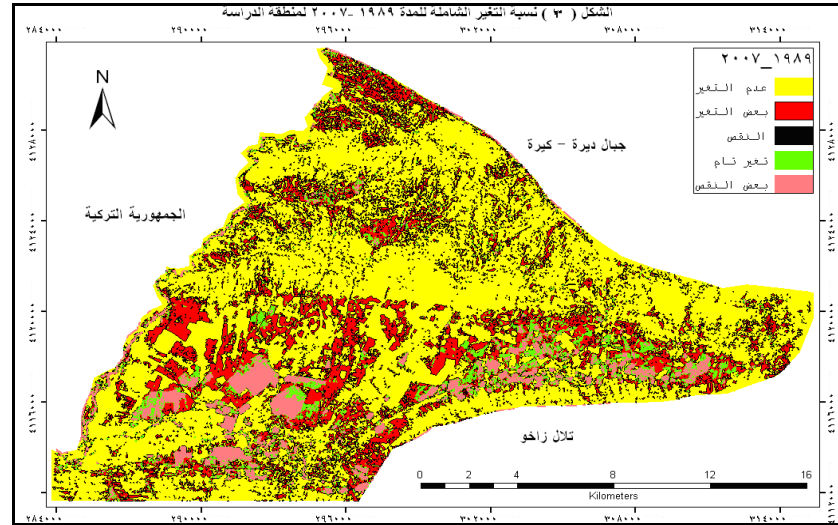
- نقص Decrease
  - بعض النقص Some Decrease
  - لا تتغير Unchange
  - بعض التغير Some Increase
  - المناطق التي تغيرت تماما Increase
- وقد اظهرت نتائج العمل من خلال البرنامج الخطوات الاتية:

- Interpreter
- Utilities
- Change Detection
- input old image
- input new image
- Out put

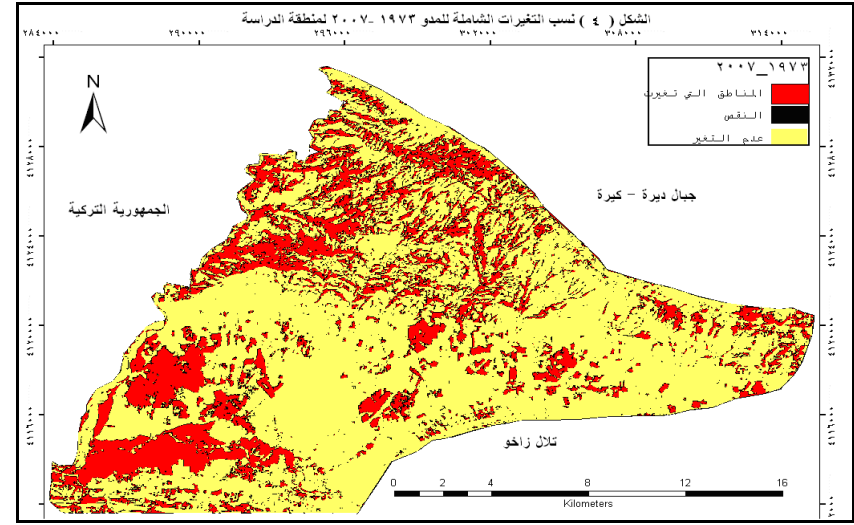
وقد كانت النتائج كما في الجدول (١) الذي يبين مساحات التغير للغطاء الارضي لمنطقة الدراسة خلال المدة المذكورة، والاشكال (٢) (٣) (٤) توضح التغيرات للمدة الاولى من ١٩٧٣ - ١٩٨٩ والمدة الثانية ١٩٨٩ - ٢٠٠٧ والتغير



المصدر: اعتمادا على البيانات الفضائية والبيانات الرقمية ومخرجات برمجيات ERDAS  
IMAGINE9.1 - ArcGis 9.1



المصدر: اعتمادا على البيانات الفضائية والبيانات الرقمية ومخرجات برمجيات ERDAS  
IMAGINE9.1 - ArcGis 9.1



المصدر: اعتمادا على البيانات الفضائية والبيانات الرقمية ومخرجات برمجيات ERDAS  
IMAGINE9.1 - ArcGis 9.1

- ان مساحات الارض التي تعرضت الى نقص بعامه للمدة من ١٩٧٣ - ٢٠٠٧ شكلت مساحة (٦.٥ كم<sup>٢</sup>) بنسبة (١.٩%) من مجمل المساحة للمنطقة المدروسة، وقد كانت نسبة النقص للمدة (١٩٨٩ - ٢٠٠٧) بمساحة قدرها (١.٧ كم<sup>٢</sup>) بنسبة (٠.٥%) وهي اعلى من المدة (١٩٧٣ - ١٩٨٩) التي شكلت مساحة النقص (١.٠٢ كم<sup>٢</sup>) و نسبة قدرها (٠.٣%) من مجمل منطقة الدراسة، ويعود هذا الى التعرية الاخدودية النشطة التي تسود منطقة الدراسة بخاصة عند المنطقة الشمالية الغربية عند الحوض الجبلي لوادي هوريز، وكذلك عند مجاري الاودية المنتشرة في السهل ولاسيما نهاية وادي برزور الذي استغل من الدولة والاهالي في استخراج الحصى فاصبح بفعل الحفر المستمر الى مقالع ضخمة تصل مساحتها الى الاف الدونمات.

- اما المساحات التي تعرضت لبعض النقص وليس نقص في السطح بعامة فقد ظهرت في المدة (١٩٨٩ - ٢٠٠٧) وسجلت مساحة قدرها (١١.٢ كم<sup>٢</sup>) بنسبة (٣.٣%) من مجموع مساحة منطقة الدراسة، ويعود هذا الى عمليات التهجير التي شهدتها المنطقة خلال مدة الثمانينيات بفعل سياسة الدولة وترك الاراضي من دون زراعة وإهمال الرعي الجائر ونشاطه، فضلا عن ترك الكثير من الفلاحين لاراضيهم وانخراطهم في وظائف الدولة بخاصة الوظيفة العسكرية.
- كذلك يمكن ملاحظة ان بعض التغير في الاستعمال ساد على السطح خلال المدة ذاتها (١٩٨٩ - ٢٠٠٧) بمساحة قدرها (٧٤.٨ كم<sup>٢</sup>) وبنسبة (٢١.٨%) من مجموع مساحة منطقة الدراسة، والسبب يرجع لفعل النشاط البشري للزراعة، حيث ركزت الزراعة في الأماكن القريبة من مركز القضاء أي وسط السهل التجميحي وإهمال باقي أراضي السهل، كذلك الحال للفعاليات الحضرية التي توسعت في مساحة البناء، لهجرة اهالي القرى المحيطة نحو مركز القضاء وتدمير القرى المحيطة بفعل التهجير الذي قامت به الحكومة المركزية في ثمانينيات القرن الماضي، فضلا عن التغير في الاستعمال من الزراعة نحو التجارة باتجاه طريق إبراهيم خليل.
- اما المناطق التي شهدت تغيراً تاماً في الاستعمال فقد شكلت مساحات متباينة خلال المدة المدروسة، فخلال المدة من ١٩٧٣ - ٢٠٠٧ كان التغير كبيراً بمساحة قدرها (٩٧.٢ كم<sup>٢</sup>) وبنسبة (٢٨.٣%) تليها المدة ١٩٧٣ - ١٩٨٩ بمساحة (١٥.٤ كم<sup>٢</sup>) وبنسبة (٤.٥%) والمدة ١٩٨٩ - ٢٠٠٧، وأخيراً بمساحة (٩.٧ كم<sup>٢</sup>) وبنسبة (٢.٨%) من مجمل مساحة منطقة الدراسة. ان التغير الكبير للمدة الشاملة كان كبيراً نتيجة التغيرات التي شهدتها المنطقة الطبيعية والبشرية السابقة الذكر، وتأثير المناخ في تغير الاستعمال من استثمار للارض والزراعة الدائمة لمحاصيل

الحبوب وبمساحات واسعة في السهل التجميحي والبساتين في السهل الفيضي لنهري الخابور والهيزل، والتوجه نحو اطراف السهل باتجاه المرتفعات المحيطة في الاستثمار الزراعي بخاصة واستصلاح الاراضي، والتوسع في الاستعمالات الحضرية التي تزداد باتجاه الاراضي الزراعية.

## ٢- التصنيف الأرضي لمنطقة الدراسة:

نتيجة عمومية النتائج المشتقة بالاجراءات السابقة، تم الاعتماد على اخذ عينات ميدانية ومطابقتها مع هذه النتائج<sup>(\*)</sup>، وامكانية تطبيق التصنيف الايكولوجي على منطقة الدراسة، ويعد التصنيف الايكولوجي لاستخدامات الارض احد التصنيفات الشاملة في مجالات استخدامات الارض اذ ارتبط تطوره واستعماله بالبيانات المستحصلة من تقنيات الاستشعار عن بعد، ومن اهم مميزات استخدامه في مسوحات استخدامات الارض ودراساتها والغطاء الارضي والذي يكون مصدر بياناتها البيانات الفضائية بمقاييس مختلفة، فضلا عن امكانية هذا النظام التصنيفي في الترميز الذي يستخدم في اجهزة الحاسوب ويتعامل مع الاستخدامات المختلطة في المنطقة الواحدة، ويتكون من عدة مستويات تصنيفية<sup>(٥)</sup>.

### ١.٢ التصنيف الآلي غير الموجه لبيانات منطقة الدراسة:

التصنيف الآلي يعتمد على البيانات متعددة الاطراف Multispectral Classification، ويتم تصنيف البيانات للمنطقة الى اصناف مختلفة اعتماداً على درجة العنقدة او التكامل للخلايا حول بعضها، فيتم تحديد هوية كل صنف في مرحلة ما بعد التصنيف، حيث يقوم الحاسب بتنسيب الانعكاسية الطيفية لكل خلية صورية الى صنف معين من الاصناف المحددة بالاعتماد على البيانات الخام وبحسب القيم<sup>(٦)</sup>. وتكون العملية الآلية في الحاسبة الالكترونية اكثر دقة من عين الانسان لان

الاحيرة تميز المظاهر عند الطيف المرئي ولا يمكنها التمييز بين المظاهر التي تكون في الطيف الاحمر وتحت الاحمر .

وباستخدام برنامج ERDAS IMAGINE 9.1 تمت الاجراءات العملية الاتية:

- Classifier
- Unsupervised Classification
- Input Raster File
- Classified File

- تحديد عدد الاصناف من حقل Best Classes Per Pixel

- اختيار الطرائق الاحصائية وحسب المعايير الاساسية في التصنيف.

- Ok

وبعد هذا التصنيف اكثر دقة ويسمح بتحديد بعض المحددات لكشف المناطق المتداخلة والاشكالات الاحصائية المتلازمة في البيانات، كما يجب التنويه الى انه قد لا تتوافق بالضرورة صفات الصنف مع ما يمثلها في الواقع، مثل الانهار في السهل الفيضي والاستخدام الكثيف للبيئات التي يصنفها على انها صنف واحد وان قمنا بتصنيفها الثانوي فانه لا يميزها بشكل دقيق، كذلك الحال في بعض انواع التربة التي لا يمكن فصلها الا بالرجوع الى خبرة المفسر او النموذج الحقل.

## ٢.٢ التصنيف الآلي الموجة لبيانات منطقة الدراسة:

يتم تحديد نماذج منتخبة تأتي من معرفة جغرافية المنطقة وخبرة المحلل لأصناف الغطاء والانعكاسية الطيفية لكل صنف، فتحدد الأصناف مقدما لتغذية الحاسبة بنماذج من كل صنف، ويمكن التوصل الى الاصناف الأساسية من خلال التصنيف غير الموجه في التعرف على إمكانية الوصول إلى الأصناف الرئيسة لسطح المنطقة المدروسة، وتحديد عدد الأصناف ونماذجها واستخدامها في التصنيف الموجه، في حال عدم توفر بيانات مرجعية عن المنطقة. وتتم بالاجراءات العملية الاتية:

- Classifier
- Signature Editor

واختيار من نافذة المرئية المراد تصنيفها AOI ومنها نختار Tools.

- يتم تحديد الصنف بحسب خبرة المفسر والضغط لاضافة الصنف في نافذة Signature Editor
- حفظ الجدول بعد اختيار عدد الاصناف.

- supervised Classification
- Input Raster File
- Input Signature File
- Classified File

- اختيار الطرائق الاحصائية وبحسب المعايير الاساسية في التصنيف.

- Ok

ومن خلال معرفة المنطقة وتطبيق التصنيف الموجه وغير الموجه تم اختيار اسلوب الدمج بين التصنيفين وذلك باخذ نماذج معروفة للباحثة وتم استخدامها في خرائط الاستخدامات التي اعدتها الباحثة مسبقا وتطبيق التصنيف الايكولوجي وبحسب مفرداته التصنيفية يمكن اشتقاق التصنيف الثانوي بالاعتماد على دمج هذه التصنيفات، مع امكانية تصنيف الاصناف الرئيسة الى اصناف ثانوية، والجدول (٢) يوضح التصنيف الايكولوجي<sup>(٧)</sup> بمفرداته الرئيسة التصنيفية المستوى الاول والثاني، مع تحديد مساحة كل صنف ونسبته من المساحة العامة لمنطقة الدراسة، وامكن انشاء الجدول التصنيفي لمستويين لمنطقة الدراسة المستوى الاول وشمل ثماني وحدات تصنيفية، اما المستوى الثاني فقد شمل (٢٨) ثماني وعشرين مفردة تصنيفية، والشكلين (٥) (٦) تبيان التوزيع المكاني لهذه الاصناف، ويمكن توضيحها بالاتي:

- شكلت الأراضي الجرداء نسبة قدرها (٣٠.٧%) من المساحة الكلية و جاءت المرتبة اولا في تصنيف هذا النظام وشملت ضمن منطقة الدراسة اربع مفردات تصنيفية (ارض صخرية، الشواطئ وضياف الانهار، اراض وعرة، ورواسب

صخرية)، وتنتشر في عموم منطقة الدراسة على منحدرات المرتفعات الجبلية المحيطة بالمنطقة وعلى طول منحدر طية برزور.

- وتنتشر في مواضع متفرقة شمال منطقة البحث على الاراضي الوعرة وارضاي الحواجز وجانبي الاودية النهرية.

جدول (٢) يبين التصنيف الايكولوجي لمستويين لمنطقة الدراسة للبيانات الفضائية لسنة

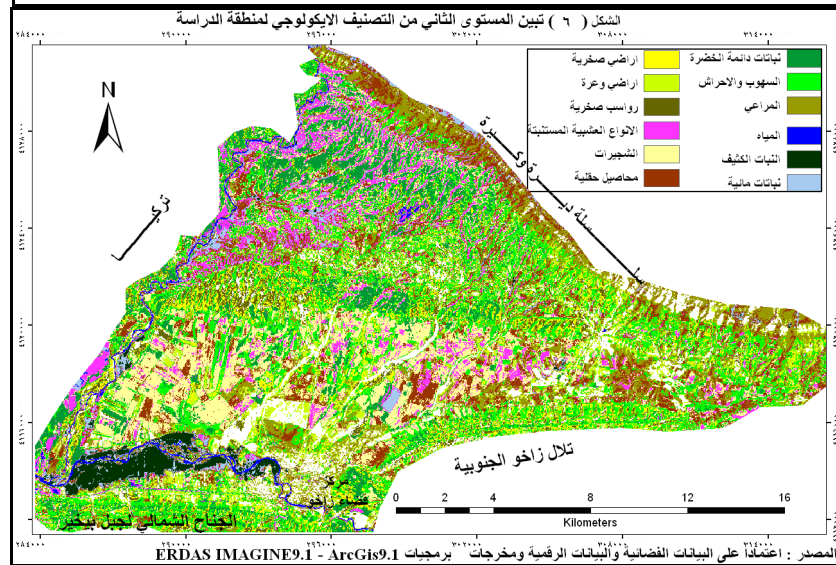
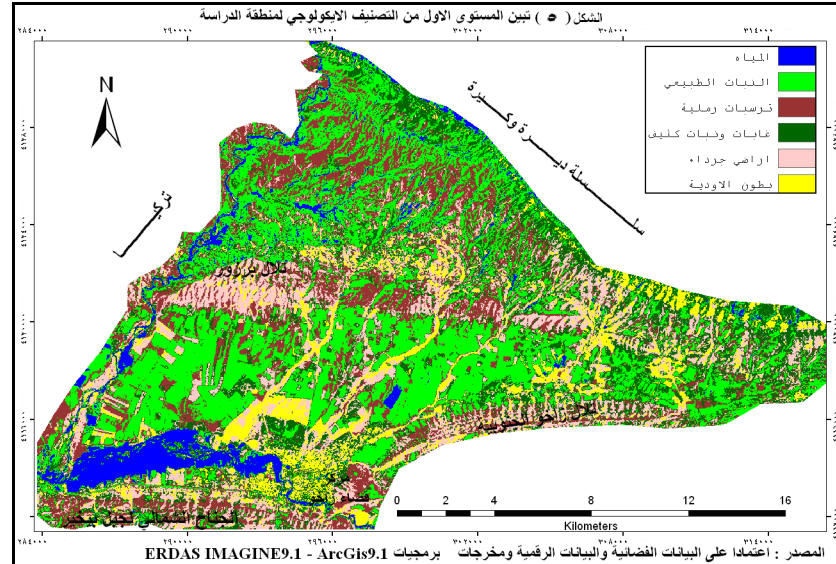
٢٠٠١\_٨\_١١

المستوى الثاني				المستوى الأول			
ت	نوع الصنف	المساحة كم	%	ت	نوع الصنف	المساحة كم	%
١٣٠	ارض صخرية	٤٦.٦	١٣.٥	١٣٠	ارض صخرية	٤٦.٦	١٣.٥
١٤٠	الشواطئ وضفاف الانهار	١.٢	٠.٤	١٤٠	الشواطئ وضفاف الانهار	١.٢	٠.٤
١٥٠	ارض وعرة	٤١.٥	١٢.١	١٥٠	ارض وعرة	٤١.٥	١٢.١
١٩٠	رواسب صخرية	١٦	٤.٧	١٩٠	رواسب صخرية	١٦	٤.٧
٢١٠	البرك والبحيرات	٠.٢٥	٠.٠٤	٢١٠	البرك والبحيرات	٠.٢٥	٠.٠٤
٢٢٠	مجري المياه	٢.١	٠.٥	٢٢٠	مجري المياه	٢.١	٠.٥
٢٣٠	الينابيع والابار	٠.٢٤	٠.٠٤	٢٣٠	الينابيع والابار	٠.٢٤	٠.٠٤
٢٥٠	المصببات	٠.٣٥	٠.١	٢٥٠	المصببات	٠.٣٥	٠.١
٢٨٠	الثلج والجليد	٠.١٦	٠.٠٢	٢٨٠	الثلج والجليد	٠.١٦	٠.٠٢
٣١٠	الانواع العشبية	٦٢.٢	١٨.١	٣١٠	الانواع العشبية	٦٢.٢	١٨.١
٣٢٠	الشجيرات والاحراش	١٣.٦	٣.٨	٣٢٠	الشجيرات والاحراش	١٣.٦	٣.٨
٤١٠	الانواع العشبية المستنبطة	٣.٧	١.١	٤١٠	الانواع العشبية المستنبطة	٣.٧	١.١
٤٢٠	الشجيرات	٨.٦	٢.٥	٤٢٠	الشجيرات	٨.٦	٢.٥
٥١٠	محاصيل حقليّة (الحبوب)	٤٥.٧	١٣.٢	٥١٠	محاصيل حقليّة (الحبوب)	٤٥.٧	١٣.٢

٥٢٠	خضراوات	٩.٢	٢.٧				
٥٣٠	البساتين	٢٥.٤	٧.٤				
٥٤٠	المراعي	٣١.١	٩.١				
٥٥٠	تربية الحيوانات	١.٥	٠.٣				
٦١٠	سكن	١٣.١	٣.٧				
٦٢٠	خدمات تجارية	١.٩	٠.٥				
٦٣٠	اداري	٠.٦	١.٢				
٦٤٠	صناعي	٢.٩	٠.٧				
٦٥٠	نقل ومواصلات	٧.١	٢.١				
٧١٠	مواد غير قابلة للتعويض	٣.٤	٠.٩				
٧٢٠	مواد قابلة للتعويض	١.١	٠.٣				
٨١٠	المناطق الخضراء	١.٢	٠.٣				
٨٢٠	المناطق المحمية والمناظر الجميلة	١.٤	٠.٤				
٨٤٠	مواقع تاريخية واثريّة	١.٢	٠.٣				
١٠٠	المجموع	٣٤٣.٣	١٠٠				

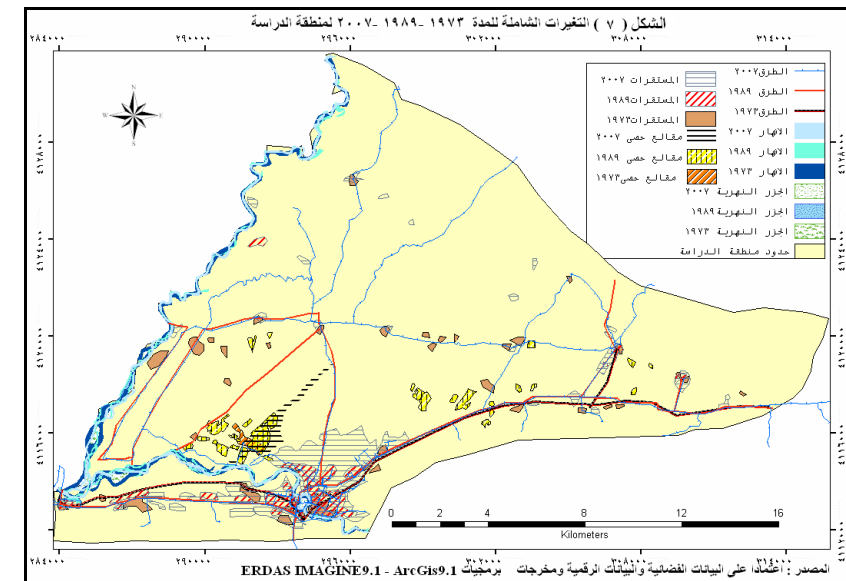
المصدر: بالاعتماد على البيانات الفضائية وبرامج ERDAS IMAGINE 8.4 و ArcMap 9.1





- اما الموارد المائية التي تشكل نسبة (٠.٩%) من مجمل المنطقة المدروسة والمتمثلة بنهري الخابور والهيزل، فقد ضم هذا الصنف خمس مفردات تصنيفية على التوالي (البرك والبحيرات، ومجاري المياه، والينابيع والابار، والمصببات، والثلج)، وتتنوع في منطقة الدراسة عند الانهار الرئيسة والحوض الجبلي وعند المنخفضات المحصورة بين المرتفعات في شمال منطقة دركر عجم ودهلك ملك، كما تنتشر في المنطقة بعض التجمعات لحقول الثلج الموسمية في اعالي مرتفعات ديرة وكيرة وقد شوهدت خلال الدراسة الميدانية في شهر شباط.
- اما النبات الطبيعي الذي ضم مفردتين تصنيفية (الانواع العشبية، والشجيرات والاحراش) فقد شكل نسبة (٢٢.١%) من عموم المنطقة، وتظهر بشكل واسع في معظم منطقة الدراسة ويتركز عند المناطق المرتفعة والسهل التجميحي والادوية الجبلية.
- وشكلت النباتات المستتببة نسبة (٣.٦%) من عموم المنطقة المدروسة ضمت مفردتين (الانواع العشبية المستتببة، والشجيرات) التي ظهرت بفعل التدمير للنباتات الاصلية بفعل الرعي الجائر وانتشرت عند المرتفعات الجبلية وجانبي الوديان الموسمية والوديان الجبلية والمنطقة الوعرة شمال غرب منطقة الدراسة.
- جاء الانتاج الزراعي في التصنيف بالمرتبة الخامسة وشكل نسبة قدرها (٣٢.٨%) من مجموع المنطقة المدروسة وقد ضم خمس مفردات تصنيفية ثانوية على التوالي (محاصيل حقلية، وخضراوات، وبساتين، والمراعي وتربية الحيوانات)<sup>(٨)</sup> شغلت النسبة الاكبر منها المفردتين: المحاصيل الحقلية والتي تستغل في زراعة الحبوب والتي تتركز في السهل التجميحي بعامة، والمفردة الاخرى هي المراعي التي تعد اغلبها مراعياً طبيعية وتنتشر في عموم المنطقة بخاصة عند المنحدرات الجبلية،

في الغطاء الأرضي واستعمالات الأرض و من خلال الاشكال (٢)(٣)(٤) السابقة والشكل (٧) التي توضح تغيرات الاصناف للغطاء الارضي لمنطقة البحث والجدول (٣) يبين المساحات التي يمثلها كل صنف ومدى التغير الذي شهده خلال المدة المذكورة:



• جاءت مساحة الأرض الجرداء لعام ١٩٧٣ (٨٢.٣ كم<sup>٢</sup>) ولعام ٢٠٠٧ (٧٩.٨ كم<sup>٢</sup>) من مجموع مساحة المنطقة، وهي تشكل مايقارب (٢٥%) المساحة من عموم الارض المدروسة، مما يؤشر عدم استثمارها من السكان، والسبب يعود الى شيوع الملكية الخاصة والمستوى الاقتصادي المتدني، ونجم عن هذا التوزيع تدني الإنتاجية وخلال المدة المدروسة، يلاحظ ان نسبة التغير ايجابية (٢.٥%)، لكنها متدنية جدا على الرغم من التنمية للقطاع الزراعي التي شهدها الاقليم الا انه يخضع الى عوامل تؤثر فيه منها المناخ وتقنية (الأسمدة، والبذور، والدورات

ثم تاتي المساحة المستغلة في البساتين والمتركة عند السهل الفيضي(\*\*) وبعض المساحات الصغيرة عند بيرسفي وداسيك.

• اما التصنيف السادس فقد تمثل بالاستعمال الحضري والصناعي والنقل وقد شكل نسبة قدرها (٧.٥%) من مجمل مساحة المنطقة المدروسة، تضمن خمس مفردات تصنيفية (السكن، وخدمات تجارية، وإدارية، وصناعية، ونقل ومواصلات)، شكل السكن المساحة الاكبر من هذا الصنف يليه النقل والمواصلات لاهمية المنطقة في التجارة الوطنية وتركزت هذه الخدمات عند مركز القضاء في السهل التجميعي بعامة.

• مثلت الصناعات الاستخراجية بنسبتها (١.٣%) اهمية كبيرة في التنمية الاقتصادية للاقليم لتوفر الخزين من المواد الانشائية المتمثلة بمقالع الحصى قرب مهيدي وجم مشكو، وقد شكل هذا الاستخدام الصنف الاول من التصنيف الثاني للمواد غير القابلة للتعويض، اما مواد القابلة للتعويض كقطع الاخشاب فانها تركزت عند الاودية الجبلية شمال منطقة الدراسة التي استغلت في البناء والصناعة الخشبية.

• واخيرا كان التصنيف الترفيهي الذي ضم ثلاث مفردات تصنيفية (المناطق الخضراء، والمناطق المحمية و المناظر الجميلة، ومواقع تاريخية واثريه)، وشكلت نسبة (١.١%) من مجمل المساحة وتركزت عند مركز مدينة زاخو ومحيطها بشكل خاص وبعض الاماكن المتفرقة من المرتفعات الجبلية.

### ٣- مراقبة التغيرات لمنطقة الدراسة

#### ٣. ١ التغيرات الشاملة للمدة ١٩٧٣ - ٢٠٠٧ م

يتبين من خلال الخرائط المشتقة من البيانات الفضائية، التغيرات الحاصلة لمنطقة الدراسة للمدة من ١٩٧٣ - ٢٠٠٧ أي خلال (٣٤) عام، وأثر هذه التغيرات



الزراعية، ومكافحة الآفات الزراعية، والري، واستخدام المكننة) وعوامل اجتماعية واقتصادية، كل هذه المعالجات لم تؤثر في زيادة مساحة الأراضي المزروعة على حساب الأراضي الجرداء.

- شكلت الانهار المتمثلة بنهري الخابور والهيزل مساحة قدرها (٢٦٩.٩ كم<sup>٢</sup>) في سنة ١٩٧٣ ويعود ذلك الى الفترات الرطبة وعدم وجود السدود والخزانات في الجانب التركي الذي يزيد من منسوب النهر، اما خلال سنة ٢٠٠٧ فان مساحة المياه قلت الى (٣٣.٣ كم<sup>٢</sup>) وبنسبة تغير وصلت الى اكثر من النصف (٥٢.٢%)، ويعود الى التغير في منسوب الانهار والتغير المناخي في قلة التساقط لعموم الاقليم.
- اما التغير الذي شهده النبات الطبيعي المتمثل بالغابات على المرتفعات الجبلية المحيطة بالسهل وشمال منطقة الدراسة بخاصة فقد كانت نسبة التغير (١٥.٢%)، حيث قلت المساحة من عام ١٩٧٣ (٩٩.٧ كم<sup>٢</sup>) الى (٨٤.٦ كم<sup>٢</sup>) في عام ٢٠٠٧ وهذا يعود ايضا الى التغيرات المناخية بعامة والاستخدام غير العقلاني في الرعي الجائر والضغط على هذه الاراضي مما ادى الى قلتها وتغير نوعيتها.

- لان المنطقة مضمونة الامطار فان الزراعة الواسعة للحبوب منذ عام ١٩٧٣ هي ذاتها تقريبا، لكن بنقص في المساحة لايتجاوز (١%) لان حرفة الزراعة تعد هي الحرفة الرئيسية في السهل ولاسيما الزراعة الواسعة لمحاصيل الحبوب فضلا عن البقوليات والفواكه الصيفية.
- اما اطوال الطرق فقد شهدت هي الاخرى تغييراً بشكل كبير وذلك مع التنمية التي شهدتها الاقليم بعامة، و ازدادت الاطوال من (٣٤٩٨٨ م) خلال عام ١٩٧٣ الى (٢٠١٠٤٥ م) لعام ٢٠٠٧، وسجلت نسبة تغير (٤٧٤، ٧%)، مع تطور في

كفاءة هذه الطرق واجراء عمليات التبليط لان المنطقة حدودية وطريقها تجاري دولي.

الجدول (٣) مساحات التغيرات للغطاء الارضي للمدة ١٩٧٣-٢٠٠٧

السنة	١٩٧٣	٢٠٠٧	١٩٧٣-٢٠٠٧ التغير	نسبة التغير %
الاراضي الجرداء كم <sup>٢</sup>	٨٢.٣	٧٩.٨	٢.٥	٣.٠١
الانهار كم <sup>٢</sup>	٦.٩	٣.٣	٣.٦	٥٢.٢
النبات الطبيعي كم <sup>٢</sup>	٩٩.٧	٨٤.٦	١٥.١	١٥.٢
الانتاج الزراعي كم <sup>٢</sup>	١٤٨.٧	١٤٧.٧	١	٠.٧
مقالع الحصى كم <sup>٢</sup>	٠.٣٥	٣.٤	٣.٠٥ -	٨٧١.٤
المستقرات كم <sup>٢</sup>	٤.٤	٢٤.١	١٩.٧ -	٤٤٧.٧
الجزر النهرية كم <sup>٢</sup>	٠.٩٥	٠.٤	٠.٥٥	٥٧.٩
الطرق م	٣٤٩٨٨ م	٢٠١٠٤٥ م	١٦٦٠٥٧	٤٧٤.٦

المصدر: بالاعتماد على البيانات الفضائية وبرامج

و ArcMap 9.1

- اما مقالع الحصى فقد شهدت توسعاً كبيراً لما شهده الاقليم من تنمية صناعية واقتصادية، فاصبحت الحاجة الى مواد البناء ضرورة ملحة، كما تبين من خلال ماسبق ان المنطقة غنية بالحصى بجميع اشكاله واحجامه، لذا فقد توجهت محافظة دهوك الى استثماره حيث بلغت مساحة المقالع خلال عام ٢٠٠٧ (٣٣.٤ كم<sup>٢</sup>) بعد ان كانت في عام ١٩٧٣ (٠.٣٥ كم<sup>٢</sup>).
- وصلت نسبة التغير في التوسع المساحي للمستقرات السكنية بخاصة عند مركز مدينة زاخو الى (٤٤٧.٧%) وهي نسبة عالية جداً عن مساحة عام ١٩٧٣ البالغة (٤.٤ كم<sup>٢</sup>) ووصلت عام ٢٠٠٧ الى (٢٤.١ كم<sup>٢</sup>) وهذا التوسع كان على حساب

الاراضي الجرداء كم <sup>٢</sup>	١١٣.١	٧٩.٨	٣٣.٣	٢٩.٥
الانهار كم <sup>٢</sup>	٤.٢	٣.٣	٠.٩	٢١.٤
النبات الطبيعي كم <sup>٢</sup>	٩٨.٤	٨٤.٦	١٣.٨	١٤
الانتاج الزراعي كم <sup>٢</sup>	١٠٥.٤	١٤٧.٧	٤٢.٣-	٤٠.١
مقالع الحصى كم <sup>٢</sup>	٣.٤	٣.٤	-	-
المستقرات كم <sup>٢</sup>	٦.٥	٢٤.١	١٧.٦-	٢٧٠.٨
الجزر النهرية كم <sup>٢</sup>	١٢.٣	٠.٤	١١.٩	٩٦.٨
الطرق م	٧٥٧٧٨	٢٠١٠٤٥م	١٢٥٢٦٧-	١٦٥.٣

المصدر: بالاعتماد على البيانات الفضائية وبرامج ERDAS IMAGINE 8.4 و ArcMap 9.1

- اما بالنسبة لمساحة الأنهار فان التغير خلال المدة الأولى أعلى من التغير خلال المدة الثانية وينسب مقارنة على التوالي (٣٩.١%) (٢١.٤%)، وهذا التناقص يرجع لاسباب منها قلة التساقط في عموم المنطقة وانشاء السدود في تركيا التي سيطرت على النسبة الاكبر من الجريان المائي.
- يمكن ملاحظة ان التناقص في نسبة النبات الطبيعي مستمرة خلال المديتين، وقد شكلت المدة الثانية نسبة اعلى من المدة الاولى ويعود ذلك الى التوجه نحو المناطق المرتفعة واستغلالها في الزراعة خاصة بعد ١٩٨٩ وهذا مايمكن قراءته بالنسب التي سجلت (١٠.٣١%) (١٤%) على التوالي.
- كانت نسبة الانتاج الزراعي اقل في تغيره بالمدة الاولى عن المدة الثانية وذلك بتسجيل القيم (٢٩.١%) (٤٠.١%) فخلال المدة الاولى قلت نسبة الاراضي الزراعية خلال مدة الثمانينيات وترك الاراضي الزراعية، اما بعد ذلك فان الزراعة توسعت بعد ١٩٨٩ وخلال عام ٢٠٠٧ حيث توجه الاهالي نحو المرتفعات المحيطة واستغلالها بالزراعة وحملات التشجير المبرمج من الحكومة.
- تغيرت مساحة المقالع خلال المدة الاولى بشكل كبير واستقر الوضع الى تلك المساحات بفعل الاستثمار العمودي للحفر بعيدا عن التوسع الافقي الذي كان له

- الاراضي الزراعية، اما التركيز فكان بفعل التهجير القسري مايقارب (٤٧) قرية داخل السهل خلال ثمانينيات القرن العشرين لاسباب سياسية.
- اثرت قلة مساحة المياه في مساحات الجزرات الوسطية لمجرى النهر بعد ان كانت تشكل مساحة قدرها (٢٠٩ كم<sup>٢</sup>) وصلت بفعل انخفاض منسوب المياه واستغلالها بالزراعة الى (٢٠٤ كم<sup>٢</sup>) أي تغير بنسبة تصل الى اكثر من النصف (٥٧.٩%).
٣. ٢ مقارنة التغيرات للمديتين الاولى والثانية (\*\*\*):

من خلال الجدول (٤) والشكل (٦) والاشكال السابقة يمكن ملاحظة التغيرات للمديتين المذكورة كالاتي:

- يتبين ان نسبة التغير للاراضي الجرداء للمدة الاولى اكبر من المدة الثانية (٣٧.٨%) (٢٩.٥%) على التوالي، ويعود هذا الى ان الاراضي خلال ١٩٨٩ قد اهملت وتركزت الاراضي جرداء.
- الجدول (٤) التغيرات في الغطاء الارضي للمديتين المدروسة (١٩٧٣-١٩٨٩)(١٩٨٩-٢٠٠٧) لمنطقة الدراسة

السنة	١٩٧٣	١٩٨٩	١٩٧٣-١٩٨٩ التغير	نسبة التغير %
الاراضي الجرداء كم <sup>٢</sup>	٨٢.٣	١١٣.١	٣٠.٨-	٣٧.٨
الانهار كم <sup>٢</sup>	٦.٩	٤.٢	٢.٧	٣٩.١
النبات الطبيعي كم <sup>٢</sup>	٩٩.٧	٩٨.٤	١.٣	١.٣١
الإنتاج الزراعي كم <sup>٢</sup>	١٤٨.٧	١٠٥.٤	٤٣.٣	٢٩.١
مقالع الحصى كم <sup>٢</sup>	٠.٣٥	٣.٤	٣.٠٥-	٨٧١.٤
المستقرات كم <sup>٢</sup>	٤.٤	٦.٥	٢.١-	٤٧.٧
الجزر النهرية كم <sup>٢</sup>	٠.٩٥	١٢.٣	١١.٣٥-	١١٩٤.٧
الطرق م	٣٤٩٨٨م	٧٥٧٧٨	٤٠٧٩٠-	١١٦.٦
السنة	١٩٨٩	٢٠٠٧	١٩٨٩-٢٠٠٧ التغير	نسبة التغير %

## الاستنتاجات:

- تبين امكانيات استخدام التقنيات المعاصرة بعد أن توفرت البرامجيات المناسبة وبيانات الاستشعار عن بعد، وبناء قاعدة بيانات متكاملة قابلة للتحديث.
- اتضح بوجود زيادة ونقصان في نمط الاستثمارات اذ زادت مساحة العمران بنسبة كبيرة (٤٧.٧%) وكذلك الحال لمقالع الحصى بنسبة (٨٧.٤%) والطرق البرية بنسبة (٤٧.٦%)، وزيادة لكل من الجزر النهرية ومساحة الانهار والنبات الطبيعي، اما التغيرات القليلة فقد شملت كل من الاراضي الجرداء والانتاج الزراعي.
- مساحات الارض التي تعرضت الى نقص شكلت مساحة (٦.٥ كم<sup>٢</sup>) بنسبة (١.٩%) من مجمل المساحة للمنطقة المدروسة، اما المساحات التي تعرضت لبعض النقص وسجلت مساحة قدرها (١١.٢ كم<sup>٢</sup>) بنسبة (٣.٣%) من مجموع مساحة منطقة الدراسة، ان بعض التغير في الاستعمال ساد على السطح بمساحة قدرها (٧٤.٨ كم<sup>٢</sup>) وبنسبة (٢١.٨%) من مجموع مساحة منطقة الدراسة، اما المناطق التي شهدت تغيراً تاماً في الاستعمال قدرت مساحتها (٩٧.٢ كم<sup>٢</sup>) بنسبة (٢٨.٣%) من مجمل مساحة منطقة الدراسة.
- امكانية تطبيق التصنيف الايكولوجي على منطقة الدراسة، اذ يعد التصنيف الايكولوجي لاستخدامات الارض احد التصنيفات الشاملة في مجالات استخدامات الارض حيث ارتبط تطوره واستعماله بالبيانات المستحصلة من تقنيات الاستشعار عن بعد، وقد تبين ان المنطقة قد صنف الى ثمانية اصناف في المستوى الاول وثمانية وعشرين مفردة تصنيفية في المستوى الثاني.
- يمكن ان نستنتج ان نسبة التغير للاراضي الجرداء للمدة الاولى اكبر من المدة الثانية، اما بالنسبة لمساحة الأنهار فان التغير خلال المدة الأولى أعلى من التغير

- اثر كثيراً في المساحات الزراعية، وذلك بقرار حكومي ملزم للشركات العاملة في تلك المواقع.
- يمكن ملاحظة التغير الذي شهده مركز القضاء بالتوسع الاقليمي في المساحات السكنية الذي اثار في الاراضي الزراعية فامتدت بشكل شريطي جنوب نهر الخابور باتجاه المعبر الحدودي لمنطقة ابراهيم خليل واستغلاله بالنشاط التجاري الواسع، كذلك الحال في التوسع نحو السهل التجميعي والاراضي الزراعية عند مهمية شمال المركز وباتجاه تل كبر التي اصبحت الان داخل مركز القضاء، وكانت المدة الاولى قليلة التوسع حتى نهاية الثمانينيات والتي هجر فيها الاهالي من القرى نحو المركز او هجروا نحو مناطق شيرانش شمال منطقة الدراسة، وبعد عام ١٩٨٩ لاحظنا الزيادة الهائلة في المساحات السكنية وبنسبة تغير على التوالي (٤٧.٧%) (٢٧.٠.٨%).
  - ان انخفاض منسوب نهر الخابور والهيزل اثار بشكل عكسي في ظهور الجزر النهرية واستغلالها في التوسع الزراعي عند السهل الفيضي في المنطقة ومن خلال نسبة التغير للمدة الاولى (١٩٤.٧%) التي كانت تشغل مساحة صغيرة جداً، اذ ظهرت المساحة في البيان الفضائي بشكل كبير عند انخفاض منسوب النهر وعدم استغلال هذه الجزرات بالزراعة، اما تقلص مساحتها بنسبة تغير (٩٦.٨%) فيعود الى الاستغلال الواسع لهذه الجزر وزراعتها ببساتين الخوخ والفاكهة الصيفية الاخرى.
  - ازدادت اطوال الطرق بشكل مستمر فقد كانت نسبة التغير والتطور في هذا الجانب خلال المدة الثانية وبشكل اكبر للحاجة الكبير لشبكة طرق حديثة في تنمية الإقليم وتطويره بعامة ولان المنطقة معبر حدودي مهم في التجارة مع باقي دول العالم.

## الهوامش:

- (1) Jan, France and other, Inventory of major landscape changes in the Czech republic, Hungary, Romania and Slovak Republic, 1970-1990, ITC Journal 2000.p85.
- (٢) رقية احمد محمد امين العاني، دراسة تغيرات الغطاء الارضي لمنطقة بلد باستخدام طرائق المعالجة الرقمية والتصنيف الآلي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٤، ص ٧٣.
- (٣) هـ.ا. رايت ، العصر الجليدي البليستوسيني في كردستان ، ترجمة ، فؤاد حمد خورشيد ، مكتبة الجاحظ للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٦، ص ٦٨-٦٩
- (٤) عبد هرمز عويدش تمرو، هيدرولوجية جزء من سهل زاخو -شمال العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم، قسم علوم الارض، جامعة الموصل، ١٩٨٣، ص ٥٠ .
- (\*) يتم اخذ عينات من الدراسة الميدانية لوجود بعض المشاكل عند اجراء التصنيف الالي يمكن تحديدها بالاتي:
  - وجود السحب فوق الاراضي المدروسة خلال وقت التصوير .
  - صغر حجم الوحدة الزراعية او الاستعمال مع حجم الخلية الصورية .
  - الاختلاف في الاستعمالات المتشبهة مثل الزراعة (ارض مروية -ارض مزروعة - اراضي حصاد)
  - التشابه في انعكاسية بعض الغطاءات كالمياه والاراضي المروية او النباتات الكثيفة .

خلال المدة الثانية، ويمكن ملاحظة ان التناقص في نسبة النبات الطبيعي مستمرة خلال المدتين، وكانت نسبة الانتاج الزراعي اقل في تغيره بالمدة الاولى عن المدة الثانية، وتغيرت مساحة المقالع خلال المدة الاولى بشكل كبير، ويمكن ملاحظة التغير الذي شهده مركز القضاء بالتوسع الافقي بالمدة الثانية اكبر من الاولى، وتقلصت مساحة الجزرات الوسطية في المدة الثانية بشكل كبير، وازدادت شبكة الطرق البرية بامتدادات كبيرة خلال المدة الثانية.

## التوصيات:

- توصي الدراسة بضرورة توجيه الباحثين للقيام بدراسات مشابهة ومكملة لمثل هكذا دراسة وذلك من اجل تغطية مناطق العراق بشكل عام، لكي يتسنى إقامة نظام معلومات جغرافي متكامل للموارد الطبيعية والبشرية، خاصة بعد أن توفرت البرامجيات المناسبة لذلك وبيانات الاستشعار عن بعد، التي يمكن من خلالها إقامة الخرائط الرقمية وإنشاؤها وإمكانية توحيدها وربطها مع بعضها بعضاً.
- استثمار المساحات الكبيرة من الاراضي الصالحة للزراعة التي مازالت غير مستغلة في زراعة الشعير والحنطة.
- الاهتمام بدراسة التغيرات الطبيعية للتعرف على المخاطر التي يمكن ان تسببها هذه التغيرات في الموارد البيئية والتي تنعكس اثارها على النشاطات المختلفة للانسان مسببة الاختلال بالتوازن البيئي في مختلف المناطق، لاطلاق جرس الانذار لمثل هذه التجاوزات على البيئة الحيوية في القطر فضلا عن الكشف على اهم مسببات التدهور للوصول الى افضل السبل لتدارك مثل هكذا حالات.

(٥) عثمان محمد غنيم، تخطيط استخدام الارض الريفي والحضري، مصدر سابق، ص ١٣٢-١٣٨.

(6) Mather,Paul,M. 1987.Computer processing of remotly sensed image, An Introduction .p143.

(٧) عثمان محمد غنيم، مصدر سابق، ص ١٣٢-١٣٨.

(٨) سالم بن مبارك الحتروشي، تدهور بيئة المراعي في جبال محافظة ظفار سلطنة عمان، الجمعية الجغرافية الكويتية، دورية علمية محكمة تصدرها قسم الجغرافيا في جامعة الكويت مع الجمعية الجغرافية الكويتية، العدد ٢٧٤، مارس ٢٠٠٣، ص ٩-١١.

(\*\*) المصدر: وزارة الزراعة في كردستان العراق، دائرة الزراعة في قضاء زاخو، شعبة الغابات الصناعية لقضاء زاخو والنواحي التابعة لها، بيانات غير منشورة، ٢٠٠٨.

(\*\*\*) المراد بالمدة الاولى السنوات ١٩٧٣ - ١٩٨٩، والمدة الثانية السنوات ١٩٨٩ - ٢٠٠٧.

## المصادر:

- تمرو، عبد هرمز عويدش، هيدرولوجية جزء من سهل زاخو -شمال العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم، قسم علوم الارض، جامعة الموصل، ١٩٨٣ .
- الحتروشي، سالم بن مبارك، تدهور بيئة المراعي في جبال محافظة ظفار سلطنة عمان، الجمعية الجغرافية الكويتية، دورية علمية محكمة تصدرها قسم الجغرافيا في جامعة الكويت مع الجمعية الجغرافية الكويتية، العدد ٢٧٤، مارس ٢٠٠٣.
- العاني، رقية احمد محمد امين، دراسة تغيرات الغطاء الارضي لمنطقة بلد باستخدام طرائق المعالجة الرقمية والتصنيف الآلي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٤.
- غنيم، عثمان محمد، تخطيط استخدام الارض الريفي والحضري، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ١، ٢٠٠١.
- هـ.اريت ، العصر الجليدي البليوستوسيني في كردستان ، ترجمة ، فؤاد حمد خورشيد ، مكتبة الجاحظ للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٦.
- وزارة الزراعة في كردستان العراق، دائرة الزراعة في قضاء زاخو، شعبة الغابات الصناعية لقضاء زاخو والنواحي التابعة لها، بيانات غير منشورة، ٢٠٠٨.
- Jan, France and other, Inventory of major landscape changes in the Czech republic, Hungary, Romania and Slovak Republic, 1970-1990, ITC Journal 2000.
- Mather,Paul,M. 1987.Computer processing of remotly sensed image, An Introduction.

## **((قضايا الفساد الإداري في الصحافة العراقية))**

### **دراسة تحليلية في جريدة المشرق أنموذجا**

**للمدة من ٢٠٠٩/٤/١ لغاية ٢٠٠٩/٦/٣١**

**د. فريد صالح فياض م.م. عيسى عيال مجيد**

**جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم الإعلام**

### **أولاً: المقدمة**

#### **١- تمهيد**

تلعب وسائل الإعلام ومنها الصحافة دوراً مهماً في التصدي للكثير من القضايا السلبية التي تواجه الحكومة والمجتمع على حد سواء من خلال التصدي لهذه الحالات من خلال عدة أساليب تعتمد في تناول تلك الحالات ومنها قضايا الفساد الإداري والمستشري في العراق والذي يصل إلى أكثر من ١٠% من إجمالي الناتج الوطني العراقي بمعنى إن مابين ثمانية إلى عشرة مليارات دولار من الميزانية السنوية تضيع هباء بسبب عدم قدرة البلاد على استيعاب هذه المبالغ في مشاريعه، وهو الأمر الناجم عن حجم الفساد المستشري في البلاد وحسب منظمة الشفافية العالمية المعنية بالكشف عن الفساد حول العالم في تقريرها السنوي لعام ٢٠٠٨.

يحثل العراق المرتبة الثالثة في قائمة الدول الأكثر فساداً في العالم، وارتفعت هذه النسبة في السنتين الأخيرتين ليصبح بالمرتبة الثانية، علماً إن أخطر قضايا الفساد المستشري في العراق بالنسبة للوزارات والتي يتم التحقيق فيها هي القضايا المتعلقة بوزارة التجارة.

وان وظائف وسائل الإعلام ومنها الصحافة لا تقتصر على الإعلام والتوعية ومراقبة أداء الحكومة والمؤسسات الأخرى بل تتعدى ذلك إلى حشد الرأي العام للوقوف ضد الفساد الإداري الذي من شأنه أن يؤدي إلى انحلال البناء ألقيمي للمجتمع وضعف الضوابط الاخلاقية والاقتصادية والاجتماعية وغياب المساءلة مع اختلال وتوزيع الثروة وعدم كفاءة القيادات وكبار المسؤولين وانعدام الشفافية وعدم كفاية الرواتب، كما وانه الفساد الإداري يؤدي إلى هجرة العقول وهروب المستثمرين ويزعزع الثقة بالحكومة ويزيد البطالة والفقر ويعرقل النمو ويجعل الانتخابات وسيلة لوصول الفاسدين إلى مراكز السلطة، وترسيخ المفاهيم الفاسدة، ومن هنا تأتي أهمية التكتيف الإعلامي والتركيز على تلك القضايا لتصبح الصحافة المصدر الأول للجمهور في مجال الحصول على المعلومات والاطلاع على أهم القضايا التي تؤثر على حياة المواطنين، وفي العراق تنشط العديد من الصحف لتشكل مصادر رئيسية للمتلقين لمتابعة قضايا مهمة مثل قضايا الفساد الإداري ومنها صحيفة المشرق اليومية والتي تناولت تلك القضايا.

#### **٢- أهمية البحث**

منذ اندلاع الحرب على العراق واحتلاله في ٢٠٠٣/٤/٩ فقد أصبح ذلك البلد ميداناً خصباً للأحداث السياسية والاقتصادية والأمنية التي تجتذب وسائل الإعلام ومنها الصحافة بشكل خاص، وقد رافق ذلك انتشار الفقر وتدهور الأحوال الصحية وقصر الأعمار وسوء توزيع المداخل وانخفاض معدلات النمو، ومن الصحف العراقية المهمة التي تناولت الأحداث ومجريات الشأن العراقي بكل تفاصيله، وأصبحت مصدراً أساسياً بالنسبة للجمهور العراقي والعربي لمعرفة ما يجري داخل العراق وهي صحيفة المشرق والتي تقوم بمتابعة قضايا مهمة وملحة تتعلق بالواقع الاقتصادي للشعب العراقي في ظل الفساد الإداري المستشري في المؤسسات العراقية،

ويمكن قياس كيفية متابعتها لتلك القضايا من خلال إجراء تحليل مضمون عن موضوعات الفساد المنشورة في الصفحة الأولى لصحيفة المشرق، وهذا من شأنه أن يتيح لنا فرصة مناسبة للتعرف على أهم القضايا والموضوعات والمؤسسات التي تناولتها الصحيفة وما هي أبرز المناشدات والدعوات حول قضايا الفساد الإداري في العراق التي أطلقتها تلك الصحيفة.

### ٣- مشكلة البحث

تعد خطوة اكتشاف مشكلة البحث وتحديدتها من الأمور الهامة التي يجب على الباحث أن يقوم بها يعد اختيار موضوع البحث<sup>(١)</sup>. والمقصود بتحديد مشكلة البحث هو تضيق حدود الموضوع بحيث يكون مقتصر على ما يريد الباحث تناوله، وليس على ما يوحي به العنوان من موضوعات لا يريد الباحث تناولها<sup>(٢)</sup>.

ولذلك فإن السمة الرئيسية التي تميز البحوث العلمية كونها تنطوي على مشكلة محددة تحتاج لمن يتصدى لها بالدراسة والتحليل من جوانبها المتعددة<sup>(٣)</sup>.

ويأتي هذا البحث ليتناول الآليات المتبعة في الصحافة بشكل عام وجريدة المشرق بشكل خاص في التعاطي والتعامل مع ظاهرة الفساد لاسيما وان إحدى الوظائف الأساسية للصحافة هي الوظيفة الرقابية إلى جانب وظيفة التوعية، لكن الواقع يشير إلى أن هناك نوع من الغموض بشأن طبيعة الدور الذي تلعبه الصحافة في ذلك السياق ومدى نجاحه وفعاليته، كما ويمكن تلخيص مشكلة البحث بالتساؤلات الآتية:

- ١- ما حدود اهتمام صحيفة المشرق بموضوعات الفساد.
- ٢- ما طبيعة الموضوعات والمؤسسات التي تناولها الصحيفة بخصوص الفساد.

٣- ما أبرز الدعوات والمناشدات التي عبرت عنها صحيفة المشرق في سباق السعي لممارسة الفساد.

### ٤- أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف وأبرزها:

- ١- تشخيص مجالات الاهتمام والتركيز في صحيفة المشرق على موضوعات الفساد.
- ٢- الوقوف على أبرز الموضوعات والمجالات التي يكتنفها الفساد وتناولتها صحيفة المشرق بتكرارات عالية.
- ٣- تحديد أهم الدعوات والمناشدات المنقولة عبر جريدة المشرق بخصوص مكافحة الفساد.

### ٥- منهج البحث

منهج البحث العلمي هو تلك المجموعة من القواعد والأنظمة العامة التي يتم وضعها من أجل الوصول إلى حقائق مقبولة حول الظواهر موضوع الاهتمام من قبل الباحثين في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية<sup>(٤)</sup>.

إذ إن الغالبية العظمى من بحوث الإعلام والرأي العام تتم في إطار المنهج الوصفي<sup>(٥)</sup>، لذا يعد هذا البحث من البحوث الوصفية التي تهدف إلى تسجيل وصفي للحقائق بأتباع المنهج العلمي، أي إنها تعرض موضوع ما بطريقة موضوعية دقيقة<sup>(٦)</sup>.

واقترضت مشكلة البحث التي نحن بصدد بحثها اعتماد البحث الوصفي التحليلي "الذي يقوم على وصف ظاهرة من الظواهر للوصول إلى أسباب هذه الظاهرة والعوامل التي تتحكم فيها واستخلاص النتائج لتعميمها وذلك من أجل تجميع البيانات وتنظيمها وتحليلها"<sup>(٧)</sup> إلى جانب ذلك الاستعانة بأسلوب تحليل المحتوى وهو الأكثر

## ١- الفساد لغة واصطلاحاً

يعني الفساد لغة: التلف والعطب والاضطراب والخلل والجذب والقحط ..... ويقال فسد اللحم فساداً أي انتن وعطب وفسد العقل: بطل وفسد الرجل: جاوز الصواب والحكمة وفسدت الأمور، اضطربت وأدركها الخل<sup>(١٠)</sup>.  
ويعني الفساد اصطلاحاً: خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً سواء كان هذا الخروج قليلاً أو كثيراً، ويستعمل في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة<sup>(١١)</sup>.

ويعني الفساد بالمدلول القانوني والإداري: إساءة استخدام السلطة العامة من أجل الحصول على مكاسب خاصة<sup>(١٢)</sup>.

وعرفته موسوعة العلوم الاجتماعية بأنه:

"استخدام النفوذ العام لتحقيق أرباح أو منافع خاصة، ويشتمل ذلك بوضوح على جميع أنواع ورشاوى المسؤولين المحليين أو الوطنيين أو السياسيين<sup>(١٣)</sup>.

وعرفت منظمة الشفافية الدولية الفساد بأنه:

إساءة استعمال السلطة الموكلة لتحقيق مكاسب خاصة<sup>(١٤)</sup>.

وعرفه آخرون بأنه:

(استخدام النفوذ العام لتحقيق أرباح أو منافع خاصة ويشمل جميع أنواع رشاوى المسؤولين المحليين أو الوطنيين أو السياسيين)<sup>(١٥)</sup>.

وعرفه البنك الدولي في تقرير التنمية الصادر عام ١٩٩٧ بأنه سوء استغلال السلطة العامة من أجل الحصول على مكاسب شخصية<sup>(١٦)</sup>.

وعموماً فإن الفساد كمصطلح يغطي مجموعة واسعة من الممارسات السياسية والاقتصادية والإدارية المشبوهة والمريبة ويشمل مساحته واسعة من الأعمال

## ٦- مجالات البحث ومجتمعه

يتخذ البحث مجالين رئيسيين هي الزماني المتمثل بإجراء الدراسة في المدة الزمنية من ١/٤/٢٠٠٩ لغاية ٣٠/٦/٢٠٠٩ والمجال المكاني المتمثل في جريدة المشرق العراقية المستقلة.

أما مجتمع البحث فيتمثل في صحيفة المشرق العراقية بوصفها صحيفة مستقلة تصدر في بغداد وتوزع في عدد من دول العالم وهي من الصحف اليومية، تعتمد على البعدين المحلي والدولي وتحرص في الغالب على التزام الدقة وتميل إلى تقديم خدمة للقارئ تتنوع في مجالات السياسة والاقتصاد والدين ..... الخ.

كما يتمثل مجتمع البحث على المستوى الزماني في ثلاثة أشهر من نيسان من ٢٠٠٩ ولغاية ٣٠ حزيران من ٢٠٠٩ وقد اعتمد الباحث الحصر الشامل للصفحة الأولى لأعداد الأشهر الخاضعة للتحليل والتي بلغت ٩١ عدداً وقد وجد الباحث إن الإعداد التي تناولت قضايا الفساد الإداري في الصفحة الأولى لصحيفة المشرق وبواقع ١٣ عدداً في شهر نيسان و٢٥ عدداً في شهر أيار و١٦ عدداً في شهر حزيران، وبذلك يكون مجموع الأعداد التي خضعت للتحليل هي ٥٤ عدداً.

**ثانياً: الفساد الإداري – مفهومه – خصائصه – عناصره – أسبابه**



من أجل كسب شخص أو تحقيق أهداف خاصة وكذلك المحسوبية والمحابة والتغاضي عن أنشطة غير قانونية.

٢- يتم الفساد الإداري عادة في إطار من السرية والخوف وإن الكشف عن حالات الفساد لا تؤدي في الغالب إلى الكشف إلا عن جزء من الحقيقة، إذ إن الصفقات الكبيرة للفساد تكون معقدة وغير مباشرة تغري كبار الموظفين على الإقبال على الفساد والمغامرة.

٣- من خصائص الفساد عنصر المخاطرة الذي يصاحب أعمال الفساد، فالفساد يكون مغريا في المواقف والظروف التي يكون فيها عنصر المغامرة ضعيفا فالصفقات الكبيرة تغري كبار الموظفين على المغامرة فكلما كبر حجم الصفقة وتعمدها وكونها غير مباشرة كلما زاد الإقبال على المغامرة لأن احتمالات الشكوك حولها تكون ضعيفة<sup>(١٩)</sup>.

إن الفساد الإداري لم يعد عملا فرديا بل أصبح عملا منظما، إذا يشترك في الفساد عادة أكثر من شخص فالفساد الإداري يتركز من الناحية الفعلية على عدة أطراف هي<sup>(٢٠)</sup>:

أ- الموظف العام الذي يبيع خدماته مستغلا سلطاته ونفوذه الوظيفي.

ب- الذين يتعاملون مع هذا الموظف، سواء من يقوم منهم بشراء خدمات ليس له الحق في الحصول عليها أو من يدفع مبالغ إضافية لخدمات له الحق في الحصول عليها.

ت- أما الطرف الثالث هو الوكيل، إذا لا يتم التعامل في قضايا الفساد الكبيرة مباشرة بين مقدم الرشوة والمسؤول الحكومي بل يكون هناك وكيل عن المؤسسة مقدمة الرشوة وآخر عن المسؤول الحكومي... وهذا يزيد من صعوبة مكافحة الفساد متعدد الأطراف التي تتعامل معه مما يجعلها عملية معقدة<sup>(٢١)</sup>.

### ٣- عناصر الفساد الإداري

والتصرفات غير الشرعية فهو ظاهرة معقدة تنشعب أسبابها وتتنوع آثارها وتشمل أنواعا مختلفة من أنماط السلوك الشاذة وهي<sup>(١٧)</sup>:

١- الرشوة: اتجار الموظف العام بأعمال الوظيفة أو الخدمة.

٢- الاختلاس: بمعنى إن يتصرف الموظف العام في المال الذي وجد تحت يده وفي حيازته بسبب وظيفته على اعتبار أنه مملوك له.

٣- استغلال النفوذ: ويظهر استغلال الموظف لنفوذه الوظيفي في الحالات التي يقوم بها الموظف الحكومي باستخدام سلطته لتحقيق هدف آخر غير المصلحة العامة.

٤- الابتزاز: هو إجبار الأشخاص على دفع مبالغ مالية معينة بالتهديد أو العنف والترهيب كإجبار الموظف لمقاول بدفع مبالغ نقدية مقابل استلام مواد قام المقاول بتجهيزها إلى دائرة الموظف وإلا عدها الموظف غير مطابقة للمواصفات.

٥- هدر المال العام.

٦- توظيف الأموال العامة لغير ما خصصت له.

٧- التهرب والمساعدة على التهرب من الضريبة.

٨- الوساطة، وتفضيل ذوي الصلات والقربى في العقود والتعيينات.

٩- تسريب المعلومات.

١٠- المزاجية في إصدار القرارات الإدارية دون التقيد بالقوانين.

١١- الإهمال المستمر بما يلحق ضررا جسيما بالأموال العامة.

### ٢- خصائص الفساد

هناك عدة خصائص للفساد الإداري منها<sup>(١٨)</sup>:

١- يتخذ الفساد الإداري إشكالا وعناصر متعددة يصعب الإحاطة بها والتصدي لها، كالرشوة والاختلاس والتزوير والابتزاز وسوء الاستخدام الواضح للأموال العامة

يمكن القول إن الفساد الإداري ينطوي على مجموعة من العناصر التالية<sup>(٢٢)</sup>:

- أ- سلوك غير سوي مخالف للقانون واللوائح والتعليمات والأخلاق.
- ب- الفاعل غالبا هو الموظف العام بالحكومة أو شركات قطاع الأعمال.
- ت- هدف الفساد هو تحقيق مصلحة خاصة للموظف أو لذويه على حساب المصلحة العامة كما قد تكون المصلحة الخاصة مادية أو أدبية.
- ث- خطر الفساد هو الإضرار بالمصالح الاقتصادية والاجتماعية أو السياسية أو الثقافية للمجتمع.

#### ٤- الأسباب الواقعية لانتشار الفساد في الدول النامية

إن ظاهرة الفساد الإداري في الدول النامية شأنها شأن أي ظاهرة اجتماعية أخرى لا تحدث نتيجة عامل واحد وإنما نتيجة مجموعة من الظروف والعوامل التي يمكن إبرازها على النحو التالي<sup>(٢٣)</sup>:

- ١- انعدام هيئة القانون فيكفي أن يسود الاعتقاد بأن القانون ليس هو السبيل لتحصيل الحقوق أو حماية الناس فليس مهما أن تكون على حق أو باطل المهم أن تكون قويا لا ضعيفا، وهذا الاعتقاد شأنه إطلاق (يد الكبار) الذين يضربون عرض الحائط بالقانون فتفقد الدولة هيبتها مع النظام العام.
- ٢- عدم استقالة الأداء الحكومي فالتلاعب الذي تمارسه الحكومة سواء عن طريق الاحتيال على المجتمع لزيادة الضرائب والجبائية مثلا، أذا فسلوك الحكومة ينعكس على أخلاق الناس وقيمهم، فإذا استقامت الحكومة استقام الناس، وإذا تلاعبت أو احتالت فإنها تشجعهم تلقائيا على التلاعب الاحتيال.
- ٣- غياب النموذج والقوة كون اختيار القيادات في الدول النامية يتم طبقا لاعتبارات الولاء ولا تتمتع بالكفاءة والاستقامة فمن الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى تفرغ مظاهر الفساد وانتعاشها.

٤- غياب الممارسة الديمقراطية والمتمثلة في الرقابة الشعبية وممارسة حق المسألة وحرية النقد والتعبير، وحين لا يحاسب المخطئ، فأن نمو الفساد يصبح أمرا طبيعيا، وانتشاره يصبح بلا عائق.

٥- ترهل الطبقات الحاكمة في مقاعدها ويقصد بذلك بقاءهم لفترة طويلة على رأس الكثير من المؤسسات، الأمر الذي يؤدي بمرور الوقت إلى تكوين الشلل، ونمو شبكة المصالح، لتمتد لتشمل الأبناء والأقارب.

٦- الاعتماد على الحسابات السياسية ويقصد بذلك تقديم السياسية على القانون لتصبح الحسابات السياسية هي الحكم والفيصل في مصير الضالعين في الفساد عن طريق غض الطرف عنهم.

٧- تقييد حرية الصحافة، فالصحافة الحرة هي جوهر التنمية ففي وسع الإعلام فضح الفساد الإداري وفي وسعه أيضا إدامة فحص السياسة العامة بإلقاء الضوء على أعمال الحكومة<sup>(٢٤)</sup>.

#### ٥- أسباب انتشار الفساد في العراق

الملاحظ إن شيوع ثقافة الفساد في المجتمع العراقي تجري بشكل متسارع ويعزى ذلك إلى<sup>(٢٥)</sup>:

- أ- غموض القوانين وافتقارها إلى الشفافية.
- ب- التعقيد في القوانين الضريبية والتي لا تساعد على الامتثال الضريبي.
- ت- ضعف الإرادة السياسية وعدم وضوحها (تشابك) رجال السياسة بمجتمع رجال الأعمال.
- ث- الترهل الإداري وغياب التدقيق المستقل لا سباب سياسية ((حزبية)).
- ج- الفقر والجهل الذي يعم المجتمع والمتراكم في المجتمع العراقي بسبب الحروب والحصار الاقتصادي طويل الأمد.

## ثالثاً: دور وسائل الإعلام في مكافحة الفساد الإداري

من الصعب أن نتخيل وجود المجتمع الحديث بدون وسائل إعلام، خاصة إذا أدت تلك الوسائل دورها بشكل ايجابي في ذلك المجتمع<sup>(٢٨)</sup>.

لقد أولى أساتذة الاتصال أهمية قصوى للدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في المجتمع فرأى بعضهم إن الاتصال يرسخ شعور المواطن بالانتماء إلى وطنه ونقل التراث من جيل إلى آخر، ويحدد كثير من الباحثين وظائف وسائل الإعلام بأنها الإبلاغ أي نشر الأخبار ثم الشرح والتفسير أي تفسير الخبر والتعليق عليه وإبداء الرأي فيه وحوله<sup>(٢٩)</sup>.

## ١- وظائف وسائل الإعلام بالنسبة للمجتمع

### أ- مفهوم "هارولد لازويل" للوظائف المجتمعية

يعد "هارولد لازويل" عالم السياسة الشهير من أوائل العلماء الذين اهتموا بالوظائف المجتمعية للاتصال وحدد ثلاث وظائف لوسائل الإعلام افترض وجودها في جميع المجتمعات هي<sup>(٣٠)</sup>:

١- **مراقبة البيئة:-** وذلك من خلال تجميع المعلومات وتوزيعها سواء أكان داخل المجتمع أم خارجه، حتى يتمكن المجتمع من التكيف مع الظروف المتغيرة، وتستخدم مراقبة البيئة كتحذير مبكر للنظام لتوفير المعرفة اللازمة لاتخاذ القرارات المهمة لحماية المجتمع من قضايا الفساد الإداري.

٢- **ترابط أجزاء المجتمع في الاستجابة للبيئة:-** إيجاد الترابط بين أجزاء المجتمع من خلال ردود أفعال المجتمع تجاه البيئة المحيطة يؤدي إلى تطور الرأي العام، فمن خلال الاتصال يتم تكوين الرأي العام وبدون الرأي العام لن تستطيع الحكومة أن تقوم بدورها.

ح- فساد الحكم القائم على عدم التوازن والفصل بين السلطات.

خ- ضعف وسائل الإعلام في تغطية قضايا الفساد بسبب خوف الصحفيين من تعرضهم إلى الاعتقال أو القتل لكون الفساد في العراق يدار من قبل شبكات منظمة.

د- غياب دور مؤسسات المجتمع المدني في مراقبة الفساد.

## ٦- وسائل مكافحة الفساد الإداري

تتطلب مواجهة الفساد الإداري اتباع إستراتيجية شاملة متكاملة (سياسية وإدارية ومجتمعية ووقائية واقتصادية ثم قانونية وعقابية في نهاية المطاف)<sup>(٣١)</sup>.

واهم وسائل مكافحة الفساد الإداري هي<sup>(٣٢)</sup>:

أولاً: ملاحقة عمليات الفساد جزائياً وهي وسيلة من أهم وسائل مكافحة الفساد التي تسهم مساهمة فاعلة أكيدة في الحد منه، وتعتمد بشكل أساس على تجريم القوانين بعض أهم صور الفساد وملاحقة مرتكبيها بواسطة المحققين تحت إشراف قضاة التحقيق.

وهي فلسفة تقوم على الردع العام لاستحالة اكتشاف كل عمليات الفساد، إلا إن معاقبة بعض المفسدين يحقق الردع العام.

وتعتمد فاعلية هذه الوسيلة على:

- أ- استيعاب النصوص العقابية الوطنية، تجريم اكبر قدر ممكن من صور الفساد.
- ب- كفاءة المحققين القائمين بملاحقة جرائم الفساد وقدرتهم على جمع الأدلة بما يكفي لدانتهم من قبل المحاكم حين إحالتهم إليها.
- ت- كفاءة القضاء واستقلاليتة وحياده ومنع التأثير عليه أو التدخل في أعماله.
- ث- عدم تدخل السلطات الأخرى كالتنفيذية أو التشريعية في أعمال الملاحقة الجزائية للمفسدين.

- ٣- التنشئة الاجتماعية وهدفها المساعدة في توحيد المجتمع من خلال توفير قاعدة مشتركة للمعايير والخبرات الجماعية.
- ٤- خلق المثل الاجتماعي وذلك بتقديم النموذج الايجابي في الشؤون العامة.
- ٥- الرقابة على مصالح المجتمع وأهدافه.
- ٦- قيادة التغيير الاجتماعي في المجتمع.
- ٧- الترفيه.
- ٨- التسويق.
- ٩- التعليم.

## ٢- دور الصحافة في مكافحة الفساد الإداري

تقوم وسائل الإعلام وخاصة الصحافة بخدمة النظام الاقتصادي من خلال ترسيخ الأوضاع الاقتصادية القائمة، وتروج لها، والسعي لإثبات فعاليتها<sup>(٣٤)</sup>. إن الصحافة تستطيع مراقبة البيئة وتأخذ وظيفة المراقب وخلق المثل الاجتماعي والرقابة على المصالح العامة للمجتمع وذلك من خلال تحذير القارئ والحكومة على حد سواء من خلال التحقيقات والتقارير والأخبار والقصص الخبرية والمقالات من نشر قضايا مهمة عن الفساد الإداري والغش وعن القائمين بها وإجراء مقابلات مع المسؤولين في الأجهزة الرقابية، والاستفادة من عنصر المصادقية والخبرة في التأثير بهذا المجال<sup>(٣٥)</sup>.

ويمكن للإعلام إن يسهل الحوار العام إذا كان مملوكا من قبل القطاع الخاص وحرا في نقد الحومة بدون أي خوف من ردات الفعل، لان الحكام غير الديمقراطيين يميلون إلى التحسس من الرأي العام، لذا فان وجود صحافة حرة يشكل حاجز مراقبة خاصة في الدول غير الديمقراطية التي تقتصر إلى وسائل أخرى لتقييد السياسيين والبيروقراطيين، وكذلك حرية الصحافة الرسمية قد لا تكون كافية إذا كان

وفي المجتمع الديمقراطي يتم توحيد الرأي العام من خلال تسليط الضوء على القضايا التي تهم المجتمع، ويرى " لازويل " إن خير من يقوم بهذه الوظيفة المحررون والصحفيون، والمتحدثون في وسائل الإعلام.

٣- **نقل التراث الاجتماعي عبر الأجيال:-** كان الإباء والأمهات هم الذين ينقلون التراث الثقافي والاجتماعي عبر الأجيال، وأصبحت وسائل الإعلام تقوم بدور اكبر في هذا المجال وقد فطن "لازويل" إلى أن وسائل الإعلام يمكن أن تصبح "غير وظيفية" أي تحدث أثارا ضارة للمجتمع، ويحدث الخلل الوظيفي نتيجة عدم قدرة وسائل الإعلام على إرسال المعلومات بكفاءة أو عدم استقبال هذه المعلومات من جانب الجمهور بمهارة<sup>(٣٦)</sup>.

### ب- مفهوم ولبر شرام للوظائف المجتمعية

قدم "ولبر شرام " ثلاث وظائف عامة يرى إنها ضرورية للاتصال الجماهيري، وخاصة في مجال التنمية الشاملة وهي<sup>(٣٧)</sup>:

- ١- **وظيفة المراقب:-** وذلك لاستكشاف الآفاق، وإعداد التقارير عن الأخطار والفرص التي تواجه المجتمع مثل قضايا الفساد الإداري وقضايا الغش.
- ٢- **الوظيفة السياسية:-** وتتم من خلال المعلومات التي تتيح اتخاذ القرارات المتعلقة بالسياسة والقرارات القيادية، وإصدار التشريعات.
- ٣- **التنشئة:-** وذلك من خلال تعليم أفراد المجتمع المهارات والمعتقدات التي يقدرها المجتمع.

### ت- مفهوم "ليزي مولر" للوظائف المجتمعية

يرى "ليزي مولر" وجود تسع وظائف لوسائل الإعلام في المجتمع وهي<sup>(٣٨)</sup>:

- ١- وظيفة الإخبار والتزود بالمعلومات ومراقبة البيئة
- ٢- الربط والتفسير يهدف إلى تحسين نوعية المعلومات وتوجيه الناس لما يفكرون.

الإعلام بمعظمه مرتبطاً بالأحزاب السياسية ففي إيطاليا لم تصبح قضايا الفساد ضمن الأخبار المهمة إلا حين بدأت الصحافة الإيطالية بالانعتاق تدريجياً عن النظام السياسي<sup>(٣٦)</sup>.

ومن هنا تأتي أهمية وسائل الإعلام في مكافحة الفساد الإداري بوصفه مزوداً مهماً للمعلومات حيث يمكن لوسائل الإعلام والصحافة خاصة الترويج لأداء اقتصادي أفضل حين تكون قادرة على تلبية ثلاثة شروط هي وسائل إعلام مستقلة وتوفر معلومات جيدة، ولها انتشار واسع<sup>(٣٧)</sup>.

### رابعاً: تحليل النتائج

أسفرت عملية تحليل مضمون الصفحة الأولى لصحيفة المشرق العراقية بعد أن جرى تبويبها وفق جداول خاصة أسفرت عن مجموعة من المؤشرات العلمية والنتائج يمكن الإشارة إليها وفق الآتي.

#### ١- موضوعات الفساد الإداري

توزعت موضوعات الفساد الإداري في الصفحة الأولى لصحيفة المشرق على ٩٥ تكرار توزعت على عدة موضوعات أهمها (الفساد المالي) الذي حصل على أعلى مجموع للتكرارات وبنسبة مئوية ٤٧,٥% في حين جاء (الفساد الاقتصادي) بالمرتبة الثانية من مجموع التكرارات وبنسبة مئوية ٣٩% وجاء بالمرتبة الثالثة (الفساد الأخلاقي) بنسبة مئوية ٦,٣% وجاء أخيراً (الفساد السياسي) بنسبة مئوية ٤,٢%. وجاءت موضوعات (الفساد المالي) تحت عناوين مختلفة منها (صباح الساعدي.... التجارة قمة الوزارات الفاسدة)، وجاء في التقرير المنشور يوم ٢٦ نيسان ٢٠٠٩ (وحمل الساعدي وزير التجارة مسؤولية الفساد المالي والإداري المستشري في الوزارة باعتبار المسؤول الأعلى فيها).

وحصل شهر أيار على أعلى نسبة تكرارات وبنسبة مئوية ٤٩,٥% في حين حصل شهر حزيران على المرتبة الثانية بمجموع التكرارات وبنسبة مئوية ٢٨,٤% وجاء شهر نيسان بالمرتبة الأخيرة وبنسبة مئوية ٢٢,١%. انظر الجدول رقم (١).

### جدول رقم (١)

#### موضوعات الفساد الإداري المنشورة في صحيفة المشرق

المجموع	الفساد الأخلاقي		الفساد المالي		الفساد الاقتصادي		الفساد السياسي		الموضوعات
	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	
نيسان	٢١	٢٢,١%	٣	٥٠%	١٢	٢٦%	٥	٢٥%	١
أيار	٤٧	٤٩,٥%	٢	٣٣,٣%	٢٤	٥٢,١%	٢٠	٢٥%	١
حزيران	٢٧	٢٨,٤%	١	١٦,٧%	١٠	٢١,٩%	١٤	٥٠%	٢
المجموع	٩٥	١٠٠%	٦	٦,٣%	٤٦	٤٨,٥%	٣٩	٤١%	٤

#### ٢- أنواع الفساد الإداري المنشورة في جريدة المشرق

حصلت أنواع الفساد الإداري على مجموع تكرارات ٩٠ تكرار وتوزعت هذه التكرارات على عدة أنواع حيث جاء بالمرتبة الأولى (الفساد في العقود) وحصل أعلى مجموع للتكرارات وبنسبة مئوية ٣١,١% في حين حصل (فساد المسؤولين والاختلاس) على المرتبة الثانية وبنسبة مئوية ٢٢,٢% لكل منهما، وجاء (استغلال النفوذ الوظيفي) بالمرتبة الثالثة وبنسبة مئوية ١٢,٢% وجاء التزوير بالمرتبة الأخيرة وبنسبة مئوية ٣,٣%.

ونلاحظ اهتمام الصحيفة (بالفساد في العقود التجارية) وذلك بسبب فتح ملفات وزارة التجارة للعقود التجارية ومثال ذلك التقرير المنشور في ٣ أيار ٢٠٠٩ تحت عنوان (مذكرات ألقاء قبض بحق التجار الذين وردوا مواد فاسدة) وحصل شهر

أيار على أعلى نسبة تكرارات ونسبة مئوية ٥٠% في حين حصل شهر حزيران على المرتبة الثانية ونسبة مئوية ٢٧,٨% وجاء شهر نيسان بالمرتبة الثالثة ونسبة مئوية ٢٢,٢% انظر الجدول رقم (٢).

### جدول رقم (٢)

#### أنواع الفساد الإداري المنشور في صحيفة المشرق

الأنواع		التزوير		الاختلاس		الرشوة		استغلال النفوذ		فساد العقود		فساد المسؤولين		المجموع	
الأشهر	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن
نيسان	١	%٣٣,٣	٥	%٢٥	٢	%٢٥	٢	%١٨,١	٥	%١٧,٩	٥	%٢٥	٢٠	%٢٢,٢	
أيار	١	%٣٣,٣	٧	%٣٥	٦	%٧٥	٦	%٥٤,٦	١٣	%٤٦,٤	١٢	%٦٠	٤٥	%٥٠	
حزيران	١	%٣٣,٤	٨	%٤٠	-	-	٣	%٢٧,٣	١٠	%٣٥,٧	٣	%١٥	٢٥	%٢٧,٨	
المجموع	٣	%٣,٣	٢٠	%٢٢,٢	٨	%٩	١١	%١٢,٢	٢٨	%٣١,١	٢٠	%٢٢,٢	٩٠	%١٠٠	

### ٣- الفنون الصحفية المستخدمة التي تناولت موضوعات الفساد الإداري

احتل (التقرير الصحفي) المرتبة الأولى في تغطية موضوعات الفساد الإداري على بقية الفنون الصحفية ونسبة مئوية ٦٤,٨% في حين حصل (الخبر) على المرتبة الثانية ونسبة مئوية ١٨,٢% وجاءت (القصة الخيرية) بالمرتبة الثالثة ونسبة مئوية ١٧% فقد واكبت (التقارير الصحفية) حملة هيئة النزاهة في البرلمان بكشف ملفات الفساد وخاصة في وزارة التجارة، واهتمت الصحيفة بالإخبار حول قضايا الفساد لما يتمتع به الخبر من صفات مثل الجدة والحدثة خاصة وان استجواب الوزراء بقضايا فساد وتحصل لأول مرة في العراق بعد عام ٢٠٠٣.

وعلى مستوى الأشهر فقد حصل شهر أيار على المرتبة الأولى ونسبة مئوية ٥٢,٤% وجاء شهر حزيران بنسبة مئوية ١٥,٩% انظر الجدول رقم (٣).

### جدول رقم (٣)

#### يبين الفساد على مستوى الفنون الصحفية

الفنون		التقرير		الخبر		القصة الخيرية		المجموع	
الأشهر	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت
نيسان	٧	%١٣,٢	٢	%١٣,٣	٤	%٢٨,٧	١٣	%١٥,٩	
أيار	٣٠	%٥٦,٧	٥	%٣٣,٣	٨	%٥٨,١	٤٣	%٥٢,٤	
حزيران	١٦	٣٠,١	٨	%٥٣,٤	٢	%١٤,٢	٢٦	%٣١,٧	
المجموع	٥٣	%٦٤,٨	١٥	%١٨,٢	١٤	%١٧	٨٢	%١٠٠	

### ٤- مواضع نشر موضوعات الفساد الإداري في الصفحة الأولى في صحيفة المشرق

حصل موقع ((أعلى يمين)) على أعلى نسبة تكرارات ونسبة مئوية ٤١% في حين حصل موقع ((أسفل يمين)) على المرتبة الثانية ونسبة مئوية ٢٨,٤% وجاء موقع ((أعلى يسار)) بالمرتبة الثالثة ونسبة مئوية ١٥,٩% في حين حصل موقع ((أسفل يسار)) على نسبة مئوية ١٤,٧% ونرى اهتمام الصحيفة بنشر موضوعات الفساد الإداري في أعلى يمين وذلك بين اهتمام الصحيفة يعرض هذه الموضوعات على الرأي العام من خلال أهمية هذا الموقع بالنسبة للقراء.

وجاء الاهتمام بشهر أيار ونسبة مئوية ٥٣,٤% في حين حصل شهر حزيران على المرتبة الثانية ونسبة مئوية ٢٩,٦% وجاء شهر نيسان بالمرتبة الأخيرة ونسبة مئوية ١٧% انظر الجدول رقم (٤).

### جدول رقم (٤)

#### يبين مواضع نشر موضوعات الفساد الإداري في الصفحة الأولى

المجموع		أسفل يسار		أسفل يمين		أعلى يسار		أعلى يمين		موقع النشر
ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	الأشهر
١٧%	١٥	٣٠,٨	٤	٢٠%	٥	٢١,٤%	٣	٨,٣%	٣	نيسان
٥٣,٤%	٤٧	٣٨,٤%	٥	٤٨%	١٢	٣٥,٧%	٥	٦٩,٥%	٢٥	أيار
٢٩,٦%	٢٦	٣٠,٨%	٤	٣٢%	٨	٤٢,٩%	٦	٢٢,٢%	٨	حزيران
١٠٠%	٨٨	١٤,٧%	١٣	٢٨,٨%	٢٥	١٥,٩%	١ ٤	٤١%	٣٦	المجموع

#### ٥- الموضوعات الإخراجية المرافقة لموضوعات الفساد

توزعت الوسائل الإخراجية المرافقة لموضوعات الفساد مستويات عدة فقد حصل استخدام (أكثر من وسيلة إخراجية) على المرتبة الأولى ونسبة مئوية ٣٦,٥% وبدل ذلك على اهتمام الصحافة بجذب القراء من خلال استخدام منشآت مع عناوين رئيسة أو فرعية أو بإضافة صورة شخصية أو معبرة لنفس الموضوعات ومثال ذلك التقرير المنشور في ١٧ أيار ٢٠٠٩ تحت عنوان منشآت ((مشادة كلامية بين رئيس لجنة النزاهة والسوداني)) مع عناوين رئيسية لنفس التقرير (صباح الساعدي للمشرق .... هناك فئات كبيرة لدى أعضاء البرلمان بان أجوبة وزير التجارة لم تكن كافية) وعنوان رئيسي آخر لنفس التقرير (العزوي للمشرق .. الأسئلة التي وجهت للوزير تتعلق بالسكر "المتحجر" والحنطة "المتعفة" وتحويل مبالغ مالية إلى الخارج) وإضافة إلى المنشآت والعناوين الرئيسية تم إضافة صور شخصيتين أحدهما لوزير التجارة المستجوب والأخرى لرئيس هيئة النزاهة صباح الساعدي).

وحصلت على المرتبة الثانية (العناوين الرئيسية) ونسبة مئوية ٢٤,٣% وتقاسمت المرتبة الثالثة بين (المنشآت) و(العناوين الفرعية) والتي حصلت كل منها على نسبة مئوية ٤,٨% وجاء (الكاركتير) بالمرتبة الأخيرة ونسبة مئوية ١,٢%

وبالنسبة للأشهر فقد حصل شهر أيار على أعلى مجموع للتكرارات ونسبة مئوية ٤٧,٦% وحصل شهر حزيران على ٣٠,٤% وجاء شهر نيسان بالمرتبة الأخيرة ونسبة مئوية ٢٢% انظر الجدول رقم (٥).

#### جدول الرقم (٥)

#### يبين الوسائل الإخراجية المرافقة لموضوع الفساد الإداري

لنوسائل لنمرافقة		مانشيت		عناوين رئيسية		عناوين فرعية		مع صورة		مع كارتون		أكثر من وسيلة		مع شبكة		المجموع	
الأشهر		ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت
نيسان		٢	%١٥,٣	٣	%١٥	٢	%١٥,٣	١	%٢٥	-	-	١٠	%٣٣,٣	-	-	١٨	%٢٢
أيار		٨	%٦١,٧	٧	%٣٥	٦	%٤٦,١	٣	%٧٥	١	%١٠٠	١٤	%٤٦,٧	-	-	٣٩	%٤٧,٦
حزيران		٣	%٢٣	١٠	%٥٠	٥	%٣٨,٦	-	-	-	-	٦	%٢٠	١	%١٠٠	٢٥	%٣٠,٤
مجموع		١٣	%١٦	٢٠	%٢٤,٣	١٣	%١٦	٤	%٤,٨	١	%١,٢	٣٠	%٣٦,٥	١	%١,٢	٨٢	%١٠٠

#### ٦- المؤسسات التي تتعلق بها موضوعات الفساد

تنوعت المؤسسات التي تعلق بها موضوع الفساد وأظهرت نتائج التحليل إن الاهتمام وتركز بالدرجة الأساس على وزارة التجارة التي حصلت على أعلى مجموع للتكرارات ونسبه مئوية ٦٤,٨% ويأتي هذا الاهتمام بسبب الحملة التي شنتها هيئة النزاهة في البرلمان العراقي في بداية شهر نيسان ٢٠٠٩ على وزارة التجارة وأدى ذلك إلى استجواب وزير التجارة في البرلمان والدعوة إلى سحب الثقة منه بسبب الفساد المستشري في وزارته وأدى ذلك إلى تقديم استقالته وهروبه بطائرة ومن ثم إرجاع الطائرة وتقديمه إلى المحاكم خلال شهري أيار وحزيران وجاء بالمرتبة الثانية من المؤسسات الحكومية فئة (أخرى) وهي تتعلق (بمؤسسات أخرى) في الحكومة وحصلت على نسبة مئوية ٥,٤% وجاء بالمرتبة الثانية وزارة النفط والتربية والدفاع ومنظمات غير حكومية أخرى ونسبة مئوية ٤,١% لكل منها.

وجاء بالمرتبة الرابعة (وزارة الكهرباء) ونسبة مئوية ٣% وحصلت على المرتبة الخامسة (وزارة النقل والداخلية والصحة والتعليم العالي وهيئة الحج وهيئة التقاعد ومجلس الحكم الانتقالي والتسجيل العقاري) ونسبة مئوية ١,٣% لكل منها، وجاء شهر أيار بأعلى نسبة تكرارات ونسبه مئوية ٥٠,٦% في حين حصل شهر حزيران على المرتبة الثانية ونسبه مئوية ٣١,٥% وجاءت المرتبة الثالثة لشهر نيسان بنسبة مئوية ١٧,٩% وكما موضح بالجدول رقم (٦).

#### جدول رقم (٦)

المؤسسات التي يتعلق بها موضوعات الفساد

الأشهر	نيسان		أيار		حزيران		المجموع	
	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن
وزارة الكهرباء	-	-	١	١	١	١	٢	٣%
وزارة النفط	-	-	١	١	٢	٢	٣	١,٤%
وزارة التربية	١	٧,٧%	١	١	١	١	٣	١,٤%
وزارة النقل	١	٧,٧%	-	-	-	-	١	١,٣%
وزارة التجارة	٤	٣١%	٣٠	٨١,١%	١٣	٥٧%	٤٧	٦٤,٨%
وزارة الدفاع	٢	١٥,٣%	١	٢,٧%	-	-	٣	١,٤%
وزارة الداخلية	-	-	١	٢,٧%	-	-	١	١,٣%
وزارة الصحة	-	-	-	-	١	٤,٣%	١	١,٣%
وزارة التعليم	-	-	-	-	١	٤,٣%	١	١,٣%
هيئة الحج	-	-	-	-	١	٤,٣%	١	١,٣%
هيئة التقاعد	-	-	-	-	١	٤,٣%	١	١,٣%
مجلس الحكم الانتقالي	-	-	-	-	-	-	١	١,٣%
التسجيل	-	-	١	٢,٧%	-	-	١	١,٣%

العقاري	٣	٢٣%	-	-	-	-	٣	١,٤%
منظمات غير حكومية	٢	١٥,٣%	١	٢,٧%	١	٤,٣%	٤	٥,٤%
أخرى	١٣	١٧,٩%	٣٧	٥٠,٦%	٢٣	٣١,٥%	٧٣	١٠٠%

#### ٧- المحافظات التي تناولها موضوع الفساد

أظهرت المؤشرات المستخلصة من التحليل إن الاهتمام والتركيز جاء بمحافظة (المتنى) والتي حصلت على المركز الأول ونسبه مئوية ٣١% ويأتي هذا الاهتمام بسبب موضوعات الفساد في العقود الخاصة بالبطاقة التموينية في محافظة المتنى والتي بسببها تعرض وزير التجارة إلى التوقيف في سجن السماوة المركزي على ذمة التحقيق قبل أن يطلق سراحه بكفالة ماليه، وجاء الاهتمام بالمرتبة الثانية بصورة عامة بموضوعات الفساد دون التركيز على محافظة بعينها وحصلت على نسبة مئوية ٢٩% ويأتي بالمرتبة الثالثة محافظة (ديالى) والتي حصلت على نسبة مئوية ٧,٢% ومثال ذلك الخبر المنشور في ٧ نيسان ٢٠٠٩ تحت عنوان (اتهام رئيس مجلس محافظة ديالى باختلاس ١٥٠ مليار دينار). وحصلت محافظة (بابل) بالمرتبة الرابعة ونسبة مئوية ٣,٦% وجاءت محافظة (كربلاء) و(البصرة) بالمرتبة الأخيرة ونسبة مئوية ١,٨% لكل منهما. وحصل شهر أيار على أعلى نسبة مئوية ٣٨,١% وجاء شهر حزيران بنسبة ٣٢,٩% وجاء شهر نيسان بالمرتبة الأخيرة ونسبة مئوية ٢٩%, انظر الجدول رقم (٧).

#### جدول رقم (٧)

المحافظات التي تناولها موضوع الفساد

المحافظات		بغداد		المتنّى		ديالى		البصرة		بابل		كربلاء		عمامة		المجموع	
الأشهر	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	
نيسان	٢	١٤,٢ %	١	%٥,٩	٢	%٥٠	-	-	١	%٥٠	-	-	١٠	٦٢,٦ %	١٦	%٢٩	
أيار	٨	٥٧,١ %	٥	٢٩,٤ %	١	%٣٥	١	١٠٠ %	١	%٥٠	-	-	٥	٣١,٢ %	٢١	٣٨,١ %	



وهذا يعود إلى انه شهر أيار شهد كشف قضية الفساد في وزارة التجارة وطلب البرلمان استجواب وزير التجارة واستقالته وهروبه خارج البلد وفي شهر حزيران تم إحالة الوزير إلى القضاء وتوقيفه ثم إخلاء سبيله بكفالة.

### جدول رقم (٨)

#### يبين المصادر المعتمدة في استقاء المعلومات عن الفساد

المصادر	البرلمان	الصحافة	هيئة النزاهة	مصادر أمنية	المفتش العام	أخرى	المجموع
الأيام	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن
نيسان	٤	٤	٤	٤	١	٢	٢٠,٩ %
أيار	١٠	٧	١٨	٢	١	١	٥٠,٦ %
حزيران	٤	٢	١٣	١	١	١	٢٨,٥ %
المجموع	١٨	١٣	٣٥	٤	٣	٤	١٠٠ %

### ٨- المصادر المعتمدة في استقاء المعلومات عن الفساد

توزعت المصادر المعتمدة في استقاء المعلومات عن الفساد بين عدة مصادر ففي المرتبة الأولى حلت (هيئة النزاهة) بواقع ٤٥,٥ %، وهي دلالة على إن هيئة النزاهة هي التي حشدت البرلمان لاستجواب الوزراء وخاصة وزير التجارة المتهم بقضايا فساد، أما المصدر الثاني من المصادر المعتمدة في استقاء المعلومات هو (أعضاء البرلمان) والذي حصل على نسبة مئوية ٢٣,٣ % ويشير ذلك إلى إن (أعضاء البرلمان) هم من قاموا باستجواب الوزراء فكانوا هم المصدر الثاني لاستقاء المعلومات، وحصلت (الصحافة) على المرتبة الثالثة وينسبة مئوية ١٧ % وحصلت (المصادر الأمنية والمصادر الأخرى) على المرتبة الرابعة وينسبة مئوية ٥,١ % لكل منهما وجاء في المرتبة الأخيرة (دائرة المفتش العام) وينسبة مئوية ٤ % وكانت حصة شهر أيار ما نسبته ٥٠,٦ % وشهر حزيران ثانياً بنسبة ٢٨,٥ % في حين كانت نصيب شهر نيسان هو الأخير بنسبة ٢٠,٩ %. انظر الجدول رقم (٨).

نلاحظ ومن خلال الجداول السابقة إن شهر أيار حصل على أعلى مجموع للتكرارات وأعلى نسبه مئوية وحصول شهر حزيران على المرتبة الثانية من حيث مجموع التكرارات والنسبة المئوية وكان شهر نيسان آخرها وفي المرتبة الثالثة بالنسبة لمجموع التكرارات والنسبة المئوية.

### ٩- الدعوات والمناشدات المقترحة عبر موضوعات الفساد

تنوعت الدعوات والمناشدات المقترحة عبر موضوعات الفساد فقد حصلت دعوة إحالة المفسدين إلى القضاء بالمرتبة الأولى وبأعلى مجموع للتكرارات ونسبته مئوية ٣٦,١ % في حين حصلت الدعوة والمناشدة إلى تفعيل الدور الرقابي للبرلمان على المرتبة الثانية ونسبته مئوية ٢٦,٧ % أما المرتبة الثالثة فقد حصل عليها الدعوة لسحب الثقة من بعض الوزراء ونسبته مئوية ١٨ % في حين جاء طلب إجراء التعديل

الوزاري بنسبة مئوية ١٢% أما الدعوة لمنع سفر المتهمين بالفساد أو الكشف عن أسمائهم فقد حصلت على المرتبة الأخيرة ونسبه مئوية ٢,٤% لكل منها. انظر الجدول رقم (٩).

#### جدول رقم (٩)

يبين الدعوات والمناشدات المقترحة عبر موضوعات الفساد

النسبة المئوية	التكرار	الدعوات والمناشدات
٢,٤%	٢	الكشف عن أسماء الفاسدين
٣٦,١%	٣٠	الإحالة إلى القضاء
٢,٤%	٢	منع السفر
٢٦,٧%	٢٢	تفعيل الدور الرقابي للبرلمان
١٨%	١٥	سحب الثقة
١٢%	١٠	إجراء تعديل وزاري
١٠٠%	٨٣	المجموع

### ١٠- المساحة الإخراجية لموضوعات الفساد في الصفحة الأولى

أظهرت المؤشرات المستخلصة من التحليل إلى تغطية موضوعات الفساد الإداري بأكثر من ثلاثة أعمدة إلى ٥٤,٤% ويبين لنا اهتمام الصحيفة بالتغطية بمساحة إخراجية كبيرة لاهتمامها بإعلام القراء بأدق التفاصيل حول قضايا الفساد وعند وضع أربعة أو خمسة أعمدة من أصل ثمانية يبين هذا الاهتمام.

وجاء بالمرتبة الثانية من المساحات الإخراجية لموضوعات الفساد هو التغطية على ثلاث أعمدة ونسبه مئوية ٢١%.

أما المرتبة الثالثة فهو التغطية على مساحة إخراجية عمودين ونسبه مئوية ١٧,٢% في حين جاء العمود الواحد بالمرتبة الأخيرة ونسبه مئوية ٧,٤%, انظر الجدول رقم (١٠).

#### جدول رقم (١٠)

المساحة الإخراجية لموضوعات الفساد الإداري في الصفحة الأولى

النسبة المئوية	التكرار	المساحة الإخراجية
٧,٤%	٦	عمود واحد
١٧,٢%	١٤	عمودين
٢١%	١٧	ثلاثة أعمدة
٥٤,٤%	٤٤	أكثر من ٣ أعمدة
١٠٠%	٨١	المجموع

### خامسا: الاستنتاجات

في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث يمكن استنباط مجموعة من الاستنتاجات وعلى وفق الآتي: -

- ١- التركيز على موضوعات الفساد المالي باعتبارها الموضوع الأساس في قضايا الفساد، وجميع موضوعات الفساد الإداري هي بالأساس تعود لتكون قضايا فساد مالي.
- ٢- التركيز في التغطية الصحفية على الفساد في العقود التجارية والتي تأتي بنوعيات رديئة وأسعار عالية ليكون الفرق بين سعر المواد الرديئة والمواد الجيدة بجيوب المفسدين.
- ٣- التركيز على فن التقرير الصحفي باعتباره احد الفنون الصحفية الذي يغطي المواضيع على أكمل وجه.
- ٤- السعي الواضح لصحيفة المشرق لفضح قضايا الفساد الإداري وكشفها من خلال أماكن نشر الموضوعات إذا حصل موقع أعلى يمين على أعلى نسبة تكرارات.
- ٥- التأكيد على استخدام أكثر من وسيلة أخرجيه مرافقه لقضايا الفساد الإداري لبيان أهمية الموضوع.
- ٦- إظهار المؤسسات العراقية التي يتعلق بها موضوع الفساد الإداري وخاصة فيما يتعلق بعقود البطاقة التموينية بمظهر التقصير والادانه.
- ٧- التركيز على المحافظات التي تناولتها مواضيع الفساد الإداري وجاء التركيز الأكثر على محافظة المثنى والتي حصل فيها فتح قضايا على وزير التجارة في هذه المحافظة في سياق شخصه خارطة الفساد.

- ٨- الاعتماد على مصادر عدة في استقاء المعلومات عن قضايا الفساد الإداري وجاء الاعتماد بالدرجة الأولى على مصادر هيئه النزاهة في البرلمان العراقي ومن ثم أعضاء في البرلمان لبيان أهمية وإطلاع هذه المصادر على قضايا الفساد.
- ٩- التأكيد على الدعوات والمناشدات المقترحة عبر موضوعات الفساد ومن أهمها إحالة المفسدين إلى القضاء وتفعيل الدور الرقابي للبرلمان والدعوة إلى سحب الثقة من بعض الوزراء الفاسدين.
- ١٠- الاهتمام بالمساحة الإخراجية لموضوعات الفساد الإداري، وتم التركيز على هذه الموضوعات وذلك بزيادة تغطية المساحة الإخراجية إلى أكثر من أربعة أعمدة للتقارير الخاصة بالفساد الإداري.

## الهوامش والمصادر:

- (١) د. سامي طايغ، بحوث الإعلام، دار النهضة العربية، ٢٠٠١، ص ٣٢٠.
- (٢) سعيد إسماعيل صيني، قواعد أساسية في البحث العلمي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤)، ص ١٣٩.
- (٣) سمير محمد حسين، بحوث الإعلام، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٩، ص ٦٩.
- (٤) محمد عبيدات وآخرون، منهجية البحث العلمي، القواعد والمراحل والتطبيقات، الطبعة الثانية، عمان، دار وائل للطباعة والنشر، ١٩٩٩، ص ٣٥.
- (٥) د. فرج الكامل، بحوث الإعلام والرأي العام - تصميمها وإجرائها وتحليلها، ط ١، مصر، دار النشر للجامعات المصرية، ٢٠٠١، ص ١٢١.
- (٦) د. هادي نعمان الهيتي، أسس وقواعد البحث العلمي، دراسة مطبوعة بالرونيو، بغداد، ١٩٨٢، ص ٢٤.
- (٧) د. عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، ط ٣، القاهرة، المكتبة الانجلو مصريه، ١٩٧١، ص ١٠٩.
- (٨) جمال زكي وآخرون، أسس البحث الاجتماعي، القاهرة دار الفكر العربي، ١٩٦٢، ص ٣٧١.
- (٩) د. محمد عبد الحميد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٠، ص ٢٣٣.
- (١٠) د. نواف سالم كنعان، الفساد الإداري والمالي، أسبابه - آثاره - وسائل مكافحته، بحث منشور في مجلة الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، كلية القانون - السنة ٢٢، العدد ٣٣، يناير ٢٠٠٨، ص ٨٤.
- (١١) الرغبة الأصفهاني في المفردات، ص ٣٩٧.
- (١٢) تقرير التنمية البشرية عن البنك الدولي عام ١٩٩٧
- (١٣) د. نواف سالم كنعان، الفساد الإداري (مصدر سبق ذكره)، ص ٨٥.

- (١٤) منظمة الشفافية الدولية، تقرير الفساد العالمي لعام ٢٠٠٧
- (١٥) د. جاسم محمد الذهبي، الفساد الإداري في العراق [www.berc.iraq.com](http://www.berc.iraq.com)
- (١٦) د. سيف راشد الجابر، د. كامل صكر، كيف واجه الإسلام الفساد الإداري، بحث غير منشور، ٢٠٠٥، ص ٢٢.
- (١٧) القاضي رجب حسن العكيلي، الفساد - تعريفه - أسبابه - آثاره، مجلة دراسات قانونية، بيت الحكمة، العدد ٢٣، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٨١.
- (١٨) نواف سالم كنعان، الفساد الإداري (مصدر سبق ذكره)، ص ٨٥ - ٨٦.
- (١٩) التقرير الصادر عن الندوة الإقليمية التي عقدتها دائرة التعاون الفني للتنمية التابعة للأمم المتحدة بعنوان (الفساد في الحكومة) ترجمة الدكتور نادر أبو شيحة، إصدار المنظمة العربية للتربية الإدارية، ١٩٨٩، ص ٣٠ - ٣١.
- (٢٠) نواف سالم كنعان، الفساد الإداري (مصدر سبق ذكره)، ص ٨٣.
- (٢١) قضايا اقتصادية عالمية، بحث منشور على الانترنت موقع (إسلام أون لاين) بتاريخ ٢٠٠٦/٥/١٧.
- (٢٢) لواء دكتور حسنين المحمدي بوادي، الفساد الإداري - لغة المصالح، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٨، ص ١٤.
- (٢٣) د. فهمي هويدي، عن الفساد وسنينه، دار الشروق، ٢٠٠٦، ص ١٣٢ وما بعدها.
- (٢٤) الحق في الإبلاغ، دور وسائل الإعلام الجماهيرية في التنمية الاقتصادية، دراسات تنمية، البنك الدولي، تقرير بحوث التنمية، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٧.
- (٢٥) د. خضر عباس عطوان، دور مؤسسات المجتمع المدني في مكافحة الفساد، بحث غير منشور، هيئة النزاهة، المؤتمر الأول لمكافحة الفساد في العراق، بغداد، تشرين الثاني ٢٠٠٩، ص ١٠.
- (٢٦) د. سليمان عبد المنعم، ظاهرة الفساد - دراسة في مدى مواءمة التشريعات العربية لأحكام اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، ص ١٧.

## دور الإعلام في عهد النبوة

م. م. مريد صالح ضامن

جامعة تكريت / كلية التربية / قسم التاريخ

### مُتَكَلِّمًا

يعد الإعلام واحداً من بين أهم الوسائل المهمة والحيوية التي ساهمت وساعدت في نشر الدعوة الإسلامية التي جاءت على لسان النبي محمد (ﷺ) الذي حمل الرسالة وناضل من أجلها منذ البداية في دورها السري والعلني حتى تمكن من انجاز نواة دولة إسلامية في المدينة المنورة بعد هجرته إليها، توسعت بعد وفاته وصارت إمبراطورية إسلامية انتشرت من خلالها الدين الإسلامي إلى أرجاء المعمورة كافة. ونظراً لأهمية هذا الموضوع وحيويته ودوره في نشر الإسلام الأمر الذي دعاني إلى دراسته لتوضيح أهم وسائل الإعلام ودورها في عهد النبوة

تناولت الدراسة القرآن الكريم ودوره الإعلامي في نشر الإسلام ثم درست أهمية الحديث النبوي الشريف وأهمية الأذان ودوره الإعلامي وبينت أهمية الخطابة الدينية وكما بينت أهمية كتب الرسول (ﷺ) إلى أمراء العرب وملوك الدول المجاورة كما ركز البحث على الدور الإعلامي لبيعة العقبة الأولى والثانية في يثرب قبل هجرة النبي (ﷺ)

ودرس البحث تناول دور الشعر في خدمة الإسلام والدفاع عنه وبينت دور الحج في نشر الدعوة الإسلامية.... وفي الختام أتمنى أن أكون قد وفقت في إعطاء صورة واضحة عن الموضوع

..... والله الموفق

- (٢٧) القاضي رحيم حسن العكيلي، الفساد - تعريفه - أسبابه - آثاره، مجلة دراسات قانونية، بيت الحكمة، العدد ٢٣، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٨٥ - ٨٦.
- (٢٨) د. حسن عماد مكاوي، د. ليلي حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، ط ١، ١٩٩٨، ص ٧.
- (٢٩) د. محمد منير حجاب، الإعلام والتنمية الشاملة، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط ١، ط ١، ١٩٩٨، ص ١٣١.
- (٣٠) د. حسن عماد مكاوي، د. ليلي حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، ط ٦، ٢٠٠٦، ص ٧١.
- (٣١) د. حسن عماد مكاوي، د. ليلي حسين السيد، ط ١، (مصدر سبق ذكره) ٧٢.
- (٣٢) د. حسن عماد مكاوي، د. ليلي حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، ط ٩، ٢٠٠٩، ص ٧٤.
- (٣٣) د. حسن عماد مكاوي، د. ليلي حسين السيد، الاتصال ونظرياته، ط ٦، ٢٠٠٦ (مصدر سبق ذكره) ص ٧٥.
- (٣٤) د. حسن عماد مكاوي، د. ليلي حسين السيد، الاتصال ونظرياته، ٢٠٠٩ (مصدر سبق ذكره)، ص ٧٨.
- (٣٥) د. علي حسين طوينه، وآخرون، اتجاهات المستهلكين والصحفيين إزاء ظاهرة الغش في المواد الغذائية، بحث مقدم إلى ندوة الغش التجاري وحماية حقوق المستهلك - مركز بحوث السوق وحماية المستهلك (بحث غير منشور) بغداد ٢٠٠٢، ص ٢٤.
- (٣٦) سوزان روز - أكرمان - الفساد والحكم - الأسباب، العواقب، والإصلاح، ترجمة فؤاد سروجي، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط ١، ٢٠٠٣، ص ٢٩٥.
- (٣٧) الحق في الإبلاغ، دور وسائل الإعلام الجماهيرية في التنمية الاقتصادية، دراسات تنموية، ٢٠٠٥، ص ١٣، (مصدر سبق ذكره).

## الإعلام لغة:

يعني مصدرا للفعل اعلم، فيقال علمت الشيء بمعنى عرفتّه وخبرته<sup>(١)</sup>، وعلم الرجل الشيء أي خبره وأحب أن يعلمه أي يخبره وكذلك يقال أن تسال عن شيء وتستخبره<sup>(٢)</sup>،

## أما الإعلام اصطلاحاً:

فيعني إيصال فكرة معينة لها هدف واضح ومضمون يراد تحقيقه بعدة وسائل سواء أكانت هذه الوسائل مسموعة أم مرئية بالكلمات والجمل أو بالإشارات أو بالصور والرموز، بحيث تكون هذه الأفكار التي نريد إيصالها إلى المتلقي رسالة واضحة ومفهومة لتحقيق الهدف التي من أجلها أطلقت، أي إنها الوسائل التي ساعدت على نشر الدعوة الإسلامية في العهد النبوي بدورها السري والعلني<sup>(٣)</sup>، أما أهم وسائل الإعلام في العهد النبوي فهي:-

## ١- القرآن الكريم:

مما لا شك فيه إن القرآن الكريم هو كلام الله تبارك وتعالى والذي يعد من أهم وسائل الإعلام للدعوة الإسلامية لما يملكه من قوة الجدل والدعوة والعبر<sup>(٤)</sup>، كما انه المصدر الأساسي للعقيدة الإسلامية وله الفضل من خلال قراءته في دخول الكثير من الناس في الإسلام، فعندما كان الرسول ﷺ يقرأ القرآن بشكل مستمر، فانه اثر في مشركي قريش وجلب البعض منهم الى الإسلام ومن أمثلة ذلك: في قوله تعالى ﴿أَبْ بَ بِبٍ بِبِْبٍ پ پِپِپِ پِپِثْ نْ ذْ ثْ تْ دُتْ ثُتْ تُدْتُفْ فَفُقْفَقْ جَجْ چچ﴾<sup>(٥)</sup>، كما كان القرآن سببا في إسلام عمر بن الخطاب ؓ بعد سماعه سورة طه)، واسلم الشاعر الطفيل بن عمرو عندما سمع الرسول ﷺ (يتلوا القرآن الكريم في الكعبة)<sup>(٦)</sup>، نظرا لما يحتويه من إعجاز بلاغي لان العرب أهل بلاغة، إذ حين يقرأ القرآن فانه يترك أثرا كبيرا في نفوسهم<sup>(٧)</sup>، فدعا الرسول ﷺ عشيرته وأقرباءه إلى الإسلام<sup>(٨)</sup>، كما في قوله تعالى: ﴿جَجْ چچ﴾<sup>(٩)</sup>، ونصت بعض آياته الأخرى بتكليف الرسول ﷺ (وابلاغ عامة الناس

[illegible]

## ٢- الحديث النبوي الشريف:

بما إن الحديث النبوي هو كلام النبي محمد (ﷺ) المعلم الأول والداعي لهذا الدين الحنيف الذي يركز على الإرشاد والهداية والتبشير والجهاد وفيه أبواب كثيرة منها ما يتعلق بالعبادات ومنها ما يخص نظام حياة المسلمين وأخرى للجهاد في سبيل الله (٢٠)، فقال تعالى: جِئْتُكُمْ بِدِينٍ مُبِينٍ هُوَ هُدًى وَنُورٌ (٢١)، إذ أشارت أحاديث الرسول (ﷺ) إلى كل الجوانب التي تخص حياة الإنسان فقال الرسول (ﷺ) ((ياكم والجلوس في الطرقات)) (٢٢)، وقال الرسول (ﷺ) ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) (٢٣)، وكذلك أشار الرسول (ﷺ) في آداب الطريق فقال الرسول (ﷺ) ((واعلموا إن الجنة تحت ظللا السيوف)) (٢٤)، وإشارة كتب الحديث على عدد كبير من أحاديث الرسول (ﷺ) في الجهاد واجر المجاهد فقد أورد البخاري خمسة وخمسين حديثاً في هذا المعنى ولمسلم تسعة وستين والترمذي خمسة وأربعين ولأبي داود ثمانية وثلاثين وللنسائي واحد وخمسون ولابن ماجه اثنين وثلاثين فكانت أحاديث الرسول (ﷺ) خير وسيلة إعلامية فعالة في نفوس المسلمين بعد القرآن الكريم ساعدت في نشر الدعوة الإسلامية (٢٥)،

## ٣- الأذان:

وبما إن الأذان يعني الدعوة والنداء إلى أداء الصلاة والإعلام بها في ميقاتها (٢٦)، لذا اهتم الرسول (ﷺ) بأمر الأذان لان المسلمين كانوا في بداية الإسلام يجتمعون في المسجد لحين إقامة الصلاة وبغير دعوة وبعدها ينادي منادي النبي (ﷺ) الصلاة جامعة فيجتمع الناس لكن بعد أن تحولت القبلة إلى الكعبة المشرفة أمر الرسول (ﷺ) بالأذان فأشار عليه بعض الصحابة إلى طريقة يجتمعون فيها لأداء الصلاة (٢٧)، فذكر بعضهم البوق وآخر الناقوس وظلوا، حائرين في مناقشة هذا الأمر حتى ذكر لهم الصحابي عبد الله بن زيد الخزرجي انه رأى في منامه رؤيا تحمل في

مفادها طريقة الأذان رواها للرسول (ﷺ) فقال له الرسول (ﷺ) قم مع بلال وعلمه إياه كما جاء عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى الرسول (ﷺ) وقال له رأيت مثل الذي رآه عبد الله عندها اطمأن الرسول (ﷺ) على صيغة الأذان التي طبقت إلى يومنا هذا، غير ان المشكلة التي عانا منها المسلمين (٢٨)، أنهم بداية الأمر ضعافا في مكة ويصعب عليهم أداء الأذان و الصلاة بشكل جماعي وعلمي حتى هاجروا إلى المدينة وصاروا أحرارا ولهم القدرة في إقامة الصلاة عندها أمر الرسول (ﷺ) بلالا (رضي الله عنه) بالأذان في يوم الجمعة على الصورة التي رواها له عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) في رؤيا هما فصار الأذان منذ ذلك الحين سيقا ثابتا لأداء الصلاة والإعلام بها في الإسلام إذ يتكرر الأذان والصلاة خمس مرات في اليوم وبشكل مستمر وثابت يسمعه جميع الناس بشكل علمي ولفت الأنظار في المدينة إلى الدين الجديد كما دل على تنامي قوة المسلمين فيها (٢٩)، حتى انتقل منها وشمل بقية أنحاء الجزيرة العربية (٣٠)، فكان الأذان خير وسيلة إعلامية نبأت المشركين أصحاب الديانات الأخرى بانبثاق دين الإسلام الذي وكان خاتمة لجميع الأديان السماوية حتى قيام الساعة (٣١)،

## ٤- الخطابة:

الخطابة فن من فنون الكلام غايتها إقناع السامعين واستمالتهم والتأثير فيه بصواب قضية أو بخطأ أخرى (٣٢)، وقد كانت الخطابة وما زالت واحدة من وسائل الإعلام وأكثرها اتصالا مباشرا بالناس والتأثير على مشاعرهم لإقناعهم بالأفكار والقيم التي يراد إيصالها لهم (٣٣)، وقد أدت الخطابة دورا إعلاميا مهما قبل الإسلام (٣٤)، وكانت هناك خطب قبل الإسلام ومنها خطبة قيس ابن ساعدة الأيادي الذي ذكرها عنها الرسول (ﷺ) عندما قدم إليه وفد من قبيلة أياد وسألهم:

والتي منها: خطب الجهاد وخطب الوفود والخطب الدينية والسياسية وخطب المناظرات فضلا عن خطب الوصاية والتي جميعها كان لها دورا إعلاميا مؤثرا لنشر الإسلام

### ٥- كتب الرسول (ﷺ) إلى أمراء العرب وملوك الدول المجاورة:

بعد أن ترسخ الإسلام وقوي المسلمون بعد السنة السادسة للهجرة قام الرسول (ﷺ) بإرسال العديد من الرسل الى زعماء القبائل وأمراء العرب في الجزيرة العربية يدعوهم فيها الى الإسلام لان إسلامهم يسهل دخول بقية الناس الآخرين ولاسيما بعد معركة بدر الكبرى التي انتصر فيها المسلمون والتي أدت نتائجها الى قبول أعداد كبيرة الى الإسلام<sup>(٤١)</sup>، كما لم يقتصر إرسال هؤلاء الرسل والبعوث على أمراء العرب في الجزيرة العربية بل تعدى ذلك إلى ملوك الأمم الأخرى لان هؤلاء الرسل كانوا بمثابة رسالة إعلامية لإيصال فكرة الدين الجديد إلى تلك المناطق البعيدة عن المدينة<sup>(٤٢)</sup>، لان الإسلام دين لكل الناس استجابة لقوله تعالى: **جِئْتُكُمْ بِهَدْيٍ مِّن لَّدُنِّي وَبِأَمْرٍ مِّن لَّدُنِّي**، وقوله: **جِئْتُكُمْ بِهَدْيٍ مِّن لَّدُنِّي وَبِأَمْرٍ مِّن لَّدُنِّي**، لذا فان الرسول (ﷺ) بعد رجوعه من صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة بعث ستة كتب الى الملوك والأمراء في يوم واحد وختم عليها بخاتمة المنقوش عليه عبارة (محمد رسول الله)<sup>(٤٣)</sup>، ومن بين هؤلاء الملوك النجاشي ملك الحبشة والمندر بن ساوى العبدي ملك البحرين والمقوقس صاحب الإسكندرية عظيم القبط وكذلك قيصر الروم وكسرى الفرس ومنهم من تجاوب مع دعوة الرسول الى الإسلام وردوا عليه ردا حسنا ومنهم من لم يستجب لها، أما النجاشي الذي أرسل له عمرو بن أمية الضمري وكتب إليه كتابين يدعو فيه احدها الى الإسلام ويتلوا عليه القرآن فانه اخذ كتاب رسول الله (ﷺ) ووضعه على عينه، ونزل من سريره وجلس على الأرض تواضعا لله، ثم اسلم وشهد شهادة الحق وقال ((لو كنت استطيع أن اتيه لأتيته))<sup>(٤٤)</sup>، وأرسل حاطب بن أبي بلتعة اللخمي الى المقوقس صاحب الإسكندرية عظيم القبط، وبعد أن وصل كتاب الرسول (ﷺ) إليه

عن القس ابن ساعدة الأيادي وذكرهم بخطبته المشهورة التي قال فيها: ((أيها الناس اجتمعوا واستمعوا واعوا، وإذا سمعتم شيئا فانتمتعوا به من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو ات ات إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، مهاده موضوعا، وسقف مرفوع ونجوم تمور، وبحار لا تغور واقسم قس قسما حقا لان كان في الأرض رضي ليكن بعده سخط. إن الله ديننا هو أحب إليه من دينكم الذي انتم عليه. مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون. ارضوا بالمقام فا قاموا، أم تركوا فنا موا))<sup>(٤٥)</sup>، ان هذه الخطبة كانت مهمة ومؤثرة في الناس رغم من قلة تداول موضوعاتها وأهدافها<sup>(٤٦)</sup>، أما الخطبة بعد الإسلام فقد تطورت وظهرت لها أهمية كبيرة في إقناع المشركين وذلك من خلال ما قام به الرسول (ﷺ) من خطاب لأهل قريش لنشر دعوته الإسلامية<sup>(٤٧)</sup>، فأشار الرسول (ﷺ) في أول خطبة له في الإسلام ((بعد ان حمد الله، وأثنى عليه وقال ((أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمة ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه الم يأتيك رسولي فبلغك، وأتيتك مالا وأفضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك ؟ فليظننن يميننا وشمالا فلا يرى شيئا، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق من ثمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فان بها تجزي الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته))<sup>(٤٨)</sup>، وقد كانت الخطبة مقنعة بتقبل الفكر الجديد كما صارت احد أسباب المهمة لحل مشاكل المسلمين والتأثير بمشاعرهم لان خطب الرسول (ﷺ) وبلاغتها كانت مؤثرة وتدخل الى قلوب الناس وعقولهم فزادت في إيمانهم وترسيخ إسلامهم<sup>(٤٩)</sup>، إذ نجحت التجربة الإعلامية الأولى على يد الرسول (ﷺ) من خلال لقائه بالوفود في مواسم الحج وقناعهم بمبادئ الإسلام<sup>(٥٠)</sup>، ويذكر إن هناك العديد من أنواع الخطب التي أثرت إيجابا في الدعوة الإسلامية وساعدت على نشر الإسلام في الجزيرة العربية



في يثرب والمناطق المجاورة لها<sup>(٥٥)</sup> حتى صار كل مسلم بمثابة وسيلة إعلامية ودعوية هناك أدت الى زيادة عدد المسلمين الذين صاروا قاعدة للمسلمين بعد أن هجرة النبي (ﷺ) إليها<sup>(٥٦)</sup>،

## ٧- الشعر:

أما الشعر ولاسيما الإسلامي منه فإنه كان واحدا من بين الوسائل الأخرى المهمة التي ساندت المسلمين وتدعيم فكرهم لان الشاعر هو الناطق باسم قبيلته والمدافع عنها، فكلما زاد عدد الشعراء في القبيلة ذاع صيتها وارتفع شأنها بين القبائل<sup>(٥٧)</sup>، وقد أفاد الرسول (ﷺ) من هذا السلاح ولاسيما من الشعراء المسلمون مثل الشاعر حسان بن ثابت وكعب بن زهير بن أبي سلمى الذين وقفوا معه للدفاع عنه ضد مشركي قريش إذ استخدم هؤلاء الشعراء بعض الألفاظ القرآنية بشكل مجازي للتأثير على الناس نظرا لما تحويه هذه الألفاظ من حلاوة الأسلوب وسمو المعاني<sup>(٥٨)</sup>، للدفاع عن الرسول والذود عنه ضد أعدائه المشركين والانتقاص منهم حتى كان رسول الله (ﷺ)، يقول: لحسان بن ثابت ((اجب عني اللهم ايده بروح القدس))<sup>(٥٩)</sup>، ومن الأمثلة على ذلك قول حسان بن ثابت مادحا الرسول (ﷺ) ضد هجمة المشركين عليه:

والله ربي فلا تفارق ماجدا	عف الخليفة ماجد الأجداد
متكرما يدعو الى رب العلا	بذل النصيحة رافع الأعماد
مثل الهلال مباركا ذا رحمة	سمع الخليفة طيب الأعواد <sup>(٦٠)</sup> ،
كما قال في قصيدة أخرى	
وجاهدوا في سبيل الله واعترفوا	لنائبات فما خامو وما ضجروا
والناس الب علينا ثم ليس لنا	إلا السيوف وأطراف القتلى وزر
نجالد الناس لا نبقي على احد	ولا نضيق ماتوصي به السور
ولا يهير جناب الحرب مجلسنا	ونحن حين تلضي نارها سعر <sup>(٦١)</sup> ،

قراءه وقال خيرا واخذ الكتاب وجعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه الى جاريته ثم كتب الى النبي (ﷺ) قد علمت إن نبيا قد بقى وكنت اضن يخرج من الشام وقد أكرمت رسولك<sup>(٤٧)</sup>، وكذلك بعث الرسول (ﷺ) الى هرقل رسالة قال فيها ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد ابن عبد الله ورسوله الى هرقل قيصر الروم. السلام على من اتبع الهدى أما بعد، اسلم تسلم واسلم يؤتك الله أجرا مرتين))<sup>(٤٨)</sup>، فكانت هذه الرسائل خير وسيلة إعلامية للأطراف العربية والأجنبية بظهور قوة الإسلام وتعاضمه في الجزيرة العربية وهو ما قطف ثماره لاحقا في نشر الإسلام الى أطراف بعيدة أخرى بعد وفاة الرسول (ﷺ)<sup>(٤٩)</sup>،

## ٦- بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية:

كما كان لبيعة العقبة الأولى في السنة الحادية عشرة للبعثة وبيعة العقبة الثانية في السنة الثانية عشرة أثرا إعلاميا مهما خارج مكة للتعريف بالدين الجديد في يثرب عندما التقى الرسول (ﷺ) في بيعة العقبة الأولى مجموعة من أهل يثرب في مكة كان عددهم احد عشر رجلا تحدث معهم عن الإسلام أثناء مجيئهم إلى مكة لموسم الحج<sup>(٥٠)</sup>، ثم زاد عددهم في بيعة العقبة الثانية الى سبعين رجلا وامرأتين، وكانوا متخفين كي لا يشعر بهم احد عند لقائهم الرسول (ﷺ) وفي مكان بعيد عن أنظار الناس في ((منطقة العقبة))<sup>(٥١)</sup>، كلمهم الرسول (ﷺ) وعرفهم بالدين الجديد ومبادئه وقيمه، كانت هذه البيعة بمثابة أداة إعلامية مهمة لإيصال الإسلام خارج مكة عن طريق هذه الوفود من الرجال والنساء<sup>(٥٢)</sup>، عندما طلبوا من الرسول (ﷺ) أن يبعث معهم قارئاً يعلمهم قراءة القرآن الكريم فلبى النبي (ﷺ) طلبهم وأرسل معهم مصعب بن عمير يعلمهم أصول الدين الجديد حتى كثر عددهم وأصبحوا أكثر من سبعين مسلماً<sup>(٥٣)</sup>، وفي السنة التالية من بيعة العقبة الأولى زاد عدد المسلمين في يثرب نتيجة إسلام هؤلاء النفر الذين صاروا خير وسيلة إعلامية لنشر الإسلام<sup>(٥٤)</sup>،

## ٨- الحج :

073

071

## الهوامش:

- (١) الجوهرى إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٦هـ) الصحاح، تحقيق: احمد بين عبدا لغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٨٧)، ج ٥، ص ١٩٩٠ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، (ت ٦٣٠ هـ - ٧١١ م)، لسان العرب، دار، صادر، بيروت، ج ١٢، ص ٤١٨
- (٢) ابن منظور، لسان العرب، مج ٦، ص ٤١٧-٤١٨ وص ٢١٨
- (٣) المتوكل، محمد بن عبدا لملك، مدخل الإسلام والرأي العام، القاهرة، ص ١٠-١٢
- (٤) ابن هشام، الإمام أبي محمد عبدا لملك بن هشام، بن أيوب الحميري المعافري، (ت ٢١٣ أو ٢١٨ هـ)، السيرة النبوية، ط ٢، مؤسسة المعارف، (بيروت - ٢٠٠٧) ص ١٥٨-١٥٩
- (٥) القرآن الكريم، سورة الجن، أيه، [١-٣]
- (٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ص ١٩٣ وص ١٧٤-١٧٥، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، (ت ٣١٠هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (مصر ١٩٦٧)، ج ١، ص ٣٦٤-٣٧٠
- (٧) إسماعيل، محمود، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، (الكويت، ١٩٩٠)، ط ٢، ص ٤٩
- (٨) ابن سعد، محمد بن سعيد بن شيخ الزهري، الطباق الكبرى، (ت ٣٢٠هـ)، دار أحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، افهارستها: رياض عبدا لله عبدا لهادي، مج ١ ص ٩٦
- (٩) القرآن الكريم، سورة الشعراء، أيه، [٢١٤]
- (١٠) القرآن الكريم، سورة المائدة، أيه، [٩٩]

- كما أن لبيعتي العقبة الأولى والثانية دور إعلاميا مهما ساعد في نشر الإسلام خارج حدود مكة وانتقاله الى يثرب وتعليم الدين الجديد. قبل هجرة النبي إليها كانت مهياة لتقبل الدين الجديد قبل هجرة النبي إليها
- أما الشعر الذي تغير بعد ظهور الإسلام وصار الشعراء المسلمين يجاهدون بشعرهم ويدافعون عن الرسول (ﷺ) وعن فكره الجديد أمام هجمة المشركين إذ دحضوا شعراء قريش وسفهاوا أحلامهم بقصائد كانت أمضى عليهم من ضرب السيوف كانت على لسان ابرز شعراء المسلمين أمثال حسان بن ثابت وعبدا لله بن رواحه وآخرين نشروا مبادئ الإسلام ودافعوا عنها حتى صاروا من المقربين الى الرسول (ﷺ) نتيجة خدماتهم الإعلامية والدفاعية عن الإسلام وفضلا عن ذلك فأن للحج دورا إعلاميا مهما في نشر الدين الإسلامي من خلال توافد المسلمين لأداء فريضة الحج الى مكة وعودتهم الى ديارهم كما أظهرت مناسك الحج مدى قوة المسلمين وأعدادهم أمام أعدائهم من خلال هذا التجمع الذي يتكرر كل حول.

- (١١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج ١، ص ٩٥-٩٧، الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، الموصل، ص ١١
- (١٢) القرآن الكريم، سورة الأنفال، أيه، [٧٢]
- (١٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج ١ ص ٩٥-٩٦
- (١٤) القرآن الكريم، سورة الحجر، إيه، [٩٤ - ٩٥]
- (١٥) الملاح، الوسيط، ص ١٤١
- (١٦) القرآن الكريم، سورة يوسف، أيه، [١١١]
- (١٧) القرآن الكريم، سورة الكهف، أيه، [١٣]
- (١٨) حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط ٧، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤، ج ١، ص ١٩٦ - ٢٠٢
- (١٩) الملاح، الوسيط، ص ١٠٨
- (٢٠) حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ج ١، ص ١٠٤-١٠٦ الملاح، الوسيط، ص ٢١٣-٢١٤
- (٢١) القرآن الكريم، سورة الحشر، أيه، [٧]
- (٢٢) مسلم، أبي الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، (٢٠٦ - ٢٦١ هـ)، محمد فؤاد عبد الباقي، دار أحياء التراث العرب ، ١٩٥٥، ط ١، ج ١، ص ٥٢٠
- (٢٣) مسلم، صحيح مسلم ، ج ٣، ص ١٣٢٣
- (٢٤) مسلم، صحيح مسلم ، ج ٣، ص ١٦٧٥
- (٢٥) إمام ، إبراهيم، الإعلام الإسلامي المرحلة الشفهية، (القاهرة، ١٩٨٠)، ص ٧٠٥
- (٢٦) ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٥٠-٥٣

- (٢٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١١٩-١٢٠
- (٢٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٢٥٨-٢٥٩
- (٢٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١١٩-١٢٠
- (٣٠) ادهم، محمود، الأذان معجزة إعلامية كيف، دار الشعب، ص ٥-٦
- (٣١) ابن هشام، السيرة النبوية، ص ١٢٥
- (٣٢) موسى، اشرف محمد، الخطابة وفن الإلقاء، القاهرة، ص ٧
- (٣٣) درويش، محمد طاهر، الخطابة، في صدر الإسلام، ط ٢، دار المعارف مصر ، ١٩٦٨، ص ١
- (٣٤) الجبوري، جميل، وسائل الإعلام ومسيرة الإنتاج، (بغداد، ١٩٧٧)، ص ٧١
- (٣٥) بن كثير أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية (٧٠٠-٧٧٤هـ)، ط ١، تحقيق أبو الفضل الديمياطي احمد بن علي وآخرون، دار الغد الجديد (القاهرة ٢٠٠٧) ، ج ٢، ص ١٩٤
- (٣٦) درويش، الخطابة في صدر الإسلام، ص ٥٥
- (٣٧) عبدا لحليم، محي الدين، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العلمية، ودار الرفاعي، ط ٢، (الرياض ١٩٨٤)، ص ٢٦
- (٣٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٢٥٣
- (٣٩) ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٢٢٣
- (٤٠) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج ١، ص ١٤١
- (٤١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج ١، ص ١٢٤-١٢٥
- (٤٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٢٩٤، الطبري، تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٨٤-٨٥
- (٤٣) القرآن الكريم، سورة الأعراف، أيه، [٧]
- (٤٤) القرآن الكريم، سورة سبأ، إيه، [٢٨]

- (٦١) ابن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، ج ١، ص ٢٦٥
- (٦٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٣٨١
- (٦٣) ابن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، ج ١، ص ٢٥٨
- (٦٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٣٠٢-٣٠٣
- (٦٥) التهامي، مختار، الإعلام في صدر الإسلام، مجلة الآداب، مطبعة دار الجاحظ للمطبوعات والنشر، (بغداد، ١٩٧٧) ع ٢١ مج ١، ص ٤٩٣-٤٩٤
- (٦٦) ابن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، ج ١، ص ١٨٩
- (٦٧) ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٣٠٣
- (٦٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٣٦-٣٣٧
- (٦٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٢٤، ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٧٠٨، المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (ت ٣٤٦ هـ - ٩٥٧ م) اعتنى به: محمد هشام النعسان وآخرون، ط ١، دار المعارف (بيروت - ٢٠٠٥)، ج ٢، ص ٢٥٦
- (٧٠) القرآن الكريم، سورة الحج، أية [٢٦-٢٧]
- (٧١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٣٧
- (٧٢) ابن إسحاق، محمد ابن إسحاق ابن يسار المطلبى المدني، السيرة النبوية (ت ١٥١ هـ)، حققه احمد فريد المزدي، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٩)، ط ٢، ج ٢، ص ٦٧٠
- (٧٣) القرآن الكريم، سورة البقرة، أية، [١٢٥]
- (٧٤) سلاطين، محمد عبد السلام، فريضة الحج وزيارة الحرمين الشريفين (المكتبة المصرية، ٢٠٠٤)، ص ١١٣
- (٧٥) القرآن الكريم، سورة الحج، أية، [٢٨]

- (٤٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٢٤ - ١٢٥
- (٤٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٢٥
- (٤٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٢٤
- (٤٨) حسن، تاريخ الإسلام، ج ١، ص ١٥٨
- (٤٩) ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي، إعلام السائلين، عن كتب سيد المرسلين، (ت ٩٣٥)، نشر مكتبة القدسي والبدوين، (دمشق ١٣٤٨)، ص ١-٦
- (٥٠) ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٢١٨-٢٢١
- (٥١) ابن الأثير، علي بن احمد الكرم، الكامل في التاريخ، (ت ٦٣٠ هـ - ١٦٣٨ م) مطبعة دار صادرة للطباعة والنشر، (بيروت - ١٩٦٥)، ج ٢، ص ٩٨
- (٥٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٢١٨-٢٢١
- (٥٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مج ١، ص ١٠٦
- (٥٤) ابن سعد، المصدر نفسه، مج ١، ص ٣٣٤
- (٥٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٥
- (٥٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٠٥-١٠٦، ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٢٢٠
- (٥٧) محمد، محمد سعيد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، ط ١، ودار الرفاعي (الرياض. ١٩٨٣) ص ٩٨-٩٩
- (٥٨) حسن، تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٥٠٦-٥٠٧
- (٥٩) مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٣٣
- (٦٠) ابن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: وليد عرفان دار صادر، بيروت، ج ١، ص ٣٠٥